

إهداء ٢٠٠٧

أسرة المرحوم الدكتور / عبد الجليل عبده شلبي
جمهورية مصر العربية

تراثنا

مختار الأغاني

في

الخبار والنهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الخامس

تقيق

عبد العزيز أحمد

دار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون
مع
معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة
١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
ج. ع. ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حرف العين

ذكر عبید الله بن قیس الرقیات^(١)

هو عُبَیدُ الله بن قیس بن شُرَیح بن مالک بن رَبِیعَة بن إهاب^(٢) بن صاب^(٣)
ابن حُجَیر بن عبد بن بَغِیض^(٤) بن عامر بن لؤی بن غالب .
وأُمّه قَتیلَة بنت وهب بن عبد الله بن رَبِیعَة بن طریف بن عدیّ بن مسعر^(٥) بن
لیث بن بکر بن عبد مناة^(٦) بن کذّانة .
كان یقال لبني بَغِیض^(٤) بن عامر بن لؤیّ وبني محارب بن فهر الأجریان ، من
أهل تَهامة ، وكانا متحالفین .
وإنما قیل لهما الأجریان من شدة بأسهما وعَرَّها مَنْ ناوأهما كما یُعرّ البعیر
الجرّب^(٧) .
وإنما لُقّب عبیدُ الله بن قیس الرقیات لأنه شبّ بثلاث نسوة ، تسمین جمیعا
رُقَیّة .

(١) أغانی ٥ : ٧٣ دار الکتب .

(٢) أهیّب ٥ : ٧٣ .

(٣) فی ب : صاب أيضا وفي الأغانی ضباب .

(٤) فی ا ، ب وفي بعض نسخ الأغانی : معیض وفي بعضها معیض .

(٥) سعد (أغانی) .

(٦) مناف فی ب وفي الأغانی مناه .

(٧) فی الأصل کأمر وفي الأغانی كما یعر الجرّب .

منهم رقية بنت عبد الواحد بن^(١) أبي قيس بن وهب^(٢)، وابنة عم لها يقال لها رقية أيضا .

وامرأة أخرى من بني أمية يقال لها رقية أيضا .

وكان هواء في رقية بنت عبد الواحد وإياها عني ابن قيس بقوله :
ما خيرُ عَيْشٍ بالجزيرة بعدما غبر^(٣) الزمانُ ومات عبدُ الواحد
وله في الرقيات عدة أشعار .
وأما أبياته التي منها :

مَنَعَ اللّهُوَ والهُوى وَسَرَى اللّيلَ مُصِيبُ
وسياطٌ على أَكْفَسٍ^(٤) رجالٍ تَقْلَبُ

يقولها في مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وكان صاحب شرطة مروان بن الحكم ، ولأه مروان المدينة فقال : إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة ، فأبغى رجالا من غيرها ، فدعا له^(٥) بمائة رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطا شديدا ، فدخل السور بن سخرمة على مروان ، فقال : أما ترى ما يشكو الناس من مصعب؟ فقال :

ليس بهذا من سِياقٍ عَتَبُ يمشى القَطُوفُ^(٦) وينام الركبُ
وقيل : إنه ولى^(٧) إلى أن ولى عمرو بن سعيد المدينة ، وخرج الحسين

(١) ابن أبي سعد بن أبي قيس (أغاني) .

(٢) ابن أحيان (أغاني) .

(٣) عثر (أغاني) .

(٤) في الأصل ألف والتصويب عن الأغاني .

(٥) فأعانه بمئتي • : ٧٤ .

(٦) القَطُوف من الدواب : التي تسمى السير وتبلى .

(٧) بقى (أغاني) .

وعبدُ الله بن الزبير ، فقال له عمرو : اهدِم دُورَ بنى هاشم وآل الزبير ، فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَخْرُك يا ابن أم حريث !! ألق سيفنا . فألقاه ، ولحق بابن الزبير ، وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام ، وأمره بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل ، وبلغ منهم كلُّ مبلغ ، وهدم دار ابن مُطِيع التي يقال لها العنقاء ، وضرب محمد بن المنذر بن الزبير مائة سوط . ثم دعا بُرُوءَ بن الزبير ليضربه . فقال له محمد : أتضرب عروة ؟ قال : نعم ياسَبْلان إلا أن تَحْتَمِل ذلك عنه ، فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المسور بن غرمة أحد من هرب منه ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه ، وضربه بالسوط ضرباً مُبَرِّحاً ، فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس : إن عمرأ مات مرتداً عن الإسلام .

قال الزبير : سألت عُمى مصعباً ومحمد بن الضحاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلهم قال^(١) : قيس الرقيات .

وجاء ابن قيس إلى طلحة بن عبد الرحمن بن عوف فقال : يا هم إني قلت شعراً فاسمعه ، فإنك تنصح لقومك ، فإن كان خيراً قلت ، وإن كان رديئاً كفت . قال : أنشدني ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب^(٢)

فقال : قل يا ابن أخي فإنك شاعر .
وكان عبيدُ الله بن قيس زبيرى الهوى .

(١) قالوا : ابن قيس (أغاني) .

(٢) حال دون الهوى ودو ن سرى الليل مصعب (تجريد ١ : ٦٣٢) .

وخرج مع مصعب على عبد الملك ، فلما قُتل مصعب وعبد الله لجأ إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه . قال عبيد الله بن قيس الرقيات : خرجت مع مصعب حين بلغه شخصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب مسكن ورأى معالم^(١) الغدر ممن معه دعاني ، ودعا بـمال ومناطق ، فلأ المناطق مالا^(٢) والبسني منها ، وقال : انطلق حيث شئت ، فإني مقتول . فقلت : والله لا أرى سبيك ، فأقت معي حتى قتل ، ثم أقبلت^(٣) إلى الكوفة فأول بيت صرت إليه دخلته ، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت إلى مشربة فقعدت فيها فأمرت لي المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فكثت كذلك عندها أكثر من حول ، تفتح^(٤) لي بما يصلحني ، وتغدو علي في كل صباح ، فتسألني بالصباح والحاجة ، ولا تسألني من أنا ولا أسألها من هي . وأنا مع ذلك أسمع الصباح في الجمّل ، فلما طال المقام وفقدت الصباح في غرضت^(٥) مكانى غدت علي تسألني الصباح والحاجة فأعلمتها أني قد غرضت وأحببت الشخصَ إلى أهلي . فقالت لي : يأتيك^(٦) ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ، فلما أمسيت رقت إلى وقالت : إذا شئت فانزل [فنزلت]^(٧) وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطت العبد تفقة لطريقه وقالت : العبد والراحتان لك . فركبنا حتى طرقت أهلي بمكة ، فدققت منزلي ، فقالوا لي : من هذا ؟

(١) معالم في ب والأغاني ، وكانت مسالم في الأصل .

(٢) من ذلك المال (أغاني) .

(٣) مضيت (أغاني) .

(٤) تقيم لي ما يصلحني (أغاني) .

(٥) يقال : غرض من المكان : مل وضجر .

(٦) يأتيك بما (أغاني) .

(٧) ما بين القوسين (أغاني) .

قلت : عبيدُ الله ، فَبَكَّوْا وَوَلَّوْا ، وقالوا : ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت .
فَأَقْبَتُ عَنْدهُمْ حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعي العبد فَأَتَيْتُ^(١) المدينة فجئت عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب عند المساء ، وهو يُعَمِّشُ أصحابه فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم ،
فلما خرج أصحابه كشفتُ عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس ! ؟ فقلت : ابنُ قيس ،
جئتُك عائدا بك ، فقال : ويحك ، ما أَجَدَّهْم في طلبك ، وأحرَّصهم على الظفر بك .
ولكني سأكتب إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجة الوليد بن
عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شيء عليها ، فسكتب إليها يسألها أن تشفع لي إلى
نعمها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها فيه الشفاعة . فدخل إليها
عبد الملك كما كان يفعل ، وسألها : ألك حاجة ؟ فقالت : نعم لي إليك حاجة . فقال :
قضيتُ كل حاجة لك إلا ابنَ قيس الرقيات . فقالت : لا تَسْتَنْ علي شيئا . فنهج
بيده فأصاب وجهها فوضعت يدها على خدها فقال : يا بنتي^(٢) ارفمي يدك فقد قضيت
كل حاجة لك وإن كان ابنُ قيس الرقيات . فقالت : إن حاجتي ابنُ قيس ، تؤمنه
فقد كتب إلي يسألني أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن فمرِّيه أن يحضر مجلسي
المشيئة ، فحضر ابن قيس ، وحضر الناس ، حين بلغهم مجلس عبد الملك وأخر
الإذن ، ثم أذن للناس ، وأخر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا بحالهم ، ثم
أذن له ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ فقالوا : لا ،
قال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نوى على الفراش ولما تشمَلِ الشَّامَ غارةً شعواء
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبْذِي عن خِدامِ العقيلةِ العذراء

(١) حتى قدمت المدينة (أغاني) .

(٢) في الأصل اء ب : يا أمي .

فقالوا : يا أمير المؤمنين استقنا دم هذا المنافق . قال : الآن ، وقد أمنتته وصار
في منزلي [وعلى بساطي]^(١) وقد أخرجت الإذن لابتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابن
قيس الرقيات أن يُنشد مديحه فأذن له فأنشده :

عاد له عن^(٢) كثيرة الطرب فمينه بالدموع تنسكب
حتى قال فيها :

إن الأغر الذي أبوه أبو الـ مامي عليه الوقار والحجب
يمتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه ذهب^(٣)
فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كأنني من المعجم ، وتقول
في مصعب :

إنما مصعب شهاب من الـ تَجَلَّتْ من وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جَبَرَتْ منه ولا كبرياء
أما الأمان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً . قال :
فقال ابن قيس لعبد الله بن جعفر : ما ينفعني أمانى ، تركتُ حياً كميته لا آخذ مع الناس
عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال :
فعمّر نفسك . قال : عشرين ، فذاك ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفاً درهم .
فأمر له بأربعين ألف درهم . وقال ذلك [لك] على حتى تموت على تميرك نفسك
فقال عبيد الله يمدحه :

تقدت^(٤) بني الشهباء نحو ابن جعفر سوا لا عليها ليلاً ونهارها

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) في ١ ، ب عن ، وفي الأغاني من .

(٣) الذهب (أغاني) .

(٤) تقدت : سارت سيرا ليس بجعل ولا مبطي .

تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا
 أَيْتِنَاكَ نُنْتِنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتْنِي عَلَى الرُّوحِ جَارُهَا
 وَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
 إِذَا مَتَّ لَمْ يُوصِلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
 ذَكَرْتُكَ إِذَا فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَقَاضَ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ^(١) بِحَارُهَا
 وَعِنْدِي مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَهُ^(٢) عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْلُهَا وَعِشَارُهَا
 مَبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارَكٍ مَنَاحُ كِبْرَاهَا وَتَنْمَى صِنَارُهَا
 قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ: [وَيَحْكُ يَا بَنِي قَيْسٍ]^(٣) أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ
 تَعَالَى حِينَ تَقُولُ لَابْنَ جَعْفَرٍ :

تَزُورُ امْرَأً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودُ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا
 أَلَا قُلْتَ : قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ ، وَلَمْ تَقُلْ : قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ . . . فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ : قَدْ وَاعَى
 عِلْمَهُ اللَّهُ وَأَنْتَ وَأَنَا وَالنَّاسُ .

وَمَا عَيْبَ عَلَى ابْنِ قَيْسٍ الرِّقَايَاتُ هَذَا الْمَعْنَى :
 تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
 وَذَلِكَ أَنَّهُ تَقَضَّ صَدْرُهُ بِمَعْجَزِهِ ، لِأَنَّهُ (تَقَدَّتْ) أَيَّ سَارَتْ سِيرًا غَيْرَ عَجَلٍ ، ثُمَّ قَالَ
 (سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا) وَهَذَا غَايَةُ الدَّابِّ فِي السَّيْرِ ، فَنَاقَضَ الْمَعْنَى فِي بَيْتٍ
 وَاحِدٍ .

(١) الرَّاقِمَتَيْنِ (أَغَانِي) .

(٢) الْهَجْمَةُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ أَوِ السَّبْعِينَ إِلَى الْمِائَةِ وَالشَّوْلُ : جَمْعُ شَائِلَةٍ وَمِنْ الْإِبِلِ
 الَّتِي تَشُولُ بِذَنبِهَا الْقَاحَ وَلَا لَبَنَ لَهَا .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ (أَغَانِي) • : ٨١ .

وقال الأصمى (كثيرة) التي ذكرها في شعره :

عاد له من كثيرة الطرب

هي المرأة التي آوته بالكوفة ، لما أقام عندها سنة . فلما كان بعد سنة إذ أشرف من جناح إلى الطريق . فإذا منادى عبد الملك ينادى ببراءة الذمة ممن أصيب عنده ، فأعلنت المرأة أنني الرجل . فقالت لي : لا يرُعك^(١) ما سمعت ، فإن هذا نداء شائع منذ نزلت بنا . فإن أردت المقام في الحب والسعة ، وإن أردت الانصراف فأعلمني . فقلت : لا بد من الانصراف ، فلما أخضرت لي الراحلتين والعبد قلت لها : من أنتِ لأكافئك ؟ قالت : ما فعلت هذا لتكافئني ، فانصرفت ولا أعرفها ، إلا أنني سمعتها تدعى بكثيرة فذكرتها في شعري .

وقيل : إن ابن قيس لما منعه عبد الملك بن مروان عطاءه وطلبه ليقتله ، واستجار بعبد الله بن جعفر ، دخل عليه وعرفه خبره فدعا بطيبة^(٢) فيها دنانير ، وقال لسائب خاثر : عد له منها ، فجعلت أعد وأطرب بجهدى ، حتى بلغت ثلاثمائة دينار ، وسكت . فقال لي عبد الله بن جعفر : مالك ، ويلك ، سكت !! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن . فجعلت أعد حتى نفد ما كان في الطيبة ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتها إليه . فلما قبضها قال لابن جعفر : سل أمير المؤمنين في أمري ، قال : قم^(٣) فإذا دخلت ودخلت معي إليه ، ودعا بالطعام ، فكل أكلا فاحشا ، فركب ابن جعفر فدخل معه على عبد الملك ، فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل . فقال عبد الملك لابن جعفر : من هذا ؟ قال هذا إنسان لا يجوز^(٤) إلا أن يكون صادقا إن استبقى ، وإن قتل كان أكذب الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يقول :

(١) لا يروعنك (أغاني) .

(٢) الطيبة : الجراب ، أو الصغير خاصة .

(٣) نعم لي ا وفي الأغاني .

(٤) لا يجوز (أغاني) .

ما نَقَمُوا من بنى أُمِيَّة إلَّا أَنَّهُمْ يَحْتَلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنٌ^(١) الْمَلُوكُ فَمَا تَصْلَحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ
فَإِنْ قَتَلْتَهُ لَغَضَبِكَ عَلَيْهِ أَكْذَبْتَهُ فِيمَا مَدَحَكُم بِهِ . قَالَ : هُوَ آمَنُ ، وَلَكِنْ لَا أُعْطِيهِ
عَطَاءً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . قَالَ : وَلَمْ ؟ وَقَدْ وَهَبْتَهُ لِي ، وَأَحْبَبُّ أَنْ تَهْبِ عَطَاءَهُ لِي أَيْضًا ،
كَمَا وَهَبْتَ لِي دَمَهُ وَغَفَرْتَ ذَنْبَهُ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتُعْطِيهِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْعَطَاءِ .
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِذَلِكَ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَدْ فَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ عَطَاءَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ،
وَأَعْطَاهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عَطَايَا ، أَكْثَرَ مِنْهَا ثُمَّ جَاءَتْهُ صَلََّةٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنِ قَيْسٍ
غَائِبٌ ، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ جَارِيَةً^(٢) لَتَخْبَأَ لَهُ صَلَاتُهُ مِنْهَا . فَلَمَّا قَدِمَ دَفَعَهَا إِلَيْهِ
[وَأَعْطَاهُ]^(٣) جَارِيَةً حَسَنَاءَ فَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ :

إِذَا زَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ تَقْسِي فِدَاؤُهُ رَجَعْتُ بِفَضْلٍ مِنْ نِدَاءٍ وَنَائِلٍ
وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ كَانَ لِلوَدِّ حَافِظًا وَلَمْ يَكْ عَنِي فِي الْمَغِيبِ بِغَافِلٍ
تَدَارَكْنِي عَبْدُ الْإِلَهِ وَقَدْ بَدَتْ لَدَى الْحَقْدِ وَالشَّنَّانِ مَنِي مِقَاتِلِي
فَأَنْقَذَنِي مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ حِيَاضَ الْمَوْتِ حُمْرَ^(٤) الْمَنَاهِلِ
اهْتَرَضَ الرَّشِيدُ جَارِيَةً فَعَنَتْ :

ما نَقَمُوا من بنى أُمِيَّة إلَّا
فَلَمَّا ابْتَدَأَتْ بِهِ تَغْيِيرَ وَجْهِ الرَّشِيدِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ غَلَطَتْ وَأَنَّهَا إِنْ مَرَّتْ فِيهِ قُتِلَتْ
فَانْتَبَهَتْ وَقَالَتْ :

... .. إلَّا أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ النِّفَاقِ فَلَا تَفْسُدُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

(١) سَادَةُ (أَغَانِي) .

(٢) خَازِنُهُ فَيَخْبَأُ لَهُ صَلَاتُهُ (أَغَانِي ٥ : ٨٢) .

(٣) عَنِ الْأَغَانِي . (٤) جَم (أَغَانِي ٥ : ٨٢)

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : سمعت يا أبا علي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تبتاع هذه وتُسنى لها الجائزة ويُعجل لها الإذن^(١) ليسكن قلبها . قال : ذاك جزاؤها ، قومي فأنت منى بحيث تحمين ، فأغنى على الجارية . فقال يحيى بن خالد :

جُزيتَ أميرَ المؤمنين بأمنِها من الله جناتٍ تفوزُ بِمدَنِها

مر عبد الله بن قيس بن أبي عتيق ، فسلم عليه ، فقال : عليك السلام يا فارس العمياء . فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ؟ قال : سميت به نفسك حيث تقول :

... ..
سواء عليها ليلاً ونهارها

فما يستوى الليل والنهار إلا على الأعمى . قال : إنما عذبت الثعب . قال : فبيتك يحتاج إلى ترجان يُترجمُ عنه .

أنشد كثيرُ ابن أبي عتيق كمنه التي يقول فيها :

واستُ براضي من خليلٍ بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

فقال له : هذا كلامٌ مُكافٍ وليس بما شق . القرشيان^(٢) أصدق وأفنع منك :

ابن أبي ربيعة حيث يقول :

ليت حظي كطرفه العين منها وكثيرٌ منها القليلُ المُنَى

وقوله :

فعدى نائلاً وإن لم تُنيل إنه يُقنعُ الحبَّ الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقِّيَ بعيشكم لا تهجرينا ومَنِينا المنى ثم امطلينا

عدينا في عهد ما شئت إنا نحبُّ وإن مَطَلتِ الواعدينا

فإما تُنَجِرِي وَعَدِي وإما نعيشُ بما نُؤمِّلُ منك حيناً

(١) في الأصل الآث .

(٢) في الأصل القرشيات .. من كابتن أبي ربيعة .

أغرّك أننى لا صبرَ عندى على هجرٍ وأنتك تصبرينا
فذكر ذلك لأبى السائب المخزومى فقال : صدق ابنُ أبي عتيق وفقه الله ، ألا قال
المذنوب كما قال المجنون حيث يقول :

وابكى فلا ليلَى بَكَتْ من صباية لباكِ ولا ليلَى لذى الرزم^(١) تبذلُ
وأقنع بالمتبى إذا كنت مُذنباً وإن أذنبت كنت الذى اتنصّلُ
حدث فند^(٢) قال : حجّت رقية بنت عبد الواحد المامية . فكنت آتيها
وأحدّثها فتستظرفُ حديثي وتضحكُ منى ، وطافت ليلةً بالبيت ، ثم أهوت لتستلمَ
الركنَ الأسودَ وتقبّله ، وقد طُفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات ، فصادف فراغها
فراغها ، ولم أشمر بها فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود [ويقبله]^(٣) فصادفها
قد سبقته إليه فنفتحته برُدتها فارتدّع . وقال لى : من هذه ؟ فقلت : أَوَلا تعرفها ؟ هذه
رقية بنت عبد الواحد . فعند ذلك قال :

مَنْ عَذِيرى مِمَّنْ يَضُنُّ بِمِذْو لِقِرِّى على عند الطوافِ
يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عليه بقبلتها ، وقال فى ذلك :
حدثونى هل على رجل عاشقٍ فى قبلةٍ حَرَجُ

كان عبد الملك بن مروان قد أراد البيعة لابنه الوليد ، بعد عبد العزيز بن مروان ،
فكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه وكتب إليه يقول له : لى ابنٌ وليس
ابنك أحبُّ إلىَّ منه ؛ فإن استطعت ألا يُفرّق بيننا الموت ، وأنت قاطع لى فافعل ،
فرّق له عبد الملك فكفَّ عن ذلك فمات عبد العزيز بعد ستة أشهر .

(١) لذى الود (أغانى) .

(٢) فند مولى عائشة بنت سعيد بن أبى وقاص • ٩٦ .

(٣) عن الأغانى : • ٩٦ .

ذكر عبد الرحمن دحمان^(١)

دحمان لقب غلب عليه ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بني ليث بن بكر ابن عبد مناة ، من كنانة . ويكنى أبا عمرو ، ويقال له دحمان الأشقر . وكان مع شهرته بالغناء صالحا كثير الصلاة مُعَدِّل الشهادة مُذْمِنًا للحج . وكان يقول : ما رأيت باطلا أشبهَ بحق من الغناء .

وشهد دحمان لرجل عند عبد العزيز بن^(٢) عبد المطلب بن حنطب ، وهو كيلي القضاء على رجل من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعدَّله فقال له العراقي : إنه دحمان . قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألت عنه . قال : إنه يغني ويعلم الجوارى الغناء . قال : غفر الله لنا ذلك ، وأئنا لا يتعنى ؟ أخرج إلى الرجل عن حقه .

وكان دحمان من رُواة معبد ، ومن جملة مَنْ كان من المُعدِّلين من المغانى معبد فإنه كان في ابتداء أمره مقبول الشهادة ، فلما خُصَّ بالوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهنات^(٣) ، وغنى له ، أسقطت شهادته ، وعدالته ، لا لأن شيئا بان عليه من دخول في محذور ، ولكن لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

قيل إن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف درهم^(٤) وذلك لما غنَّاه في شعر الأحوص بن محمد :

قَطُوفُ الْمَشَى إِذَا تَمْشَى تَرَى فِي مَشْيِهَا خَرَقًا
وَتُنْقِلُهَا عَجِزَتِهَا إِذَا وَلَتْ لَتَنْطَلِقَا

(١) الأغاني ٦ : ٢١ ، في الأصل رحمان والتصويب عن الأغاني .

(٢) ابن المطلب بن عبد الله بن حنطب ٦ : ٢١ .

(٣) في الأصل الهينات .

(٤) دينار (أغاني ٦ : ٢٣) .

فاستخفه السرور والطرب ، حتى قال لدحمان : سَلِّني . قال : ريان ^(١) وغالب — ضيعتان بالمدينة — فأقطعه إياها ، فلما خرج التوقيع بذلك إلى [أبي] ^(٢) عبيد الله وعمر راجعا المهدي ، وقالوا له : إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطمهما ولاية اليهود في أيام بني أمية [فلم يقطموها] ^(٣) . فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ، فصولح على خمسين ألف درهم ^(٤) .

كان دحمان جمالا يُكرى إلى المواضع ويُتَجَر ، وكانت له مروءة ، فبينما هو ذات يوم قد أُكْرِى وأخذ ماله إذ سمع رنة ، فاتبعها فوجد جارية تبكي ، فقال لها : أَمْلُوكِ أنت ؟ قالت : نعم . قال : لمن أنت ؟ قالت : لفلانة امرأة من قريش [وسمتها له] ^(٥) فدخل فاشتراها منها بمائتي دينار وتقدمها الثمن . قال : وأخذتها وانصرفت بها . فأقامت عندي مدة أطرح عليها أنا ومعبد والأبجر وغيرنا ، ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام ، وقد حذقت ، وكنت لأزال إذا نزلنا أنزل الحمول ناحية وأنزل بها معي ، معتزلا ناحية في حِمْل ، وأطرح على الحِمْل من أعبية الجمالين ، وأجلس أنا وهي تحت ظلها . فأخرج شيئا آكله وأضع زُكْرَة ^(٦) فيها شراب فشرب وتغنيى حتى نرحل ، فلم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشام ، فبينما أنا ذات يوم نازل وأنا ألقى عليها لحنى في شعر إسماعيل بن يسار :

(١) في الأصل ديار والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) الزيادة عن الأغاني . والنس فيه . . إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع .

(٣) الزيادة عن الأغاني ٦ : ٢٣ والتجريد .

(٤) دينار (أغاني) .

(٥) الزيادة عن الأغاني .

(٦) الزكوة بالضم : زق للخمر والحل كما في القاموس . وفي الأغاني زكوة وهي لواء صغير

من جلد يشرب فيه الماء .

لورَدَ ذو شَفَقٍ رَحِمًا مَنِيَّةً لَرَدَدْتُ عن عبد العزيز رَحَامًا
صلى عليك الله من مستودع جاورت رمسا في القبور وهاما^(١)

فبينما هي تغنيه وإذا براكيب قد طلع فسلم علينا ، فرددنا عليه السلام ، فقال :
أناذنون لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة ؟ قلنا : نعم ، فنزل وعرضنا عليه طعاما
وشرابا ، فأجاب . فقدمنا إليه الشفرة والزُّكْرَةَ ، فأكل وشرب واستعاد الصوتَ
مراراً ، ثم قال للجارية : أتغنين لدحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . فقال : غنّيني من
صنّعتة شيئاً ، فغننته أصواتاً ، وغمزتها ألا تمرّ فنه أننى دحمان ، فطرب وامتلأ فرحاً
وسروراً وشرب أقداحاً ، والجارية تغنيه ، حتى قرّب وقت الرحيل ، فأقبل على
وقال : أتبيعي هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ فقلت كالمايث : بمشرة
آلاف دينار . فقال : قد أخذتها ، فهل قرطاساً ودواة ، فبجئتُ بذلك . فكتب : ادفع
لحامل كتابي هذا ساعة تقرأه عشرة آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمني
مكانه ، وختم الكتاب . ثم قال : أتدفعُ إلى الجارية أم تكونُ معك لتقبضَ
مالك ، فقلت : بل أدفعها إليك . فحملها وقال : إذا جئت البحرَ أقبل على فلانٍ
وادفع كتابي هذا إليه ، واقبض منه مالك . ثم انصرف بالجارية ومضيت فدللت على
الرجل فإذا داره دارٌ مُلك فدخلتُ عليه ، ودفعت التوقيعَ إليه فقبّله ووضعته على
عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار ، ودفعها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين .
وقال : اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عبدك^(٢) ،
وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال^(٣) وكان بخيلاً فافتممت ذلك فارتحلت وكنت

(١) ينسب الشعر في الأغاني لكثير يرثى عبد العزيز بن مروان وزعم بعض الرواة أنه
لعبد الصمد بن علي الهاشمي يرثى ابنه له ، وهو في تحريد الأغاني منسوب إلى ابن يسار وقد كانت في
الأصل ابن بشار .

(٢) في الأصل أنا عندك . والنسوب عن الأغاني .

(٣) الأنزال : جمع نزل وهو ما يهيا للضيف أن ينزل عليه .

أُصِيبَتْ بِجَمَلَيْنِ ، وَكَانَتْ عِدَّةُ جَمَالٍ خَمْسَةَ عَشَرَ فَصَارَتْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ . قَالَ : وَسَأَلُ عَنْهُ
الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فَلَمْ يَذَرِ الْقَهْرْمَانَ أَيْنَ يَطْلُبُنِي . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : عِدَّةُ جَمَالِهِ خَمْسَةُ
عَشَرَ جَمَالًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ اسْمِي . وَأَقَامَتْ الْجَارِيَةُ عِنْدَهُ شَهْرًا ، لَا يَسْأَلُ عَنْهَا ، ثُمَّ دَعَاَهَا
بَعْدَ أَنْ اسْتَبْرَأَتْ ، وَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا فَظَلَّ مَعَهَا يَوْمَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ نَهَارِهِ
قَالَ لَهَا : غَنِي لِدَحْمَانَ ، فَغَنَتْ . فَقَالَ لَهَا : زِيدِي ، فَزَادَتْ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مَا سَمِعْتَ غِنَاءَ دَحْمَانَ مِنْهُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ . فَقَالَ :
وَمَا ذَاكَ وَيَحْكُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اشْتَرَيْتَنِي مِنْهُ هُوَ دَحْمَانُ ، قَالَ : أَوْ ذَلِكَ
هُوَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ [هُوَ هُوَ] ^(١) قَالَ : وَكَيْفَ لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَتْ : غَمَزَنِي بِأَلَا أَعْلَمُكَ .
فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ بِأَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ دَحْمَانَ ، فَحَمَلَ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ أَثِيرًا .

وَكَانَ دَحْمَانُ طَيِّبًا ظَرِيفًا . قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : تَذَاكَرُوا يَوْمًا كِبَرَ الْأَيُّورِ بِحَضْرَةِ
بَعْضِ الْأَسْرَاءِ فَأَطَالُوا الْقَوْلَ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا كِبَرُ أَيْرِ الرَّجُلِ فِي مَقْدَارِ
حَرِّ أُمِّهِ ، فَالْتَفَتَ الْأَمِيرُ إِلَى دَحْمَانَ فَقَالَ : يَا دُحَيْمُ كَيْفَ أَيْرُكَ ؟ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
إِنَّكَ لَمْ تَرِدْ أَنْ تَعْرِفَ كِبَرَ أَيْرِي وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ مَقْدَارَ حَرِّ أُمِّي .

وَأَوَّلُ مَا عُرِفَ مِنْ ظَرْفِ دَحْمَانَ أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِهِ فَقَالَ لَهُ : أَيْرُ حِمَارِي فِي حَرِّ أُمِّكَ
يَا دُحَيْمُ . فَلَمْ يَفْهَمْ مَا قَالَهُ لَهُ ، وَفَهُمْ رَجُلٌ كَانَ حَاضِرًا مَعَهُ فَضَحِكَ . فَقَالَ لَهُ :
يَمْ ضَحِكْتَ ؟ فَلَمْ يَخْبِرْهُ . فَقَالَ لَهُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي . فَقَالَ : شَتَمَكَ
بِمَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَلْقَاكَ بِهِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَتُخْبِرَنِي بِهِ كَأَنَّمَا مَا كَانَ . قَالَ : قَالَ كَذَا وَكَذَا
مِنْ ^(٢) حِمَارِي فِي حَرِّ أُمِّكَ . فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : أَعْجَبُ وَاللَّهِ مِنْ شَتْمِهِ كُنَايَتَكَ
مَنْ أَيْرُ حِمَارِهِ وَتَصْرِيحُكَ بِحَرِّ أُمِّي .

(١) عَنْ الْأَغَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : أَيْرُ حِمَارِي وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي وَهُوَ بِالصَّوَابِ أَشْبَهَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكُنَايَةِ الْمَشَارِ

إِلَيْهَا بَعْدَ .

ذكر عبد الرحمن أعشى همدان^(١)

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث
ابن مالك بن عبد الحق^(٢) بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك
ابن زيد بن أوسيلة بن ربيعة بن الجذاب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا المصَّبِّح ، شاعرٌ فصيحٌ كوفيٌّ من شعراء الدولة الأموية .
وكان زوجَ أختِ الشَّعْبِيِّ الفقيه عامر بن شراحيل ، والشعبيُّ زوجُ أخته .
وكان أحدَ القراء والفقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وأخى أحمد النصيبيَّ
بالمشيرية [والبلدية]^(٣) وكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد ، وخرج مع ابن الأَشت
فأتى به الحجاج [أسيراً] فقتله صبراً .

وكان الأعشى قد أتى إلى الشعبي فقال له : إني رأيت كأنِّي أدخلت بيتاً فيه
حنطة وشعير ، وقيل لي : خذأيهما شئت ، فأخذت الشعيرَ . فقال له الشعبي : إن
سَدَقْتَ رؤياكَ تَرَكْتَ القرآنَ وقراءته ، وقلتَ الشعرَ ، فكان كما قال .

روى حماد الراوية قال : كان أعشى همدان أبو المصَّبِّح ممن أغزاه الحجاج بَلَدَ
الدَّيْلَم ، فأُسر فلم يزل أسيراً مدة ، ثم إن بنتاً للعِجْلِ الذي أسره هَوَيْتَه وصارت إليه
ليلاً ، فأمكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعا ثماني مَرَّات فقالت له الدَّيْلَمِيَّة :

(١) أغاني ٦ : ٣٣ .

(٢) في ١ ، به الحق ولعلها معرفة . وفي الأغاني : الحر . وفي التجريد : الجن .

(٣) في الأصل العشرة ، والمشيورية وما بين القوسين عن الأغاني ٦ : ٣٣

يا معشر المسلمين ؛ أهكذا تفعلون بنفسائكم ؟ فقال : هكذا نفعلُ كلُّنا ، فقالت :
بهذا العمل نُصرتُم ، أفرأيتَ إن خلصتكَ أتصطَلِّيني لنفسك ؟ فقال : نعم ،
وعاهدها ، فلما كان الليلُ حَلَّتْ قيودَه وأخذت به طريقا تعرفها حتى خلَّصَتْه فقال
شاعر من أسرى^(١) المسلمين :

فمن كان يَفْديه من الأسر ماله فممدانُ يَفديها الغداةُ أيورها
وقال قصائد يذكُرُ فيها ما لحِقه من أسْرِ الديلم .

وأخرجه الحجاجُ أيضا على جيش الكوفة إلى مُكران^(٢) فطال مقامه بها وعمل
فيها شمرا .

وكان خالدُ بن عَتَّاب بن ورقاء الرِّياحِيَّ يَمِدُّ الأعشى ويعنيهِ ويقول له : إن
وُلِّيت عملا كان لك ما دون الناس جميعا ، فمَتى استُعْمِلْتُ نَحْذِ خاتمي واقض في
الأُمور كيف شئت . فاستُعْمِلَ خالدٌ على أصفهان وسار معه الأعشى ، فلما وصل إلى
عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة ، وهجاه بأبيات منها :

تُمَنِّئُنِي إِمَارَتَهَا تَمِيمٌ وما أُمِّي وَأُمُّ^(٣) بَنِي تَمِيمٍ
وكان أبو سليمانٍ أخا لي ولكن الشَّرَّاءَ من الأديمِ

وأعطى خالدُ الناسَ عطاءَ كثيرا ، وجعل الأعشى في أَقْلَها وفضل عليه
آلَ عَطَّارِدَ ، فهجاه فحبسه مدة ثم أطلقه .

وكان الأعشى يمدح ابنَ الأشعث لما خرج ويحرِّضُ أهلَ الكوفة ، وكان له مع
ابن الأشعث مواقفُ محمودة .

(١) في الأصل : أشداء والتصويب عن الأغاني .

(٢) مكران : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى ، وهي بين كرمان من غربيها وسجستان
شماليها والبحر جنوبيها والهند شرقيها (مراسد الاطلاع) .

(٣) بأم .

وكان الأعشى من أخواله لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أم عمرو بنت مسعيد^(١) بن قيس الهمداني .

ومن مدائح ابن الأشعث من قصيدة طويلة :

يا بى الإله وعزة ابن محمد وخلود^(٢) ملك قبل آل ثمود
إن يأنسوا بمذممين عروقتهم فى الناس إن نسيبوا عروق عبيد
فلما صار ابن الأشعث إلى سجستان جى مالا كثيراً فسأله أعشى همدان أن
يعطيه [منه] زيادة على عطائه فامتنع فقال الأعشى فى ذلك يعدد عليه أموراً :

هل تعرف الدار عفا رسمها بالحضر^(٣) فالروضة من آمد
نحن حميناك وما تحتى فى الروع من مشى ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد ويوم أنجيناك من خالد
ووقعة الرى التى نلتها بحفل من خيانا عاقد
وكم لقينا لك من وارى بصرف نابت حنق حار
ثم وطئناه بأقدامنا وكان مثل الحية الراصد
إلى بلاء حسن قد مضى وأنت فى ذلك كالأهد
فاذكر أيادينا وآلانا ودعوة^(٤) من حبلك الراشد
ويوم الأهواز فلا تنسه^(٥) ليس النشا^(٦) والقول بالبائد

(١) فى الأصل سعد وما أثبتناه عن الأغاني ٤٦:٦ .

(٢) وجدود (أغاني ٤٦:٦) .

(٣) الحضر : مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات .

(٤) يعود من حاكم الراشد (٦ : ٤٧) .

(٥) فى الأصل : تنه .

(٦) فى الأصل : النشا . والتنا : ما أخبر به عن الرجل من حسن أوسى .

إنا نرجوك كما نرتجى
فانفع بكفّيك وما ضمتنا
مالك لا تعطى وأنت امرؤ
تجربى سجستان وما حولها
لا ترهب الدهر وأيامه
إن يك مكروه تهجننا له
ثم ترى أنا سنرضى بذا
وحرمة البيت وأستاره
تلك لكم أمنيّة باطل
ما أنا إن هاجك من بعدها
ولا إذا ناطوك^(٥) في حلقة
فأعط ما أعطته طيباً
نحن ولدناك فلا تهجننا
إن تك من كندة في بيتها
شمّ المرانين وأهل الندى
كم فيهم من فارس معلّم

صوب الغمام البارق^(١) الراعد
وافعل فعال السيد الماجد
مُثّر من الطارف والماله
ممكنا^(٢) من عيشك الراعد
وتجرّد الأرض مع الجارد
وأنت في المعروف كالأراعد
كلّاً وربّ الراكم الساجد
[ومن به من ناسك عابد]^(٣)
وغفوة من حلم الراعد
هيمج بآتيك ولا كابد^(٤)
بحامل عنك ولا ذائد
لا خير في المنكود والناكد
والله قد أوصاك بالوالد
فإن أخوالك من حاشد^(٦)
ومنتهى الضيفان والرائد
وسائس^(٧) للجيش أو قائد

(١) البارق (أغانى) ٦ : ٤٨ .

(٢) متكثا في عيشك .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وهو بيان في الأصل .

(٤) يقال : كابد الأمر مكابدة : قاساه وتحمل المشاق في فعله ، والكابد : فاعل المكابدة .

(٥) في الأصل ولا أراانا طول ، وناطه : علقه .

(٦) حاشد : حى من همدان .

(٧) في الأصل ا ، ب كابس وفي الأغاني : سائس .

فَارْتَحَ^(١) لِأَخْوَالِكَ وَاذْكُرْهُمْ وَارْحَمَهُمْ لِلْسَّلَفِ الْعَائِدِ
فَإِنَّ أَخْوَالَكَ لَمْ يَبْرَحُوا يَرْبُونَ بِالرُّفْدِ عَلَى الرَّافِدِ
لَمْ يَجْمَلِ اللَّهُ بِأَحْسَابِنَا نَقْصًا وَمَا النَّاqصُ كَالزَّائِدِ
وَرَبِّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ فَرَعٌ طَوِيلُ الْبَاعِ وَالسَّاعِدِ
لَمْ يَبْخُلُوا يَوْمًا وَلَمْ يَجْبُنُوا فِي السَّلَفِ الْغَازِي وَلَا الْقَاعِدِ
وَرَبِّ خَالٍ لَكَ فِي قَوْمِهِ حَمَالٌ أَثْقَالٍ لَهَا وَاحِدِ
مُعْتَرِفٍ لِلْبِرِّ فِي مَالِهِ وَالْحَقِّ لِلسَّائِلِ وَالْقَاصِدِ^(٢)

خرج أعشى همدان إلى الشام ، في ولاية مروان بن الحكم ، فلم ينل فيها حظا ، فجاء إلى النعمان بن بشير فسكلم البيمانية ، فقال لهم : هذا شاعر اليمين ، ولسانها واستأجروهم له ، فقالوا : نعم ، يُعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه . فقال : لا ، بل أعطوه دينارا دينارا ، واجملوا ذلك معجلا . فقالوا : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسبها على كل رجل من عطائه ، وكانوا عشرين ألفا . ففعل النعمان ذلك ، وأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند المطاء ، فقال الأعشى يمدح النعمان ابن بشير :

[و] لَمْ أَرِ الْحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاثِيَا كَنَعْمَانِ نَعْمَانِ الدَّدَى ابْنَ بَشِيرِ
إِذَا قَالَ أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ يَمْدُلُ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورِ
وَلَهُ أَيْضًا :

إِنَّ يَكْ ذَا الدَّهْرِ قَدْ أَضَرَّ بِنَا مِنْ غَيْرِ رَحْلٍ فَرَبَمَا نَقَعَا
أَبْكَى عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَلَا أَحْسَبُ شَيْثًا قَدْ فَاتَ مَرْتَجَعَا
إِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ كَانَتْ لَهَا كُلُّ نِعْمَةٍ تَبَعَا

(١) فارتح (أغاني) وفي ١ ، ب تقرأ : فارح أو فادح .

(٢) في الأغاني : للرزء (مكان للبر) والعامد (مكان للقاصد) ٦ : ٤٩ .

وقال :

ألا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فِينَهُ غِيَا مَنَاءٌ وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
أَلَا تَرُكُ إِتْيَانَ الْحَبِيبِ تَأْتُمَا أَلَا إِنَّ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
فَذَقْ هَجْرَهَا إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ إِلَّا يَا رَبِّمَا كَذِبَ الزَّعْمِ

وتوفي سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة .

وقيل : مات بالمدينة سنة [٩٨ هـ] ثمان وتسعين .

ذكر عمر بن عبد العزيز^(١)

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ويكنى أبا حفص .

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان أحسن الناس صوتاً ، حسن القراءة للقرآن .

قيل : إنه صنع الحانا ، والله أعلم .

قال محمد بن الحسن : رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم ، وعليه عمامة ورأينا الشجرة في وجهه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين صوت يزعم الناس أنك صنعته من شعر جرير :

قفا يا صاحبي تَزُرُ سعاداً لَوْ شَكَ رَحِيماً وَذَرِ الْبَعَاداً
فتبسم ولم يرد جواباً .

ذكر يحيى بن سعيد الأموي أن عبد الملك كان يُؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق له ويدنيه إذا دخل عليه ، ويرفقه فوق ولده جميعاً إلا الوليد ، فمات به بعض بنيه على ذلك ، فقال له : أو ما تعلم لم فعلت هذا ؟ قال : لا ، قال : إن هذا سبيل الخلافة وهو أشج بن مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً ، فإني لا أحبه وأدنيه ؟ وكان قد خرج يلعب فرمخته بغلة على جبينه ، فبلغ أمه ، أم عاصم ، فخرجت في خدمتها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها ، فقالت : أما الكبير فيكرم وأما الصغير فيرحم وأما الأوسط فيضيع ، لم [لا]^(٢) تتخذ لابني حاضنة

(١) الأغاني ٩ : ٢٥٤ دار، تجريد ج ١٣ : ١٠٨٥ .

(٢) الزيادة من الأغاني والتجريد .

حتى أصابه ما ترى ؟ فجعل عبد العزيز يمسحُ الدم عن وجهه ثم نظر إليها وقال :
ويحك ، إن كان هو أشجَّ بنى مروان إنه لسعيد .

وكانت بنتُ لعبيدِ الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم^(١) النَّحَّام فانت ،
فأخذ عاصم بيده ، فأدخله منزله ، فأخرج إليه بنتيه ؛ حفصة وأمَّ عاصم وقال له :
اختر ، فاختار حفصة ، فزوجه إياها ، فقيل له : تركت أمَّ عاصم وهي أجملهما فقال :
رأيتُ جارية رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها ، فقلت : لعلمهم أن يصيبوا
في^(٢) دنياهم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له أبا بكر وعمر ، فسكانت عنده ،
وقُتل إبراهيم يوم الحرة ، وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان ، فتزوج أختها
حفصة بعدها فحملت إليه إلى مصر فمرت بأيلة^(٣) وبها معتوه أو مخنث ، وقد كان
أهدى لأم عاصم فأثابته ، فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تُثبته فقال : ليست حفصةُ
من رجال أم عاصم ، فذهبت مثلاً . فلما وليَ عمر بن عبد العزيز [بدأ بلُحْمته]^(٤)
وأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ، ففرغت بنو أمية إلى فاطمة
بنت مروان عمتِّه ، فأرسلت إليه أنه قد دعاني^(٥) أمر لا بد من لقائك فيه ، فأتته ليلاً ،
فأنزلها عن دابتها ، فلما أخذت مجلسها قال : يا عمة ، أنتِ أولى بالكلام ، لأن
الحاجة لك فتكلمي . فقالت : تكلم يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الله تبارك وتعالى
بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده
فقبضه إليه ، فترك لهم نهراً ، شربهم فيه سواء ، ثم قام أبو بكر ، رضى الله عنه ،

(١) في الأصل نعم والتصويب عن (أغاني ٩ : ٢٥٥) .

(٢) من (أغاني) .

(٣) في الأصل : — بإبله وهي مصحفه .

(٤) ما بين القوسين عن الأغاني وهو يياض في الأصل .

(٥) مناني (أغاني) .

فترك النهر على حاله ، ثم وَلِيَ عمرُ رضى الله عنه ، فعمل على أمر صاحبه ، فلما وَلِيَ عثمانُ رضى الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً ، ثم وَلِيَ معاويةُ فشق منه الأنهار ، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوايد وسليمان حتى أفضى الأمر إلى وقد يَبِس ذلك النهر الأعظم [ولن يَرَوَى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى]^(١) ما كان عليه ، فقالت له : لقد أردتُ كلامك ومذاكرتك فأما إذا كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه .

وقيل : إنها قالت لهم : ذوقوا مَغَبَّةَ أمرِك في تزويجكم إلى عمر بن الخطاب .
قال حماد الراوية : دخلت المدينة التمس العلم فكان أول من لقيت كثيرُ عزة ، فقلت : يا أبا صخر ، ما عندك من^(٢) بضاعتي ؟ فقال : عندي ما عند الأحوص ونُصيب ، فقلت : وما هو ؟ فقال : ما أحق بأخبارك ، فقلت : إنا لم نَحْثُ المطى نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم [ذكر]^(٣) وقل من فعل ذلك ، فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني حديثاً آخذه عنك ، فقال : إنه لما كان من أمر عمر ابن عبد العزيز ما كان قدمت أنا والأحوص ونُصيب وكل منا يُدِلُّ بسابقة عند عبد العزيز [وإخائه لعمر]^(٤) ، فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتي^(٥) العرب ، وكل منا ينظر في عِطْفِيهِ ولا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ، ثم قال : [أما علمتم]^(٦) أن إمامكم لا يعطى

(١) الزيادة عن الأغاني ٩ : ٢٥٦ .

(٢) في الأصل : في .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل وإحسانه وما بين القوسين عن الأغاني ٩ : ٢٥٧ .

(٥) في الأصل : في .

(٦) الزيادة عن الأغاني .

الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فافتح لنا في هذا الأمر فتحة ، فقال : إن كان ذو دين^(١) آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقى من ذى دنياكم من يقضى^(٢) حقكم ويكمل بكم ما أنتم له أهل ، فأقمنا على بابيه [أربعة]^(٣) أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن له . فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة ، فتحفظت من كلام عمر شيئاً ، فأتيت المسجد ، فأنا أول من سمع كلامه ؛ سمعته يقول في خطبته : لكل سفر زاد لا محالة ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلباً لهذا أو خوفاً من هذا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وأما من لا يداوى جرحاً إلا أصابه جرح^(٤) من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ؟ أهوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى [وتبدو علتى وتظهر مسكنتى]^(٥) وتجبر مسألتى يوم لا ينفع إلا الحق والصدق . فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر حتى بل ثوبه ، وظننا أنه قضى نحبه ، فبلغت إلى صاحبي فقلت : جدداً لعمر من الشعر مدحاً غير ما أعددناه فليس الرجل بدنياً^(٦) . ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعد ما أذن للعامة ، فدخلنا كافة ، فسلمنا عليه بالخلافة ، فرد علينا فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت الفائدة ، وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : يا كثير ، أما سمعت قول الله تعالى « إنما الصدقاتُ

(١) في الأصل دردير والتصويب عن الأغاني .

(٢) في الأصل تقضى والتصويب عن الأغاني وهى فيه (يقضى حوائجكم) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني :

(٤) في ١ ، ب : جارج .

(٥) الزيادة عن الأغاني .

(٦) بدئوى (أغاني - تجريد) .

للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » أفمن هؤلاء أنت ؟
فقلت له ؛ وأنا ضاحك : أنا ابن السبيل يا أمير المؤمنين ومُنْقَطَعٌ بى . فقال : أولستَ
ضيفَ أبى سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أحسبُ من كان ضيفَ أبى سعيد ابنِ سبيل
ولا مُنْقَطَعاً به .

ثم إنى استأذنته فى الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله تعالى يُسألك .
فقلت :

وَأَيْتَ وَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَا وَلَمْ تُخِفْ	بِرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي	فَعَلْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفَوْا وَلَمْ يَكُنْ	لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْتَنِي وَإِنْ كَانَ مُوَيْقًا	وَأَثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصَمِّمٍ
فَأُضْرِرْتَ بِالْفَانِي ^(١) وَشَمَرْتَ لِلَّذِي	أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ ^(٢) مَظْلَمٍ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ	سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَمِنْ دَمٍ ^(٣)
سِوَاكَ هُمْ فِي الْفَوَادِ مُورِقٌ	صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْعَالِي بِسُلْمٍ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا	مَنَادٍ يَنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
يَنَادِي ^(٤) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي	بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَ[لَا] أَخْذِ لِدَرَمٍ
وَلَا بَسْطِ كَفٍّ لَامِرِي ظَالِمٍ لَهُ	وَلَا السَّفَكِ مِنْهُ ظَالِمًا مِلَّةً مَحْجَمٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ لَقَسَمُوا	لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَمٍ

(١) تجريد : ١٠٨٨ وفى الأصل : فأصدرت للفانى .

(٢) أغانى (من الهول) .

(٣) فى الأصل : رعيت وفى الأغانى والتجريد : رقيب ، ولادم .

(٤) يقول : (أغانى وتجريد) .

فَأَرْبَحُ بِهَا مِنْ صَفْقَةِ لِبَايَعٍ وَأَعْظِمُ بِهَا أَعْظَمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمُ
فَقَالَ لَهُ : يَا كُثَيِّرُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكَ عَمَّا قُلْتَ كُلَّهُ .

ثُمَّ تَقْدِمُ الْأَحْوَصُ فَاِسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ : قُلْ وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسَائِلُكَ
فَأَنْشَدَهُ :

وما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلَّفٍ	بمنطقٍ ^(١) حقٍّ أو بمنطقٍ ^(١) باطلٍ
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا	ولا ترجمنا كالنساء الأرامـل ^(٢)
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنةً	ولا يسرةً فعل ^(٣) الظلوم المخاتل
ولكن أخذت القصد جهدك كله	وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا	ومن ذا يرد الحق من قول قائل ^(٤)
ومن ذا يرد السهم بعد مروقه	على فوقه إن عار ^(٥) من نزع نابـل
ولولا الذي قد عودتنا خلائفُ	غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما أخذت شهراً برحلى جسرةً ^(٦)	تفل متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به	صرفنا قديماً من ذويك الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ	وإن كان مثل الدُرِّ من قول قائل
فإن لنا قربى وصدق ^(٧) مودة	وميراث آباء نشوا ^(٨) بالمناصيل

(١) في الأصل : لمنطق .

(٢) أغاني وتجريد وفي الأصل : ولا ترجمن إلا ثناء الأرامـل .

(٣) في الأصل : إلا والتصويب عن الأغاني وفيه : المجادل مكان : المخاتل .

(٤) عاذل (أغاني وتجريد) .

(٥) عار : طاش .

(٦) في الأصل : حرة .

(٧) ومحض (أغاني وتجريد) .

(٨) نشوا في ا، ب وفي الأغاني : مشوا وفي اللغة : نشى بالشيء : عاوده مرة بعد مرة .

فذاذوا عدو السلم عن عقر دارهم وأرسوا عمود الدين بعد تمايل^(١)
 فقبلك ما أعطى الهنيدة رجلة^(٢) على الشعر كعبا من سديس وبازل^(٣)
 رسول الإله المصطفى برسالة عليه سلام بالضحى والأصائل
 فكل الذي عدت يكفيك بمضه [ونيك خير من بحور سوائل]^(٤)
 فقال عمر : يا أحوص الله تعالى مسائلك عن كل ما قلت ، ثم تقدم نصيب^(٥)
 فاستأذنه في الإنشاد ؛ فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديدا ، وأمره بالحقاق
 بدابق ، وأمر لي وللأحوص لكل واحد منا بمائة وخمسين درهما ، وقيل إنه قال :
 ما عندي ما أعطيك ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم . فانتظروا^(٦) حتى خرج
 عطاؤه فأمر لي وللأحوص لكل واحد منا بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين
 درهما ، فما رأيت أعظم بركة من الثلاثمائة درهم التي أعطاني ، ابتعت بها وصيفة^(٧)
 فعلمتها الغناء ، فبعتها بألف دينار .

قال دكين الراجز : امتدحت عمر بن عبد العزيز ، وهو والي المدينة ، فأمر لي
 بخمسة عشرة^(٨) ناقة كرائم فسكرت أن أدرى بهن الفجاج ولم تطب نفسي
 ببيمن ، فقدمت علينا رفقة من مصر فسألتهم الصحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن
 نخرج الليلة ، فأثبته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لي : يا دكين ،
 إن لي نفسا تواقفة ، فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه ، فأنتي ، فلك الإحسان . فقلت :
 أشهد لي بذلك . قال : أشهد الله عز وجل ، قلت : ومن خلقه . قال : هذين الشيخين

(١) في الأصل : ا ، ب التمايل .

(٢) الهنيدة : المائة من الإبل . السديس : ما دخل من الإبل في السنة الثامنة . والبازل من
 الإبل ما انشق نابه . وفي التجريد : فقبلك ما أعطى الرسول هنيدة بذبوبة (أغانى) .
 (٣) الزيادة من الأغاني وهي بياض بالأصل ، وفيه وذلك مكان : ونيك .

(٤) في الأصل : فانتظروه .

(٥) في الأصل : بخمسة عشرة ناقة .

فاستسميتهما ، فإذا هما سائلم بن عبد الله بن عمر ، وأبو يحيى مولى الأمير . فخرجت إلى بلدى بالنوق فرمى الله تعالى بالبركة في أذنانهم حتى اقتنيت^(١) منهم الإبل والعبيد ، فإني لبصحرَاء فُلَج^(٢) ، إذ أناع ينعى سليمان ، فقلت : من القائمُ بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، فتوجهتُ نحوه فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حَزْرَةَ من أين أقبلت ؟ قال : من عند من يعطى الفقراء ويمنعُ الشعراء . فانطلقتُ فإذا هو في عرصة الدار ، وقد أحاط به الناس ، فلم أخلص إليه فناديت :

يا عمرَ الخيراتِ والمسكارِ وعمرَ الدسائِعِ^(٣) العظامِ
إني امرؤ من قَطَنٍ بن دارم طلبتُ دَيْبِي من أخى مكارمِ
إذ تَنَتَّحِي واللَّهُ غيرُ ناثم عند أبي يحيى وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين عندي لهذا البدوى شهادةٌ عليك . فقال : أعرفها يا دكين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً إلا تآقت إلى ما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة ، والله ما رزأتُ من أموال المسلمين شيئاً ، وما عندي إلا ألفا درهم فخذ نصفها . قال : فوالله ما رأيت ألفاً كان أبركَ منها .

ودكين هو الذى يقول :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم غرضه فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حُسنِ الثناء سبيلُ^(٤)

(١) اعتقدت (أغانى) ويقال : اعتقد المال جمه .

(٢) فى الأصل أفلج - وفلج : بين البصرة وخصى ضرية .

(٣) الدسائِع (جمع دسيعة) وهى العطايا والشمال .

(٤) تروى الأبيات للسموئل .

قال هارون بن صالح : حدثني أبي قال : كنا نعطى النِّسَّالَ الدِّراهمَ الكثيرةَ حتى يغسل ثيابنا في إثر^(١) عمر بن عبد العزيز من كثرة طيبها ومسكها ، ثم رأيتُه وقد ولى الخلافة فرأيت غيرَ ما كنتُ أعرف .

دخل عبدُ الله بنُ حسنٍ على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السن ، وله وَفْرَةٌ^(٢) فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عُكَّةً^(٣) من عُكَّته ، فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : اذكرها عندك للشفاعة ، فلما خرج لامه قومه^(٤) . وقالوا : فعلت هذا بعلامِ حديثِ السنِّ فقال : إن الثقةَ حدثني حتى كَأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [قال] : إنما فاطمة بَضْعَةٌ مَنِي يَسُرُّني ما يَسُرُّها ، وأنا أعلم أن فاطمة عليها الرضوان ، لو كانت حَيَّةً لَسَرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمَزِكَ بطنه وقَوْلِكَ ماقلت . قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

قال يزيد بن علي بن فورك^(٥) : كنت بالشام زمن ولى عمر بن عبد العزيز ، وكان يعطى الغُرَبَاءَ^(٦) مائتي درهم ، فوجدته متكئاً على إزارٍ وكساء من صوف . فقال لي : مَنْ أَنْتَ ؟ فقلت : من أهل الحجاز . قال : من أيِّ الحجاز ؟ قلت : من المدينة . قال : من أيهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيِّ قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أيِّ بني هاشم ؟ قلت : مولى عَلِيٍّ . [قال : من عليٍّ]^(٧) فسكت .

(١) في الأصل في باب وهو تصحيف والتصويب عن الأغاني .

(٢) الوفرة - الشعر الكثير .

(٣) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٤) أهله (أغاني وتجريد) .

(٥) يزيد بن عيسى بن مورك (أغاني) يزيد بن عمر بن مورك (تجريد) .

(٦) في الأصل العرفاء وما نقل عن الأغاني والتجريد .

(٧) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

قال : من ؟ قلت : عليّ بن أبي طالب . فجلس وطرح الكساء ، ثم وضع يده على صدره ، وقال : وأنا والله مولى عليّ ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتُ مَوْلَاهُ ، أين^(١) مزاحم ؟ كم تُعْطِي مِثْلَهُ ؟ قال : مائتي درهم . قال : أَعْطِهِ خَمْسِينَ دِينَارًا ، لَوْلَا^(٢) لَوْلَا^(٢) عليا . ثم قال : أَفِي فَرَضٍ أَنْتَ ؟ قلت : لا . قال : قَافِرٍ ضَلَّ . ثم قال : فَالْحَقْ بِيَلَادِكَ فِسيَاتِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَأْتِي غَيْرَكَ .

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله ، فلما رأهم استعبر ، ثم قال : يَا أَبِي وَأُمِّي مَنْ خَلَفْتُهُمْ بَعْدِي فَقَرَاءٌ ، فَقَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فَتَعَقَّبَ فَمَلَكَ^(٣) وَأَغْنَمَهُمْ فَمَا يَنْعُمُكَ أَحَدٌ فِي حَيَاتِكَ ، وَلَا يَرْجُمُهُ [الْوَالِي]^(٤) بَعْدَ وَفَاتِكَ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرًا مُغْضَبٌ مُتَعَجِّبٌ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُسْلِمَةُ ، مَنْعْتُهُمْ إِيَّاهُ فِي حَيَاتِي وَأَشَقَّى بِهِ بَعْدَ وَفَاتِي ، إِنْ وَلَدِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ ؛ إِمَّا مَطِيعٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاللَّهُ مُصْلِحٌ لَهُ شَأْنَهُ وَرَازِقُهُ مَا يَكْفِيهِ ، أَوْ عَارِضٌ لَهُ فَمَا كُنْتُ لِأَعِينَهُ عَلَى مَمْصِيَةِ اللَّهِ . يَا مُسْلِمَةُ ، إِنِّي حَضَرْتُ أَبَاكَ لَمَّا دُفِنَ فَحَمَلْتَنِي عِنْدَ قَبْرِهِ ، فَرَأَيْتَهُ قَدْ أَفْضَى إِلَى أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؛ رَاعَنِي وَهَانَنِي ، فَعَاهَدْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا أَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ إِنْ وُلِّيتُ ، وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ طَوْلَ حَيَاتِي ، فَارْجُوا أَنْ أَفْضِيَ إِلَى عَفْوِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ .

(١) في الأصل : أبا - وهو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

(٢) من على (أغاني وتجرید) .

(٣) في الأصل : لعب عقلك واعنهم - والتصويب عن الأغاني ٩ : ٢٦٤ .

(٤) الزيادة عن الأغاني .

قال مسلمة : فلما دُفِنَ حضرتُ دُفِنَهُ فحملتني عيني ، فرأيتُه وهو في روضة خضراء
فضرة فيحاء ، وأنهارها مُطَرِّدَةٌ وعليه ثياب بيضٌ فأقبل عليّ فقال : يا مسلمة ، لمثل
هذا فليعملِ العاملون .

كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد فإنكم تعدُّون
أنفسكم أسارى ، معاذ الله ، أنتم الحبساء في سبيل الله تعالى ، واعلموا أني لست أقسمُ
شيئاً بين رعيّتي إلا خصصتُ أهلكم بأوفرِ ذلك وأطيبه وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ،
خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت إن زدتكم وكثرتكم [أن يحبسهم عنكم طاغية الروم]
لأعطيت ذكركم وأنثاكم وعملوكم ما يسأل فأبشروا ثم أبشروا .

كتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد كان يكاثبه فلما استخلف
كتب إليه كمادته فقبل له : إن الرجل قد ولى وتغيّر فقال : لو علمتُ أن غيرَ ذلك
أحبُّ إليه لاتبعت محبته ، ثم كتب : من الحسن إلى عمر بن عبد العزيز ، أما بعد ،
فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل .

قال سليمان بن أرقم : فضيت بالكتاب إليه ، فلما قدِمْتُ عليه ، وإني لعنده
أتوقع الجواب ، إذ خرج يوماً غير الجمعة ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس فلما كثروا
قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اعلموا أنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُتركوا
سدى ، وإن لكم معاداً يتولى الله ، عز وجل ، فيه الحكم فيكم والفصل بينكم .
نخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، التي وسعت كل شيء ، وحُرِّم الجنة التي عرضها
السموات والأرض ، ثم إنكم في أسلاف الماضين وسيرتكم الباقون ، حتى تصيروا
إلى خير الوارثين . كل يوم تجهزون غادياً إلى الله ، ورائحاً قد حضر أجله ، وطوى
أمله ، وعان الحساب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، ثم تدعونه غير مؤسِّد
ولا مُمَهَّد ، ثم وضع يده على وجهه وبكى مَلِيّاً ، ثم رفعها ، وقال : أيها الناس

من وَصَلَ إلينا منكم بحاجته لم نأله خيرا ، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر
في العجزِ سواء . ثم نزل وأرسل إلى فدخلت ، فكتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فكأنك [لست] ^(١) بأول من كُتِبَ عليه الموتُ
قد مات ، والسلام .

واشترى عمرُ بن عبد العزيز موضعَ قبره بعشرةِ دنانير .
قال مسleme : كنا عند عمر بن العزيز ؛ أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك ، فقلنا له :
يا أمير المؤمنين إنا قد منعناك النوم ، فلو تأخرنا عنك شيئا عسى أن تنام ، فقال :
ما أبالي لو فعلتما . فتَنَجَّينا عنه ، وبيننا وبينه سِتْرٌ ، فلم نلبث أن سمعناه يقول :
حَيَّ الوجوه ، فابتدرناه أنا وهي ، فجئناه وقد أغمَضَ ، وإذا هاتِف يهتِف في البيت
لا نراه : « تلك الدارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ،
والعاقبةُ للمتقين » .

وقد رَوَى عمر بن عبد العزيز الحديثَ ورَوَى عنه .
روى عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها ؛ عاصم بن عمر ، عن أبيه ، عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعَمَ الأَدمَ الخَلِّ .

ذكر عديّ بن الرّقاع^(١)

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرّقاع بن عمرو^(٢) بن عبيد بن سعد بن معاوية بن الحارث ، وهو عاملة بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد .
وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة بن قضاة ، وبها سُموا عاملة ، ونسبه الناس إلى الرّقاع وهو جدّ جدّه لشهرته .
كان شاعراً مقدماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة ، يقال لها سلّمي .

وجعله ابن سَلّام في الطبقة الثالثة^(٣) من شعراء الإسلام .
وكان منزله بدمشق وهو من [حاضرة]^(٤) الشعراء لا من باديتهم .
وتعرض لجريز وناقضه ، ولم تَتِمَّ بينهم مهاجاة ، إلا أن جريراً هجاه تمرّضاً في قوله :

* حَيَّ^(٥) الهدملة من ذاتِ المواعيس^(٦) *

ولم يصرّح لأن الوليد حَلَفَ له ، إن هجاه أسرجه وأنجمه وحمله على ظهره .

(١) الأغاني ٣٠٧:٩ ، دار والتجريد .

(٢) ابن أعصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث ، أغاني .

(٣) في الأصل : الثانية والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٤) الزيادة عن الأغاني

(٥) في الأصل هي وهو تحريف .

(٦) الهدملة والمواعيس : مكانان .

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، وعنده عدي بن الرقاع
العامل ، فقال لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال الوليد : هذا
عدي بن الرقاع ، قال جرير : [فسر الثياب الرقاع قال:]^(١) ممن هو ؟ قال : من عاملة
قال جرير : الذي^(٢) يقول الله عز وجل : عاملة ناصبة تصلي ناراً حامية . ثم قال :
يَقْصُرُ بَاعَ الْعَامِلِ عَنْ الْعَمَلِ وَلَكِنْ أَيْرَ الْعَامِلِ طَوِيلُ
فقال له عدي :

أُمِّكَ كَانَتْ أَخْبَرَتْكَ بِطَوْلِهِ أَمْ أَنْتَ امْرُؤٌ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَقُولُ
فقال : بل أدري كيف أقول ، فوثب العامل إلى الوليد ، فقبل رجله وقال :
أجرني منه ، فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأسرجنك وألجئنك حتى يركبك
فيميتك الشعراء بذلك . فكنى جرير عن اسمه ثم قال :

إني إذا الشاعر المغرور جربني جارت لقلب علي مران مرموس
قد كان أشوس^(٣) آباء فأورثنا شغباً على الناس في أيامه الشوس
أقصير فإن تزاراً لن^(٤) يفاخرهم فرع لثيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل المقاعيس^(٥)
وقيل : إنه لما قال له مقالته « عاملة ناصبة » قال الوليد : ليركبك شاعرنا
ومادحنا ، ورائي أمواتنا ، تقول له هذه المقالة ، يا غلام علي^(٦) كاف^(٦) ولجام ،

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) هي التي يقول : (أغاني) .

(٣) في الأصل : أشرس وشعبا .

(٤) في الأصل : لم والتصويب عن الأغاني وفيه : يفاخرها .

(٥) القرن جبل يقرون به البعير - والمقاعيس جمع مقعفس : الشديد المتنع . وفي الأغاني :

القناعيس .

(٦) الإكاف : البرذعة .

فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيه ، فأعفاه . وقال : والله لئن هَجَوْتَهُ
لأفعلن بك وأفعلن ، فلم يُصرِّح بهجائه .

ذُكِرَ كَثِيرٌ وعدى بن الرقاع العاملي في مجلس بعض خلفاء بني أمية ، فامتروا
فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير : لقد قال كَثِيرٌ بيتاً واحداً هو أشعر وأعرف في الناس
من عدى بن الرقاع نفسه وهو :

إِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِرَّةٌ وصاح غرابُ البينِ أَنْتَ حَزِينُ
قال : خلف الخليفة إن كان عدى بن الرقاع أعرف في الناس من بيتِ كَثِيرٍ
لِئْسَرِجَنٍ جَرِيراً وَيُلَجِّمَنَّهُ وَلِيَحْمِلَنَّ عدى بن الرقاع على ظهره . وكتب إلى واليه
بالمدينة : إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول :

إِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِرَّةٌ وصاح غرابُ البينِ أَنْتَ حَزِينُ
وسألهم عن نسب عدى بن الرقاع ، فلما فرغ الوالي من خطبته قال : إن
أمير المؤمنين كتب إلى أن أسألكم ، من الذي يقول :

إِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِرَّةٌ إلخ
فابتدروا من كل ناحية يقولون : كَثِيرٌ كَثِيرٌ . قال : وأمرني أن أسألكم
عن نسب عدى بن الرقاع ، فقالوا : لا ندرى ، حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد
فقال : من عاملة .

قال محمد بن موسى المنجِّم : ما أَحَدٌ ذَكَرَ لي أَحَبُّهُ أن أراه ، فإذا رأيته
أمرتُ بِصَفِّهِ إلا عدى بن الرقاع ، فقلت : ولمَ ذاك ؟ قال : لقوله :
وعلمتُ حتى ما أسأَلُ واحداً^(١) عن عِلْمٍ واحدةٍ لكي أزدادها .
وكنت أعرضُ عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مر به شيء لا يحسنه أمرتُ بِصَفِّهِ .

(١) علماً (تجريد) .

كان عدى بن الرقاع ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعرَ فأتاه قوم من الشعراء ليما تنوه^(١) ، وكان غائباً ، فسمعت ابنته وهي صغيرة ذرواً من وعيدهم فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدٍ
فَأَخْمَتُهُمْ . ولعدى بن الرقاع :

أَلِمْتُ عَلَى طَلَلٍ هَذَا مَتَقَادِمٍ بَيْنَ الدَّخِيلِ وَبَيْنَ عَتَبِ النَّاعِمِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدِ عَسَا^(٢) فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكُنْهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ^(٣) جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النَّعَاسُ فَرَنَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَاسِمِ

جرت هذه الأبيات بحضرة أبي عمرو الشيباني . فاستحسنها ، وبالع . فقال له رجل أعرابي كان بحضرته ، كأنه مدني : أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقضبان الدُّفْلِ^(٤) تأخذه لكنت له أشد استحساناً ، يعني إذا كان يغني به على العود . عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وأقامه للناس وقال للموكلين به : من أتاه مُتَوَجِّعاً أو أثنى عليه فائتوني به . فأتاه عدى بن الرقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقاً وَلَكِنْ إِلَى الْغَايَاتِ^(٥) سَبَّاقاً جَوَاداً
وَكُنْتُ أَخِي وَمَا وَلَدْتُكَ أُمِّي وَصُؤَلاً بِأَذْلَى لِي مَسْتَرَاداً
فَقَدْ هَيِئْتُ لِنِكَبَتِكَ الْقَدَامِي كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا أَرَادَا

(١) في الأصل : ليما ينوه . والتصويب عن الأغاني . والماتنة : المعارضة .

(٢) عسا : اشتد ، وفي الأصل : فشا .

(٣) في الأصل ١ - ب : طاسم وروى : عاسم والتصويب عن الأغاني .

(٤) الدفلى شجر حسن المنظر يكون في الأودية وهو مما يقدح به - وفي الأصل وقصبات .

(٥) الخبرات (أغاني) .

فوثب الموكلون به فأدخلوه إلى الوليد ، وأخبروه بما جرى فتغيط عليه الوليد ،
وقال : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلتُ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه كان لكُ محبباً
ولى مؤثراً ، ففي أى وقت كنتُ أكاثته بعد هذا اليوم ؟ فقال : صدقت وكرمت ،
قد عفوت عنك وعنه ، وهو لك فخذّه وانصرف . فأخذّه وانصرف به إلى منزله .

قال جرير : سمعت عدى بن الرقاع ينشد :

نَزَجِي أَغْنَى كَأَنَّ ابْرَةَ رُوقِهِ

فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأى شيء يُشَبَّهه ؟ فلما قال :

قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاءِ مِدَادَهَا

رحمت نفسي منه .

بلغ كثيرًا أن عدى بن الرقاع يطعن على شعره ويقول : هذا شعرٌ حِجَازِي
مَقْرُورٌ إِذَا أَصَابَتْهُ قَرُّ الشَّامِ جَمَدٌ وَهَلَكْ ، فحضر يوماً مجلسَ الوليد وقد أنشد عدى
ابن الرقاع قصيدته :

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمَا فَاَعْتَادَهَا *

فلما أتى إلى قوله :

وَقَصِيدَةٌ قَدْ كُنْتُ أَجْمَعُ بَيْتَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا .

فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً تأت فيها بميل ولا سناد
فتحتاج إلى أن تقومها ثم أنشد قوله فيها :

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

فقال له كثير : كذبت ورب الكعبة فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن
صغير الأمور دون كبيرها حتى يبين جهلك وما كنت قط أحق منك الآن حين تظن
هذا بنفسك ، فضحك الوليد ومن حضره ، وقطع بمدى بن الرقاع حتى ما نطق .

ذكر عُملية بنت المهدي^(١)

أمها أم ولد مغنية يقال لها مَكْنُونَة ، كانت من جوارى المروانية المغنية ،
وليست من آل مروان بن الحكم ، وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس ،
مغنية ، وكانت أحسنَ جارية بالمدينة وجها وكانت رسحاء^(٢) ، وكانت حسنة الصدر
والبطن وكان من يمازحها يعبث بها فيصيح : طَسَّتْ طَسَّتْ ، فاشترت للمهدي في
حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما مَلَكَ أمةً أغلظ^(٣)
على منها .

ولما اشتراها ستر أمرها عن المنصور حتى مات فولدت له علية ، وكانت علية من
أجل الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة .

وكان بها عيب ، [كان]^(٤) في جبينها فضلٌ سعة فأتخذت المصائب المسكلة
بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت ، والله ، شيئاً ما رُئِيَ فيما أعدّه النساء وابتدعنه
أحسن منه .

وكانت حسنة الدين لا تُغنى ولا تشربُ النبيذَ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فإذا
طهرت أقبلت على قراءة القرآن والصلاة وقراءة الكتب ولم تك [تَلِدْ]^(٥) بشيء غير
قول الشعر في الأحيان إلا أن يدعوها الخليفةُ إلى شيء فلا تقدر على خلافه .

(١) أغاني دار الكتب ١٠ : ١٦٢ - التجريد ٣ : ١٠٧١ .

(٢) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) في الأصل : أغلى والتصويب عن التجريد .

(٤) زيادة عن الأغاني والتجريد .

(٥) فلا تلد بفتح (أغاني) وما بين القوسين يقتضيه السياق .

وكانت ، رحمة الله تعالى تقول : ما حرّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيها حلل منه عوضاً ، فبأى شيء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشةً ارتكبتها قطُّ وما أقول^(١) في شعري إلا عبثاً . وكانت تحب أن ترسل بالأشعار من تحتّصه ، فاخترت خادماً من خدم الرشيد ، يقال له طل ، فلم تره أياً ما ، فمشت على ميزابٍ وحدثته ثم قالت في ذلك :

قد كان ما كلفته زمناً يا طلّ من وجدٍ^(٢) بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عَجِلاً أمشي على حنفي إلى حنفي^(٣)
خلف عليها الرشيدُ ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه ، فضمنت له ذلك ، فدخل عليها يوماً وهي تقرأ^(٤) حتى بلغت إلى قوله تعالى « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » ، فأرادت أن تقول : « طل » فقالت : فالذي نهى عنه أمير المؤمنين ، فدخل فقبل رأسها ، وقال : قد وهبتُ لك طلاً ولا أضمنك بمد هذا من شيء تريدينه .

وكان طلّ قد حُجِبَ عنها فقالت فيه وصحفتُ اسمه في أول بيت :

أيا سرّوة البستانِ طال تشوّقي فهل لي إلى ظلِّ إيلك سبيل^(٥)
متى يلتقي من ليس يُقضى خُروجه وليس لمن يهوى إليه رسول^(٦)
عسى الله أن نزاح من كُرْبَةٍ لنا فيلقَى اغتباطاً خلّةً و خليل

(١) ولا أقول (تجريد ١١٧٢) .

(٢) وجدى (تجريد) .

(٣) حنفي إلى حنفي (تجريد) .

(٤) تدرس آخر سورة البقرة (تجريد) .

(٥) لديك مقبل (أغانى وتجريد) .

(٦) سبيل (تجريد) .

ومما قالت عليّة أيضا في ظل وصحفت اسمه^(١) فيه قولها :

سلم على ذاك الغزال الأعيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له ياغلّ الباب الرجال
خليت جسمي ضاحيا وسكنت في ظلّ الحجال
وبلغت منى غاية لم أذر فيها ما احتيالي

وكانت لأم جعفر جارية يُقال لها طُغَيان فوشت بعليّة إلى رشأ وحكت عنها

مالم تقل فقالت عليّة :

لطنيان خُفّ مذ ثلاثين^(٢) حجةً جديدٌ فا يلى ولا يتخرقُ
وكيف بلى خُفّ هو الدهر كله على قدميّها في السماء مُعلّقُ
فما خرقت خُفّا ولم تُبل جوربا وأما سراويلاتها فتمزقُ

وكانت عليّة أيضا تقول الشعر في خادم اسمه رشأ وتكنى عنه ، فما قالت فيه

مصحفا :

وجد الفؤادُ بزينا وجداً شديداً مُعجبا
أصبحتُ من كلفى بها أدعى شقياً^(٣) مُنصبا
ولقد كنيتُ عن اسمها عمداً لكيلا تفضبا
وجعلتُ زينبَ سُترةً وكثمتُ امرأً مُعجبا
قالت وقد عزّ الوسا لُ ولم أجذ لي مذهباً
والله لا نلتَ السود دةً أو تنالَ الكوكبا

(١) في الأصل : اسمها وهو تحريف .

(٢) في الأصل : ثلاثون .

(٣) سقيا (أغاني دار الكتب ١٠ : ١٦٥) .

وحلفَ رشاً لا يشربُ النبيذَ فقالت عُليّة في ذلك :

قد بُتتَ الخاتم في خنصري إذ جاءني منك تَجَنُّيكا
حرمتُ شربَ الرَّاحِ إذ عِفَّتْها فليست في شيء أعاصيكا
فلو تطوعتَ لعوضتني منه رضاءَ الريقِ من فيكا
فيالها عندي من رعمة لستُ بها ما عِشتُ أجزيكا
يا رشاً^(١) قد أرقّتْ مُقلتي أمتعني الله بحُبِّيكا

قال أحمد بن يزيد : حدثني أبي قال : كنّا عند المنتصر فغنّاه بنان :

يا ربةَ المنزِلِ بالفدك^(٢) وربةَ السلطانِ والمُلكِ
تحرّجني بالله من قتلنا لسنا من الدَّيْلَمِ والنُّركِ

فضحكتُ ، فقال لي : رمّ تضحك ؟ قلت : من شرف قائل هذا الشعر وشرف
من لحنه وشرف من يستمعه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ للرشيد ، والغناء
لعليّة بنت المهدي ، وأمير المؤمنين يستمعه . فأعجبه ذلك ، وما زال يستمعه .

قال إسحاق الموصلي : عملت في أيام الرشيد لحنا في شعر بشار في النساء :

سقيّاً لأرضٍ إذا ما نمتُ نَبْهَنِي بعد الهدوءِ بها قرعُ النواقيسِ
كأنَّ سوسنَها في كلِّ شارقةٍ على الميادين أذئابُ الطواويسِ

فأعجبني ، وعملت [على]^(٣) أن أباكر به الرشيد ، فلقيني في طريق خادم
[لعليّة]^(٣) بنت المهدي فقال : مولاتي تأمرُك بدخول الدّهليز لتسمع من بعض جوارِها
غناء أخذته عن أبيك وشكّكت فيه الآن ، فدخلتُ معه إلى حجرة قد أُفردت لي كأنها كانت

(١) في الأغاني : يازينبا وبذلك كان الخطاب في الشعر لمؤنث والضمير يعود إليها .

(٢) بالبرك (أغاني) .

(٣) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

مُعَدَّة ، فجلست ، وقُدِّمَ لى طعامٌ وشرابٌ فَنِلْتُ حاجتى منهما ، ثم خرج إلى خادمٍ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ مُحَدَّثٍ أَعَدَدْتَهُ لهُ فَاسْمِعْنِيهِ ، ولكِ جائزةٌ سَنِيَّةٌ تَتَمَجَّجُهَا ، ثم ما يأمرُك به أمير المؤمنين بين يديك ، ولعله لا يأمرُك بشيء ، أو لا يقعُ الصوتُ منه بحيثُ تَوَخَّيْتُ فيذهب سَمْعُكَ باطلا . فاندفعتُ فغنيتهُا إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ثم أخرجتُ إلى عشرين ألفَ درهم ، وعشرين ثوبا ، وقالت : هذه جائزتك ثم قالت : اسمعه الآن ، فغنته غناءً ما خَرَقَ سَمْعِي مثله ، ثم قالت : كيف ترى ؟ قلتُ : أرى ، والله ، ما لم أر مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثلَ ما أَخَذَ ، فأحضرتُ عشرين ألفاً أخرى ، وعشرين ثوبا ، فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، ولن أبداً بغناء غيره وأخبره أنه من صنعتى ، وأعطى الله عهداً لئن نطقتَ بأن لك فيه صنعةٌ لأفعلنك هذا إن نجوتَ منه ، إن عَلِمَ بمصيرك إلى . فخرجت من عندها فوالله إني كالقوفر^(١) بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوتِ فاجسرت بعد ذلك أن أتغنم به فى نفسى ، فضلاً عن أن أظهره ، حتى ماتت ، فدخلتُ على المأمونِ فى أولِ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ للهو بعدها ، فبدأت به أولَ ما غنيتُ فتغير وجهُ المأمون وقال : من أين لك هذا ؟ قلتُ : ولى الأمانُ على الصدق ؟ قال : ذاك ، فحدثته الحديث . قال : يا بغيض ، فما كان لك فى هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَهُ وذكُرتَ هذا منه ، مع الذى أخذته من الموضع . وَهَجَّنِي فِيهِ هُجْنَةً وَدِدْتُ مَعَهَا أَنِّى لَمْ أَذْكَرْهُ لَكَ فَآلَيْتُ أَلَا أَغْنِيَهُ بِعَدَا أَبَدًا .

أهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال ، فخلا معها يوماً ، وأخرج كلَّ قَيْنَةٍ فى داره . واضطجع . وكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة فى الشراب

(١) لكالموقن بما (أغانى) — تجريد — وفى الأصل كالقوفر ما .

زُهَاءُ الْفَى جَارِيَةٌ فِي أَحْسَنَ زَى مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ .
وَانْصَلَّ الْخَبْرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ فَعَلَّظَ عَلَيْهَا ذَلِكَ . فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُلَيَّةَ تَشْكُو إِلَيْهَا .
فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عَلَيْهِ : لَا يَهْوُ لَكَ هَذَا ، وَاللَّهِ لَا رُدَّتْهُ إِلَيْكَ ، قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَصْنَعَ
شِعْرًا وَأَصَوِّغَ فِيهِ لَحْنًا وَأَطْرَحَهُ عَلَى جَوَارِيٍّ فَلَا تَبْقَى عِنْدَكَ جَارِيَةٌ إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى
وَالْبُسِيِّينَ أَنْوَاعَ^(١) الثِّيَابِ لِیَأْخُذْنَ الصَّوْتِ مَعَ جَوَارِيٍّ ، فَفَعَلْتُ أُمُّ جَعْفَرٍ
مَا أَمَرْتُهَا ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الْمَصْرِ لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعُلَيَّةُ وَأُمُّ جَعْفَرٍ قَدْ خَرَجَتَا
إِلَيْهِ مِنْ حُجْرَتِهِمَا ، مَعَهُمَا^(٢) زُهَاءُ مِنَ الْفَى جَارِيَةٌ مِنْ جَوَارِيهِمَا وَسَائِرِ جَوَارِيِ الْقَصْرِ
عَلَيْهِنَّ غَرَائِبُ اللَّبَاسِ وَكَلَمَنٌ فِي لَحْنٍ وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعْتَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ :

مُنْفَصِلٌ عَنِّي وَمَا قَلْبِي عَنْهُ مُنْفَصِلٌ

يَا هَاجِرِي^(٣) الْيَوْمَ لِمَنْ نَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

فَطَرَبَ الرَّشِيدُ ، وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ ، حَتَّى اسْتَقْبَلَ أُمَّ جَعْفَرٍ وَعُلَيَّةَ ، وَهُوَ عَلَى غَايَةِ
السَّرُورِ ، وَقَالَ : لَمْ أَرْكَالِيَوْمَ قَطُّ ، يَا مَسْرُورُ ، لَا تَبْقَيْنِي فِي بَيْتِ الْمَالِ دَرَاهِمًا إِلَّا نَثَرْتَهُ .
فَكَانَ مَا نَثَرَ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَمَا سَمِعَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ : كَانَتْ عَلَيْهِ تَقُولُ : مَنْ لَمْ يُطْرِبْهُ الرَّمْلُ لَمْ يُطْرِبْهُ شَيْءٌ ،
وَكَانَتْ تَقُولُ : مَنْ أَصْبَحَ عِنْدَهُ طِبَاهُجَةٌ بَارِدَةٌ وَلَمْ يَصْطَبِيحْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

تَمَارَتْ خَشَفُ الْوَاضِحِيَّةِ وَعَرِيبُ فِي غِنَاءِ عُلَيَّةَ^(٤) بِحَضْرَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَغَيْرِهِ
مِنْ الْخُلَفَاءِ . فَقَالَتْ خَشَفُ : هِيَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ صَوْتًا وَقَالَتْ عَرِيبُ : اثْنَانِ وَسَبْعُونَ ،
فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : غَنَّنَا غِنَاءَهَا فَلَمْ يَزَالَا يُغَنِّيَانِ حَتَّى مَضَى اثْنَانِ وَسَبْعُونَ صَوْتًا ،
وَلَمْ تَعْرِفْ خَشَفُ الثَّالِثَ وَالسَّبْعِينَ ، فَقَطَعَ بِهَا وَاسْتَمَعَلَتْ عَرِيبُ عَلَيْهَا ، وَانْكَسَرَتْ ،

(١) ألوان (أغاني ١٠: ١٧٢ تجريد).

(٢) في الأصل معها - وجواريها .

(٣) في الأغاني : ياقاطعي .

(٤) في الأصل عريب والتصويب عن الأغاني والسياق يقتضيه .

فلما كان الليل رأيتُ عُلَيَّةَ في النوم . فقالت : يا خشف ، خالفتك عريبُ في غنائى ، قلت : نعم يا سيدتى ، قالت : الصوابُ معك ، فتدريين ما الصوت الذى نسيته ؟ قلت : لا ، والله ، ووددت أنى فديتُ ما جرى بكلِّ ما أملك . قالت : هو :

بُنَى الْحُبِّ عَلَى الْجَوْرِ فلو أَنْصَفَ الْمَحْبُوبُ^(١) فِيهِ لَسَمِجُ
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ^(٢) الْهَوَى عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحَجَجِ
لَا تَعَيَّنَ مِنْ مُحِبِّ ذِلَّةٍ^(٣) ذِلَّةُ^(٣) الْمَاشِقِ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ
وَقَلِيلُ الْحُبِّ صِرَافًا خَالِصًا^(٤) لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُزِجَ

وكانها قد اندفعتُ تَغْنَى فيه فما سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِمَّا غَنَّتْهُ ، وزادتنى فيه أشياء فى نوى لم أكنُ أعرفُها ، فالتبَّهتُ ، وأنا لا أعقلُ فرحا ، فباكرت الخليفةَ وذكرت له القصة . فقالت عريب : هذا شئٌ صنعته أنتِ لما جرى أمس ، وأما الصوتُ فصحيحٌ . فخلفتُ للخليفة بما رَضِيَ به أن القصة كما حكيتُ ، فقال : رُؤْيَاكِ أَعْجَبُ ، ورحم الله عُلَيَّةَ فما تَرَكَتْ ظرفها حية وميتة ، وأجازنى جائزةً سنَّيةً . قال مسرورُ الكبير : اشتاق الرشيدُ إلى إبراهيم الموصلى يوما ، فركب حمراً يَقْرُبُ من الأرض ثم أصر بمض خَدَمِ الخَاصَةِ بالسعى بين يديه ، وخرج من داره فلم يزل حتى دخل على إبراهيم الموصلى فلما أحس به استقبله ، وقبَّلَ رجله ، وجلس الرشيد ، فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ، ثم نهضوا ، ورأى عيدانا كثيرةً . فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافعُ ، فقال : ويلك أصدقنى . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرحُ عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين

(١) العشوق (الأغاني ١٠ : ١٧٥ تجريد) .

(٢) فى حكم (الأغاني) .

(٣) فى الأصل زلة بالزاي ، والتصويب عن الأغاني .

(٤) فى الأصل صرف خالص .

ظريفتين ، وكانتا لملكية بنت المهدي بعثت بهما إليه ، يطارحهما . فقال الرشيد لإحدهما : غنى ، فغنت هذه الأبيات :

بُنيَ الحبُّ على الجَورِ فلو أنصفَ المحبُّ فيه لَسَمَّجُ

فقال : أحسنت جدا . وقال : يا إبراهيم لن الشعر ؟ ما أمله !! لن اللحن ؟ ما أطربه ! فقال : لا أعلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتي . فقال : ومن سيدتك ؟ قالت : عليّة أخت أمير المؤمنين . قال : الشعر واللحن ؟ قالت : نعم ، فأطرق ثم رفع رأسه إلى الأخرى ، وقال : غنى فغنت :

تَحَبَّبَ فَإِنْ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقُرْبِ
تَبَصَّرَ فَإِنْ حَدَّثْتَ أَنْ أَخَا الْهَوَى (١) نَجَا سَالِمًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضَا فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ

فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر فقال : لا أعلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتي ، قال : ومن سيدتك ؟ قالت : عليّة أخت أمير المؤمنين ، فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريّتين . [ومضى فركب حماره وانصرف إلى عليّة فقال : قد أحببت أن أشرب عندك اليوم فتقدّمت فيما تُصلِّحُه] (٢) وأخذوا في شأنهما فلما كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ ثم أخذ العود من حجر جارية فدفعه إليها فأكبرت ذلك فقال : بتربة المهدي لتغنين ، قالت : وما أغنى ؟ قال : غنى :

بُنيَ الحبُّ على الجَورِ فلو أنصفَ المحبُّ فيه لَسَمَّجُ

فعلت أنه قد وقف على القصة فغنت ، فلما أنت عليه ، قال لها ، غنى :

تَحَبَّبَ فَإِنْ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقُرْبِ

(١) هوى (أغانى ١٠: ١٧٦ تجريد) .

(٢) بياس في الأصل وما بين القوسين عن الأغاني والتجريد .

فَلَجَلَجَتْ : ثُمَّ غَنَتْ ، فَقَامَ فَقَبِلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ : يَا سَيِّدَتِي أَهَذَا عِنْدَكَ وَلَا أَعْلَمُ ؟
وَتَمَّ يَوْمَهُ عِنْدَهَا .

قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد : شهدت أبي جعفراً ، وأنا صغير ، يحدث يحيى ابن خالد جدِّي في بعض ما كان يُخْبِرُهُ بِهِ مِنْ خَلَوَاتِهِ مَعَ الرَّشِيدِ . قَالَ : يَا أَبَا ، أَخِذْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِيَدِي ، وَأَقْبِلْ فِي حُجْرَةٍ يَخْتَرِقُهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى حِجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ ، فَفَتَحَهَا بِيَدِهِ وَدَخَلَهَا ، وَدَخَلْنَا جَمِيعاً ، وَأَغْلَقَ بَابَهَا مِنْ دَاخِلِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ صَرَّنا إِلَى رِوَاقٍ فَفَتَحَهُ بِيَدِهِ ، وَفِي صَدْرِهِ مَجْلِسٌ مُغْلَقٌ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، فَنَقَرَ الْبَابَ بِيَدِهِ [تَقْرَات] (١) فَسَمِعْنَا حِسّاً ، ثُمَّ أَعَادَ النِّقْرَ ثَانِيَةً . فَسَمِعْنَا صَوْتَ عَسُودٍ . ثُمَّ أَعَادَ النِّقْرَ ثَالِثَةً . فَغَنَتْ جَارِيَةٌ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مِثْلَهَا فِي حَسَنِ الْغَنَاءِ وَجُودَةِ الضَّرْبِ ، فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ غَنَتْ أَصْوَاتًا : غَنَى صَوْتِي :

وَمُخِنَّتِ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ غَنَى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنْقَبًا
لَبَسَ الدَّلَالَ وَقَامَ يَنْقُرُ دُفَّهُ نَقْرًا أَقْرَبَ بِهِ الْعَيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَمَشِقْنَهُ فَشَكُونُ شِدَّةَ مَا بِهِنَّ فَأَكْذَبًا

قَالَ : فَطَرَبْتُ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِطَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا غَنَى فَغَنَتْ :

طَالَ تَكْذِيبِي وَتَضَدِيقِي لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِلْخُلُوقِ
إِنْ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا حَسَنُوا نَقْصَ الْمَوَائِقِ
لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا أَشْتَكِي عِشْقًا لِمَعْشُوقِ

فَرَقَصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ . ثُمَّ قَالَ : امْضِ بِنَا ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُوَ مِنَّا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا . فَلَمَّا صَرَّنا إِلَى الدَّهْلِيزِ قَالَ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي : هَلْ عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟ فَقُلْتُ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَسْأَلُ عَنْهَا ،

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ (أَغَانِي) .

ولا تكتم ذلك . وأنا أخبرك ، هذه عُلَيَّة بنت المهدي ، ووالله إن لفظت به بين يدي أحد ، وبلغني لأقتلنك . قال : فسمعت جدي يقول له : فقد ، والله ، لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فاصنع ما أنت صانع .

لما خرج الرشيد إلى الرّي أخذ معه أخته عُلَيَّة ، فلما صار بالمرج^(١) عملت شعرا ، وصاغت فيه لحنا وغنّته :

وَمُغْتَرَبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي لَشَجَرِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ
إِذَا مَا أَنَاهِ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ^(٢) تَنَشَّقُ يَسْتَشْفِي بِرَأْتِحَةِ الرِّكْبِ^(٣)

فلما سمع الصوت علم أنها اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردّها .

قال أبو عيسى بن الرشيد: غنّت عُلَيَّة الرشيد في يوم عيدٍ فطر :

طَالَتْ عَلَى لَيْلٍ إِلَى الصَّوْمِ وَاتَّصَلَتْ حَتَّى لَقَدْ خَلَتْهَا زَادَتْ عَلَى الْأَبَدِ
شَوْقًا إِلَى مَجْلَسِ يَزْهَى^(٣) بِصَاحِبِهِ أُعِيدَ بِجَلَالِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

وُلِدَتْ عُلَيَّة سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة .

وقيل : ماتت سنة تسع وصلى عليها المأمون .

وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مُغَطًى فشرقت من ذلك ، وسعلت ثم نُحِتَ بِمَقَبٍ هَذَا أَيَّامًا كَثِيرَةً ، وماتت رحمها الله تعالى .

(١) هو مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همدان .

(٢) أرضهم . . . القرب (تجريد) .

(٣) يزهى (تجريد) .

ذكر علي بن الجهم^(١)

أبوه بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز [بن كعب]^(٢) بن مالك
ابن عتبة^(٣) بن حار بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن أسامة^(٤) بن لؤي بن غالب.
وقريش تدفع هذا النسب وتسميهم بني ناجية ينسبونهم إلى أمهم ، وهي امرأة سامة^(٥)
ابن لؤي بن غالب .

وكان سامة خرج إلى البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤي في مَماظلة^(٦) فطأطأت
ناقتة رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئا من العشب فعلق بمشفرها أفمى ثم عطفت^(٧)
على قتبها فحكته به فذب الأفمى على القتب فنهش [ساق]^(٨) سامة فقتله . فقال
أخوه يرثيه :

عين جودي لسامة بن لؤي علق ساق سامة الملاقة
رب كأس هرقتها ابن^(٨) لؤي حذر الموت لم تكن ممرقة
وقال من يدفع بني سامة من نسا بني قريش : إنه كانت معه امرأته ناجية ، فلما
مات تزوجت رجلا من أهل البحرين فولدت منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ،

(١) الأغاني ١٠ : ٢٠٣ - التجريد ٣ : ١٩٣ .

(٢) الزيادة عن الأغاني وفي الأصل : كدار مكان : كراز .

(٣) ابن عيينة بن جابر (أغاني . تجريد) وفي الأصل : حار في النسختين كما هو مدون

٣ : ١١٩٣ .

(٤) ابن سامة (أغاني) وستأتي كذلك . وفي الأصل : أسامة في النسختين .

(٥) في الأصل مماظلة ، والمماظلة الخاصة .

(٦) فعطفته (مكان ثم عطفت) أغاني ١٠ : ٢٠٣

(٧) الزيادة عن الأغاني والتجريد .

(٨) في الأصل من .

فلما ترعرع طَمِعَتْ أُمُّهُ أَنْ تُلْحِقَهُ بِقُرَيْشٍ ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ ابْنُ سَامَةَ بْنِ لُؤَى ،
فَرَحَلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى عَمِّهِ كَعْبٍ ، فَأَخْبَرَهُ ^(١) أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ سَامَةَ فَعَرَفَ كَعْبٌ أُمُّهُ ،
وظَنَّ أَنَّهَا صَادِقَةٌ ، فَقَبِلَهُ وَسَكَتَ ^(٢) فَقَدِمَ مَكَّةَ رَكِبَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَأَرَا الْحَارِثَ
فَسَلِمُوا عَلَيْهِ وَحَادِثُوهُ فَسَأَلَهُمْ كَعْبُ بْنُ لُؤَى وَمَنْ أَيْنَ يَعْرِفُونَهُ ؟ فَقَالُوا : هَذَا ابْنُ رَجُلٍ
مِنْ بِلَادِنَا يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ ، وَشَرَحُوا لَهُ خَبْرَهُ فَنَفَاهُ كَعْبٌ هُوَ وَأُمُّهُ فَرَجَعَا إِلَى الْبَحْرَيْنِ
فَكَانَا هُنَاكَ وَتَزَوَّجَ الْحَارِثُ فَأَعْقَبَ هَذَا الْعَقِبَ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَمِّي سَامَةُ لَمْ يُعْقِبْ » وَكَانَ بَنُو
نَاجِيَةَ ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا وَلَّى عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ دَعَاهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ ، وَأَقَامَ الْبَاقُونَ عَلَى الرَّدَّةِ فَسَبَّاهُمْ وَاسْتَرْقَاهُمْ فَاشْتَرَاهُمْ مَصْقَلَةً
وَأَصْتَقَاهُمْ وَهَرَبَ مِنْ تَحْتِ لَيْلِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَصَارُوا أَحْرَارًا ، وَلَزِمَهُ الثَّمَنُ فَبَيِّعَتْ
عَلَيْهِ دَارُهُ ، وَقِيلَ هَدَمَهَا . وَلَمْ يَدْخُلْ مَصْقَلَةُ الْكَوْفَةِ حَتَّى قُتِلَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ .

وَزَعَمَ ابْنُ السَّكَبِيِّ أَنَّ سَامَةَ بْنَ لُؤَى وَلَدَ ^(٣) غَالِبَ بْنَ سَامَةَ ، وَأُمُّهُ نَاجِيَةُ ،
ثُمَّ هَلَكَ سَامَةُ فَخَلَفَ عَلَيْهَا ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ سَامَةَ ثُمَّ هَلَكَ ابْنُ سَامَةَ وَلَمْ يَعْقِبْ وَأَنْ قَوْمًا
مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ ^(٤) بِنْتُ جَرِّمَ بْنِ رَبَّانٍ بْنِ عِلَافٍ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ بَنُو سَامَةَ بْنِ لُؤَى وَأَنْ أُمُّهُمْ
نَاجِيَةُ هَذِهِ وَانْتَمَوْا إِلَى الْحَارِثِ بْنِ سَامَةَ وَهُمْ الَّذِينَ بَاعَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مِنْ مَصْقَلَةٍ ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ وَأَنْ هَؤُلَاءِ بَنُو نَاجِيَةَ بِنْتُ جَرِّمَ . قَالَ عَلْقَمَةُ الْخَصِيُّ
التَّمِيمِيُّ أَحَدُ بَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ مَالِكٍ :

زَعَمْتَ أَنَّ نَاجِيَةَ بْنَ ^(٤) جَرِّمَ عَجُوزٌ بَعْدَ مَا بَلَغَى السَّنَامُ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَأَخْبَرَتْهُ .

(٢) وَمَكَثَ عِنْدَهُ مَدَّةً حَتَّى قَدِمَ (أَغَانِي) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : وَلَئِنْ .

(٤) . . نَاجِيَةُ بِنْتُ جَرِّمَ (أَغَانِي ١٠ : ٢٠٥) .

فإن كانت كذلك فاليسوها فإن الحلي للأنثى تمام
وهذا أيضا قول الهيثم بن عدي. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش
وقال : هم قريش العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم ونسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم
ابن ربان وهم علاف وهم أول من اتخذ الرحال العلافية .

واسم ناجية ليل ، وإنما سميت ناجية لأنها سارت معه في مفازة فعطشت فاستسقت
فقال لها : الماء بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء فشربت فسميت ناجية .
وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مخالفة^(١) فعل أمير المؤمنين على رضي الله عنه
عليه وميله إليهم لاجتماعهم على بغضه عليه الرضوان حسب المشهور المأثور من مذهب
الزبير في ذلك .

وكان علي بن الجهم شاعرا فصيحاً ، وخص بالمتوكل حتى جالسه ثم أبغضه لما
كان كثير السعاية إليه بتدماثه وذكرهم بالقبيح عنده وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه
ويتنقصونه ويتلذّبونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة فحبسه مدة ونفاه .
وكان ينحو نحو ابن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب والإغراء بهم وهجاء
الشيعة وهو القائل :

ورافضة تقول بشعب رضوى إمام خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفاً من الأتراك مشرعة السهام
وفيه يقول البحتری :

إذا ما حُصِّلَتْ عليا قريش فلا في العير أنت ولا النقيير
ولو أعطاك ربك ما تمنى زاد الخلق في عظم الأيور^(٢)

(١) في الأصل : هو خالفة (والتصويب عن الأغاني) . .

(٢) في الأصل : الأمور .

عَلَامَ هَجَوْتَ مُجْتَهِداً عَلِيّاً بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وزورٍ
أمالك في اسْتِكَ الوجعاء شُغْلٌ^(١) يَكْفُكَ عن أذى أهل القُبورِ

وسمعه أبو الميناء يوماً يطمئن على عليٍّ كرم الله وجهه ، فقال له : أنا أدرى
لم تطمئن على أمير المؤمنين . فقال له : أتعني قِصَّةَ بَيْمَةِ أَهْلِي من مصقلة بن هُبَيْرَةَ ؟
قال : لا ، أنت أَوْضَحُ من ذلك ولكنه قَتَلَ الفاعل [فَعَلَ]^(٢) قوم لوط والمفعول
[به]^(٣) وأنت أسفلهما .

وكان عليُّ بن الجهم قد هجا بختيشوع فحبسه المتوكل . فقال عِدَّةُ قصائد
وكتب بها إلى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك ، إلى خراسان ، فما
قاله هذه القصيدة وكتب بها إلى أخيه :

تَوَكَّلْنَا على رب السماء	وسلَّمْنَا لأسباب القضاء
ووطنًا على غَيْرِ الليالي	تقوساً أَسْمَحَتْ ^(٣) بعد الإباء
وأفنيةُ الملوك مُحَجَّباتُ	وبابُ الله مَبْذُولُ الفناء
هي الأيامُ تَكَلَّمْنَا وتأسو	وتأتى بالسعادة والشقاء
حلبنا الدهرَ أَشْطَرَهُ ومَرَّتْ	بنا عُقَبُ الشدائدِ والرخاء
وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا	فلا شيءٌ أَعَزُّ من الوفاء
ولم نَدْعِ الحياءَ لِمَسٍّ ضُرٍّ	وبعضُ الضُرِّ يذهبُ بالحياء
ولم نَحْزَنَ على دنيا تَوَلَّتْ	ولم نُسَبِّقْ إلى حُسْنِ العزاء
تَوَقَّ الناسَ يا ابن أبي وأمِّي	فهمُ تَبَعُ المخافةِ والرجاء

(١) في اوب : حقا والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) في الأصل : (ولكنه فعل الفاعل من قوم) وما بين القوسين عن الأغاني .

(٣) في الأصل أصبحت .

ولا يَفْرُوكَ من وَغْدٍ إِخْلٍ لَأَمْرٍ مَا غدا حَسَنَ الإِخْلِ
ألم تر مُظْهِرِينَ عَلَى عَيْبٍ^(١) وهم بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
فلما أنْ بُلِيتْ غَدَوًا وَرَاحُوا عَلَى أَشَدِّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ
وما حَبَسُ الخَلِيفَةِ لِي بِمَارٍ وليس بِمُؤَيِّسِي مِنْهُ التَّنَائِي
أَبْتَ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي بِمَالٍ أَوْ بِجَاهٍ أَوْ ثَرَاءِ
وَخَافُوا أَنْ يَقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ صَدِيقًا فَادَّعَوْا قِدَمَ الْجَفَاءِ
تَضَافَرَتْ^(٢) الرِّوَاغُضُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الإِعْتِزَالِ عَلَى هِجَائِي
وَعَابُونِي وَمَا ذَنْبِي إِلَيْهِمْ سِوَى عِلْمِي بِأَوْلَادِ الزَّنَاءِ
إِذَا مَا عُذَّ مِثْلُكُمْ رَجَالٌ فَمَا فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
إِذَا تُسَمِّيْتُمْ فِي النَّاسِ قَالُوا أَوْلَئِكَ شَرٌّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ
أَنَا الْمُتَوَكِّلُ هَوَى وَرَأْيَا وَمَا بِالْوَأَثِيقَةِ مِنْ خَفَاءِ

وقيل كان سبب حبسه أن جماعة من الجلساء سموا به إلى المتوكل وقالوا له إنه يُجَمَّشُ^(٣) الخدم ويغمزهم ، وأنه يطمعن عليك إذا غاب عنك ، ويعبتُ عليك ويرزى بك ، ولم يزالوا يوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه أنه هجاء فنقاه إلى خراسان ، وكتب بأن يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فلما وصل إلى الشاذيَاخ^(٤) حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر ، ثم أخرج فصلب يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ مجرداً ثم أُنْزِلَ فقال في ذلك :

(١) عتبا (في الأصل) .

(٢) تضافرت : تعاونت وفي رواية: تظاهرت .

(٣) جمشه : قرصه ولاعبه .

(٤) الشاذيَاخ من ضواحي نيسابور كانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين فبنى هو

بها ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور (ياقوت) .

لم يصلبوا^(١) بالشاذياخ عشية ألـ
 نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم
 ما ازداد إلا رِفْمَةً بُكُوله
 هل^(٢) كان إلا الليث فارق غِيْلَه
 لا يأمن الأعداء من شدائِه
 ما عابه أن يُزَّ عنه ثِيَابَه^(٣)
 إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْرِي به
 أو يَسْلُبوه المال يُحْزِنُ فَقْدَه
 أو يَحْبِسوه فليس يُحْبَسُ سائرُه
 إن المصائبَ ما تعدَّتْ دينَه^(٤)
 والله ليس بمافل عن أمره
 فلتعلمن إذا القلوبُ تَكْشَفَتْ

وكتب المتوكل إلى طاهر بإطلاق علي بن الجهم فلما أطلقه قال :

أطاهر إني عن خراسان راحلُ
 أصدق أم أكنى من الصدق^(٥) أيما
 وسارت به الرُّكبان واسطَفَقَتْ به
 ومُسْتَخْبِرٌ عنها فما أنا قائلُ
 تَحْيَرْتُ أدَّتْهُ إليك المحافلُ
 أكفُّ قِيَانٍ واجتمعت^(٦) القبائلُ

(١) لم ينصبوا (أغاني - تجريد) .

(٢) ما كان (أغاني - تجريد) .

(٣) لباسه .

(٤) ذنبه (أصل ا ب) .

(٥) الحق (تجريد) .

(٦) اجتمعت .

وإني بنائي الذم والمدح عالم^(١) بما فيهما نامى الرمية ناضل^(٢)
 وحققاً أقول الصدق إني لائل^(٣) إليك وإن لم يحفظ بالود مائل^(٤)
 ألا حرمة ترعى إلا عقد ذمة^(٥) لجار^(٦) ألا قول لفعل يشاكل^(٧)
 ألا منصف إن لم نجد متفضلاً علينا ألا قاض من الناس عادل^(٨)
 فلا تقطن^(٩) غيظاً على أنامل^(١٠) قبلك ما عضت على الأنامل^(١١)
 أطاهر إن تحسن فإني تحسن^(١٢) إليك وإن تبخل فإني باخل^(١٣)
 فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل إلا ما تحب ، ووصله وحمله
 وكساه .

وكان علي بن الجهم في مجلس فيه قينة فجمشها فباعده وأعرضت عنه فقال :
 خفي الله فيمن قد سلبت^(١٤) فؤاده وغادرته نضوا كأن به وقراً
 دعى البخل لا أسمع به منك^(١٥) إنما سألتك شيئاً ليس يعرى لكم ظهراً
 فقالت : صدقت يا أبا الحسن ليس يعرى لنا ظهراً وإنما يملأ لنا بطناً .

أنشد رجل إبراهيم بن الدبر لعلي بن الجهم قوله :
 أميل مع الذم على ابن عمي وأخذ للصديق من الشقيق
 وإن ألفيتني حرّاً مطاعاً فإنك واجدى عبد الصديق
 أفرق بين معروف ومي وأجمع بين مالى والحقوق
 فقال إبراهيم : كذب علي بن الجهم وأثم ، والله لهذا الشعر أشبه بإبراهيم
 ابن العباس .

(١) في الأصل : تأتي البرية فاضل ، والتصويب عن التجريد أغاني .
 (٢) في أوب : تجار الأقول لفعل يشاكل . وفي الأغاني والتجريد : لجار الأفعال لقول مشا كل .
 (٣) كذا في الأغاني وفي الأصل : لا تقطعا .
 (٤) تبت (تجريد) .
 (٥) في الأصل : بيومك . وفي الأغاني أمرا (مكان شيئاً) .

قال المتوكل : علي بن الجهم أ كذبُ خلق الله ، حَفِظْتُ عليه أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة فأخبرني أنه أقام بالشام ومصر ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا مائة وخمسين سنة ، وإنما نراه في سنن الحسين ، فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب ؟

قال إبراهيم بن المدبر : كتب صاحبُ الخبر إلى المتوكل أن أبا الحسن بن عبد الملك ابن صالح أحرق فمات ، فقال له علي بن الجهم : قد بلغني أن العامل قتله ، وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا ، وكان يسمى بالجلساء إلى المتوكل ، فأبغضه وألزمه بيته وحبسه .

وأحسن شعر قاله في الحبس قوله :

قالتُ حَبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَاثِرِي حبسى وأى مهنـد لا يُعْمَدُ
أو ما رأيت الليثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كِبْرًا وأوباشُ السباع تَرَدُّدُ
والبدرُ يدركه السَّرارُ فَتَنْجَلِي أيامه وكأنه يَتَجَدَّدُ
والشمس لولا أنها محجوبةٌ عن ناظريك

لما أُصِيبَ (١) الفَرْقَنـدُ
والزاعِبيَّةُ (٢) لا يقيمُ كُموبيها إلا الثقافُ وجذوة تتوقدُ
والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ لا تُصْطَلَى إن لم تُثْرها الأُرْدُ
والحبسُ ما لم تَغْشَه لِدَنِيَّةٌ شمعاءُ نِعَمَ المنزلِ المتورِّدِ (٣)
بيتٌ يُجَدِّدُ للكريمِ كرامةً ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحْمَدُ
لو لم يكن في الحبس إلا أنه لا يَسْتَدِلُّك بالحجاب الأعبدُ

(١) أضاء (الأغاني-التجريد).

(٢) الزاعبية : رماح تنسب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة .

(٣) المتورد : الذى يزار ويورد .

كم من عليل قد تخطاه الردى
يا أحمد بن أبى دؤاد إنما
أبلغ أمير المؤمنين ودونه
أنتم بنو عم النبي محمد
ما كان من كرم فأنتم أهله
أمن السوية يا ابن عم محمد
إن الذين سعوا إليك يباطل
شهدوا وغبنا عنكم فتحكموا
لو يجتمع الخماء عندك مجلس
فبأى جرم أصبحت أعراضنا
فنجبا ومات طبيبه والعود
تدعى لكل عزيمة يا أحمد
خوف^(١) الردى ومخاوف لا تنفد
أولى بما شرع النبي محمد
طابت^(٢) مغارسكم وطاب الحقد
خصم تقربه وآخر تبعد
حساد نعمتك التى لا تجحد
فيما وليس كفائب من يشهد
يوما لبان لك الطريق الأقصد
نهباً تقسمها اللئيم الأوغد

وكان أحمد بن أبى دؤاد منحرفاً على على بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشوية
فلم يشفع له وقمده عنه فلما نفى المتوكل أحمد بن أبى دؤاد شتمه على بن الجهم وهجاء
فقال فيه من أبيات :

يا أحمد بن أبى دؤاد دعوة
ما هذه البدع التى سميتها
أفسدت أمر الدين حين وليته
ورميتها بأبى الوليد وليدا
بعثت إليك جنادلا وحديدا
بالجهل منك العدل والتوحيد

كتب على بن الجهم إلى طاهر من الحبس :

إن كان لى ذنب فلى حرمة
وحرمتى أعظم من زلتى
والحق لا يدفعه الباطل
لونا لنى من عدلك^(٣) النائل

(١) خوض (أغانى) .

(٢) كرم (أغانى - تجيريد) .

(٣) عدلك نائل (أغانى) .

ولي حقوق غير مجهولة يعرفها العاقل والجاهل
وكل إنسان له مذهب وأهل ما يفعله الفاعل
وسيرة الأملاك منقولة لا جائر يخفى ولا عادل
وقد تمجّلت الذي خفته منك ولم يأت الذي آمل

كان علي بن الجهم يماشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطلق من حبسه ، وردّ
من النفي يتقاينون^(١) ببغداد ويلزمون منزل مغن^(٢) بالكرخ يقال له المفضل ، فقال
فيه علي بن الجهم :

نزلنا بباب السكرخ أطيب منزّل
فلا ابن سريج والفريض ومعبّد
أوانس ما للضيف منهن حشمة
يسرّ إذا ما للضيف قلّ حياؤه
ويكثر من ذمّ الوقار وأهله
ولا يدفع الأبدى المريبة غيرة
ويطرق إطراق الشجاع مهابة
أشرب بيدٍ واغمر بطرفٍ ولا تخف
وأعرض عن المصباح والهج بدمه^(٣)
وسل غير ممنوع وقل غير مُسكّت
لك البيت ما دامت هداياك جمّة
فبادر بأيام الشباب فإنها

على مُحسِناتٍ من قيان المُفضّل
بدائع في أسماعنا لم تُبدّل
ولا ربُّهنّ بالجميل المُبجّل
ويغفل عنه وهو غير مُغفل
إذا الضيف لم يأس ولم يتبدّل
إذا نال حظا من لبّوس وما كل
ليطلق طرف الناظر المتأمل
رقيباً إذا ما كنت غير مُبخل
وإن خدّ المصباح فاذن وقبّل
ونم غير مذعور وقم غير مُعجل
وكنت مليئاً بالنبيذ المُسلّ
تَقضى وتَقنى والغواية تنجلي

(١) أغاني وفي الأصل : يتتابعون .

(٢) مقين (أغاني) .

(٣) بمثله (أغاني) .

ودع عنك قولَ الناس أَتْلَفَ ماله فلانٌ فأضحى مُدْبِرًا غيرَ مُقْبِلِـ
 هل الدهرُ إلا لَيْلَةٌ طَرَحَتْ بنا أوَاخِرُها في يومٍ لهُوَ مُعْجَلِـ
 سقى الله بابَ الكرخِ من مُتَنَزِّه إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَبِرْكةٍ زَلْزَلِ (١)
 مَسَاحِبُ أَذْيَالِ القِيَانِ وَمَسْرَحُ ا حِسَانٍ ومَهْوَى كُلِّ خِرْقٍ مُعَدَّلِـ
 لو أَنَّ امرأَ القيسِ بنِ حُجْرٍ يَحُلُّها لأَفْصَرَ عن ذِكرِ الدَّجُولِ خَوْمَلِـ
 إِذَا لَرَأَى أَنَّ يَمْنَحُ الوُدَّ شَادِنَا مُشَمَّرِـ (٢) أَذْيَالِ القَبَاغِيرِ مُسْبِلِـ
 إِذَا اللَّيْلُ أَدْنَى مُضْجَعِي مِنْهُ لَمْ يَقُلْ عَقَرْتُ بِعِيرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَاَنْزِلِـ

قال إبراهيم بن المدبر: أنشدني علي بن الجهم لنفسه :

وإذا جرى الله امرأً بفعله فجزى أخا لي ماجداً سَمِحَا
 ناديته عن كُرْبَةٍ فَكَأَنَّما أَطْلَعْتُ عن لَيْلٍ بِهِ صُبْحَا

فقلت له : ويحك ! ! هذا لإبراهيم بن العباس ، يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات ، فحدثني وكابر ، فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده فلما رأيته قال : قد اجتمع الإبراهيمان ، فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين وقلت لإبراهيم : إن هذا يزعم أن هذين البيتين له ، فقال : كذب ، هذان البيتان لي في محمد بن عبد الملك الزيات .

فقال علي بن الجهم بقية : ألم أُنْهَكَ أن تتحلَّ شِعْرى ؟ فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سوءة عليك ، سوءة لك ، ما أوقعك ! وهو لا يفكر في ذلك ولا ينجل . ثم التقينا بعد مدة فقال لي : أرايت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس ؟ فجعلت أعجب من صلابة وجهه ..

(١) قصر الوضاح : قصر بني المهدي قبل الرصافة بولاية الوضاح مولى المنصور (مراصد الاطلاع) وبركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والصراة .
 (٢) مقصر أذيال القبا .

كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنسُ به ويألفه فعربدَ ليلةً من الليالي عربدةً قبيحةً
فاطرحَهُ وجفاء مدةً ، فوقف له على الطريق فلما مرَّ به وثبَ إليه ثم قال: أيها الوزير
ألا تكون في أمرى كما قال علي بن الجهم :

القوم إخوانٌ صدقٍ بينهم نسبٌ من المودةٍ لم يُعدَلْ بها نسبُ
تراضعوا دِرَّةَ الصهباءِ بينهمو فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يجِبُ
لا يحفظون ^(١) على السكران زَلَّتْه ولا ترينك ^(١) من أخلاقه رِبُّ

فقال له سليمان: رضيت عنك رضاءً صحيحاً فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

وأول هذه القصيدة هو قوله :

الوردُ يضحك والأوتارُ تضطخبُ والنأي يندب أحياناً ^(٢) وينتخبُ
والراح تُعرَضُ في نورِ الريحِ كما تُجلى العروسُ عليها الدرُّ والذهب ^(٣)
واللهوُ يُلحِقُ مغبوقاً بمضطجعٍ والدور سَيان محثوثٌ ومُنتخبُ
وكما انسكبت في الكأسِ آوَنَةٌ أقسمت أن شُعاء الشمسِ ينسكبُ

دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع
وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء طلاً ^(٤) ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزَمَ
على الصُّبوح ففاضت به خِطِيَّةٌ له فتنغص عليه يومه وفترفخبرَ علي بن الجهم وقيل له :
قل في هذا المعنى شيئاً لعله يُنشِط الأمير للصُّبوح ، فأنشده :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله غيمٌ وصحوٌ وإبراق وإرعادُ
كأنه أنت يا مَنْ لا شبيهَ له وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادُ

(١) لا تحفظن ... ولا ترينك (أغانى) .

(٢) أشجانا (تجريد) ١٢٠٠ .

(٣) في الأصل : أزورذهب .

(٤) قليلاً (تجريد) .

فباكر الراح واشربها مُمْتَقَةً لم يدَّخِرْ مثلها كسرى ولا عادُ
 واشرب على الروضِ إذ لاحت زخارفه
 زَهْرٌ وَنَوْرٌ وَأوراقٌ وَأُورادُ
 كأنما يومنا فُعلُ الحبيب بنا بَذْلٌ وَبُخْلٌ وإِعَادٌ ومِيعَادُ
 وليس يذهبُ عني كلُّ فِعْلِكُمُو غَيٌّ ورُشْدٌ وإِصْلَاحٌ وإِفسادُ
 فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه وأمر أن يُغَنَّى
 في الأبيات واضطجع .

وُجد عليّ بن الجهم بعد أن أُطلق من حبسه جالسا في المقابر فقيل له :
 ما أجلسك هاهنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كلُّ غريبٍ عند غُرْبَتِهِ ويذكرُ الأهلَ والجيرانَ والسكنا
 وليس لي وطنٌ أمسيتُ أذكرُهُ إلا المقابرَ إذ كانت لهم وطنا^(١)
 ولعلّي بن الجهم :

لو تَنَصَّلْتَ إلينا	لَغَفَرْنَا ^(٢) لك ذُنُوبَكَ
بأبي ما أَبْفَضَ العبد	شَ إذا فارتُ قُرْبَكَ
ليتني أَمْلِكُ قَلْبِي	مِثْلَ ما تَمْلِكُ قَلْبَكَ
أيها الواصل بالله	له لقد ناصحتَ ربَّكَ
ما رأى الناسُ إماماً	أنهَبَ الأموالَ نَهَبَكَ
أصبحتُ حُجَّتَكَ العُد	يا وحزبُ اللهِ حِزْبَكَ

قال عبيدُ اللهِ بن عبد الله بن طاهر: دخل علينا علي بن الجهم عقيب موت أبي ،
 والمجلس حافل بالمُعزِّين فعمَلْ قائماً وأنشد مرثية :

(١) سكنا (التجريد) .

(٢) لو هبنا (أغاني) .

أى رُكنٍ وهى من الإسلامِ أى يومٍ أخنى على الأيامِ
 جلُّ رزءِ الأميرِ عن كلِّ رُزءٍ أدركته خواطرُ الأوهامِ
 سَلَبَتْنا الأيامُ ظِلًّا ظليلاً وأباحت رَحْمَى عزيرِ الرّامِ
 يا بنى مُصْعَبٍ حلّتم من النّارِ من سَحَلِ الأرواحِ فى الأجسامِ
 فإذا رابكم من الدَّهْرِ رَيْبٌ عم ما خَصَّكم جميعَ الأنامِ
 انظروا هل ترون إلا دموعاً شاهداً على قلوبِ دواى
 من يداوى الدنيا ومن يكلا المُلْدُ لك لَدَى فادحِ الخطوبِ الجسامِ^(١)
 نحن مِتْنَا بموته وأجلُّ الـ خطبِ موتِ الساداتِ والأعلامِ
 لم يَمُتْ والأميرُ طاهرٌ حَيٌّ دائِمُ الإِنتقامِ والإِنعامِ
 فهو من بعده نظامُ المعالي وقوامُ الدنيا وسيفُ الإمامِ
 قال : فما أذكر أنى بكيت أورايت فى دورنا با كيا أكثر منه يومئذ .
 قال أبو الدهقانة^(٢) : دخلنا يوماً إلى المَعْتَرِّ وهو مصطبح على صَوْتِ اختاره
 لَعَلَّى بن الجهم اقترحه على عَرِيب وهو :
 العين بعدك لم تَنْظُرْ إلى حسنِ والنفس بعدك لم تَسْكُنْ إلى سَكَنِ
 كأن روحى إذا ما غبت غائبةٌ حتى إذا عدت لى عادت إلى بَدَنِ
 فلم يزل يشرب عليه نهارة فلما سَكِرَ أمر لها بثلاثين ألفَ درهمٍ وفرَّقَ على الجلساءِ
 كلَّهم الجوائزَ والخلعَ والطَّيبَ .
 ولعلى بن الجهم، ويقال إنه آخر شعر قاله :

يارحمةً للغريب^(٣) فى البلدِ النّا زحِ ما ذا بنَفْسِهِ صنعا
 فارقَ أحبّابه فما انتفعوا بالعِيشِ من بعده ولا انتفعا

(١) العظام (تجريد) .

(٢) أغاني (و الأصل الدهقان) .

(٣) يارحمة ... بالبلد (تجريد) .

ولما حبس المتوكل على الله على بن الجهم واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساوئهم، قال هذه القصيدة :

أقلنى أقالك من لم يزل	يقيك ويصرفُ عنك الردى
وتجري مقاديرُ بالذى	تريدُ إلى أن بلغت المدى
ويُعَلِّمُكَ حتى لو أن السماء	تُقالُ لجاوزتها مُصْعِدا
فما بين ربك جل اسمهُ	وبينك إلا نبي الهدى
عفا الله عنك ألا حُرْمَةٌ	تعودُ بفضلِكَ أنْ أبعدا
لئن جلَّ خطب ^(١) ولم اعتمد	فأنتَ أَجَلٌ وأَعْلَى يدا
ألم ترَ عبدا عدا طوره	ومولى عنا ورشيدا هدى
ومفسد أمرٍ تلافيته	فما فاصَلَحَ ما أفسدا
فلا عُدْتُ أَغْصِيكَ فيما أمرُ	تَ حتى أزورَ الثرى مُلْحِدا
وإلا تخالفتُ ربَّ السماء	وخُنتُ الصديقَ وعِبتُ ^(٢) الندى
وكنتُ كمرّوان ^(٣) أو كابن عمرو	مبيحِ العيال لمن أولدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة^(٤) وقال لها: إن على بن الجهم قد لاذ بك، وإيس له ناصر سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب، لأنه رجل من أهل السنة، وهم روافض، وقد اجتمعوا على الإغراء بقتله، فدعت

(١) ذنب (تجريد) .

(٢) وغفت (الأغانى) .

(٣) كمزون (أغانى وتجريد) .

(٤) فى الأصل منيحة والتصويب عن التجريد ١١٩٨ والأغانى .

بالمعز وقالت: اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك ، وأوصِلْها إليه ، فجاء بها ووقف بين يديه ، فقال له : ما هذا معك ، فدَيْتُكَ؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعتُها إلى أمي ، فقرأها المتوكل ، وضحك ، ثم أقبل عليهم ، فقال: أصبح أبو عبد الله ، فدَيْتُهُ ، خَصَمَكُم . هذه رُقْعَةٌ على بن الجهم يستقيل^(١) ، وأبو عبد الله شفيعُهُ ، وهو من لا يُرَدُّ . وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وكنت كمروان أو كابن عمرو مبيع العيال لمن أولدا

وثب ابن حمدون ، ثم قال : يا سيدي من دفعَ هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم [: أنا]^(٢) . فقال : أحسنت ، تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجائنا ! وانصرف بيدون ، وقام المعز ، فانصرف ، فاستلب ابن حمدون قوله :

وكنت كمروان أو كابن عمرو مبيع العيال لمن أولدا

فجعل يُنْشِدُهُمْ إياه وهم يشتمونه ، والمتوكل يضحك ، ويصفق ، ويشرب حتى سكر ، ونام ، وسرقوا القصيدة من بين يديه وانصرفوا ، ولم يُوقَّعْ بإطلاقه ونسيه فقالوا لابن حمدون : ويحك ! تُعيدُ هجاءنا وتشتُمنا؟ فقال : يا حقي ! والله لو لم أفعل ذلك حتى ضحك وشرب وسكر ونام ، لوَقَّعَ بإطلاقه ولوَقَّعنا معه في كل ما نكره .

لما فتحت أرمينية وقُتِلَ إسحاقُ بن إسماعيل دخل على بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يمدحُ ويهنئُه بالفتح ، فقال فيها ، وأوماً بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاق بن إسماعيل :

أهلا وسهلا بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

(٢) زيادة يتم بها الكلام .

بِجُمْلَةٍ تُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ بِرَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
قَهْرًا بَلَا خُتْلَ وَلَا تَطْوِيلَ

فاستحسن من حضر ارتجاله هذا وابتدأه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ،
ثم تم القصيدة وقال فيها :

جَيْشٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالسَّهْوِ	كَأَنَّهُ مُتَلَجِّجُ السَّيُولِ
يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ	لَا يَنْشَى ^(١) لِلصَّبِّ وَالذَّلُولِ
عَلَى أَغْرٍ وَاضِحٍ الْحُجُولِ	حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ لِلْخَذُولِ
نَاجِزَهُ بِصَارِمٍ صَقِيلِ	وَمَنْجَبِيْقٍ مِثْلَ حَلَقِ الْفِيلِ
يُرْقِلُ ^(٢) عَنْ خَرَطُومِهِ الطَّوِيلِ	صَوَاعِقُ ^(٣) مِنْ حَجَرِ السَّجَّيْلِ
يَبْرُكُ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضْلِيلِ	مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ رَجْعِ الْقِيلِ
حَتَّى أَنْجَلَتْ عَنْ حِزْبِهِ الْمَفْلُولِ	وَعَنْ نِسَاءِ حُسْرَى ذَهُولِ
صَوَارِخٍ يَمْسُرُنَ فِي الذُّيُولِ ^(٤)	ثَوَاكِلَ الْأَوْلَادِ وَالْبَعُولِ
لَا وَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْعُقُولِ	مَنْ غَيْرَ تَحْدِيدٍ وَلَا تَمْثِيلِ
مَا قَامَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ	بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَبِالتَّنْزِيلِ

خَلِيفَةُ كَجَعْفَرِ الْمَأْمُولِ

قال محمد بن عبد السلام : رأيتُ مع علي بن يحيى النُّجَّيْمَ قصيدةً لعلي بن الجهم
يمدح بها المتوكل ويصف الهاروني^(٤) فقلت : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة ؟
فضحك ، وقال : قصيدة لعلي بن الجهم سألتني أن أعرضها على أمير المؤمنين فعرضتها .
فلما سمع قوله :

(١) في الأصل : لا ينسى الصعب .

(٢) يرقل : يسرع ، وفي رواية : ترفض .

(٣) في الأصل يعصرون بالذبول .

(٤) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون بن الواثق بالله .

وَقُبَّةٌ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَصْنَعِي ^(١) إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
تَخِرُّ الْوُفُودَ لَهَا سُجُودًا إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا ^(٢)
وَفَوَّارَةٌ تَارُهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ تَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى الْمِزْنِ مَا نَزَلَتْ ^(٣) إِلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مَدَارِهَا

تهلل وجهه واستحسنها فلما انتهيتُ إلى قوله :

تَبَوَّاتُ بِمَدَكٍ قَعَرِ السُّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أَرْنِي لُزُومًا لَهَا

غضب واربد وجهه وقال : هذا بما كسبتُ يداي ، ولم يسمع تمام القصيدة .
قال الحسن بن موسى : لما شاع في الناس مذهبُ علي بن الجهم وشره وذكره
كل أحدٍ بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج من بغداد إلى الشام ، فاتفقنا
في القافلة إلى حلب ، وخرج علينا نفرٌ من الأعراب فتسرع إليهم قومٌ من المقاتلة ،
وخرج فيهم فقاتل قتالا شديداً وهزم الأعراب . فلما كان من الغد خرج علينا منهم
خلقٌ كثيرٌ ، فتسرع إليهم المقاتلة ، وخرج فيهم فأصابته طعنة فجثا إليه واحتملناه
ينزف دمه فلما رأني بكى ، فقلت له : لا بأس عليك ، فلما أمسى قلقَ قلقتنا شديداً
وأحس بالموت فجعل يقول :

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ كَيْلُ أَمْ سَالُ بِالصُّبْحِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ

وبكى فأبكى كلَّ من كان في القافلة . ومات مع السَّحَرِ ودفن في ذلك المنزل
على يومٍ من حلب .

(١) في بعض الأصول وفي التجريد (تفضي) .

(٢) عن الأغاني وفي الأصل لأسرارها .

(٣) أنزلت (تجريد) .

ذكر عبد الله بن المعتز^(١)

أمره مشهور ، في فضائله ، وآدابه وجودة صنّعه ، وحسن شعره ، وإن كان في شعره رقة الملوكة ، وغزل الطرفاء وهلملة المحدث ، فإنه لا يقصر عن مدى السابقين ، ويكفيه أن قتل ودرج ، ولم يكن له خلف يُقرّظه ولا عقب يُرفع منه . وما يزداد تأدبه وفضله وشعره وتصرّفه في كل فن من العلوم إلا رفعة وعلوا . وانظر إلى أضداده لما طعنوا عليه إذا وقع عليه المحقق عدلوا عن ملته في الأدب إلى الشناعة بأمر الذين وهجاء آل أبي طالب .

كان لعبد الله بن المعتز خادمٌ يُحبّه يقال له نشوان ، وكان يُغنى غناء صالحا مُجذّر فجزع عليه بعض أصحابه ، وجاء يوما فقال له ابن المعتز : قد عوفي نشوان ، وخرج أحسن مما كان عليه ، وقد قلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما إنشادا قبل أن تسمعهما غناء ، وأنشده :

لي قرّ جذر لما استوى فزاده حسنا وزالت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طربا بالنجوم

ثم خرجت زريابُ فغنته في الزيك^(٢) أحسن غناء ، فشربا عليه عامة يومهما .
جاء عبد الله بن المعتز يوما إلى أبي عيسى بن المتوكل مُسلّما وسنّه ، يومئذ ،
عشرون سنة ، فدخل على بن محمد بن أبي الشوارب القاضي فأكرمه أبو عيسى ،
ونهمض له ، فلما استقرّ به المجلس قال لأبي عيسى : قد احتجتُ إلى معونتك

(١) أغاني دار الكتب ١٠ : ٢٧٤ ، وتجريد ١٢٢٤ .

(٢) الرمل ، أغاني ١٠ : ٢٨١ .

في أمر دُفِنتُ إليه ، ولا غناء عن تكليفك المعاونة فيه ، قال : ماهو ؟ قال : زوجتُ ابنةً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، نخرج عن مذاهبنا وأساء عشرة^(١) أهله وجعل منزل عيسى بن هرون وطنه وتهدّدنا به وتوعدنا بسيره حتى بسط عيسى بن هرون يده ولسانه بالقبيح والقول ، وكثرت معاوئته له على ما يُزري بدينه ، وقد توعدنا بأنه يَكشِف وجهه لنا في معاونة صهرنا المأدى علينا ، ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا لاتصفنا منه بالحق ، إلا أني استعهدك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أوجه إليه فأراسله بما أنا المتكفل بعده بأن لا يعود إلى عشرته ، والضامن أن أُرَدَّ هذا الصهر إلى حيث تحبُّ ويقع بموافقتك . فشكره وانصرف . فقال أبو عيسى : أما ترون إلى هذا الرجل النبیه السريّ الشريف الفاضل يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال له عبد الله بن المعتز : إن لي في هذا المعنى بيتين^(٢) ، وقد استحسنهما جماعة ممن يعلم الشعر ويقولونه . فقال له هات ، فأنشده :

وَبَكَرٍ قُلْتُ مَوْتِي قَبْلَ بَقْلِ وَإِنْ أَتَرَى وَعْدًا مِنَ الصِّمِ
أَمْزُجُ بِاللَّثَامِ دَمِي وَلَحْمِي فَمَا عُذْرِي إِلَى النَّسَبِ الْكَرِيمِ

قال جعفر بن قدامة : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا الثميري ، وحضر وقت الصلاة ، فقام الثميري فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد الصلاة ، وسجد سجدة طويلة ، استثقله جميع من حضر ، وعبدُ الله ينظر إليه مُعْجَبًا ، ثم قال :

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْمَلَا^(٣) نَقْرَةٌ كَمَا اخْتَلَسَ الْجَعَّةُ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا سَجْدَةٌ كَمَا خَتَمَ الْمِزْوَدُ الْفَارِغُ

(١) في الأصل تقرأ (ولنا عرة) والتصويب من الأغاني ١٠ : ٢٧٢ .

(٢) يروى أن سبب إنشادهما أن رجلاً نبياً فاضلاً احتاج إلى تزويج ابنته من دنيء ، فقال ابن المعتز البيتين (تجريد) .

(٣) الوري (تجريد) .

كانت بنتُ السكرانة تألف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها ، ويستظرفها ،
ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال :

ليت شعري بمن تشاغلتي عني وهو لا شك جاهلٌ مغرورٌ
هكذا كنتُ مثله في سروري وغداً بالهموم مثلي يصيرُ

قال جعفر بن قدامة: كنا عند ابن المعتز يوماً ، ومعا النخري ، وعنده جاريةٌ لبعض
بناتِ الكوفة تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها في نهاية القبح . فجعل عبد الله يُجَمِّسُها
ويتعاشقُ لها ، فلما قامت قال له النخري : سألتك الله ، أتعشقُ هذه التي ما رأيت أقيحَ
منها ؟ فقال عبد الله ، وهو يضحك :

قلبي وثَّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباهُ

يهم بالحسن كما ينبغي ويرحمُ القبيحَ فيهواهُ

قال عبد الله بن المعتز: كانت خزامى جارية الضَّبُّط المغني ^(١) تنادمني وأنا حَدِّثُ ،
وكانت مغنية مُحْسِنَةً شاعرةً ظريفةً ، ثم تركت النبيذَ وتابت فراسلتها مراراً ،
فتأخرت عني فكتبت إليها :

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبةً فقد سُمِّجت من بعد توبتك الخمرُ

فأهديت لي ورداً يذكُر عيشةً ^(٢) بمن كُلمَ يُمتعنا بيهجتها الدهرُ

فأجابتنني :

أتاني قريضٌ يا أميري مُحَبَّرٌ حكى لي نظمَ الدرِّ فُصِّلَ بالشَّذرِ ^(٣)

أنكرت يا ابن الأكرمين إنابتي وقد أفصحت لي السنُّ الدهرَ بالزَّجرِ

(١) في الأصل ١ ، ب (الطبط النعمن) والتصويب عن الأغاني ٩ : ١٣٨

(٢) رواية الأغاني والتجريد « فأهديت ورداً كي يذكر عيشة » .

(٣) الشذر: خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وَأَدَّبَنِي^(١) شَرَحُ الشَّبَابِ بَيْنَهُ فَيَالَيْتَ شَعَرِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا عُدْرِي

كَانَ مُؤَنِّسٌ قَدْ اسْتَخْلَفَ مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ يَهْدِنِي :

فَرَحْتُ بِمَا أَضْعَافُهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وَقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ الدَّهْرُ

فَتَرَجَّعَ فِينَا دَوْلَةٌ طَاهِرِيَّةٌ كَمَا بَدَأَتْ وَالِدَهُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ

عَسَى اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَافِلٍ وَلَا بَدَمِنْ يُسْرَى إِذَا مَا انْتَهَى الْعُسْرُ

فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَصِيدَةٌ مِنْهَا :

وَنَحْنُ لَكُمْ إِنْ مَسَّنَا بَعْضُ جَفْوَةٍ^(٢) فَمِنَّا عَلَى لَأَوَائِهَا الصَّبْرُ وَالْعَذْرُ

وَإِنْ رَجَعَتْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ دَوْلَةٌ إِلَيْنَا فَمِنَّا عِنْدَهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

ثُمَّ جَاءَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ شَاكِرًا لَهُ .

وَجَفَاهُ مَدَّةً طَوِيلَةً فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

قَدْ جِئْنَا مَرَّةً وَلَمْ تَكْدِ فَلَمْ تَزُرْ^(٣) بَعْدَهَا وَلَمْ تَعِدْ^(٣)

لَسْتُ تَرَى وَاجِدًا بِنَا عِوَضًا فَاطْلُبْ وَجْرَبْ وَاسْتَقِصْ وَاجْتَهِدْ

نَاوَلَنِي حَبْلَ وَصْلِهِ يَدٍ وَهَجَرَهُ جَاذِبًا لَهُ يَدٍ

فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَا وَذَا أَمْدٌ إِلَّا كَمَا بَيْنَ لَيْلَةٍ وَعَدٍ

(١) وَأَدَّبَنِي (أَغَانِي - تَجْرِيد) .

(٢) وَنَحْنُ إِذَا مَا نَالْنَا مَسَّ جَفْوَةٍ - أَغَانِي ١٠ : ٢٨٦ .

(٣) فِي الْأَغَانِي تَعْدُ بِضْمِ الْعَيْنِ مِنْ عَادَ يَعُودُ ، وَالثَّانِيَةُ بِكسرها مِنْ وَعَدَ يَعِدُ .

ذكر عملاق الملك وعفيرة^(١)

هي عفيرة بنت عفار ، وقيل عفيرة بنت عبّاد الجديسيّة ويقال لها الشّمس .

وعملاق ملك طسم بن لوذ^(٢) بن أزر بن سام بن نوح .

وجديس بن عابر^(٣) بن إرم بن سام بن نوح .

وكانت منازلهم في موضع اليمامة ، وكان الظلم في أيام عملاق قد تمادى والغشم والشره بغير الحق . وكانت امرأة من جديس يقال لها هزيلة لها زوج يقال له قرّس ، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها ، فخاصمته إلى عملاق . وقالت : أيها الملك إني حملته تسما ، ووضعتُه دفعا ، وأرضعته شفعا ، حتى نمت أوصاله ، ودنا فصاله ، أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني من بعده ولهي . فقال لزوجها : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي ، أيها الملك ، أني أعطيت المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليدا حاملا ، فافعل ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن يخرج منهما جميعا ويجعل في غلمانه . وقال لهزيلة : ابنيه ولدا ، ولا تنكحي أحدا ، واجزيه صفدا ، فقالت هزيلة : أما النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأما السفاح فإنما يكون بالقهر ، وما أرى فيهما من أمر . فلما سمع عملاق ذلك أمر أن تباع [هي] وزوجها فيمطى زوجها الخمس ثمنها وتُعطى هزيلة عشر ثمن زوجها . فقالت هزيلة :

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا فأنفذ حكما في هزيلة ظالما

(١) أغاني ١١: ١٦٤ - تجريد ٣: ١٢٧٥ وفيهما : عفيرة وعمليق الملك ، وهي في الأصل :

عفيرة بالقاف وعملاق .

(٢) لاوذ بن إرم (أغاني) .

(٣) في الأصل : عامر والتصويب (عابر بن إرم) من الأغاني .

لَعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مَتَوَرَعَا وَلَا كُنْتَ فَيَمَنْ يُبْرِمُ الْحَكَمَ عَالِمَا
 نَدِمْتُ وَلَمْ أُنَدِمْ وَأَنْتَى لَعَثَرْتِي وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحَكُومَةِ نَادِمَا
 فَلَمَّا سَمِعَ عَمَلَاقُ قَوْلَهَا أَمْرَ الْأَتْرُوجِ بِكَرٍّ مِنْ جَدِيسٍ وَتَهْدَى إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى
 يَفْتَرِعَهَا هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا . فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ بَلَاءً وَجَهْدًا وَذُلًّا فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
 زُوِّجَتْ الشَّمُوسُ وَهِيَ عَفِيرَةٌ بِنْتُ عَبَّادِ الْجَدِيسِيَّةِ ، أُخْتُ الْأَسْوَدِ الَّذِي وَقَعَ
 إِلَى جَبَلِي طَبِي فَقَتَلْتَهُ طَبِي ، وَسَكَنُوا الْجَبَلَ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمَّا أَرَادُوا حَمْلَهَا إِلَى زَوْجِهَا
 انْطَلَقُوا بِهَا إِلَى عَمَلَاقِ الْمَلِكِ لِيُزَالَهَا قَبْلَهُ وَمَعَهَا الْقِيَانُ يَقْنَعِينَ وَيَقْلَنُ :

ابْدَيْ بِمَمْلُوقٍ وَقَوِي وَارْكَبِي وَبَادِرِي الصَّبْحَ لِأَمْرٍ مُعْجِبِ
 فَسَوْفَ تَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِي بِكَرٍّ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرَبِ
 فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَاقَعَهَا وَخَلَّى سَبِيلَهَا نَخَرَتْ إِلَى قَوْمِهَا فِي دِمَائِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا
 مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ ، وَالْدَمُ يَبِينُ وَهِيَ فِي أَفْبَحِ مَنَظَرٍ وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ (١)
 لِأَخْذَةِ الْمَوْتِ كَذَا بِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ ذَا بَعْرِسِهِ

وَقَالَتْ تَحَرَّضُ قَوْمِهَا :

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيَكْمُو عَدَدُ النَّمْلِ
 وَتَصْبِحُ تَمْشِي فِي الدِّيارِ عَفِيرَةٌ عَفِيرَةٌ زُفَّتْ فِي النِّسَاءِ (٢) إِلَى بَعْلِ
 فَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْو نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُفَرِّقُ بَذَا الْفَعْلِ
 فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدَبُّوا النَّارَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

(١) بعده :

يَرْضَى بِهَذَا يَا قَوِي حُرٌّ أَهْدَى وَقَدْ أُعْطِيَ وَسِيقَ الْمَهْرُ

أَغَانِي ١١ : ١٦٦

(٢) فِي الدَّمَاءِ إِلَى الْبَعْلِ - تَجْرِيد ١٢٧٦ .

وإلا نخلوا بطنها وتحملوا إلى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على أذى ولموت خير من مقام على ذل
وإن أنتمو لم تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب^(١) من الكحل
ودونكمو طيب العروس فإنما خلقت لأثواب العروس وللغسل^(٢)
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا ويختال يمشى بيننا مشية الفحل
وكان أخوها الأسود سيداً مطاعاً ، فلما سمع مقالها ، قال لقومه : يا معشر جديس ،
إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا
وعليهم ، ولولا عجزنا وإدهاننا^(٣) ما كان له فضل علينا وعليكم ، ولو امتنعنا لكان لنا
منه النصف ، فأطيعوني فيما أمركم به فإنه عز الدهر وذهاب ذل العمر ، واقبلوا رأيي .
وكان قوله^(٤) قد أحمى جديسا فقالوا : نطيعك ، ولكن القوم أكثر وأقوى حمى .
قال : فإني أصنع للقوم طعاما ثم أدهوهم إليه جميعا ، فإذا جاءوا يرفلون في الحلل
ثرنا إلى سيوفنا ، وهم غارون^(٥) فأهمدناهم بها . قالوا : تفعل . فصنع لهم طعاما
كثيراً ، وخرج بهم إلى ظهر بلدهم ، وأتى عملاقا^(٦) يسأله أن يتغدى عنده هو
وأهل بيته فأجابه . وخرج معه أهله يرفلون في الحلي والحلل حتى إذا أخذوا بحالهم
ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الأسود على عملاق ،
وكل رجل منهم على رجل حتى أبادوهم ، فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة ،
فلم يدعوا منهم أحداً . فقال الأسود في ذلك :

(١) في الأصل : لا تعب

(٢) في الأصل : للغل ، (والتصويب عن الأغاني) .

(٣) في الأصل : واهدائنا . والإدهان : المصانة واللين ، مثل المداينة .

(٤) في الأصل : قولها . وهي في الأغاني والتجريد : قوله ، والسياق يقتضيه .

(٥) غارون = غافلون .

(٦) عمليقا وسأله (أغاني) .

ذوق ببغيك يا طسم^١ مجللة
 إنا أتينا فلم تنفل بقتلهمو^(١)
 فقد أتيت لعمري أعجب العجب
 والبغى هيج منا سورة الغضب
 ولن يمود علينا بغيهم أبدا
 ولم يكونوا لدى أنف ولا ذنب
 فإن رعيتهم لنا قربى مؤكدة
 كنا الأقارب في الأرحام والنسب

ولجا بقية طسم إلى حسان بن تبّع فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها ، فهرب
 الأسود قاتل عملاق وأقام بجبلى طيى قبل نزول طيى إياها ، وكانت طيى تسكن
 الجرف من أرض اليمن ، وهى اليوم محل مراد وهمدان ، وكان سيدهم يومئذ سامة
 ابن لوى بن الغوث بن طيى .

وكان الوادى مسبعة وهم قليل عددهم ، وكان يأتهم بعير في زمان الخريف ولا
 يرونه إلى قابل .

وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم ، فلما هموا بالظعن قالوا للأسامة : إن
 هذا البعير يأتينا في كل خريف من بلاد ريف وخضب وإنا نرى في بمره النوى ، فلو أننا
 نتهده عند انصرافه ، فشخصنا معه لعلنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا . فأجمعوا أمرهم
 على ذلك .

فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلما انصرف احتملوا واتبعوه
 يسرون [بسيره] حتى هبط على الجبلىين فهجمت طيى على الفحل في الشّباب فإذا هم
 برجل في شغب من تلك الشباب وهو الأسود قاتل عملاق فهالهم مارأوا من عظم خلقته
 ونحوه ، ونزلوا ناحية من الأرض فاستبروها^(٢) هل يرون بها أحدا ، فلم يروا بها

(١) إنا أتينا فلم تنفل بقتلهم .

(٢) استبروها : اختبروها من السبر وهو الاختبار ، وفي الأصل : اسبروها .

أحداً غيره ، فقال أسامة^(١) بن لؤى لابن له يقال له النوث : إن قومك قد عرفوا فضلك عليهم ، ولو كفيتنا هذا الرجل سُدَّتْ قومك آخر الدهر ، وكنت الذى أنزلتنا هذا البلد . فأتى إلى الأسود فكلَّمه وسأله ، فمَجِبَ الأسودُ من صِغَرِ خَلْقِ النوث وقال : من أين أقبلتم ؟ فقال : من اليمن . وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصِغَرهم عنه ، وشغَلَه بالكلام ، ورماه النوثُ بسهم فقتله . وأقامت طيُّ الجبلين بعده ، فهم هناك إلى اليوم .

(١) كذا في الأصل وفي التجريد - وقد سبق أن ذكر في مواضع أخرى أن اسمه سامة من غير همز أوله (انظر ترجمة على بن الجهم) .

ذكر عائشة بنت طلحة^(١)

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم . أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . كانت لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها زوجها مصعب في ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى وسعني بعيسم الجبال ، فأحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلى عليهم ، وما كنت لأستره ، والله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد . وطالت مرادة مصعب لها . وكانت شرسة الخلق ، وكذلك نساء بنى تيمم هن أشرس خلق الله ، وأحظا من عند أزواجهن .

وكانت أم إسحق بنت طلحة عند سيدنا الحسن بن علي ، رضى الله عنهما . وكان يقول : والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لا تكلمني . آلت عائشة من مصعب أن تكلمه ، وقالت : أنت على كظهر أمي . وقعدت في غرفة ، وهيأت لها ما يصلحها ، فجهد مصعب أن تكلمه فأبت ، فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسألها كلامه فقالت : كيف يميني ؟ فقال : الشعبي فقيه العراق فاستفتيه . فدخل عليها فأخبرته . فقال : ليس هذا بشيء ، فقالت : ما تخرج خائبا . وأمرت له بأربعة آلاف درهم .

وقال ابن قيس الرقيات لما رآها :

إنَّ الخليطَ قد أزمعوا ترَّكي فوقتُ في عَرَصاتهم أُنكي

(١) الأغاني ١١ : ١٧٦ (دار الكتب) والتجريد ٣ : ١٢٧٩ - مهذب الأغاني ٦ : ١٧٣

جَنِيَّةٌ بَرَزَتْ لَتَقْتُلَنِي^(١) مَطْلِيَّةُ الْأَثْوَابِ^(٢) بِالسَّكِّ

عَجَبًا لِمَثَلِكِ لَا يَكُونُ لَهُ خَرَجُ الْعِرَاقِ وَمَنْبَرُ الْمُلْكِ

وقيل إن مُصْعِبًا لما غَضِبَتْ عليه عائشةُ أَنْفَذَ إِلَيْهَا أَشْعَبَ فَقَالَ لَهُ أَشْعَبُ^(٣) :
مَا لِي إِنْ رَضِيتُ؟ قَالَ : حُكْمُكَ . قَالَ : عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . قَالَ : هِيَ لَكَ . فَأَتَاهَا ،
فَقَالَ : جَعَلْتُ فِدَاكَ قَدْ عَلِمْتُ حُبِّي لَكَ وَمَيْلِي قَدِيمًا وَحَدِيثًا إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ مَنَالَةٍ^(٤)
وَلَا فَائِدَةٍ ، وَهَذِهِ حَاجَةٌ قَدْ عَرَضَتْ تَقْضِيْنَ بِهَا حَقِّي . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ
لِي الْأَمِيرُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ إِنْ رَضِيتَ عَنْهُ . قَالَتْ : وَيْحَكَ ! لَا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ .
قَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِرْضَيْنِي عَنْهُ حَتَّى يُعْطِيَنِي الْمَالَ ، ثُمَّ عَوْدِي إِلَى مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ
مِنْ سُوءِ الْخَلْقِ . فَضَحِكْتَ مِنْهُ ، وَرَضِيتَ عَنْ مُصْعَبٍ ، وَأَخَذَ أَشْعَبُ الْمَالَ .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا عَزَّةُ الْمَيْلَةِ تَأْتِيهَا الْأَشْرَافُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَرْبَابِ
الْمُرُوءَاتِ . وَكَانَتْ مِنْ أَظْرَفِ النَّاسِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأُمُورِ النِّسَاءِ ، فَأَتَاهَا مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالُوا : إِنَّا خَطَبْنَا
فَانْظُرِي لَنَا . فَقَالَتْ لِمُصْعَبٍ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَمَنْ خَطَبْتِ؟ قَالَ : عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ .
قَالَتْ : فَأَنْتَ يَا ابْنَ أَحْيِيحَةَ . قَالَ : عَائِشَةُ بِنْتُ عُمَانَ بْنِ عِفَانَ . قَالَتْ : فَأَنْتَ
يَا ابْنَ الصَّدِيقِ . قَالَ : أُمُّ الْهَيْثَمِ بِنْتُ زَكْرِيَّا بْنِ طَلْحَةَ . فَقَالَتْ : يَا جَارِيَةُ هَاتِي مَنَقَلًا ،
تَعْنِي خُفْيَةً ، فَلَسْتُهُمَا ، وَخَرَجْتُ ، وَمَعَهَا خَادِمٌ لَهَا ، فَبَدَأَتْ بِعَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ ،
قَالَتْ : فَدَيْتُكَ ، كُنَّا فِي مَأْدُبَةٍ أَوْ مَأْتَمٍ لِقُرَيْشٍ ، فَتَذَاكَرُوا جَمَالَ النِّسَاءِ ، وَخَلَقَهُنَّ
فَذَكَرُوكَ ، فَلَمْ أَذَرِ كَيْفَ أَصِيفُكَ ، فَأَلْقَى ثِيَابَكَ ، ففعلت ، فَأَقْبَلْتُ وَأَذْبَرْتُ فَارْتَجَّ

(١) لَتَقْتُلَنِي (تَجْرِيد) .

(٢) الْأَثْوَابُ (تَجْرِيد) وهى جمع قرب بالضم : الحاصرة ، والجمع للتوسع .

(٣) فِي الْأَصْلِ : فَقَالَ لِأَشْعَبٍ ، وَالسِّيَاقُ غَيْرُ هَذَا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : مَقَالَةٌ .

كلُّ شيءٍ منها . فقالت لها عَزَّة : خذى ثوبك ، فدَيْتُكَ . فقالت عائشة : قد قضيتُ حَقَّكَ وبقيَ حَقِّي . قالت عزة : وما هو ؟ قالت عائشة : تغنيني صوتا ، فغنيتها :

خليلى عوجا بالمحلة من جُمَل

فقامت عائشة فقبلت بين عينيها ودعت لها بعشرة أثوابٍ وطرائفٍ من أنواع الفضة فأخذتها ، وأنت النسوة على مثل ذلك . وأنت القوم فى السَّقِيفَةِ ، فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبى عبد الله ، أما عائشةُ فلا والله ما رأيتُ مثلها مُقبلةً ولا مدبرةً ، مخطوطةُ المتنَّين ، عظيمةُ العَجَز ، ممتلئةُ الترائب ، نقيّةُ الثغْرِ وصفحةُ الوجهِ ، فرعاءُ الشعر ، ممتلئةُ الصدر ، خميصَةُ البطن ، ذاتُ عُكَنٍ ^(١) ، ضخمةُ الشَّرَّةِ يَرْتَجِحُ ما بين أعلاها إلى قديميها ، وفيها عيبان ؛ أحدهما يواريه الخمارُ ، والآخر يواريه الخلفُ - أى عظيمةُ القدم والأذن .

ثم قالت عزة : وأما أنت يا ابن [أبى] أحيحة ، فإنى والله ما رأيتُ مثل خلقِ عائشة بنت عثمان لامرأةٍ قط ، ليس فيها عيب ، كأنما والله أفرغت إفراغا ، ولكن فى الوجه رَدَّةٌ ^(٢) وإن استشرّتنى أشرتُ عليك ، قال : هاتى . قالت : عليك بوجه تستأنس به .

وأما أنت يا ابن الصَّدِّيق ، فوالله ما رأيتُ مثل أم الهيثم كأنها خُوطُ بانٍ ^(٣) تَنَنَّى ، أو كأنها جانٌّ يتثنى على رَمَل ، ولو شئتُ أن تعقِدَ طرفاها لفعلتُ فإنها شَخْتَةٌ ^(٤) الصدر وأنت عريضُ الصدر فإن كان كذلك كان قبيحا ، لا والله حتى يملأ كلُّ شيءٍ مثله .

قال : فوصاها الرجالُ والنساءُ وتزوجوهن .

(١) العكن جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٢) يقال فى الوجه ردة : أى قبح مع شيء من الجمال .

(٣) الخوط : الغصن الناعم .

(٤) فى الأصل : سخيقة والتصويب عن الأغاني ١١ : ١٧٩ .

وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بِمَخَالَتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
وكانت عائشة قد زَوَّجَتْهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وهو ابن أخيها ،
وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُدْرَتَيْهَا ، ولم تلد من أحد من أزواجها إلا
منه . ولدت له عمران وبه كانت تُكْنَى ، وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة
تَزَوَّجَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكُلُّهُمْ أَعْقَبَ ، وكان ابنها طلحة أجود أجواد قريش
وله يقول الحزين^(١) الدَّيْلِيُّ :

فَإِنْ تَكِ يَا طَلْحُ اعْطَيْتَنِي عُدَايِرَةً^(٢) تَسْتَخْفُ الضَّفَّارَا
فَمَا كَانَ نَفْعُكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَّازَا
أَبُوكَ الَّذِي صَدَّقَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُصْطَفَى حَيْثُ سَارَا
وَأُمُّكَ بِيضَاءُ تَيْمِيَّةً إِذَا نُسِبَ النَّاسُ كَانَتْ نُضَارَا

فصارمت عائشة زوجها عبد الله ، وخرجت من داره غضبي ، عليها ملحقة تريد
عائشة أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فرآها أبو هريرة فسبَّح الله وقال : سبحان الله ، كأنها من الحور
العين ، فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت
عائشة : إني أخاف عليك [الإيلاء]^(٣) ، فضمها إليه فقبل له : طلقها ، فقال من أبيات :
وإن فراق أهل بيت أحبهم لهم زلفةٌ عندي لأحدى العظامم
فموتى عبد الله بعد ذلك ، وهى عنده فافتحت فاها عليه ، فكانت عائشة أُمُّ
المؤمنين تُعد هذا عليها في ذنوبها التى تُعَدُّهَا .

(١) فى الأصل : الحسن بن الدئلى ، وما أثبتناه عن الأغاني ١١ : ١٧٩ .

(٢) العداير بالضم : العظيم الشديد من الإبل .

(٣) الزيادة عن التجريد .

ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألف درهم ، وأهدى لها مثل ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبد الله . فقال : إن مصعبا قدم أيره وآخر خيره . فبلغ قوله عبد الملك بن مروان . فقال : لكنه هو آخر أيره وآخر خيره ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب يؤنّبه على ذلك ، ويقسم عليه بأن يلحق به إلى مكة ، وكان لا ينزل بالمدينة ، ولا ينزل إلا البَيْداء . وقال له : إني لأرجو أن تكون الذي يُخَسَفُ^(١) به بالبَيْداء ، فما أمرتك نزولها إلا لهذا ، فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

وكان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاح ينالها منه وبضربها ، فشكا ذلك إلى أبي فروة كاتبه . فقال له : أكفيك هذا إن أذنت لي . قال : نعم ، إفعل ما شئت ، فإنه أفضل شيء تناله في الدنيا . فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال : نعم ، فأدخلته . فقال للأسودين : احفرا هنا بئرا ، فقالت له جارتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شؤم مولاتك^(٢) ، أمرني هذا الظالم أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فأنظرني أذهب إليه . قال : هيهات لا سبيل إلى ذلك . وقال للأسودين : احفرا ، فلما رأت الجد منه بكّت ، وقالت : يا ابن أبي فروة إنك لقانلي^(٣) قال : نعم ، وإني لأعلم أن الله ، عز وجل ، سيجزيه بعدك ، ولكنه قد غضب ، وهو كافر الغضب ، قالت : وفي أي شيء غضبه ؟ قال : من امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين إلى غيره ، فقد جن . فقالت : أنشدك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن أقتل ، فبكت وبكى جواربها ، فقال : قد رقت إليك ، وحلف لها أنه يُغرّر بنفسه . وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تضمّن عني

(١) في الأصل : تخف والصواب عن الأغاني والمهذب

(٢) في الأصل : مواليك (تجريد) .

(٣) في الأصل : لتأتلي .

أني لا أعود أبدا. قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيامي بحَقِّكَ ما عشتُ. فأخذَ الموائيقَ عليها ، وقال للأُسُودين : مكانكما ، وأتى مُصعبا فأخبره . فقال : استوثق منها بالأيمان ، قال : قد فعلت . وصلحت بعد ذلك لمصعب .

ودخل ، يوما عليها ، مصعب وهي نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤاتٍ قيمتها عشرون ألفَ دينار ، فأنبها ونثر اللؤلؤَ في حجرها ، فقالت له : نومتي كانت أحبَّ إلى من هذا اللؤلؤ .

وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بمائسة ، ولم يكن لها شبيه في زمانها حسنا ودُمائةً وجمالا وهيأةً وشارةً وعِفَّةً .

وإنها دعت نسوة من قريش يوما ، وأجلستهن في مجلس ، قد نضد فيه الريحانُ والفواكهُ والطيبُ والجَمَرُ ، وحلعت على كل امرأةٍ منهن خِلعةً من الوشْي والجبر ونحوها ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك واضمففته لها ثم قالت لعزة : هاتي يا عزة فغنيننا ، فغنتهن لامرئ القيس :

ونُفِرَ أَغَرَّ شَتِيَتِ النَّبَاتِ لَذِيذِ الْمُقْبَلِ : وَالْمُبْتَسِمِ
وما ذُقْتُهُ غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ وبالظنِّ يَقْضِي عَلَيْكَ الْحُكْمَ

وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوانٌ له فقام حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح بها : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا هزة .

ذكر علوية^(١)

هو علي بن عبد الله بن سيف .

وكان جده سيف من الصفد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان ، واسترق منهم جماعة ، اختصهم بخدمته ، وأعتق بعضهم ولم يعتق الباقين ، فقتلوه .

وقيل : إنه من أهل يثرب ، مولى لبني أمية ، وكنيته أبو الحسن .

كان مغنيا حاذقا وضاربا متقدما مع خفة رُوح وطيب مجالسة وملاحة نوادر .

غنى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمدة

يسيرة .

وكان سبب موته أنه خرج عليه جرب فشكاه إلى يحيى بن ماسويه فبعث إليه

بدواء مُسهلٍ وطلاء فشرب الطلاء واطلى بالدواء فقتله ذلك .

وكان الوائق يقول : غناء علويه مثل نقر الطست ، يبق ساعة في السمع بعد

سكوته . وكان مع هذا أعسر . وكان عودُه مطربا في يد غيره . البهم أسفل الأوتار ،

والمثلث فوقه ، والمثنى فوقه ، والزير فوقه . وكان العود في يده اليمنى ، ويضرب باليسرى .

كان عبد الله بن محمد الخَلنجي القاضي بن أخت علويه المغنى وكان تياها صليفا ،

فتقلد في خلافة الأمير قضاء الشرقية^(٢) وكان يجلس إلى أسطوانة من الأساطين

فيستند إليها بجميع جسده ، فإذا جاء الخصمان ترك الاستناد حتى يفصل بينهما ،

(١) أغاني (دار الكتب) ١١ : ٣٣٣ .

(٢) الشرقية : محلة بغربي بغداد ، شرقي باب البصرة (مراصد) .

ثم يعود إلى حالته . فعمد بعض الجبان إلى رُقعة من الرقاع فألصقها في موضع ذنبته بالدُّبُق (١) ومكن منها الدبق . فلما جاء وقعد وجلس إليها على عادته والتصقت ذنبته بالدُّبُق تقدم إليه خصمان ، فأقبل عليهما على عادته بجميع جسده فأنكشف رأسه وبقيت الذنبَةُ ملصوقة فقام الخلفجي مُغضبا ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، ففطى رأسه بطيلسانه ، وقام وانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال فيه الشعراء :

إِنِ الْخَلْفَجِيَّ مِنْ تَتَائِيهِ أَثْقَلُ بِادِّ لَنَا بَطْلَمَتِهِ
يَصَالِحُ الْخَصْمُ مِنْ يُخَاصِمُهُ خَوْفًا مِنَ الْجَوْرِ فِي قَضِيَّتِهِ
لَوْ لَمْ تُدَبِّقْهُ كَفَّ قَانِصِهِ لَطَارَ تَيْهَا عَلَى رَعِيَّتِهِ

واشتهرت الأبيات والقصة في بغداد ، وعمل له علويه حكاية أعطاها بعض المُخَنَّثِينَ ، فأخرجوه فيها ، وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ، ففضحه ، فاستعفى الخلفجي من القضاء ببغداد ، وسأل أن يولى بعض الكُور البعيدة فوُلِّيَ جندَ دِمَشْقَ أو رَحْمَ . فلما ولى المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخلفجي :

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَاشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
وَلَكِنِّهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ غَرِيَّةً بِهِجْرَى تَوَاصَوْا بِالنِّيمَةِ وَاحْتَالُوا
وَقَدْ صِرْتَ أَذْنَا لِلْوَشَاةِ سَمِيعَةً يَنَالُونَ مِنْ عَرَضِي وَلَوْ شِئْتَ مَا نَالُوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال : قاضي دمشق ، فأمر بإحضاره ، فوصل وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علويه ودعا بالقاضي فقال : أنشدني قولك :

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ

(١) الدبق : غراء أخضر اللون ينشر على قضبان توضع في الأشجار فينخدع الطير بها ويحتم عليها فتلصق به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبي ، ووالذي أكرمك بالخلافة ، وورثك ميراث النبوة ، ما قلت شعراً من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق ، فقال له : اجلس ، فجلس فناوله قدح نبيذ كان في يده ، وقال له : اشرب ، فأرعد وبكى وأخذ القدح من يده ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء قط مما يُختلف في تحليته . فقال : لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منهما ، فأخذ القدح من يده وقال : أم والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله ولكن لا تقولى لى القضاء أبداً لأنك رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انصرف إلى منزلك . فانصرف وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها : حرمت مرأى منك .

كان علويه يوماً يغنى بين يدي الأمين فغنى في بعض غنائه :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

وكان الفضل بن الربيع يطمئن عليه أشياء ، فقال للأمين : إنما يعرض بك ويستبطن المأمون في محاربتك إياك ، فأمر به فضرب خمسين سوطاً ، وجُر برجله حتى أخرج ، وجفاه مدة حتى ألقى نفسه على كوتر فترصاه له ، وأقره على خدمته ، وأعطاه خمسة آلاف درهم . فلما قدم المأمون تقرب بذلك إليه ، فلم يقع بحيث يحب . وقال : إن الملك بمنزلة الأسد أو النار فلا تتعرض لما يفضبه ، فإنه ربما جرى عليك ما يُقلقك ولا تقدر بعبد ذلك على تلافي ما فرط منك . ولم يعطه شيئاً .

ومثل هذه الحكاية ما حكاه إسحاق الموصلي ، قال : دخلت يوماً على الأمين فرأيتهُ مُغضباً كالحا ، فقلت : ما لأمر المؤمنين تم الله سروره ولا نغصه ؟ قال : أغاظني أبوك ، لارحمه الله ، والله لو كان حياً لضربتة خمسمائة سوط ، ولولاك لنبشت عظامه ، وأحرقتها في قبره . فقامت على رجلي ، وقلت : أعوذ بالله من سُخْطِكَ

يا أمير المؤمنين ، ومن هو أبي ؟ وما مقداره حتى تنقّظ منه ؟ وما الذي أغاظك ؟
فلم على أعذر عنه . قال : شدةُ محبّته للمأمون وتقديمه علىّ حتى قال في الرشيد شعراً
يُقدّمه فيه علىّ وغناه فيه ، وغنيته الساعة ، فأفقدني هذا الغيظ . فقلت : والله
ما سمعت بهذا قط ، ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه ، فما هو ؟ قال : قوله :

أبو المأمونِ فينسا والأمينَ له كنفانٍ من كرمٍ ولينٍ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لم يُقدّم المأمون في هذا لتقديمه إياه ، ولا لتفضيله
في الموالاة ، ولكن الشعر لم يصح له وزنه إلا هكذا . فقال : ينبغي له إذا لم يصح له
إلا هكذا أن يدّعه إلى لعنة الله . فلم أزل أداريه حتى سكّت ، فلما قدم المأمون سألني
عن هذا الحديث ، فحدثته به فجعل يضحك ويمجّب منه .

قال عبد الله بن طاهر : لو خُبِرْتُ لونا من الطعام لاخترتُ الدُّرَاجَةَ^(١) لأنّي
إن زِدْتُ في خَلِّها صارت سَكْبَاجَةً^(٢) ، وإن زِدْتُ في مائها صارت إسفيدباجةً ،
وإن زِدْتُ في تشبيطها صارت مُطَجَّنَةً^(٣) . ولو اقتصرتُ على رَجُلٍ واحدٍ لاقتصرتُ
على علّويه ؛ لأنه إن حدّثني ألهاني ، وإن غناني أشجاني ، وإن رجعت إلى رأيه
كفاني .

قال علّويه : أمرني المأمونُ يوماً أن نُبَاكَرَهُ ليصطبج ، فلقيني عبدُ الله بن إسماعيلَ
المراكبي ، مولى عَرِيبٍ ، فقال : أيها الظالم المعتدى ، أما ترحم ولا ترقُّ ؟ عَرِيبُ

(١) الدراج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر ؛ على خَلْقَةِ القَطَا
إلا أنه ألطف . وفي الأصل : الدحراجة .

(٢) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٣) مطجّنة : مقلّوة بالطاجن وكانت الكلمة في الأصل تقرأ (اسطججته) ، وما أنبتناه عن
الأغاني : ٣٤٢ .

هائمةً من الشوق إليك ، تدعو الله وتستحكه عليك ، وتحلم بك^(١) في يومها
وليلتها ثلاث مرات ، قال علويه : فقلت : أَمْرُ الخلافة^(٢) ومضيتُ معه ، فحين
دخلت عليها ، قلت : استوثقوا من الباب فإنى أعرفُ الناسَ بفضولِ الحجابة ،
وإذا عريبٌ جالسةٌ على كرسى تطبخ ثلاثَ قدورٍ من دجاج ، فلما رأتني قامت ،
وعانقني ، وقبلتني ، وقالت : أى شيء تشتهي ؟ فقلت : قدراً من هذه القدور ،
فأفرغت بيني وبينها قدراً ، فأكلنا ، ودعت بالنبيذ فصبت رطلا ، فشربت نصفه
وسقيني نصفه ، فما زلت أشرب حتى كدت أسكر . فقالت : يا أبا الحسن ، غنيت
البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية فأعجبني فاسمعه وأصلحه ، وغنت :

عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صفائي ، ولا إن صيرت طوعَ يديهِ
وَإِنِّي لِمَشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرِقُّ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ
فَقَالَتْ : قد بقي فيه شيء ، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه ، ثم قالت : أختارُ
أن تغني أنت أيضاً فيه لحناً ، ففعلت ، وجعلنا نشرب على اللحنين ملياً ، ثم جاء
الحجَّاب ، وكسروا الباب ، واستخرجوني ، ودخلتُ على المأمون ، وأقبلت أرقصُ
من أقصى الإيوان ، وأصفيق وأغني الصوت ، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه
فاستظرفوه ، وقال المأمون : اذُنُ يا علُوِيه ورُدَّه ، فرددته سبع مرات ، فقال لي
في آخرها عند قول الشاعر :

... .. يَرِقُّ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرْتُ عَلَيْهِ

يا علويه خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

قال علويه : قال لي إبراهيم الموصلي يوما : إني صَدَعْتُ صوتاً ، وما سمعه مني أحد ،

(١) في الأصل : وتحكه والتصويب عن الأغاني وفيه (نومها) مكان يومها ١١ : ٣٤٦ .

(٢) في الأغاني (أم الخلافة زانية) .

وقد أحببت أن أنفَعَكَ به وأرفعَ منك ، بأن أُلْقِيَه عليك وأهَبَه لك ، ووالله ما فعلتُ
هذا بإسحاق قط ، وقد خصصتك به فانقله وادِّعِه ، فليست أنُسِبَه لنفسى ،
وستكسب به مالا .

فألقى علىَّ في شعرٍ حاتمِ الطائي :

إذا كان لي نَفْسَانِ يا أُمَّ مَالِكٍ فإن لجارى منهما ما تَخَيَّرَا

فأخذته عنه ، وادَّعِيته ، وسترته ، طول أيام الرشيد والأمين ، خوفاً من أن
أُتهم فيه ، فلما حدث ما حدث وقدم المأمونُ من خراسانَ كان يخرج إلى الشَّامِسيَّة^(١)
دائماً يتنزّه ، فركبت يوماً في زَلَّالٍ^(٢) وجئتُ أتُبَعُه فرأيت حَرَاقَةً^(٣) علىَّ بن هشام
فقلت للملاح : اطرِدْ زَلَّالِي على الحَرَاقَةِ ، ففعل ، واستَوْدَن ، فدخلتُ ، وهو يشرب
مع الجوارى ، وما كانوا يحجبون جوارِيهم ، فغَنِيته الصوت فاستَحْسَنه جداً
وطرب عليه ، وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوت صَنَعْتَه وأهديته لك ، ولم يسمعه
أحد قبلك ، فازداد به عجباً وطرباً ، وقال لجواريه : خُذْنَه عنه ، فألقيته عليهن
حتى أخذنه فسرَّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجْد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن
أتحوَّلَ عن هذه الحَرَاقَةِ بما فيها وأرسلَهَا إليك . فتحوَّلَ إلى أخرى وسُلِّمَتْ إلىَّ
بما فيها ، وجميع آلاتها ، فبعت من ذلك بمائة وخمسين ألف درهم ، واشتريت به
ضيعتي الصالحية .

كان المعتصمُ يوماً يشرب ، والخليلُ تُعَرِّضُ عليه ، فعُرِضَ عليه فرسٌ كَيتٌ
أحمرٌ لم يُرَ مثله ، وبين يديه علويه ومخارق فتغامزا على الفرس فغنى علويه :

(١) الشَّامِسيَّة : صحراء كانت في أعلى بغداد .

(٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

(٣) الحارقة : السفينة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو .

إذا ما شربوها وانتشروا وهبوا كل جواد وطير
فتغافل عنه ، فغنى مخارق :

يهب البيض كالظباء وجردًا تحت أجلاها وعُسن الركاب
فضحك ثم قال : اسكتا يا ابني الزواني فليس يملكه أحد منكم .
ثم دار الدور فغنى علويه :

وإذا ما شربوها وانتشروا وهبوا كل بغال ومهر
فضحك وقال : أما هذا فنعم . وأمر لأحدهما ببغل والآخر بمهار .

قال محمد بن محمد الأبراري : كنت عند زليخة^(١) النخاس ، وكانت عنده
جارية ، يقال لها خشف ، ابتاعها من علويه ، ومعها رجل هاشمي من ولد عبد الصمد
ابن عليّ يقال له عبد الصمد ، وإبراهيم بن عمر بن تهبون وكان يحبها ، وأعطى
زليخة فيها أربعة آلاف درهم ، فلم يبعها منه وبقيت عنده ، حتى توفيت ، فغنمنا
أصواتنا ، ونحن عندها في رمضان فكان من غنائها :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم
وأبرزت طرفي نحوها لأجيبها وقلت لها قول امرئ غير متعجب
هنيئًا لكم قتلى وصفو مودتي وقد سيط في لحمي هواكم وفي دمي
ثم وثبت للانصراف ، فقال : قد اشتد الحر ، فأقيموا عندي ، فوجهت غلاما
معي ، وأعطيته دينارًا ، وقلت له : ابتع لنا فراريج بعشرة دراهم ، وثلجًا بخمسة
دراهم ، وعزمنا على الإفطار عندها ، فلما جاء الغلام بالفراريج والثلج دفعه إلى زليخة ،
وأمرناه بإصلاح الفراريج ألوانا ، وكتبْتُ إلى علويه فعرَّفْتُه خبرنا فجاء ، وأقام معنا ،

(١) في الأغاني : زليخة ١١ : ٣٥٣ وجاء في الأصل مرة زليخة ومرة زليخة .

وجاء العشاء ، وأفطرننا عند زهدة وشرب منا من استخار الشرب ، وغنى علويه ، وقام عبد الصمد ليبول ، فقال علويه : كل شيء عرفت معناه ، أما أنت فصديق الجماعة ، وهذا يتعشق هذه ، وهذا مولاهما ، وأنا ربيتها وعلمتها ، وهذا الهاشمي [أيش معناه؟ فقلت لهم:] ^(١) دعوني أحكمه وأخذ لزهدته منه شيئاً. فقال : والله لا أريد منه شيئاً فقال له : أنت أحق ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه. قال : إن كان هذا فنعيم. فقال : إذا جاء عبد الصمد فقل لي : ما فعل الآجر الذي وعدتني به ، فإن حاطي قد مال ، وأخاف أن يقع ، ودعني والقصة. فلما جاء الهاشمي قال لي زهدته ما أمرته به. فقلت : ليس عندي آجر ، ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي ، وجملت أنظر إلى الهاشمي نظراً متمرض به. قال الهاشمي : يا غلام دواة ورقعة ، فأحضر ذلك ، فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى معامل له ، وشربنا حتى السحور ، وانصرفنا . فجئت برقمته إلى الآجري ، ثم قلت له : بكم تبيع الآجر؟ قال : بسبعة وعشرين درهماً الألف . قلت : بكم تشتريه [منى]؟ قال بنقصان ثلاثة دراهم في الألف. قلت : هات ، فأخذت منه مائتين وأربعين درهماً ، فاشتريت بها نبيذاً وفاكهة ولحماً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيت زهدته مائتي درهم ، وعرفته الخبر ، ودعونا علويه والهاشمي ، وأقمنا عند زهدته ليلتنا الثانية فقال علويه : الساعة كما عرفت معنى الهاشمي ^(٢).

جری حدیثُ المأمونِ يوماً عند علويه فقال : كدتُ ، علم الله ، أهلك على يده دفعة ، لولا أن الله عز وجل سلمني ، ووهب لي حِلْمه. فقيل له : كيف كان السبب ؟ فقال : لما خرج إلى الشام كنتُ معه فدخلنا إلى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعلنا نطوف قصور بني أمية ، وتتبع آثارهم ، فدخلنا صحناً من صحنهم ، وإذا هو مفروش بالرخام الأخضر

(١) ما بين القوسين عن الأغاني ١١ : ٣٥٤ .

(٢) فقال علويه : نعم الآن صار للهاشمي عندهم موضع ومعنى (أغاني) ١١ : ٣٥٤ .

كله وفيه بركة ماء يدخل إليها الماء ويخرج منها ، وعين تصب إليها ، وفي البركة مسمار ، وبين يديها بستان ، على أربع زوايا أربع سرّوات^(١) ، كأنها قصت بمقراض ، مارؤى أحسن من التفافها ، قدًا وقدّرًا . فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح وقال :
هاتوا لي الساعة طعاما خفيفا . فأتى بزّماورد^(٢) فأكل ودعا بالشراب ، وأقبل على
وقال : غنني ونشّطني . فكان الله عز وجل أنساني كل غناء أعرفه إلا هذا الصوت
لعبيد الله بن قيس الرقيات :

لو كان حوّلي بنو أمية لم تنطق رجال أراهمو نطقوا
من كل قرم محض ضرائب عن منكبيّه القميص ينخرق
فنظر إلى مغضبا وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، ويلك ! ألم يكن لك وقت
تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرّض بي ؟ فتجلدت عليه ، وعلمت أني قد
أخطأت ، فقلت : أتلومني على أن أذكر بني أمية ؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب
في ثلاثمائة مملوك ، ويملك ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الضياع والخيل والرقيق ، وأنا
عندكم أموت جوعا . فقال : ألم يكن لك وقت تُذكرني به نفسك غير هذا ؟ قلت :
هكذا حضر في حين ذكرتهم . فقال : اعدل عن هذا ، وتنبه وغنّ . فأنساني الله عز
وجل كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت في شعر عمرو الوادي :

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فاستقدت لها ورأيت أمر غواية رشدا
فرماني بالقدح فأخطأني وانكسر القدح ، وقال : قم إلى لعنة الله وحرّ سميره .
وقام فركب ، فكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات .

(١) السروة : واحدة السرو وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قوم الساق .
(٢) الزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقل بالزبد والبيض - أو هو الرقاق الملفوف باللحم .

قال علويه : كنت أحفظ خمسة آلاف صوت وأُغنى ، والله ، أكثر من ذلك ، ذهب الجميعُ عني حتى كُأني لم أعرف غيرَ ما غَنَّيته. ولقد ظننت أنه لو كانت لي ألفُ رُوحٍ ما نَجَّتْ لي واحدةٌ منها ، ولكنه كان حليماً وكان في العمر بقية .

قال إسحق بن إبراهيم : دعاني الرشيد لما حجج ، فقال : صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة فإن هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً وهو :

ها فتاتان لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي وبالشباب على شَيْبِي يَدُ لَانَ
كلُّ الفَعال الذي يَفْعَلَنَّهُ حَسَنٌ يُضْرِنِي فَوَادِي وَيُبْدِي سِرَّ أَشْجَانِي
بل أَحْذَرُ أَصُولَةً مِنْ صَوْلِ شَيْخِيكُمَا مهلاً عن الشيخ مهلاً يا فتاتان
وله أُمٌ قَصِيرٌ إِلَيْهَا . وَأَقِمُّ عِنْدَهَا ، وَاحْتَلْ أَنْ تَأْخُذَهُ مِنْهُ ، قال : فَجِئْتُ أَسْتَقْدِلُ
حتى وَقَعْتُ عَلَى بَابِهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَيَّ فَوَهَبَتْ لَهَا مَائَتِي دَرْهَمٍ . وَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ تَحْتَالِي لِي
عَلَى ابْنِكَ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الصَّوْتَ الْفَلَانِي . فَقَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَدْخَلْتَنِي إِلَى مَنْزِلِهَا
وَأَمَرْتَنِي فَصَعِدْتُ إِلَى عِلِّيَّةٍ لَهَا ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ ابْنُهَا . فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَلِيمَانُ فَدَتْكَ أُمُّكَ
قَدْ أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ حَاسِرَةً مَهْمُومَةً فَأُحِبُّ أَنْ تَغْنِيَنِي :

ها فتاتان

فَقَالَ لَهَا : وَمَتَى حَدِثْ لَكَ هَذَا الطَّرْبُ ؟ قَالَتْ : مَا طَرَبْتُ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ تُفَرِّجَ
مِنْ هَمِّي . فَاَنْدَفَعُ فَعَنَاهُ . فَارَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْ غَنَائِهِ . فَقَالَتْ لَهُ أُمَةٌ : فَدَيْتُكَ قَدْ كَشَفَتْ
قِطْعَةً مِنْ هَمِّي ، فَاسْأَلْكَ أَنْ تَعِيدَهُ ، فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ مَا بِي نَشَاطٌ ، وَلَا أَشْتَرِي هَمِّي
بِفَرَحِكَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَعَدَّهُ مَرَّتَيْنِ وَلَكَ دَرْهَمٌ صَحِيحٌ تَشْتَرِي نَاطِظاً^(١) ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ
لَكَ دَرْهَمٌ ؟ وَمَتَى حَدِثْ لَكَ هَذَا الطَّرْبُ وَالسَّخَاءُ ؟ فَقَالَتْ : هَذَا فَضُولٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ .
وَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ دَرَاهِمَ وَغَنَاءَ مَرَّتَيْنِ فَدَارَ لِي وَكَادَ يَسْتَوِي . فَأَوْمَأَتْ إِلَيْهَا مِنْ فَوْقِ

(١) الناطف : ضرب من الخلوى يقال لها القبيطى .

أن تستريده ، فقالت له : بحقي عليك يا بني إلا أعدته . فقال : أظنك تريد أن تأخذه وتصيرى تغنيته ، قالت : نعم ، هكذا هو فقال : لا وحق القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر . فأخرجت الدرهم فأخذه وقال : أظنك قد تزددت وعبدت الكباش فهو ينقذ لك هذه الدراهم أو قد وجدت كنزا ، فغناه مرتين ، فأخذته واستوى لي ، ثم قام فخرج يمدو على وجهه ، فجئت الرشيد فغنيته وأخبرته القصة فضحك وأمر لي بألف دينار^(١) وقال : هذه عوض مائتي الدرهم .

ثم غناه إسحق بعد ذلك بين يدي الرشيد ، فطرب وأمر له بألف دينار ، فقال له ابن جامع ، وكان أحسد الناس : اسمع غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وغنى :

ولقد قالت لأترب لها كالمها يلعبن في حُجراتها
خُذْن عني الظل لا يتبمنى وعدت تسمى إلى قببتها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة درهم ، ثم تغنى :

يمشون فيها بـحل سافئة أحكم فيها القثير والخلق

فاستحسنه وأمر له بخمسمائة دينار ، ثم تغنى علويه :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعا به الرشيد وقال : يا عاض كذا وكذا من أمه ، تغنى في مدح المرد وذم الشيب ، وستارتى منصوبة ، وقد شئت كأنك تعرض بي . ثم دعا بمسرور وقال : اضربه ثلاثين درة^(٢) ولا يرد إلى مجلسه ، ففعل ذلك . ولم تنتفع بالرشيد بقيسة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ولا أذن له حتى سألناه فيه فأذن له .

(١) بألف دينار (أغاني) ١١ : ٣٦٢ .

(٢) الدرة : السوط يضرب به .

عبد الله بن الحشرج^(١)

هو عبدُ الله بن الحشرج بن الأثهب^(٢) بن وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة
ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
كان سيِّداً أميراً ، وَلِيَّ أَكْثَرِ أَعْمَالِ خِرَاسَانَ وفارس وكرمان .
وكان جواداً مُمدِّحاً . وفيه يقول زياد الأعجم :
إذا كنتَ مرتاد السِّمَاءِ خيراً رائد فسائِلْ تُخَبِّرَ عن ديارِ الأشاهِبِ
نسبة إلى الأثهب جده .

وفي بني الأثهب يقول النابغة الجعدي :
أبمد فوارسٍ يوم السِّدِّ فِ أُمِّسِي وَبَعْدَ بني الأَثَهِبِ
وكان أبوه الحشرج سيِّداً شاعراً ، وأميراً كبيراً .
وكان غلب على قُهْستان^(٣) في أيام المَسَيِّب بن أبي أوفى القُشَيْرِي فقتل الحشرجَ
وأخذ قُهْستان .

وكان عمُّه زياد بن الأثهب أيضاً سيِّداً شريفاً .
وكان قد صار إلى أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ليصلح بينه
وبين معاوية ، على أن يُؤاتيَه الشام ، فلم يجبه ، وفي ذلك يقول نابغة بني جمدة يَمْتَدِّ
على معاوية :

قام زيادٌ عند باب ابن هاشمٍ يريد الصلاحَ بينكم ويُقَرِّبُ

(١) أغاني ١٠ : ١٢٤ - مهذب ٤ : ١٩٦ .

(٢) في الأصل الأثيب والتصويب عن الأغاني - المهذب .

(٣) ويقال قوهستان : قصبة من قصبات خراسان .

جاء قدامة بن الأحرز إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقمستان فدخل عليه وامتدحه
بأبيات ، فأعطاه أربعة آلاف درهم . وقال : اعذرني فإنني في حالة الله بها عليم
من كثرة الطلاب ، وأنت أحق من عذرني . فقال : والله لو لم تمنني شيئاً مع ما أعلمه
من جهل رأيك في عشيرتك ، ومن انتقطع إليك لعذرتك ، فكيف وقد أجزلت
العطاء وأرغمت الأعداء ؟

وقال عبد الله بن الحشرج في ابن عم له يعاتبه :

أُطِلُّ حَمَلَ الشَّاءِ لِي وَبُغْضِي	وَعِشْ مَا شِئْتَ فَانْظُرْ مِنْ تَضِيرِ
فَمَا بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أَرْجِيهِ	وَغَيْرُ صَدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرِ
إِذَا أَبْصَرْتُني أَعْرَضْتَ عَنِّي	كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وَكَيْفَ تَعِيبُ مَنْ يَمْشِي إِلَيْهِ	فَقِيرٌ حِينَ تَحْزُبُكَ الْأُمُورُ
وَمَنْ إِنْ بَعَثَ مَنْزِلَةً بِأُخْرَى	حَلَّتْ بِأَمْرِهِ وَبِهِ بِشِيرِ

أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان ، حتى أعطى منسفة كانت عليه ، وفراشه
ولحافه ، فقالت امرأته : ما أشد ما تلاعب بك الشيطان ، فصرت من إخوانه مُبَذَّرًا
كما قال الله عز وجل « إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » فقال عبد الله بن الحشرج
لرفاعة بن دوى - وكان صديقه وأخاً - ألا تسمع إلى ما تقول هذه النوكى ، وما تتكلم به ؟
فقال : صدقت وبررت ، إنك لمبذّر وإن المبذّرين إخوان الشياطين . فقال عبد الله
ابن الحشرج :

سَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وَقَايَةً	مَنْ الدَّمُّ إِنْ الْمَالُ يَفْتَنِي وَيَنْفَدُ
وَيُبْقِي لِي الْجُودُ اصْطِنَاعَ عَشِيرَتِي	وغيرهم والجود عزٌّ مُخْلَدُ
وَمَتَّخِذِ ذَنْبًا عَلَى سَمَاحَتِي	بِمَالِي وَنَارُ الْبَخْلِ بِالدَّمِّ تُوقَدُ
يَبِيدُ الْغِنَى وَالْحَمْدُ لَيْسَ بِبَائِدٍ	ولكنه المرء فضيل مؤكَّدُ

ولا شيء يَبْقَى للفتى غيرُ جوده
ولائمةٍ في الجودِ نهنتُ غرَبها
فلما ألحَّتْ في الملامةِ واعتَرَّتْ
عرَضْتُ عليها خصلتين سماحتي
فلججتُ وقالت أنت غايِ مُبَدِّرُ
فقلت لها بيني فما فيك رغبةٌ
وعيشٌ أنيقٌ والنساءُ معادنُ
لها كلُّ يومٍ فوق رأسي عارضُ
وأخرى يلدُ العيشُ منها ضجيجُها
فيأرا حلاخراً اخذ القصدَ واركأا
فمش واحداً وارك مقالةً لائماً (١)
وجدُ باللهي إن السماحةَ والندى
وحسبُ الفتى مجداً سماحةً كفه
بما ملكت كفاءه والقومُ شهيدُ
وقلت لها بيني المكارمُ أحمَدُ
بذلك غيْرِي واعتراها التَّبدُّ
وتطليقها والكف عني أرشدُ
قريبك شيطانٌ مريدٌ مُفَنِّدُ
ولي عنك في النسوانِ ظلٌ ومَقْعَدُ
فمن غلَّ ضرُّها يتجددُ
من الشرِّ بَرَّاقٌ مدى الدهرِ سرمدُ
كريمٌ يغاديه من الطير أسعدُ
بلايا فإن الموت للناس مَوْعِدُ
يلومك في بذلِ الندى ويقنَدُ
هي الغايةُ القصوى وفيها التَّمجِدُ
وذو المجد محمودُ الفعالِ مُحَسَّدُ

فقال له امرأته : والله ما وفَّقَكَ اللهُ لحظك ، أنْهَبْتَ مالَكَ وبَذَرْتَهُ وأَعْطَيْتَهُ فلانا
وفلانا ، ومن لا تدرى من أى هاوية هو ، فغضب وطلَّقَهَا . وكان لها محبا فعَنَفَهُ
حنظلة بن الأشهب ابنُ عمه وقال له : نَصَحْتُكَ فكافَأَتْها بالطلاق . فوالله ما وَفَّقْتَ
لرُشدِكَ ولا نِلْتَ حظك ، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب ، فهلا مضيت
لِطَيِّبَتِكَ ورجعت على مَبْدَأِكَ ولم تلتفتِ إلى امرأةٍ من أهل الجَهالة والطيشِ لم تُخَلِّقْ
للمشورة ولا بمثل رأيها يُهْتَدَى وإنما خُلِقْتَ للباءة ، وإن الرُّشدَ واليُمنَ في خلاف
المرأة . فقال له الحشرج يخاطب حنظلة ويمدح بها محمد بن مروان :

(١) ناعما (مذهب) وعاذل مكان (لائم) .

أحفظلُ دع عنك الذي نال ماله
فكم من فقير بائس قد جبرته
ومن مقرفٍ عن منهج الحق جائرٍ
فشلك قد عاصيتُ دهرأ ولم أكن
أبى لى جدى البخل مذ كنت يافعا
ويستغن عنه الناس فاركب محجةا
ومستحق غار أنته نذيرتى
تفحت بيت يملأ الفم شارد
وليل دجوجى كان بظلامه
إلى ملك من آل مروان ماجد

ليحمدَه الأَقوامُ فى كلِّ محفلٍ
ومن عائل أغنيت بعد التَّعْيَلِ
علوت بمَضْبِ ذى غرارين ^(١) مفصل
لأسمع أقوال اللئيم البخل
سفيرا ومن يبخل يُلمَّ ويضلل
كرام ودع ما أنت عنه بمزِل
فلجَّ ولم يعرف مَعْرَةَ مقولى
له خبرٌ كأنه غير مقول
بناجية كالريح وجناء عيَل
كريم الحَيَّا سيد متفضل

(١) الغرار : حد السيف .

عبد الله بن جعفر الطيار^(١)

[حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد : قال أخبرنا يحيى بن الحسن ، قال : بلغني أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم ، أيام الموسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابي ما عندنا]^(٢) ما نصّلك به ، ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابي باب عبد الله ابن جعفر ، فإذا بغلة بالباب عليها متاعها ، وسيف معلق ، فخرج عبد الله من داره فأنشده الأعرابي :

أبو جعفر من أهل بيت نبوة	صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر ضنّ الأمير بماله	وأنت على ما في يدك أمير
وأنت امرؤ في هاشم من صميمها	إليك يصير المجد حيث تصير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرّجى	فلا تتركني في الفلاة أدور

فقال : يا أعرابي [سار الثقل]^(٣) فدونك الراحلة وما عليها ، وإياك أن تُخدع من السيف ، فإني أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابي يقول :

حباني عبّد الله نفسي فداؤه	بأغيّس موار سباط مشافره
وأبيض من ماء الحديد كأنه	شهاب بدا والليل داج عساكره
وكلّ امرئ يرجو نوال ابن جعفر	سيجزّيه باليمن والنسر ^(٤) طائرُه

(١) أغاني ١٢ : ٢١٥ - تجريد : ١٤٠٦ .

(٢) ما بين القوسين يياض في الأصل وما أثبتناه هو صدر الحسبر المروي ووصل لما أنقطع

(أغاني ١٢ / ٢١٧) .

(٣) ما بين القوسين يوضح المعنى ويتفق مع السياق ، وهي عن الأغاني وجاءت الثقل بدل كلمة

(البغل) في الأصل .

(٤) والبشر (أغاني) .

فياخيرَ خلقِ الله نفساً ووالداً وأكرمَه للجارِ حينَ يُجاوِرُه
سأُثبني بما جاوَرْتَنِي ^(١) يا ابنَ جعفرِ وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافرُه
جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر في المنام كساني من الخزِّ دُرّاعه
شكوت إلى صاحبي أمرها فقال ستؤثني بها الساعه
سَيَكْسُوكمُ الماجدُ الجَعْفَرِيُّ ومن كَفَّه الدَّهْرَ نَفَّاعه
ومن قال للجود لا تعدُّني فقال له السمعُ والطامه

فقال عبد الله لغلامه : ادفع إليه دراعتي الخز ، ثم قال له : كيف لم ترَ جُبَّتِي
المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار ، فقال له : دغني أغني غفوة أخرى
لعل أراها فضحك منه ، وقال يا غلام : ادفع إليه جُبَّتِي الوشي .

كان أهل المدينة يتداينون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .
قال ابن سيرين : جلبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّرًا فكسَدَ عليه . فقيل له : لو
أهدَيْتَه إلى عبد الله بن جعفر ، ليقبَلَنه منك ، وليعطينك الثمن ، فأتى ابن جعفر ،
فأخبره ، فأمره بإحضاره فبُسطَ ثم أمر به فنثر ثم قال انتهبوه . فقال صاحبه : جعلت
فداك ، آخذُ معهم قال : نعم ، فجعل الرجل يهيلُ في غرارة . ثم قال له عبد الله : كم
ثمنُ سُكَّرِكَ ؟ قال : أربعة آلاف درهم . فأمر له بها فأخذها . ثم قال الرجل : إن
هذا لا يعقلُ آخذَ أم أعطى ، لأطالِبَنه بالثمن ، ثم غدا عليه فقال : أصلحك الله ثمنُ
سُكَّرِي فأطرق ابن جعفر ملياً ثم قال : يا غلام أعطه أربعة آلاف درهم ، فأعطاه إياها
ثم غدا عليه فقال : أصلحك الله ثمنُ سُكَّرِي فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال : يا غلام
أعطه أربعة آلاف درهم ، فلما ولى ليقبضها قال له عبد الله : يا أعرابي هذه تمام
اثني عشر ألف درهم ، فأنصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

وروى مثل هذا عن أعرابي باع راحلته من عبد الله ، وعاوده في ثمنها ثلاثا ، وهو يأمر له به : فقال له الأعرابي :

لا خير في المُجْتَدِي في الحين ^(١) يسأله فاستمطروا من قريش كل مُخْتَدِع
تخال فيه إذا حاورته بلهًا من جوده وهووا في العقل والورع

وروى هذا الشعر لابن قيس الرقيات

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر فراح يوماً إلى الجمعة ، وهو يقول :
اللهم إنك عودتني عادة جريت عليها فإن كان ذلك قد انقضى ، فاقبضني إليك ،
فتوفي بعد الجمعة الأخرى وهو ابن تسعين سنة في عام ثمانين بالبحاف ، وهو
سيل كان بمكة ، أجحف بالناس ، فذهب بالإبل عليها الحمول .

وكان والي المدينة أبان بن عثمان ، وصلى عليه أبان وشهده أهل المدينة كلهم .
وكان رحمه الله مأوى المساكين وملجأ الضمفاء فما تنظر إلى ذي حجاب إلا رأيت
مستعبراً قد أظهر الجزع والهلع عليه .

فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان على شفير القبر ^(٢) وقال : رحمك الله
يا ابن جعفر ، فوالله إنك كنت لرحمك وصولاً ، ولأهل الشر مغبضاً ولأهل الريبة
قالياً ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

رَعَيْتَ الَّذِي [قد] كان بيني وبينكم من الودّ حتى غيبتك المقابر
فرحمك الله يوم ولدت ، ويوم كنت رجلاً ، ويوم مت ، ويوم تبعث حياً ، والله
إن ^(٣) كانت هاشم أصيبت بك ، لقد هم قريشا كلها هلكك ، فما يُظن أن يرى
بعدك مثلك

(١) في الأصل (الحب) والتصويب عن الأغاني ١٢ : ٢٢٠ .

(٢) في الأصل المنبر والتصويب عن الأغاني .

(٣) لئن (أغاني) .

وقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال : لا إله إلا الله ، الذي يرث الأرض ومن عليها ، وإليه ترجعون . ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر ، وما أقبح^(١) ما أصبح بعدك ، والله لو كانت عيني دامة على أحد لدمعت عليك . كان والله حديثك غير مشرب بكذب وودك غير ممزوج بكدر .

فوثب ابن المغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن [تعرض]؟^(٢) بمزج الود شوب الحديث أقبا بنى فاطمة رضى الله عنهما ؟ فهما والله خير منك . فقال : على رسلك ، أردت أن أدخلك معهم ، هيهات لست هنالك ، والله لو مت أنت ، ومات أبوك ، ما مدحت ولا ذمت ، فتكلم بما شئت فليست واجدا مجيبا فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان إذ حجزوا بينهما وانصرفوا .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات في علة عبد الله التي مات فيها :

بات قلبي تشفه الأوجاع	من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمعته منع الذو	مَ فقلبي مما سمعت يُراعُ
إذ أتانا بما كرهنا أبو اللِّسلا	سـ كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعا ^(٤)	أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم	بك لا بالذي عَنيت الصداع
ابن أسماء لا أبالك تعنى	إنه غير هالك نقاع

(١) ما أسمع (أغاني) .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٣) في الأصل اللباس وما أثبتناه عن الأغاني ج ١٢ : ٢٢٢ .

(٤) في الأصل : (قال ما كان من أراح سريعا ..) وما أثبتناه عن الأغاني والمهذب .

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار^(١)

[هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف] وأمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد ، ولم يكن في ولد عبد الله
مثله . ولما ولد معاوية كان أبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك ، وعرف معاوية
الخبر فقال له : سمَّه معاوية ، ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال فأعطاه عبد الله
الذي بَشَّرَ به .

قال المدائني : وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ، ويقول : إن يرد الله بهم
خيرا يتأدبوا ، فلم يَنْجُبْ فيهم غير معاوية .

كان معاوية بن عبد الله صديقا ليزيد بن معاوية ، فسمى ابنه يزيد معاوية أيضا .
ولما حضرت عبد الله الوفاة دعا ابنه معاوية ، فزِعَ شَنْفًا^(٢) كان في أذنه وأوصى^(٣)
إليه ، وفي ولده من هو أسنَّ منه ، وقال له : إني لم أزل أوهَّلك لها ، فلما توفي
احتال لدين أبيه حتى قضاه ، وقسَّم أموال أبيه بينه وبين ولده ، ولم يستأثر عليهم
بشيء .

وأم عبد الله بن معاوية أمُّ عون ، وهي أسماء بنت عياش^(٤) بن أبي ربيعة
ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعياش ممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
وشهد معه حنيننا ، وثبت معه فيها .

(١) الأغاني ١٢ : ٢١٥ وما بين القوسين عنه وهو بياض في الأصل .

(٢) الشنف : القرط .

(٣) في الأصل : وأفضى : والتصويب عن الأغاني ١٢ / ٢٢٥

(٤) ويقال : بنت عباس (أغاني) .

وكان عبدُ الله من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهبِ في دينه ، وكان يُرمَى بالزندقة ، واستولى عليه من يُعرفُ بها . استخدم عمارة ابن حمزة كاتباً ، وكان زنديقاً ، ونادم مطيعَ بن إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، ونادم شخصاً يعرف بالبقل ، وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول الإنسان كالبقل ، فإذا مات لم يَرَجِعْ ، فقتله المنصور لما ولي الخلافة ، [وكان هؤلاء الثلاثة خاصته] ^(١) وكان له صاحبُ شرطة يقال له قيسٌ وكان دهرياً لا يؤمن بالله تعالى ، معروفاً بذلك ، وكان يعس ^(٢) بالليل فلا يلتقى أحداً إلا قتله ، فدخل على ابن معاوية يوماً فقال :

إِنْ قَيْسًا وَإِنْ تَقَنَّعَ شَيْبًا لَخَيْثُ الْهَوَى ^(٣) عَلَى شَمَطِهِ
ابْنُ تَسْمَعِينَ مَنْظَرًا وَمَشِيبًا وَابْنُ عَشْرِ بَعْدُ فِي سَقَطِهِ

وأقبل على ابن مطيع فقال له : أجز ، فقال :

وَلَهُ شُرْطَةٌ إِنْ أَجَنَّهُ اللَّيْلُ فَمَوْذُوا بِاللَّهِ مِنْ شُرْطِهِ

وكان ابنُ معاوية أفسى خلقِ الله قلباً ، كان يأمرُ بالرجل فيضرب بالسياط ويتغافلُ عنه بالحديث حتى يموت ، تحت الضرب ، وضرب رجلاً فجعل يستغيثُ ولا يلتفت إليه . فقال له : يا زنديق ! أنت الذي تزعم أن الله يورحى إليك ؟ فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

وغضب يوماً على غلام وهو في غرفة له بإصبهان ، فأمر أن يرمى به منها إلى أسفل ، ففعل به ذلك فسقط وتعلق بدرازين كان على الغرفة ، فأمر فقطعت يده التي تعلق بها ، ومر الغلام يهوى إلى الأرض فمات .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) عس يعس : طاف بالليل .

(٣) في الأصل : الحبيب .

وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان ، ثم انتقل منها إلى نواحي الجبل ، ثم إلى خراسان فقتله أبو مسلم هناك .

وكانت كنيةُ عبد الله بن معاوية أبا معاوية .

وكان عبدُ الله بنُ معاوية قدم زائراً ومستمياً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شيث^(١) بن ربيعي الرياحي ، فلما وقعت المصيبة أخرجته أهل الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : أنت أحق بهذا الأمر ، واجتمع له جماعة ، فلم يشعر عبد الله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه ، وبأيعه^(٢) جماعة من أهل الكوفة ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه ، وقالوا له : ما فينا بقية وقد قُتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس ، ونواحي المشرق ، فجمع جموعاً وخرج معه عبد الله بن العباس التميمي ، ودس ابن عمر إلى رجل من أصحاب عبد الله بن معاوية يقال له [ابن]^(٣) حمزة وعده بمواعيد على أن ينهزم عنه ، وتنهزم الناس بانهزامه ، فبلغ ذلك عبد الله بن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال لهم : إذا انهزم [ابن] حمزة فلا يهولنكم ذلك ، فلما التقوا انهزم [ابن] حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غيرُ عبد الله بن معاوية وحده ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تَفَرَّقَتِ الطَّبَائِلُ عَلَى خِرَاشٍ^(٤) فَمَا يَدْرِي خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ

ثم ولي وجهه منصرفاً ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه ، حتى صار في عِدَّةٍ وغلب على مياه البصرة ، وماء الكوفة^(٥) ، وأقام هو بإصبهان ،

(١) شيث (تجريد) ١٤١١ .

(٢) في الأصل : ماله .

(٣) زيادة (ابن) عن التجريد والأغاني .

(٤) خدش (التجريد) .

(٥) فقلب على ماء الكوفة وماء البصرة (تجريد) - وماء الكوفة : الدينور ، وماء البصرة :

نهاوند .

وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب^(١) بن موسى ، مولى لبني يشكر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا: علام نبائع ؟ فقال : على ما أحببتم وأردتم^(٢) . فبايعوه على ذلك .

وكتب إلى سائر الأمصار يدعو إلى نفسه ، لا إلى الرضا ، واستعمل أخاه الحسن على إصطخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه عليا على كرمان وأخاه صالحا على قم ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعا ، منهم السفاح والمنصور وعيسى^(٣) بن علي ، ووجوه بني أمية : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعمرو بن مهمل بن عبد العزيز ابن مروان ، فمن أراد صلته وصله ، ومن أراد عملا ولأه ، ولم يزل مقبلا بهذه النواحي حتى ولي مروان بن محمد الحمار ، فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى قرب من إصبهان ، فندب ابن معاوية أصحابه للخروج لقتاله ، فلم يفعلوا ، فخرج هو وإخوته على دهرش ، قاصدين خراسان وقد خرج أبو مسلم بها ، وثقى منها نصر بن سيار ، فلما صار إلى بعض الطريق نزل على رجل من التناء^(٤) ذي مروءة ونعمة وجاء فسأل [ذلك الرجل] ابن معاوية . فقال له : أنت من ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيم الإمام^(٥) الذي يدعى إليه بخراسان ؟ قال : لا . قال : فلا حاجة لي في نصرتك ، فخرج إلى أبي مسلم فحبسه عنده ، وجعل عنده عينا عليه يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس على وجه الأرض أحق من أهل خراسان ، في طاعتهم لهذا الرجل ، وتسليمهم مقاليدهم إليه ،

(١) في الأصل محمد وما أثبتناه عن الأغاني والتجريد .

(٢) وكرهتم (تجريد) .

(٣) في الأصل : موسى وما أثبتناه عن الأغاني والتجريد .

(٤) التناء جمع تاني وهو الدهقان زعيم فلاحى المعجم أورئيس الإقليم .

(٥) في الأصل ابن الإمام والتصويب عن الأغاني والتجريد .

من غير أن يراجعوه في شيء ، أو يسألوه عنه ، والله ما رضىت الملائكة بهذا ، من الله عز وجل ، حتى راجعوه في آدم عليه السلام ، فقالوا : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » حتى قال لهم « إني أعلم ما لا تعلمون » .

ثم كتب عبد الله بن معاوية إلى أبي مسلم يستعطفه برسائلته المشهورة ، التي يقول فيها : إلى أبي مسلم من الأسير في يده بلا ذنب إليه ، ولا خلافٍ عليه ، أما بعد فإنك مُسْتَوْدَعٌ ودائع وموَلَّى صنائع . وإن الودائع مَرْعِيَّةٌ ، وإن الصنائع عَارِيَّةٌ ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، وأنبئني للفكر قلبك ، واتفق الله ربك ، وآثر طاعته فيما يلقاك أبداً^(١) ، فإنك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت . فلما قرأ كتابه روى به ، ثم قال : لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا ، وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج ومَلَكَ أَمْرُنَا لأَهْلَكْنَا . ثم أمضى تديره في قتله ، وقيل دَسَّ إليه سمَّات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فجمله إلى مروان .

ولما قاتل مروان عبد الله بن علي بقرب الزَّابِ سأل عنه ، فقيل : هو الشابُّ المصفر^(٢) الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جىء برأسه إليك ، فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كل ذلك يحال بيني وبينه ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ومن شعر عبد الله بن معاوية في صديق له يقال له قُصَيُّ بن ذكوان ، وكان قد عتب عليه فقال :

رَأَيْتُ قُصَيًّا^(٣) كَانَ شَيْئًا مُلَفَّقًا فَحَصَّه التَّكْشِيفُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِمَدِّ مَا بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا

(١) غدا .

(٢) المصفر (تجريد) وفي الأصل الأصفر .

(٣) حبينا (أغاني) ١٢ : ٢٣٣ .

وعين الرضا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ ^(١) كَلِيلَةٌ ولكن عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
وَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ يَكُنْ لِي حَاجَةٌ فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا
وقيل : إن هذه الأبيات قالها الحسين بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان
متصافيين ^(٢) فتهاجرا وأن أولها :

وإن حسينا كان شيئا ملففا

ومن شعره :

إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ ^(٣) افتقارها عليها فلم يَظْهَرْ لها أَبْدَأُ فَقَرِي
وإن تَلَقَّنِي في الدهر مندوحة الفنى يكن لأَخِلَّائِي التَّوَشُّعُ في اليُسْرِ
فلا العُسْرُ يُزِرِي بِي إذا هو نالني ولا اليُسْرُ يَوْمًا إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ تُخْرِى
قال إبراهيم الموصلي : بينا نحن عند الرشيد ، أنا وابن جامع ، وعمرو الغزالي
إذ قال صاحب الستارة لابن جامع : تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، ولم يكن ابن جامع
يُغَنِّي في شيء منه ، فأَرْجَحَ عَلَيْهِ وَقَطِنْتُ لما أَرَادَ من شعره ، فلما رأيت ما حَلَّ بِهِ اندفعتُ
فغَنيت فيه :

أَلَا تَزَعُ الْقَلْبَ عَنْ جَهْلِهِ وِعَمَاتُ نَبٍّ مِّنْ أَجْلِهِ
فَأُبْدِلُ ^(٤) بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأُقْصِرُ ذَوَالْعَدْلِ عَنْ عَدْلِهِ
فَلَا تَرَكْبَنَّ ^(٥) الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى فِعْلِهِ
وَلَا يُعْجِبَنَّكَ قَوْلُ أَمْرِي يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ
وَلَا تُتَّبِعِ الطَّرْفَ مَا لَا تَنَالُ وَلَكِنْ سَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ

(١) في الأصل : سَخَط .

(٢) في الأصل : وكانا متصافيين فيها خيرا ، والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأصل : فَضْرَب .

(٤) تبديل (تجريد) :

(٥) في الأصل : تتركن - مثله : (مكان فعله) .

فكم من مُقِلِّ ينال الغنى ويحمد في رزقه كله
 بهيم بجمل وما إن يرى له من سبيل إلى جملة
 كأن لم يكن عاشقاً قبله وقد عشق الناس من قبله
 فمنهم من الحب أودى به ومنهم [من] اشقى على قتله

فإذا يد قد رفعت الستارة فنظر إلى وقال : أحسنت والله فأعذ ، فأعدته ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه ، فمر الغلام يسمى فإذا بدرة دنائير ، قد جاءت يحملها فرأش ، فوضعت تحت نخدي اليسرى ، وقال لي : اجعلها تكاءك ، فلما انصرفنا قال ابن جامع : هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل يومك ؟ قلت : ما من شعر قيل في الجاهلية والإسلام يدخل في الغناء إلا وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي منزل بك . فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة : يا ابن جامع تغن في شعر عبد الله ابن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس فلما رأيت ما حل به اندفعت أغنى :

يا قوم كيف سواغ عيب شئ ليس تؤمن فاجماته
 ليست تزال مطلة تغدو عليك منقصاته
 الموت هول داخل يوماً على كره أناته
 لا بد للحدير النفوس ر من أن تقصصه روماته
 قد أمنح الود الخليب ل بغير ما شيء رزاته
 وله أقيم قناة ود دي ما استقامت لي قناته

قال : فأومأ إلى صاحب الستارة أن أمسك ووضع يده على عينيه كأنه يورى إلى أنه يبكي فأمسكت وانصرفنا ثم حضرنا بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا المجلس ، قال ابن جامع بكلام خفي ، اللهم أنسه ذكر ابن جعفر . فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحب الستارة : يا ابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية ، فقال ابن جامع :

لو كان في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع جدّه ولم يقل الشعرَ ، فسمعنا ضحكةً من وراء الستارة واندفعت أغنى :

سَلَا رَبَّةَ الْخَذِرِ مَا شَأْنُهَا	ومن أيّما شأْنِنا تَعْجَبُ
فلست بأوّلِ مَنْ قَاتَهُ	على رأيه (١) بِمَضْ ما يَطْلُبُ
وَكأنْ تَعْرِضَ مَنْ خَاطِبِ	فَزُوجَ غَيْرِ الذِي يَخْطُبُ
وَكنا حَدِيثًا صَفِيّينِ لَا	نَخافُ الوِشاةَ وما سَبَّبوْا
فإن شَطَطَ الدارِ عَنّا بِهَا	وَبانتْ فِى الناسِ مُسْتَعْتَبُ
فأَصْبَحَ صَدْعُ الذِي بَيْنَنا	كَصَدْعِ الرّجاجةِ لَا يُشْعَبُ
وَكالدَّرِّ لَيْسَتْ لَهُ رَجْعَةٌ	إلى الضَّرْعِ مِنْ بَعْدِ ما يُحْلَبُ

فقال صاحبُ السّتارة: أَعِدْ، فَأَعَدْتُ ، فَأَحْسِبُ الرّشيدَ نَظَرَ إلى ابنِ جامِعِ كاسِفَ البالِ فأمرَ له بِمِثْلِ ما أمرَ بالأَمْسِ ، فجاءوا بِبَدْرَةٍ دَنائِرٍ فَوَضِعَتْ تَحْتَ نَحْذِهِ اليُسْرَى ، وكان ابنُ جامِعِ حَسوداً : فلما انصرفنا قال : اللهم أرِحْنا من ابنِ جَعْفَرٍ هَذَا ، فما أَشَدُّ بُغْضِي لَهُ ولقد بَغِضَ إلى جدّه ، فقلت له : ويحك ما تَدْرِي ما تقول ؟ قال : فمن يَدْرِي ما يَقول ؟ وددت أنى لم أرَ إقباله عَلَيْكَ ، ولا على غنائِكَ فى شِعْرِ هَذَا البَغِيضِ ، وإِنى تَصَدَّقْتُ بِها - يَعْنِي البَدْرَةَ .

هذا الصوت الذى هو :

سَلَا رَبَّةَ الْخَذِرِ مَا شَأْنُهَا

يقوله عبدُ الله بن معاوية فى زوجته ، أمُّ زَيْدِ بنتِ عَلى بنِ الحُسَيْنِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ كانَ خَطَبَ رَبيحةَ بنتِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلى بنِ عبدِ الله بنِ جَعْفَرٍ ، وخطبها بَكَّارُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فَتَزَوَّجَتْ بَكَّاراً فَشَمِيتُ أمُّ زَيْدٍ بِزَوجِها عبدَ الله بنِ معاوية ، فقال هذا الشعرُ فيها ، فقالت له : والله ما شَمِيتُ ، وَلَكِنى نَفَسْتُ عَلَيْكَ . فقال لها : لا جَرَمَ والله لَأَسوَأُ نَكا ما حَييت .

(١) إربه (أغانى وهذب) .

عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ^(١)

هو عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ معاوية بْنِ ضِيَاب^(٢) بْنِ جَابِرِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ غَيْظِ بْنِ مُرَّةِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَنِيضِ بْنِ الرَّيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ غِيلَانَ بْنِ مَضَرَ .

ويكنى أبا العَمَلَسِ وأبا الجَرْبَاءِ .

وَأُمُّ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ هِيَ عَمْرَةُ الْعُورَاءُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ بْنِ مُرَّةِ ابْنِ نُسْبَةَ بْنِ غَيْظِ بْنِ مُرَّةِ .

وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ .

وعَمْرَةُ الْعُورَاءُ هَذِهِ أُخْتُ الْبَرَّصَاءِ ، أُمُّ شَبِيبِ بْنِ الْبَرَّصَاءِ وَاسْمُ الْبَرَّصَاءِ قُرْصَافَةُ .
أُمُّهَا بِنْتُ نَجْبَةَ بْنِ رَيْمَةَ بْنِ رَبَاحِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَمْحٍ .

وعَقِيلُ شَاعِرٌ مَجِيدٌ ، فَصِيحٌ مَقْلٌ ، مِنْ شُعْرَاءِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ أَعْرَجَ جَافِيَا شَدِيدَ الْهَوَجِ وَالْفَخْرِ بِنَسَبِهِ مِنْ بَنِي مُرَّةَ ، لَا يَرَى أَنْ لَهُ كَفْثًا . وَهُوَ فِي بَيْتِ شَرْفٍ فِي قَوْمِهِ مِنْ كِلَا طَرَفَيْهِ .

وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَرْغَبُ فِي مَصَاهِرَتِهِ ، وَتَزُوجُ إِلَيْهِ خُلَفَاؤُهَا وَأَشْرَافُهَا .

تَزُوجُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَتَهُ الْجَرْبَاءَ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ مَعَ ابْنِ عَمِّهَا مَطِيعِ بْنِ قُطَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ معاوية .

وَوَلَدَتْ لِيَزِيدَ .

وَتَزُوجُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ابْنَتَهُ عَمْرَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ يَمْقُوبَ بْنَ مَسْلَمَةَ ،

وَكَانَ [مِنْ] أَشْرَافِ قَرِيشٍ وَأَجْوَادِهَا .

(١) أَغَانِي، ١٢ : ٢٥٤ تَجْرِيد ١٤٢١ .

(٢) أَغَانِي وَتَجْرِيد ، فِي الْأَصْلِ : صَاب .

وتزوج ابنته أمّ عمرة ثلاثة من بني الحكم بن أبي العاص؛ يحيى والحارث وخالد .
دخل عقيل بن علفة على عثمان بن حيان ، وهو يومئذ على المدينة ، فقال له عثمان :
زوجني ابنتك . قال : أبكرة [من إيلي] تعني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أجمنون
أنت ؟ قال : أي شيء قلت لي ؟ قال : قلت لك : زوجني ابنتك . قال : إن كنت
عنيّت بكرة من إيلي فنعيم . فأمر به فوُجئت عنقه ، فخرج وهو يقول :

كفّا بني غيظ الرجال فأصبحت بنو مالك غيظا وصيرنا كمالك
لما الله دهرأ ذعزع^(١) المال كله وسودّ أشباه الإماء الموارك

كان لعقيل جار من بني سلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته فغضب عقيل وأخذ
السلاماني فكتفه ودهن استه بشحم وألقاه في قرية النمل ، فأكل النمل خصاءه ،
وورم جسده ، ثم حله . وقال : خطب إلى عبد الملك فردّته وتجرى أنت على !!

أجدبت مراعي بني مرة فانتجع عقيل أرض جذام ، وقربهم عذرة . قال
عقيل : فجاءني هني مثل البعرة ، فخطب إلى ابنتي أمّ جعفر ، فخرجت إلى أكمة
قرية من الحى ، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب ، ثم تحملت فخرجت ، فاتبعني جمع
من حن من بطون عذرة فقالوا : اختر ؛ إن شئت حبسناك وإن [شئت] حذرناك
وبعرة من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلىنا عنك ، فأرسلوا بعرة فسبقتها ، فخلّوا
سبيل ، فقلت لهم : ما طمعتم بمثل هذا من أحد قط ، فقالوا : أردنا أن نضع منك
حيث رغبت عنا . فقال فيهم :

لقد هزئت حنّ بنا وتلاعبت وما لعبت حنّ بذى حسب قبلي
رويدأبني حنّ تسيحوا^(٢) وتأمّنوا وتنتشر الأنعام في بلد سهل
والله لأموتن قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء

(١) ذعزع المال : فرقه وبدده ، وسوده : جملة سيدها . والموارك : الخيض .

(٢) في الأصل تسيثوا وهذه عن الأغاني .

خرج عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ وابْناءُ عُلْفَةَ وجَثَامَةُ وابنته الجرباءُ حتى أتوا بنتا له
[ناكحا]^(١) بالجماء ، في بني مروان بالشامات ، ثم قفلوا بها فلما كانوا ببعض الطريق
قال عَقِيلُ :

قضت وطراً من دَيْرِ سَعْدٍ وطالما على عُرْضٍ ناطَحْنَهُ بالجماجم
إذا هَبَطَتْ أرضاً يموتُ غرابُها بها عطشا أَعْطَيْنَهُ بالخزائم
ثم قال : أجز يا عُلْفَةَ . فقال :

فأصبحن بالوَماءِ يحملن فِتْيَةً نشاوى من الإدلاجِ ميلَ العائم
إذا عَلِمَ غادرته بَتْنُوفَةٍ تذارعن بالأيدي لآخر طاسم
ثم قال : أجزى يا جرباء : قالت : وأنا آمنة ؟ قال : نعم . قالت :

كأن الكرى سَقَّاهم صَرْخَدِيَّةً^(٢) عَقاراً تَمْشِي في المطا والقوائم
فقال عَقِيلُ : شربتها وربَّ الكعبة ! ولولا الأمانُ لضربتُ بالسيف تحت
حُرْطَيْكِ ، أما وجدتِ من الكلام غير هذا ؟

فقال جَثَامَةُ : وهل أساءتُ ؟ إنما أجازتُ ، وليس غيري وغيرُك ، فرماه عَقِيلُ
بهم فأصاب ساقه فأنفذَ السهمُ ساقه والرجلَ ثم شَدَّ على الجرباء فمقر ناقها ، ثم حملها
على ناقة جَثَامَةَ ، وترك جَثَامَةَ عقيراً مع ناقة الجرباء .

ثم قال : لولا أن تَسَبَّيْنِي مُرَّةً ماذقت الحياةَ بعد اليوم ، ثم توجه إلى أهله ، وقال :
إن أخبرتِ أهلك بشأن جَثَامَةَ ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلذك . فلما
خدموا على أهل أبيير ، وهم بنو القَيْنِ ، قالت لهم : الزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا

(١) عن الأغاني والمهذب .

(٢) نسبة إلى صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة من أعمال دمشق وينسب إلى صرخد

الحجر الجمد (مراسد) .

الجزور ، نخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه ،
وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى ألحقوه بقومه ، فلما كان في الطريق
تغنى جثامة :

أبعدر لاهينا ويُلحَيْن في الصبا وما هُنَّ والفتيانُ إلا شقائق
فقال له القوم : إنما أفلتت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا ، وقد هاوَدت
ما يكرهه فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته ، لا يُلحَقك منه شر ، فقال : إنما هي
خَطَرَةٌ خطرت ، والراكب إذا سار تغنى .

قدم عقيل بن علفة المدينة ، فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزومي ،
فرض فأصابه القولنج ، فوصفت له الحُقنة فأبى ، وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك فقال :
لقد سرنى والله يكفيك شرها نجاؤك منها حين جاء يقودها
كفى خزيمة ألا نراك مُجَنَّباً على شكوة تُوكى وفي استك عودها
غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ، ثم رجع فإذا بنوه مع
بناته وأمه فشده على عَمَلَسٍ فخاد عنه وتغنى علفة :

قنى يا ابنة المرئى أسألك ما الذى تريدن فيما كنت تَغشَيْنَنَا (١) قبل
يُخَبِّرُكِ إن لم تنجزى الوعد أنفا ذوا خلة لم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ماهبت الصبا وإن شئت لا يفنى التكارم والبذل
فقال عقيل : يا ابن اللخناء متى مَنَّتْكَ نفسك بهذا ؟ وشد عليه بالسيف ، وكان
عَمَلَسُ أخا علفة لأُمِّه فحال بينه وبينه ، فشده على عَمَلَسٍ بالسيف ، وترك علفة
لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب رُكْبَتَهُ فسقط عقيل يَتَمَمُّك بالتراب ،
ويقول :

(١) منيتنا (أغانى - مذهب) .

إن بَسِيَّ زَمِّلُونِي بالدم من يَلُقْ أبطال الرجال يُكَلِّم
ومن يكن ذا أودٍ يُقَوِّم شَنِشَنَةً أَعْرِفُهَا من أَخْزَم
وأخزم فحل مُنْجِب ، كان لرجل من العرب ، فَضْرَبَ في إِبِلِ رجل آخر ،
ولم يعلم صاحبه ، فرأى ذلك في نَسْلِهِ فقال :

شَنِشَنَةً أَعْرِفُهَا من أَخْزَم

ولما رى عَمَلَسُ أَبَاهُ عَقِيلاً ، وَأَصَابَ رُكْبَتَهُ غَضِبَ ، وَأَقْسَمَ لَا يَسَاكُنُ بَنِيهِ ،
فَاحْتَمَلَ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَكَاتِبَاتٌ ، ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُمْ وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ .
عَاتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، أُمُّهُ أُخْتُ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ فَقَالَ لَهُ :
قَبِّحَكَ اللَّهُ ، أَشَبَّهْتَ خَالَكَ فِي الْجَفَاءِ ، فَبَلَغَتْ عَقِيلًا ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَرَ ،
فَقَالَ لَهُ : مَا وَجَدْتَ لِابْنِ عَمِّكَ شَيْئًا تُعَيِّرُهُ بِهِ إِلَّا خُثُلَتِي فَقَبِّحَ اللَّهُ شَرًّا كَمَا خَلَا ،
فَغَضِبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ صَخْرُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ : وَأُمُّهُ قُرَشِيَّةٌ أَيْضًا :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَبِّحَ اللَّهُ شَرًّا كَمَا خَلَا وَأَنَا مَعَكُمْ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنَّكَ
لَأَهْرَابِيٌّ جَلْفٌ جَافٌ ، أَمَا لَوْ كُنْتَ تَقْدِمْتُ إِلَيْكَ لِأَدَّبْتُكَ ، وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَقْرَأُ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ شَيْئًا ، قَالَ : بَلَى إِنِّي لِأَقْرَأُ « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَا تَحْسُنُ أَنْ تَقْرَأَ ؟
فَقَالَ : أَوْ لَمْ أَقْرَأْ ؟ قَالَ : لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِمَ الْخَيْرَ ، وَأَنْتَ قَدِمْتَ الشَّرَّ ، فَقَالَ
عَقِيلُ :

خَذَا بَطْنِ هَرَشِي أَوْ قَهَا فَا فِيهِ كِلَا بَطْنِ هَرَشِي وَالْقَفَاءُ طَرِيقُ (١)
فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْ عَجْرَفَتِهِ .

(١) كِلَا جَانِبِي هَرَشِي لَهْنُ طَرِيقِ (أَغَانِي) ١٢ : ٢٩١ .

قدم عقيل المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفان غليظان ، فجعل يضربُ رجله فضحكوا منه ، فقال : ما يضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بن الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : إنهم يضحكون من خُفِّيك وضربك برجليك ، وشِدَّةِ جفائك . فقال عقيل : لا ، ولكن يضحكون من إِمَارَتِكَ ، فإنها أعجب من خُفِّي . فجعل يحيى يضحك منه .

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن عُلفة : إنك تخرج إلى أقاصى البلاد وتدعُ بناذك في الصحراء لا كالى لهن ، والناس ينسبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوجهن إلى الأكفاء . قال : إني أستمع عليهن بخَلَّتَيْن تكلوهُن وأستغنى عن سواهما قال : وماهما ؟ قال : العرى والجوع .

دخل عقيل بن عُلفة على يحيى بن الحكم ، وهو أمير المدينة ، فقال له يحيى : أنكح ابن خالى ، يعنى ابن أبى أوفى ، فلانة ابنتك . فقال له : إن ابن خالك يرضى مِنى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أكف عنه سنن الخيل إذا غشيت سوامه . فقال يحيى لحرسيين بين يديه : أخرجاه ، فأخرجاه . فلما ولى قال : أعيداه ، فأعاداه . فقال : مالك تُكرِّرُننى تكرارَ الناصح ؟ قال : أم والله إني لأراك أهوج جافيا . قال عقيل : كذلك قلت ، وأنشد قوله :

تَمَجَّجْتُ إِذْ رَأْتُ رَأْمِي تَجَلَّلُهُ مِنْ الرِّوَالِيعِ شَيْبٌ لَيْسَ مِنْ كِبَرٍ
وَمِنْ أَدِيمٍ تَوَلَّى بِمَدِّ جِدَّتِهِ وَالْجَفْنُ يُخْلِقُ فِيهِ الصَّارِمُ الدَّكْرَ
فقال له يحيى : أنشدنى هذه القصيدة كلها . قال : ما انتهيت إلا إلى ما سمعت . قال : أم والله إنك لتقول فتَقْصِرُ^(١) فقال : إنما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة : قال : فأنكحنى أنا إحدى بناتك . قال : أمّا أنت فنعيم . قال : أم والله لأملأنك مالا وشرفا .

(١) يقال : قصر الشيء يقصره بكسر الصاد جعله قصيرا .

قال : أما الشرفُ فقد حَمَلْتُ رَكائِي منه ما أطاقت ، وكلفتها تبحشم مالا تطيق ، ولكن عليك بهذا المال ، فإن فيه صلاح الأيتام ورضا الأبى . فزوجه ، ثم خرج فأهداها إليه ، فلما قَدِمَتْ عليه ، بعث إليها يحيى مولاةً له ، لتنظر إليها ، فجاءتها فحَمَلَتْ تَغْمِزُ عَضُدَهَا ، فرفعت يدها فدَقَّتْ أَتَقَهَا ، فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتني إلى أعرابية مجنونة فصنعت بي ما ترى ، فنهض إليها يحيى ، فقال لها يحيى : مالك ؟ فقالت : ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إلىَّ قبلَ كُلِّ ناظر ، فإن رأيتَ حَسَنًا كنتَ أولَ من رآه وإن كان قبيحا كنتَ أولَ من وراه . فسر بقولها ، وحَظِيَتْ عنده .

خطبَ يزيدُ بن عبد الملك إلى عقيلِ ابنته الجرباء . فقال له عقيل : قد زَوَّجْتُكِهَا على أن لا يَزُفَهَا إليك أَعْلَاجُكِ بل أكونُ أنا الذى أجىء بها إليك . قال : ذلك لك . ومكثوا ما شاء الله ، ثم دخل الحاجبُ يوما على يزيد فقال له : بالباب رجلٌ على بعير معه امرأةٌ فى هَوْدَج فقال : أراه والله عقيلًا . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ثم أخذ بيدها فأذَعَنَتْ فدخل بها على الخليفة ، فقال له : إن كنتَ بها مُتَمَسِّكًا فباركَ الله لكما ، وإن كَرِهْتَ شيئًا فضع يَدَهَا فى يدي كما وضعتُ يَدَهَا فى يدك ، ثم بَرِئْتُ ذِمَّتِكَ . فحَمَلَتْ الجرباءُ بَغْلَامَ فَرَحَ به يزيدُ وَنَحَلَهُ وَأَعْطَاهُ ، ثم مات الصَّبِيُّ فورثت أمه منه الثلث ، ثم ماتت الجرباء فورثها زوجها وأبوها . فكتب يزيدُ إلى عقيل : إن ابنك وابنتك قد هَلَكََا وقد حَسِبْتُ ميراثك منهما فوجدته عَشْرَةَ آلاف دينار فهُم فاقْبِضْهُ . فكتب إليه : إن مصيبتى بابنى وبنتى تشغلنى عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيتُ عندك فرسا سَبَقَتْ عليه الناسُ فأعطينيه أجملَه فيحلا لخيلى . فبعث إليه يزيدُ بالفرس فأخذه ، ولم يأخذ المال .

خطب رجلٌ من بنى مرةً يقال له داودُ إلى عقيلِ بن عُلفَةَ بعضَ بناته ، فنظر إليه عقيل ، وقد أقبل على ناقة له ، فإذا السيف لا يناله فطَمَنَ نَاقَتَهُ بالرمح ،

فسقطت ، وصرعه وشد عليه عقيلٌ فهِرَبَ ، وثار عقيلٌ إلى ناقتِه ، فنحَرها وأطعمها
أصحابه وقال :

ألم تَقُلْ يا صاحِبَ القُلُوصِ داوَدَ ذا الساجِرِ وذا القميصِ
كانت عليه الأرض حَيْصَ بَيْصِ حتَّى يَلْفُ عَيْصَه بِعَيْصِي
ولست بالسنان ذا بَغِيصِ

فقال داود فيه من أبيات :

لَيْمٌ يَرى أن الحلالَ بَيْنَتِهِ حرامٌ وَيَقْرِى الضيفَ عَضْباً مُهَنِّداً

وخطب إليه رجل من بني مرة كثيرُ المال يُفَمِّرُ في نَسَبِه فقال :

لعمري لئن زَوَّجْتُ من أَجَلِ مالِهِ كَجِينا لَقَدْ حُبَّتْ إلى الدِراهِمِ
أُنكِحُ عَبْدًا بِمَدِّ يَحْيى وَخالدِ أولئك أَكفائى الرِجالِ الأكارِمِ
أَبى لِي أن أَرْضَى الدَّنيَّةَ أَنبى أُمِّدْ عِناناً لَمْ تَخُنْهُ الشِّكائِمِ

لما نشبت الحربُ بين جَوْشَنَ وبين بنى سَهْمَ ، وهم إخوةُ رهطِ عَقِيلِ بنِ عُلْفَةَ
المرى هو وبنى فَعِيطَ بنِ مرة ، وسَهْمُ من بنى مرة وإخوتهم واقتتلوا في أمرِ يهودى
خَمارٍ كان جاراً لهم فقتله بنو جَوْشَنَ من غطفان .

وكانوا متقاربى المنزل ، وكان عقيل بن علفَةَ بالشام غائباً فكتب إلى بنى سَهْمَ
يُحَرِّضُهُم :

إِما هَلَكْتُ ولم آتِكم فأبلغ أَمائِلَ سَهْمٍ رَسولاً
بأن الذى ساءكم قَوْمُكم لقد جملوها عليكم عُدولاً^(١)
هو أن الحياةَ وَضِئَمُ الماتِ وكلاً أَراهُ طعاماً وَبَيْلاً
فإن لم يكن غَيْرُ إحداها فسيروا إلى الموتِ سِراً جَيْلاً
ولا تَقعدوا وبكم مُنَّةٌ كفى بالحوادثِ للمرءِ غُولا

(١) بأن التى ساءكم قومكم هم جملوها عليكم دليلاً (تجريد) .

فلما وردت الأبيات تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المرى أحد بني سهم
وقال: لي كتب وبى نوء فإنه خاطب أمانل بنى سهم ، وأنا من أمانلهم ، فأبلى في
تلك الحرب بلاء شديداً وقال من قصيدة طويلة :

تأخرت أستبقى الحياة ولم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما
وكان عقيل في إبله وحده ، فر به ناس من بني سلامان فأسروه ومرؤوا به في
طريقهم على ناس من بني القين فانزعوه منهم وخلقوا سبيله .
ولما مات علفة قال أبوه عقيل يرثيه لما أتاه خبره :

لعمري لقد جاءت قوافلُ خَبَرَتْ	بأمر من الدنيا على ثَقِيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصرع فارسِ	لَعَنَهُ جنودُ الشامِ غيرِ ضئيلِ
كأن المنايا تبغى في (١) خبارنا	لها سببا (١) أو تهتدي بدليلِ
فأقسمتُ لا أبكي على هُلكِ هالكِ	أصاب سبيلَ الله خير سبيلِ
نخل (٢) المنايا حيث شَاءَتْ فإنها	مُحَلَّلَةٌ بعد الفتى ابنِ عقيلِ
فَتَى كان مولاه يَحُلُّ برَبْوَةٍ	نخل الموالى بعده بمَسِيلِ

كان عقيل قد طرد بنيه ، ففرقوا في البلاد ، وبقى وحده ، ثم إن رجلا من بني صرمة
يقال له بجيل ، وله ماشية ومال كثير ، فحطَّم بجيل هذا بيوت عقيل بماشيته ،
ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا ألقى شراً ، فطردت صافية ابنة
عقيل الماشية فضربها بجيل بمصا كانت معه ، فشجها ، فخرج إليه عقيل وحده ،
وقد هَرِمَ يومئذ ، وكبرت سنه فزجره فضربه بمصا واحتقره ، فجعل عقيل يصيح :
يا عُلْفَةَ يا عَمَلَسُ يا فلانُ بأسماء أولاده ، يستغيث بهم ، وهو يحسبهم لهَرَمَهُ أنهم
معه ، فقال أرطاة بن سهيلة :

(١) من . . . نسبا تجريد ١٤٢٧ .

(٢) نخل (تجريد) .

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ السَّكَلِ الْوَبِيلِ
وَلَوْ كَانَ الْأَلَى غَابُوا شُهُودًا مَنَعْتَ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ
وَبَلَغَ خَيْرَ عَقِيلِ ابْنَهُ الْعَمَلَسَ ، وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى أَبِيهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَجِيلٍ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَعَقَرَ عِدَّةً مِنْ إِبِلِهِ ، وَأَوْثَقَهُ بِجِيلٍ وَجَاءَ
بِهِ يَقُودُهُ ، حَتَّى أَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَعَادَ إِلَى الشَّامِ مِنْ وَقْتِهِ لَمْ
يَطْعَمْ لِأَبِيهِ طَعَامًا ، وَلَمْ يَشْرَبْ لَهُ شَرَابًا .

نَزَلَ أَعْرَابِي عَلَى الْمُقْعَشَرِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ فَشَرِبَا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِي
فِي اللَّيْلِ مُرَوِّعًا فَقَالَ لَهُ الْمُقْعَشَرُ : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ رُوحِي ،
فَوُثِبَ ابْنُ عَقِيلِ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَا كِرَامَةً وَلَا نِعْمَةً عَيْنٍ ، أَيْقَبِضُ رُوحَكَ وَأَنْتَ
ضَيْفِي فِي بَيْتِي وَجَارِي ؟ فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، طَالَمَا مَنَعْتُمْ عَنِ الضَّيْفِ الضَّيْفِ .
وَتَلَفَّفَ وَنَامَ .

العُجَيْرُ السَّلُولِي (١)

هو العُجَيْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ (٢) بْنِ كَعْبِ بْنِ عَائِشَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ ضُبَيْطِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلُولٍ .

وقيل العُجَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٢) بْنِ كَعْبِ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سُلُولِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ صَعْصَعَةَ أَخِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، جملة ابنِ سَلَامٍ من طبقة أبي زُبَيْدٍ الطائي ، وهي الخامسة من طبقة شعراء الإسلام .

حجا العُجَيْرُ قوما من بني حنيفة وسبهم ، فأقاموا عليه البيئَةَ عند نافع بن علقمة الكِنَانِي ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقم الحَدَّ عليه . وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا الحَدَّ عليه ، وليكن ذلك في ملاٍّ يشهدون به ، لئلا يدعى عليكم تجاوز الحَدِّ ، فهرب العُجَيْرُ منهم ليلا حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متكرراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال :

إِلَيْكَ سَبَقْنَا السُّوْطَ وَالسَّجْنَ تَحْتَنَا	حِيَالُ يُسَامِينِ الظَّلَالِ (٣) وَلَقَحُ
إِلَى نَافِعٍ لَا نَرْتَجِي مَا أَصَابَنَا	تَحُومُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وَتَبْرَحُ
فَإِنْ كُنْتَ مُجْلُوداً فَكُنْ أَنْتَ جَالِدِي	وَإِنْ كُنْتَ مَذْبُوحاً فَكُنْ أَنْتَ تَذْبِجُ
فَسأله عن المطر كيف أثره فقال :	
يَا نَافِعُ يَا أَكْرَمَ الْبَرِيَّةِ	وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُكَ الْعَشِيَّةِ

(١) أغاني ١٣/٥٨ - المذهب ٤ : ١٦٢ - التجريد ق ٢ ج ١ / ١٤٥٨ .

(٢) في الأصل عبيد وما أثبتناه عن الأغاني والمذهب والتجريد .

(٣) في الأصل الظلام وما أثبتناه عن الأغاني .

إنا لقينا سِنَّةً قَسِيَّةً^(١) ثم مُطَرَّتًا مَطَرَةً رَوِيَّةً

فنبت البقل ولا رعيه

يعنى هلكت الواشى قبل نبات البقل .

فقال : أبح بنفسك فيانى سأرضى خصومك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصنف عن حقهم ، وضمن لهم ألا يُعاود هجاءهم .

اصطحب العجير وصاحب من خُزاعة لودّ كان بينهما ، فقصد الخزاعى الحسن ابن الحسن بن على رضى الله عنهم ، وقصد العجير رجلا من بنى عامر بن صعصعة ، كان قد نال سلطانا ، فأما الحسن فإنه أعطى الخزاعى وكساه ، وأما العجير فإنه أتى إلى صاحبه العامرى فما أعطاه شيئا ، فلما التقيا قال الخزاعى للعجير : أى شىء كان منك مع العامرى ؟ قال : أتيت رجلا حسن الزى حسن الصورة له نعمة ، فلم أشك أن لى عنده ما أحب ، وتلقانى بالرَّحْبِ وقربى وأدنانى ، وقال : ما جاء بك يا عجير ؟ فقلت : شوقا إلى الأمير ولأنشدته مديحا فيه ، قال : هات ، فأنشدته قصيدتى ، فاستحسنها ، فلما فرغت سكت ساعة ، وأمر لى بشىء ، فقلت : أيها الأمير إن رأيت أن تأمر لى بما أنت أهله ؟ قال : وما هو ؟ قلت : شىء أنفقه وأكتسى منه وأتجمل به فى طريقى . فقال : لا ، وحقك ما يحضرنى فى هذا الوقت شىء ، فورد على مَورِدٍ عظيم ، وقلت له : فيانى قد أتيت من طريق شاسع إليك وقد لزمته مؤنة غليظة . قال : فأى شىء يلزمنى من ذلك ؟ فبقيت لا أحيى جوابا ، وفرغت منه وانصرفت ، فأنت ما خبرك ؟ قال : أتيت الحسن فأصبت رجلا كريما جوادا . فقلت له : إني قد أتيت بأبيات أمدحُ بها سيدنا . فقال : هات ، فامتدحته فاستحسن ما أتيت وكسانى وموَّكِنى وما قصرت فى أمرى ، وحملنى على نجيب ، واعتذر إلى من تقصيره .

(١) يقال : عام قسى شديد من حر أو برد أو قحط .

فورد على العجير من ذلك أمرٌ عظيم . وقال : لقد قصدت قوماً قل من قصدهم نخاب ،
وقصدت قوماً قل من قصدهم فأفلح . ثم قال العجير :

يا ليتنى يومَ حزمتُ القلوصَ له يَمْتَنُّهَا هاشمياً غيرَ مَمْدُوقٍ ^(١)
مَحْضَ النَّجَارِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي جُعِلَتْ فِيهِ النُّبُوَّةُ يَجْرِي غَيْرَ مَسْبُوقِ
لَا يُمْسِكُ الْخَيْرَ إِلَّا رَيْثَ يُسْأَلُهُ وَلَا يُبْلِطُ عِنْدَ اللَّحْمِ فِي الشُّوقِ
فَبَلَغْتَ أَيْبَانَهُ الْحَسَنَ وَقِصَّتَهُ مَعَ الْعَامِرِ ، فَضَحَكَ وَقَالَ : لَوْ أَنَا لَأَعْطَيْنَاهُ ،
وَإِذَا لَمْ يَأْتِنَا فَإِنَا لَا نَحْزِمُهُ ، وَوَجْهَ إِلَيْهِ بِصِلَةٍ إِلَى سَحْلَةِ قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُ ، قَدْ أَتَاكَ
حِظُّكَ ، وَلَمْ تَقْصِدْهُ ، فورد على العجير سرورٌ عظيم وقال : هل رأيتم أهل بيتٍ أكرمَ
من هؤلاء القوم ، وأجل فعلاً ؟ ومدحه بأبيات واعتذر من تأخيره عنه . وقال :
أَبَيْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا كَرَمًا وَجُودًا .

مر العجير بقوم يشربون فسقوه ، فلما انتشى قال : انمروا جملي وأطعمونا
منه . فقالوا : كَفَّ عَنْ هَذَا . قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا بَدَلَ لِي مِنْ ذَلِكَ . ففعلوا ، ونحروا الجمل
وجعلوا يطعمونه ويسقونه فلما سكر أنشأ يقول :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَّلَ وَاسْقِيَانِي عَلَّلَا بَعْدَ نَهَلِ
وَأَنْشَلَا مَا غَبَرَ ^(٢) مِنْ قَدْرِيكَمَا وَأَصْبَحَانِي أَبْعَدَ اللَّهِ الْجَلَّ
أَصْحَبُ الصَّاحِبِ مَا صَاحِبَنِي وَأَكْفُ اللَّوَمِ عَنْهُ وَالْعَذَلِ
وَإِذَا أَتَلَفَ شَيْئًا لَمْ أَقُلْ أَبَدًا يَا صَاحِرَ مَا كَانَ فَعَلِ

فلما أصبح وصحا سأل عن جملة فقيل له نَحَرْتَهُ الْبَارِحَةَ . فجعل يبكي ويصيح :
وَافْرُبْنَاهُ ! وَيَحْكَمْ نَحَرْتُمْ جَمَلِي ، فَمَلَى أَيُّ شَيْءٍ أَرْكَبُ ؟ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ : أَهْلُ ذَلِكَ حَقٌّ ؟

(١) غير ممدوق : غير مشوب وده بكدر .

(٢) وأنشلا لي اللحم من قدريكما (أغاني) ١٣ : ٧٦ .

فيقولون له : يا هذا ، والله أنت حملتنا على نحره ، وأبرمتنا ، وما أردنا ذلك .
 فيلطم ويرقص ، ويقول : هلكتُ والله ، وأين رَحْلُهُ ؟ هو عندكم ؟ فيقولون : نعم
 فيقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واغربتنا ! فلما رأوه قد كاد عقله أن يزول
 جبوا له من بينهم ثمنَ جملٍ ثم دعوه وقالوا له : أنت رجل جاهل وقد حذرناك فأبيت
 إلا نحره وقد رَحَمناك مما رأينا بك ، فإياك أن تعود إلى مثل ذلك ، فقال لهم :
 هي التوبة ، فأتوه بجمل فركبه ، وفرح وسرَّ وارتحله وانصرف . وقيل إنه لم يبك
 ولم يصح ، وأنه لما أصبح ساق إليه قومه مائة بعير .

خرج المعجير فنظر إلى امرأة وهي تلحظ رجلا من بُعدٍ وتكلمه فقال فيها :
 أيا رب لا تغفر لعنمة ذنبها وإن لم يعاقبها المعجيرُ فعاقبِ
 أشارت وعقدُ الله بيني وبينها إلى راكبٍ من دونه ألف راكبٍ
 حرامٌ عليك الحجُّ لا تقرِّبَنَّهُ إذا حان حجُّ المسلماتِ التوابِ
 قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : إذا رويتم الشعرَ فلا تروهم إلا مثل
 شعر المعجير :

بين الجار حين يبين عني ولم تأنس إلى كلابٍ جاري
 وتظنُّ جارتى من جنب بيتي ولم تُستر بسترٍ من جداري
 وتأمن أن أطلع حين آتى عليها وهي واضمة الخمارِ
 كذلك هدى أبائي قديما توارثه النجارُ^(١) عن النجارِ
 فهدي هديهم وهم اقتلوني^(٢) كما اقتل العتيق من المهارِ
 كان المعجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر ويفرحُ بحديثها وكان في نفسه

(١) النجار : الخسب والأصل .

(٢) اقتل الصبي أو المهر : فطمه وعزله عن أمه .

من حبها أمر عظيم ، وكان يقال لها جُمْل فألفها إلفاً عظيماً ، وكان ملازماً لها ، ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين ، فتبعها نفسه فسار إليهم ، فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازماً محادثته تلك المرأة ، فهو عنها وقالوا : قد رأينا أمرك مع هذه المرأة ، وفي هذا علينا غَضَاضَةٌ ، فإن ارتحلت أو انتهيت وإلا فأذن بحرب ، فقال : يا قوم ما بيني وبينها ما يُنكر ، وإنما كنت أتحدثُ إليها كما يتحدثُ الرجل الكريمُ إلى المرأة الحرةِ الكريمةِ ، فأما الريبةُ فحاشَ الله منها ، فقالوا له : إنك ما تركتَ أهلك ونساءهم وجئتنا لشيء من الخير ، فإن انتهيت وإلا كان ما وعدناك . فرجع إلى نفسه فما وجدها تصبرُ على فراقها ، فعاودها وأتاها فلما رأوه انتهبوا ماله وطرده ، فاتى محمد بن مروان ، وهو يومئذ مُتَوَكِّلُ الجزيرة لأخيه عبد الملك ، مُسْتَعْدِياً على بني عامر ، وقال : أيها الأمير خذ بيدي فإن الذي تولى أخذَ مالى منهم حليفٌ فيهم من بني كلاب ، يقال له ابنُ لِجَام . وأنشده من أبيات :

أحقا عبادَ الله [أن] لست ناظراً إلى وجهها إلا على رقيبٍ
أيوكل مالى وابنُ مروانَ شاهدٌ ولم يَقْضِ لى وابنُ الحَسَامِ قريبُ
فتى محضُ أطرافِ المروقِ مساورٌ حبالَ الملا طَلَقُ اليدين وهوبُ

فقال محمد بن مروان ، وقد أعجبه القصيدة : إيش الذى تُحب؟ قال : تنصِفُ لى من خَصَمِي أيها الأمير ، فأحضره محمد بن مروان فقال له : ويحك ما حملك على ظلم هذا ، وهو خادى وولِّي؟ فقال له : يا سيدى إنه قد أفسد امرأة منا فتهيناه عنها ، مرتين وثلاثاً ، فلم ينته ، فلما كثر ذلك منه طردناه ، وأخذنا ماله على طريق التأديب له . فردّه عليه ، وأمره بالانصراف إلى بلده ونهاه عن النزول على المرأة والإلزام بحميها .

عبدُ الله بن الحجاج^(١)

عبدُ الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد الله بن غنم
ابن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن كغيض بن الريث بن
عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .

وكنته أبو الأقرع .

شاعرٌ فاتكٌ ، صعلوكٌ من صماليك العرب ، شجاعٌ من معدودي فرسانٍ مُضرٍ ،
ذو البأس والنجدة فيهم .

وهو ممن خرج مع كهمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبدُ الملك
كهمراً هرب ، فليحق بابن الزبير ، فكان معه إلى أن قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك
ابن مروان متذكراً ، فقال : يا أمير المؤمنين صنعتُ ما صنعتُ ، وجنيتُ ما جنيتُ ،
وقد أتيتك مستنجيراً ، إذ لا يحميني إلا الله ، فأقبلني أقالك الله ، وإلا فاصنع بي
ما بدالك ، فأمنه .

ثم قيل له بعد ذلك في أمره ، فقال : هذا رجل استجار بي ، ولم يتوسل إليّ بسواي ،
وحقيق عليّ أن أغفر ذنبه ، وأقبله عثرته .

وقيل : إنه بعد أن قُتِلَ ابنُ الزبير وأمنه عبدُ الملك خرج مع نجدة بن عامر
الحنفي ، فلما انقضى أمره هرب ثم ظفر به الوليد بن عبد الملك فكلّم فيه فأمنه .

وقيل : إنه لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزبير هرب عبدُ الله بن الحجاج واحتال حتى دخل
على عبد الملك وهو يُطعم الناس فجلس حجرة^(٢) فقال له عبد الملك : ما لك يا هذا

(١) أغاني ١٣/١٥٨ ، تجريد ق ٢ ج ١ : ١٤٨٧ ، مهذب ٤ : ١١٣ .

(٢) حجرة : ناحية .

لا تأكل؟ قال: استخيت أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعا . قال :
لم أعلم ، أفأكل يا ذنك؟ قال : كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويمعجب من فعاله .
فلما أكل عبد الملك بعد أن أكل الناس جلس في مجلسه وجلس خواصه بين يديه ،
وتفرق الناس ، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه واستأذنه في الإنشاد فأذن له ،
فأنشده قوله :

أبلغ أمير المؤمنين بأنني مما لقيت من الحوادث موجد
منع القرار فجت نحوك هاربا جيش يجر ومقنب^(١) يتلمع

فقال له عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ؟ لولا أنك مرعب . فقال :

إن البلاد على وهي عريضة وعمرت مذهبها وسد المطلع

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما الله بظلام للعبيد ، فقال :

كنا نحللنا البصائر مرة وإليك إن عمي البصائر نرجع
إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياته^(٢) متودع
آتي رضاك ولا أعود لثلاثها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطى نصيحتي الخليفة باخما^(٣) وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال عبد الملك : هذا لا قبله منك إلا بعد المعرفة بك ، وبذنك ، فإذا عرفنا

الحوبة^(٤) قبلنا التوبة . فقال :

ولقد وطئت بني سميد وطأة وابن الزير فعرشه متضمض

فقال عبد الملك : لله رب العالمين الحمد والمنة على ذلك . فقال :

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين - يتلمع : تشرق سيوفه ورماحه .

(٢) في الأصل : من ذنبه وجناته . وما ذكر عن التجريد .

(٣) باخما : مطيحا ذليلا . وفي المذهب والأغاني : فاجما .

(٤) الحوبة : الإثم .

مازلت تَضْرِبُ مَنْكَبًا عَنْ مَنْكَبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرَكُمْ^(١) مَا يُرْفَعُ
وُضِعَتْ أُمِيَّةٌ وَأَسِيطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسْطَهُمْ فَنَعِمَ الْمَوْضِعُ
بَيْتُ أَبُو الْعَامِى بِنَاءَ بَرَبَوَةٍ عَلَى الْمَشَارِفِ عِزُّهُ مَا يُدْفَعُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنْ تَوْرَيْتَكَ^(٢) عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيَنِي ، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا
تَرِيدُ ؟ فَقَالَ :

حُرِمْتُ أُصَيْبِيَّتِي يَدٌ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتَ نَجْوَاهُمْ وَنَجْمَكَ يَسْطَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ . فَقَالَ :
فَانْعَشْ أُصَيْبِيَّتِي الْأَوْلَاءَ كَانَهُمْ حَبَلٌ تَدْرَجُ بِالشَّوِيَةِ^(٣) جُوعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا تَعْشَهُمُ اللَّهُ ، وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
فِيهِمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ :
مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُغْنِي جَمْعَتَهُ يَوْمَ الْقَلْبِيبِ خَيْرٌ^(٤) عَنْهُمْ أَجْمَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ ، وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَأَرْصَدْتَهُ لِمُشَاقَّةِ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَأَعْدَدْتَهُ [لِمَعَاوَنَةِ] أَعْدَائِهِ^(٥) فَتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْكَ إِذَا اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى
مَنْصِبَةِ اللَّهِ . فَقَالَ :

أَذْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَجْبُرُ فَاقَتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُسَدِّعُ
فَتَقَبَّسَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ : إِلَى النَّارِ الْمُؤَصَّدَةِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَكَ ، وَلِأَشْبَاهِكَ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : غَيْرِكُمَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : تَوْبَتِكَ ، وَمَا أُثْبِتَنَاهُ عَنِ التَّجْرِيدِ .

(٣) بِالشَّوْبَةِ (تَجْرِيد) .

(٤) حِيزٌ : أَبْعَدُ ، وَفِي الْأَصْلِ : فَجِينٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : لَا لِأَعْدَائِهِ وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ وَالتَّصْوِيبِ عَنِ الْأَغَانِي .

فمن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بن الحجاج التَّغْلَبِي وقد وطَّئْتُ دارَكَ وأَكَلْتُ
طعامَكَ وأنشَدْتُكَ ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنت عارف بما عليك فى
هذا ، وعاد إلى إنشاده فقال :

ضَاقَتْ ثِيَابُ الْمُتَلَبِّسِينَ وَفَضَّلَهُمْ عَنِّي فَأَلْبِسْتَنِي فَتَوْبُكَ أَوْسَعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لَبِستَ . فالتحف به .
ثم قال له عند ذلك : أولى لك ، والله لقد طاوَلتكَ طمعاً فى أن يقوم إليك أحد
هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، ولا تجاوزتنى فى بلد وانصرف آمناً فأقم حيث شئت
من بلاد الله ، فما أبقيت ، لعنك الله ، فى ولاء ، وإنى والله لَمُتَّعَجَّبٌ من عفوى
عنك غيرُ آمِنِكَ على ثلاثة ، يكون عفوى للطريق إلى أن تُصِيبها . فقال له :
يا أمير المؤمنين فأين أذهب إذا طردتنى ومفاتيحُ خزائن الله قد جعلها الله إليك ،
فأين المذهب ؟ ومن لصبيتى الصغار ؟ قال : لك ولهم النار ، ويلك ! ما حدثتَ نفسك
بهذا وأنت تحزَّبُ الأحزاب ، وتجمع على الجيوش ، أخرج عنى فقد عفوت عنك .
ويلك ! ما أصنع بعد أن تكون معى فى دار مملكتى ؟ أما ترضى أنى قد جمعت الفعل
فى عفوى عنك حتى تطالبتنى بما تجاوزتنى فى بلد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إن قتلى
لأهونُ من حياتى فقيراً لا شىء معى . فأمر له بشىء وصرَّفه وقال : لا تُرِنى وجهك .
فخرج من بين يديه .

ولما خرج على الوليد مع نَجْدَةَ بن عامر الحنفى الشارى ، وهرب ، طلبه الوليدُ
وقال : رأيتكم إلى عدو الله عبدِ الله بن الحجاج كيف عفا عنه أبى مرَّةً بعد مرَّة ،
ولا يزيدُه ذلك إلا تمرداً علينا ، فلما انقضى أمر نَجْدَةَ طلبه الوليدُ أشدَّ طلبٍ ،
ووجه إلى سائرُ عمَّاله أن يجتهدوا فى طلبه ، وحيثما أصابوه قتلوه ، وأتوا برأسه ،

فبلغه هذا فضاقت عليه الأرض ، ولم يدر أين يتوجه ، ولما يصنع فاستجار ببعض
العرب فأجاره ، فكان يأوى عنده على أشر حال من الجزع ثم قال :
رأيت بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلب كفة حابل
تؤدي إليه أن كل نية تيممها ترى إليه بقايل
ثم لجأ بعد ذلك إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي ربيعة ، فأطعمه وآواه أياما ،
فلما استوطن كتب إلى الوليد : اعلم أمير المؤمنين أن عبد الله بن الحجاج عندي
وأنا محتفظ به إلى أن يجيء رسولك ، فأسلمه إليه ، فأتى الكتاب إلى الوليد بذلك
فسر به وجهه في الوقت من أخذه وحمله إليه . فلما دخل سلم عليه فقال له الوليد :
لا سلم الله عليك ولا ملائكته ولا أنبياءه ولا رسله ، ولعنك في الدنيا والآخرة ،
ويلك ! ألسنت المولب علينا عمرو بن سعيد بن العاص ؟ أو لست المولب علينا عبد الله
ابن الزبير ؟ ثم عفا عنك أمير المؤمنين ، فما أقنعتك ذلك حتى صرت مع الشراة
علينا . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين عفوك ومغفرتك فإنك وأباك ما رأيتهما في العفو
إلا خيرا . وما رأيت في الغدير إلا شرا فاعف عني إذ قَطَمَنِي العالمُ عفا الله تعالى
عنك . قال : هيهات . وأمر به إلى السجن ، وأمر أن يوضع في رجله الحديد الثقيل .
فقال وهو في الحبس أبياتا منها :

فإن يُعْرِضُ أبو العباس عني ويركب بي عروضاً في عروض
ويجعل عُرْفَه يوما رَغِيرِي ويُبَغِضُنِي فإني من بغيض
كأنني إذ فَرَعْتُ إلى أحيح فزعت إلى مُقَوِّقَةٍ بيوض

قال : فدخل أحيح على الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن الحجاج
قد هجاك ، فقال : بماذا ؟ فأنشده البيتين الأولين ، فقال الوليد : وأي هجاء هذا ؟ هو
من بغيض إن أعرضت عنه أو أقبلت عليه أو أحببته أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده
البيت الثالث ، فضحك الوليد وقال : ما أراه هجا غيرك فأردت أن تحرصني عليه ،

لأخذ بشارك منه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تعلم أنه ما هجاني إلا في رضاك ، ولو أردت أن أستره لسترته ، ولكن كان حق أمير المؤمنين أوجب عليّ ، وهذا رجل قد ثبت غدره وفعله معك ومع أبيك . فقال : هذا مالا نشك فيه منه . فلما خرج شاور الوليد في أمره من حضر مجلسه فحضره جليس خبير فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قد ملكك وبلغك ما أردت ، ومارأيت أنت وأبوك من العفو قط إلا خيراً فاعف عنه . فعفا عنه وخلّاه .

وقال عبد الله بن الحجاج قصيدته التي منها :

نأتك ولم تخش الفراق جنوبُ وشطت نوى بالطاعنين شعوبُ
كميتٌ إذا سُجِّتْ وفي الكاس ورْدَةٌ^(١)

لها في عظام الشاربين ديبُ

كان كثير بن مهاب بن الحصين على ثغر الرّميّ ، ولاء إياه المنيرة بنُ شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبدُ الله بن الحجاج معه فأغار الناس على الدليم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلاً منهم ، وأخذ سلبه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحبس فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك وهو محبوس :

تَسْأَلُ سَلَمَى عَنْ أَبِيهَا صَحَابَةً وَقَدْ عَلِقَتْهُ مِنْ كَثِيرِ حَبَائِلُ
فَسَلَا تَسْأَلِي عَنْهُ الرِّفَاقَ فَإِنَّهُ بِأَهْزَ لَا غَايَ وَلَا هُوَ قَافِلُ

فمكث في الحبس مدة ثم خلى سبيله فقال :

سَأَتْرُكُ ثَغَرَ الرّمِيِّ مَادِمْتَ وَالْيَا عَلَيْهِ لِأَمْرِ غَالَتِي وَشَجَانِي
فَإِنْ أَنَا لَمْ أُدْرِكْ بِثَأْرِي وَاتُّد فَلَا تَدْعُنِي لِلْعَيْدِ مِنْ غَطَفَانِ
تَمَنِّيْتَنِي يَا ابْنَ الْحَصِينِ سَفَاهَةً وَمَالِكَ لِي يَا ابْنَ الْحَصِينِ يَدَانِ

(١) جاء في التجريد مكان هذا الشطر :

فَبِتْ أَسْقَاهَا سَلَا فَا مَدَامَةً

فلما عزل كثير ، وقدم الكوفة ، كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين ، فمكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يُحدثُ المغيرة ، فخرج يوما من داره فحادثه ، فأطال ، وخرج من عنده عشيئاً يريد منزله ، فضربه عبدُ الله بن الحجاج بعمود حديد على وجهه فهشمَ مقاديمَ أسنانه كلها . وقال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالرى ، وقد قابلتك بما فعلت بى ، ولم أكن لأكتمك نفسى ، وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك ، فقال له : أنا أقتصُّ منك أو من مثلك ؟ والله لا أرضى بالقصاصِ إلا من أسماء بن خارجة . وتكلمت اليمانية ، وتجارَت الناسُ فكتب إلى معاوية فكتب إلى المغيرة : أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج ، ولا يبرحان من مجلسك حتى يقتصَّ كثيرٌ أو يمفو . فأحضرها المغيرةُ فقال : قد عفوت ، وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . فقال له : والله يا أبا الأقرع لا نلتقى ونحن جميعاً أهتبان ، وقد عفوت عنك .

وكتب ناسٌ من أهل الكوفة إلى معاوية أن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيت أن تُقيد فإنه من أسماء بن خارجة ، فلما قرأ معاوية الكتابَ قال : ما رأيت كاليوم كتابَ قومٍ أحقَّ من هؤلاء . وكتب : إن القود ممن لم يبحنَ محظورٌ فليقتصَّ من الجاني . فقال كثير بن شهاب : لا أستقيدها إلا من سيّدٍ مضر ، فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّدُ مضر فليستقدها منى . وآمنَ عبد الله ابن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصَّ ولا أخذَ منه عقلاً . وقال عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيساً وخندف أنسى	أدركتُ مظلمتى من ابنِ شهاب
خُضتُ الظلامَ وقد بدتُ لى عورة	منه فأضرب به على الأنياب
وتركتهُ يكبو لفيه وأنفه	ذهلَ الجنانِ مخرجَ الأثواب

وكان له ولدان يقال لهما حوَيْنٌ وجُنْدُب ، فمات جُنْدُب في حياته .

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه في محاربه إياه ، وما حرض عليه مع ابن الزبير ، ويقول : يا أمير المؤمنين ، رجل قد أساء فيما بينك وبينه مرة ، فعفوت عن ذنبه ثم خرج ثانية مع ابن الزبير وما بقي ، والله ، ولا وِزَرَ ، فلما قتل الله ابن الزبير ولم يكن له في الأرض مذهبٌ وافيٌ إليك فاعتصم بك ، والله ما يؤمن عبد الله بن الحجاج على فَعْلَةٍ ثالثة ، هي أعظم من الأوليين ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنفِذَهُ إلى لا تولى أمره وقتله فليفعل . وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج ، فجاء ووقف بين يدي عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل ساقني برحمته إليك ، إذ لم أجد في الأرض مذهباً حتى عفوت عن زَلَلِي وأصْبَتُكَ^(١) أكرم من ولدته النساء وأعني من نسله الرجال ، وقد أعطيتني عهداً وموثقاً ، وقد بلغني أن عاملك الحجاج كتب إليك يحرصك على ويعلمك من أموري أشياء أنت أعرف منه بها ، وأمير المؤمنين أولى الناس بالإقامة على العفو ، أو قتلي بين يديه ، وأنشد :

أعوذ بشوَبَيْكَ اللّٰذِينَ ارتداهما كريمُ الثَّنَا من جَبِيهِ المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ ما كولا فكن أنت آكلي وإن كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

فقال عبد الملك : ما صنعت شيئاً ، فقال من أبيات :

تداركني عفوَ ابنِ مروان بعد ما جرى لي من دون الحياة سَنِيحُ^(٢)
رَفَعْتُ مُرِيحاً ناظِريَّ ولم اكْدُ من الكَرْبِ والغَمِّ الشَّدِيدِ أريجُ

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إني قد عرفتُ من أمر عبد الله بن الحجاج التغلبي ومن فسقه وإقدامه على المنكراتِ ما لا تزيدني علماً به ، إلا أنه اغتفلني

(١) يقال : أصى الرجل : إذا كان له صبي .

(٢) السنيح : السائح مما يتفاهل به ، ورواية الأغاني (من بعد الحياة) .

متنكراً ، فدخل دارى ، وأكل طعامى ، واستكسنى فكسوته ثوباً من ثيابى ،
وأنشدنى وعاذبى فأعذته ، وقلت له : من أنت ؟ فعرفنى بنفسه ، فلما عرفته ورد
علىّ منه أمر عظيم ، ولم يحسن بى بعد ما جرى أن أقتله وفى دون هذا ما حظّر
علىّ دمه ، وعبد الله أقل وأذل من أن ينكث عهداً ، فإن شكر على النعمة وأقام
على الطاعة فلا سبيل عليه ، وإن كفر ما أوتى وشاقّ الله ورسوله وأولياءه ، فالله
قاتله بسيف البنى الذى قتل به نظراؤه ، ومن هو أشدّ شكيمة منه من الملحين .
فلا تعرض له ولا لأحد من أهله بسيئة إلا بخير ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على الحجاج ورد عليه منه موريد عظيم ، وكان قد مد يده إلى
أسبابه فخلى يده عنهم . وقال : من يعف عنه أمير المؤمنين فلا سبيل لنا عليه ، وكف
عن أهله وأطلقهم .

عبد الصمد بن المعذل^(١)

هو عبدُ الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار بن ذريح وقيل ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشر بن مُحران بن حذرجان بن عيساس ابن ليث بن حُداد بن ظالم بن زهر^(٢) بن عجل بن عمرو بن وديمة بن لُكيز بن أفي ابن عبد القيس بن أفي بن دُعِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقيل ربيعة بن الليث بن حمدان .

قال غيلانُ بن المعذل أخو عبد الصمد : كان أبي يقول : أفي أبو عبد القيس هو أفي بن جديلة بن أسد ، وأفي جديلة بن وائل هو أفي بن دُعِي . والنسابون يغلطون في قولهم عبدُ القيس بن أفي بن دُعِي .

وكان عبد الصمد بن المعذل يُكنى أبا القاسم .
وأمه أمٌ ولد يقال لها الزرقاء .

وهو شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الدولة العباسية .
بصريٌّ المولد والنشأ .

هجاءٌ خبيثُ اللسان ، شديدُ العارضة .

وأخوه أحمدٌ أيضاً شاعرٌ ، إلا أنه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين ، وتقدّم في المعزلة ، وله جاء واسع في بلده ، وعند سلطانه ، لا يقارنهُ عبدُ الصمد فيه .
وكان يحسده ويهجوه ، فيحلم أحمدُ عنه ، وعبد الصمد أشعرُهما .

(١) الأغاني ١٣ : ٢٢٦ والتجريد ٢ ج ١ : ١٥٠٧ .

(٢) (ذهل) تجريد ٥ أكبر .

وكان المَعْدِلُ أبوه ، وغيلان جده ، شاعرين ، وقد رُويَ عنهما شيءٌ من الأخبار واللغة والحديثِ ليس بالكثير .

والمَعْدِلُ بن غيلان هو الذي يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناسِ أنى
أرى خَلَّةً في إخوةٍ وأفارب^(١)
فلو ساعدتني في المكارم قُدْرَةٌ^(٢)
أرى صالحَ الأعمالِ لا أستطيعُها
وذى رحم ما كان مثلي يُضيعُها
لفاضَ عليهم بالنوال ربيهمها

وهو القائل أيضا :

ولست بمَيَّالٍ إلى جانبِ الفنى
وإني لصَبَّارٌ على ما ينوبنى
إذا كانت العلياء في جانبِ الفقرِ
وحسبك أن الله أثنى على الصبرِ

جاء أبانُ اللاحقِيُّ المَعْدِلُ بن غيلان فقال :

كنت أمشي مع المَعْدِلِ يوماً
فتَلَفْتُ هل أرى ظربانا
فإذا ليس غَيْرُهُ وإذا إم
فتمجبتُ ثم قلتُ لقد أغـ
ففسأ فسوةً فكدتُ أطيرُ
من ورأى والأرض بي تستدير
صارُ ذاك الفساء منه يفور
رفُ هذا فيما أرى خـنزيرُ

فأجابه المَعْدِلُ فقال :

صحفتُ أمكَ إذ سمـ
قد علمنا ما أرادتُ
صيرتُ باء مكان الـ
قطعَ الله وشيكا
مَتَكَ في المهدِ أبانا
لم تُرِدْ إلا أنا
تاء والله عياناً
مِنْ مُسميك اللساناً

(١) وقراءة (تجريد) .

(٢) إخوة (تجريد) .

مر المَعْدِل بن غيلان بعبد الله بن سَوَّار العَنْبَرِيّ القاضِي فاستنَزَّ له عنده، وكان من عادة المَعْدِل أن ينزل عنده، فأنشده :

أمن حقَّ المودة أن تُقَضِّيَ ذمامكم ولا تقضُوا الدماما
وقد قال الأديب مقالَ صديقٍ رآه الآخرون لهم إماما
إذا أكرمتكم وأهنتُموني ولم أغضب لذالكُم فذاما

قال ، وانصرف ، فبكر إليه عبدُ الله بن سَوَّار فقال له : رأيتك يا عمُّ مُغَضِّباً . فقال : أجل ، ماتت بنتُ أختي ، ولم تأتني . قال : ما علمتُ ذلك . قال : ذنبك أشدُّ من عُذْرِكَ ، وما لي أنا أعرف خبرَ حقوقك ، وأنت لا تعرفُ خبرَ حقوقي . فما زال عبد الله بن سوار يمتنر إليه حتى رضى عنه .

كان شروين المَعْنَى حسنَ الغناء والضرب ، وكان من أراد أن يُغْنِيَهُ حتى يُخرج من جِلْدِهِ جاء بِجُوَيْرِيَّة سوداء فأمرها أن تطالعه أو تُلوِّح له بِخِرْقَةٍ حمراء ليظنها امرأة تطالعه ، فكان حينئذ يغني أحسن غناء ، يقدر عليه ، تصفها لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد بن المعدل في بعض الأمور ، لأنه دعاه يوماً فتعمل عليه ، فقال : والله لأسمنه سمَةً لا يدعوه بعدها أحدٌ بالبصرة إلا بعد أن يبذل عِرْضَه وحرمة . فقال يهيجوه :

من حلَّ شروينُ له منزلاً فلتنَّه الأولى عن الثانية
فليس يسدعوهُ إلى بيتِهِ إلى فتى في بيتِهِ زانية

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد ومُرَّ من رأى .

نظر عبد الصمد إلى جارٍ له فقير رثَّ الحال يَخْتالُ في مَشْيِهِ ويخطر خطرة مُنْكَرَةً ، فقال فيه :

يتمشي في ثوب عصب من العر ي على عظم ساقه مسدول

دبّ في رأسه خمارٌ من الجو ع سُرَى خَمَرَةٍ الرحيق الشمولِ
فبكي شَكْوَةً^(١) وَحَنٌّ إلى الحب ز ونادى بزَفَرَةٍ وعويلِ
من لقلبٍ مُتَيِّمٍ برغيفيه ن ونَفْسٍ تاقَتْ إلى التَّطْفِيلِ
ليس تَسْمُو إلى الولايم نفسي جَلَّ قَدْرُ الأعراسِ عن تأميلي
هاتِ لَوْنًا وَقُلْ لتلك تُغْنِي لست أبكي لدارسات الطُّلُولِ

كان بالبصرة طِفْلِيٌّ يُكْنَى أبا سَلَمَةَ ، وكان إذا بلغه خبرٌ وليمةٍ لَبِسَ لِبْسَ القضاةِ ، وأخذ بِنِيهِ معه ، عليهم القلائسُ الطوالُ والطِيالسةُ الرَّقاقُ ، فَيُقَدِّمُ ابْنِيَهُ فَيَدُقُّ أَحَدَهُمَا البابَ ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة ، ثم لا يلبث البابُ حتى يتقدم الآخرُ فيقول : افتح ويَلِّك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم هو فَيَدُقُّون جميعاً البابَ ، ويقولون : بادِرْ ، ويَلِّك ، فإن أبا سلمة واقف . فإن لم يكن يعرفهم فتح لهم ، وهاب منظرهم ، وتركهم يدخلون ، وإن كان البابُ قد تقدمت له بهم معرفةٌ لم يلتفت إليهم ، ويستخفُّ بهم ويقول : انصرفوا فلست أفتح لكم . وكانوا إذا حضروا وليمةً في بعض هذه المواضع ، أخذوا معهم فِهْرَيْنِ^(٢) مدورين يسمون كل واحد منهما كيسان ، فإذا وافى أحدُ المدعويين وفتح له شدَّ أحدهما على فِهرٍ فيَحْطِطُهُ في دِوَارَةِ الباب عند العتبة فلا يقدرُ البابُ على غَلْقِهِ ، فيهمجمون على الدار فيدخلون ، وكان إذا رآهم أهل الحلقِ أعظمَهم لموضع القضاء . لأنهم يرون زِيَةَ القاضي ، ويرون خلفه اثنين ، فلا يَشْكُون أنه قاض فيُوسِّعُ له إلى أن يصير في الصدر .

وكان أبو سلمة حسن الكلام عذب الألفاظ طيِّبَ المحادثة ، فكان إذا دخل وجرى الحديث ، أتى بكل ظريفةٍ ، وأقبل الناس عليه .

(١) شجوه (تجريد - أغاني) ..

(٢) الفهر بالكسر : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ، ويؤنث .

وكان هذا أبو سلمة من عجائب الدهر ، ولم يكن في البصرة للطفيلية مثله ، فحضر يوما من الأيام في عرسٍ من الأعراس فتخطى إلى أن صار في الصدر ، وأقبل يُحدثُ الناس ، وهم مقبلون عليه إلى أن قرب الطشتُ فغسل الناسُ أيديهم وقدّمت المائدة وعليها كلُّ طعامٍ فأكل الناسُ وأكل أبو سلمة أكلا عظيما ، ثم قرّبت الحلواء فأول ما وافى الفالوذجُ ضربَ بيده إلى لقمة حارة ، وألقاها إلى فمه ، فأحرقتُ فمه ، فابتلعها لحرارتها ، فسقطت في جوفه ، فجمعت أحشائه فمات على المائدة ، فوردَ على الناسِ مَوْرِدٌ عظيم فأقبل ابناه يبكيان عليه ، والناس ينظرون إليهم ويمجبون مما تمّ على الشيخ ، ومُحْمِل إلى منزله وكُفِّنَ ودُفِنَ ، فقال عبد الصمد بن المعتز يريه من أبيات :

أحزانُ نفسي عليها غيرُ مُنصَرِمِه	وأدمى من جُفوني الدهرَ مُنْسِجِمِه
على صديقٍ ومولى لي فُجِئتُ به	ما إن له في جميع الصالحين لُمة ^(١)
كم جَفَنَةٌ مثل جوفِ الحوضِ مُترَعَةٍ	كَوْماءُ جاء بها طبّاخُها رذِمة ^(٢)
قد كللتها شحومٌ من قايتها	ومن سنامِ جزورٍ عبطة سِنِمِه
غُمِيتَ عنها فلم تعرِفْ لها خبرا	لَهْفِي عليك ووَيْلي أبا سَلَمِه
ولو تكون لها حيا لما بَعُدَت	يوما عليك ولو في جاجِمِ الحَطَمِه
قد كنت أعلم أن الأكل يَقتله	لكفني كنت أخشى ذاك من تُخَمِه
إذا تعمّمَ في شبليهِ ثم غدا	فإن حَوْزَةَ من يأتِيهِ مُصْطَلِمِه

كان عبد الصمد يعمشُ فتي من المغنين يقال له أحمد ، ففاضبه الفتى وهجره فكتب إليه :

(١) اللمة : المثل والشكل .

(٢) الرذمة التي تسيل دسماً .

سَلْ جَزَعِي مَذْصَدَّتْ عَنْ حَالِي هَلْ خَطَرَ الصَّبْرُ لِي عَلَى بَالٍ
 لَا غَيْرَ اللَّهُ سَوْءٌ فَعَلَكِ بِي إِنْ كُنْتُ أَعْتَبْتُ فَيْكَ عُذَّالِي
 وَلَا ذَمَّمْتُ الْبُكَاءَ عَلَيْكَ وَلَا تَحَدَّثْتُ حَسَنَ السُّأْوِ مِنْ سَالِي
 لَوْ كُنْتُ أَبْنَى سِوَاكَ مَا جَهِلْتُ نَفْسِي أَنْ الصَّدُودَ أَغْفَى لِي
 قال أبو شراعة: لما هجا الجَمَّازُ عبدَ الصمد بن المَعْدَلِ جاءني وقال: أنقِذني منه،
 فقلت له: أمثلك يَفْرُقُ من الجَمَّازِ؟ قال: نعم، لأنه لا يبالِي بالهَجاء، ولا عِرْضَ
 له، وشعره يَنفُقُ على من لا يدري. فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله
 في عبد الصمد وهو:

ابن المَعْدَلِ مَنْ هُوَ ومن أبوه المَعْدَلُ
 سألت وهبان عنه فقال: بَيْضٌ مُحَوَّلُ

وهبانُ هذا هو رجل يبيع الحمام، فجمع جماعة من أصحابه وجعل يَغْشَى المجالسَ
 والمحافلَ وَيُخْلِفُ لَهُمْ أَنْ الْجَمَّازَ مَسَّاهُ عَنْ عَبْدِ الصمد، وأنه ما قال: أنه بَيْضٌ
 مُحَوَّلٌ - ويسألهم أَنْ يعتذروا إليه، وصار هذا منه نادرة وطُرْفَةٌ. فجاءني
 عبدُ الصمد يستغيثُ وقال: ألم أقل لك إِنْ آفَتِي مِنْهُ عَظِيمَةٌ، وأن دَوْرانَ وَهْبَانَ
 على الناسِ يَخْلِفُ لَهُمْ أَنَّهُ ما قال: بَيْضٌ مُحَوَّلٌ - أشدَّ عليَّ من هِجائِهِ لِي، فبعثتُ
 إلى وَهْبَانَ فَأَحْضَرْتُهُ، وقلت: يا هذا قد عَلِمْنَا أَنَّ الْجَمَّازَ كَذَبَ عَلَيْكَ، وَعَذَرْنَاكَ
 فَنَحْبُ الْأَتَكْلَفَ الْمُذَرَّ إِلَى النَّاسِ فَإِنَّا قَدْ عَذَرْنَاكَ، فانصرف وقد لقي عبد الصمد
 منه بلاء.

كان عبد الصمد يقول: هجاني الجَمَّازُ ببيتين مُنتَجِعَيْنِ فسارا في أفواه الرجال حتى
 لم يبق حاضرٌ ولا بادٍ إلا رواها. فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجي فيه كلُّ أحدٍ
 فما رواه أحدٌ وذلك لضَعْفِهِ، وهو:

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُورٌ رُءُوسُهُ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
يَتَرَاءَى نَسَبُ النَّاسِ سِوَايَ مَا يَنْحَقِي سِوَاهُ
يَتَحَاجِّى فِي أَبِي الْجَمَّةِ أَزْ مَنْ هُوَ كَاتِبَاهُ
لَيْسَ يَدْرِى مِنْ أَبْوَالِ الْجَمَّةِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

بَلَغَ أَبَا جَعْفَرٍ مَضْرُطَّانَ أَنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ هَجَاهُ ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ أَبِي وَائِلَةَ
السَّدُوسِيِّ فَقَالَ لَهُ مَضْرُطَّانَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ هَجَوْتَنِي فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ : مَنْ أَنْتَ حَتَّى
أَهْجُوكَ ؟ قَالَ : هَذَا شَرٌّ مِنْ الْهَجَاءِ ، وَوُثِبَ إِلَى عَبْدِ الصَّمَدِ يَضْرِبُهُ ، فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمْدَوِيهِ الْحَمْدُونِي :

أَلَدْتُ مِنْ صَحْبَةِ الْقَنَانِي (١) أَوْ اقْتَرَحَ عَلَى قِيَانِ
لَكُنْزُ فَتَى مِنْ بَنِي لُكَيْنِ يُهْدَى لَهُ أَهْوَانُ الْهَوَانِ
يَهْوَى لَهُ بَازِلٌ خِدْبٌ (٢) يَطْحَنُ قَرْنِيهِ بِالْجُرَانِ
يَنَالُ مِنْهُ تُؤْوَرُ قَوْمٌ بِالْيَدِ طَوْرًا وَبِاللِّسَانِ
وَكَانَ يَفْسُو فَصَارَ حَقًّا مُضَرَّطًا مِنْ خَوْفِ مَضْرُطَّانِ

فَبَلَغَ عَبْدَ الصَّمَدِ شَعْرُ الْحَمْدُونِيِّ فَقَالَ : أَنَا لَهُ ، فَفَزِعَ الْحَمْدُونِيُّ مِنْهُ فَقَالَ :
تَرَحُّ طُعِنْتُ بِهِ وَهَمٌّ وَارِدُ أَنْ قِيلَ إِنَّ ابْنَ الْمَعْدِلِ وَاجِدُ
هِيَهَاتَ أَنْ أَجِدَ السَّيْلَ إِلَى الْكَرَى وَابْنُ الْمَعْدِلِ مِنْ مِزَاحِي حَارِدُ
وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ يَعَاثِرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَيَأْلَفُهُ فَبَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ
اِغْتَابَهُ يَوْمًا ، وَهُوَ سَكْرَانٌ ، وَعَابَ شَعْرَهُ ، وَقَالَ إِنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ يَأْتِي بِأَشْيَاءَ بَارِدَةٍ
غَثَّةٍ لَيْسَتْ بِحَسَنَةٍ ، فَتَرَكَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ فِيهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ
مِنْ أَيْيَاتِ :

(١) الأصل محنة القنان والتصويب عن الأغاني ١٣/٢٣٦ .

(٢) في الأغاني أهوى ... خدب .

عني عليك مُقَارِنُ العُذْرِ قد زاد عنك حَفِيطِي صَبْرِي
لك شافع مني إِلَى مَا يَقْضِي عليكِ هَفْوَةَ فِكْرِي
لما أَنَانِي مَا نَطَقْتَ بِهِ فِي الشُّكْرِ قَلْتَ جَنَائَةَ الشُّكْرِ
حاشا لعبد الله يَذْكُرُنِي مُسْتَمْدِيَا بِنَقِيصَتِي ذِكْرِي
إِنْ عَابَ شِعْرِي أَوْ تَحَقَّقَهُ فَلَيْسَ بِهِ مَا عَابَ مِنْ شِعْرِي
يَا ابْنَ الْمَسِيبِ قَدْ سَبَقْتَ بِنَا أَصْبَحْتَ مُرْتَهِنًا بِهِ شُكْرِي
فَتِي تَخَرَّتْ فَأَنْتَ فِي سَعَةِ وَمَتَى هَفَوْتَ فَأَنْتَ فِي عُذْرِي
تَرَكَ الْعِتَابَ إِذَا اسْتَحَقَّ أَحَدٌ مِنْكَ الْعِتَابَ ذَرِيعَةُ الْهَجْرِ

كَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدَلِ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ رَهْمٍ، فَقَالَ يَهْجُوهُ مِنْ أَيْبَاتِ:

هُوَ وَاللَّهُ مُنْصِفٌ زَوْجُهُ زَوْجُ زَوْجَتِهِ
يُقْسِمُ الْأَيُّرَ عَادِلًا بَيْنَ حَرِّهَا وَفَقْحَتِهِ (١)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْبَرْدُ: نَظَرَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدَلِ إِلَى الْأَنْشِينِ بِسُرٍّ مِنْ رَأْيٍ، وَهُوَ غُلَامٌ أَمْرَدٌ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، وَهُوَ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ، مَعَ أَوْلَادِ الْقَوَادِ، فَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْبَاتِ:

أَيُّهَا اللَّاحِظِي بِطَرْفِ كُلِّهِ هَلْ إِلَى الْوَصْلِ بَيْنَنَا مِنْ سَبِيلِ
عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّنِي أَتَمَنَّى زُورَةً مِنْكَ عِنْدَ وَقْتِ الْمَقِيلِ
بَعْدَمَا [قَدْ] غَدَوْتَ فِي الْقُرْطُقِ الْجَوِّ نِ تَهَادَى فِي الْحَسَامِ الصَّقِيلِ
وَتَكَفَّيْتُ فِي الْمَوَاكِبِ تَخْتًا لُ عَلَيْهَا تَمِيلُ كُلُّ تَمِيلِ
وَأُطَلَّتِ الْوُقُوفَ مِنْكَ يَبَابُ قَصْرَ تَلْهُوٍ بِكُلِّ وَقِيلِ
وَتَمَحَدَّنْتُ فِي مَطَارِدَةِ الصَّيِّ عِدَ بِخُبْرِهِ بِهِ وَرَأْيِ أَصِيلِ

ثم نازعت في السنان وفي الرُثم
وتكلمت في الطراد وفي الطم
وإذا مات فرق القوم أقبلد
وقد كساك الغبار منه رداء
وبدت وزدة البشامة^(٢) من خد
يرشح المسك منه سائلة الطم
فأسوف^(٣) الغبار ساعة ألقا
وأحل القباء والسيف من خص
ثم نوّنتي بما هويت من التث
ثم أجلوكت كالعروس على الشر
ثم أسقيك بعد شربى من ريب
وأغنيك إن هويت غناء
لا يزال الخللخال فوق الحشايا
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقا
كان ما كان بيننا لا أسم

ج^(١) وعلم برهفات النصول
ن ووثب على صباب الخيول
ت كريمة دنت لذبول
فوق صدغ وجفن طرف كحيل
دك في مشرق نقي أسيل
ي وجيد الأمانة المطبول
ك برشف الخدين والتقبيل
رك رفقاً باللطف والتعليل
ريف عندي والبر والتبجيل^(٤)
ب تهادى في مجسد^(٥) مصقول
مك كأساً من الرحيق^(٦) الشمول
غير مستنكر^(٧) ولا مملول
مثل أثناء حية مفقول
وتنى الخليل قرب الخليل
يه ولكنه شفاء الخليل

(١) الدرع (تجريد) ١٥٠٩ .

(٢) القسامة (التجريد) - والوردة بالضم الحمرة - والقسامة : الحسن - أسيل : أملس .

(٣) أسوف : أشم وكانت في الأصل : أسرق ، والتصويب عن التجريد .

(٤) التدليل (تجريد) .

(٥) المجسد : الثوب المعصر .

(٦) المدام (تجريد) .

(٧) مستنكر .

قال جامعُ هذا المُختار : سمعتُ بعضَ الفضلاءِ يحكي على أنه وجد في الأغاني عن ابنِ المُعَدَّل أن زَوْجَتَهُ كلفتَهُ أن يتردَّد إلى يحيى بنِ أَكْثَمِ القاضى ، ويستَمْنِجَه ويستَعْطِيَه وهَوَّنتُ عليه ذلك ، فقال لها :

تُكَلِّفُنِي إِذْلالَ نَفْسِي لغيرِها وهان عليها أن أهان لتُكْرِمَها
تقولُ سَلِ المعروفَ يحيى بنِ أَكْثَمِ فقلتُ سَلِيه رُبَّ يحيى بنِ أَكْثَمِ
ومن شعره :

صرفتُ الوُدَّ فانصرفا ولم ترَعِ الذى سَلَفَا
وبنتَ فلم أُمْتُ كَمَدًا عليك ولم تمتُ أَسَفَا
كلانا واجد في الناس ممن مَلَّهُ خَلَفَا

كان لبعضِ وجوه أهل البصرة جارية يقال لها مُتَيْمٌ فَمَلَقَها عبدُ الصمد وكانت لا تخرج إلا مُتَحَجِّبَةً^(١) ، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة وقدِمَتْ مُتَيْمٌ إلى أبى عُبيدِ اللهِ بنِ الحسنِ القاضى ، فاحتاج أن يُشْهَدَ عليها ، فأمرها أن تُسْفِرَ ، فلما قدم عبد الصمد قيل له : لو رأيت مُتَيْمًا وقد أسْفَرها القاضى لرأيت شيئًا حسنًا لم يُرَ مثله . قال : فحدثوني كيف كان ؟ قال فحدثوه كيف أتى بها وأسْفَرَتْ وأشْهَدَ عليها ، فقال عبد الصمد : لقد جددتم على أحزانا ، وقال :

ولما سَرَتْ عنها القِنَاعَ مُتَيْمٌ تَرَوَّحَ منها العَنَبَرِيُّ مُتَيْمًا
رأى ابنُ عُبيدِ اللهِ وهو مُحَكَّمٌ عليها لها طَرْفًا عليه مُحَكَّمًا
وكان قديمًا كالِجِ الوجهِ عابسًا فلما رأى منها السفورَ تَبَسَّمَ
فإن يَصُبُّ قَلْبُ العَنَبَرِيِّ قَبْلَهُ^(٢) صبا باليتاجى قلبُ يحيى بنِ أَكْثَمِ

(١) منقبة (ب) .

(٢) فربما (تجريد) .

فبلغ قوله يحيى بن أكرم ، فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أى شئ أردته منى ، حتى أتانى شمرك من البصرة ؟ وأين لك هذه الشهادة التى قطعت على بها فى شمرك ؟ فقال لرسوله : قل له : مُتَيْمٌ أَعَدَّكَ عَلَى طَرِيقِ الْقَافِيَةِ .

جَمَعَ بَيْنَ أَبِي تَمَامِ الطَّائِيَّ وَعَبْدِ الصَّمَدِ مَجْلِسًا ، وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ سَرِيعًا فِي قَوْلِ الشَّمْرِ ، وَفِي أَبِي تَمَامٍ إِبْطَالٌ ، فَأَخَذَ عَبْدُ الصَّمَدِ الْقُرْطَاسَ وَكَتَبَ فِيهِ :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّاسِ سَ وَكَلَامَاهَا ^(١) بَوَجْهِ مُذَالٍ
لَسْتَ تَنْفَكُ طَالِبًا لَوْ صَالَ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا ^(٢) لِفَوَالٍ
أَيُّ مَاءٍ لِحَرٍّ وَجْهِكَ يَبْقَى بَيْنَ ذُلِّ الْهَوَى وَذُلِّ السُّؤَالِ

فَأَخَذَ أَبُو تَمَامٍ الْقُرْطَاسَ وَخَلَا طَوِيلًا وَجَاءَ بِهِ وَقَدْ كَتَبَ :

أَفِي تَنْظِيمٍ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ
أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقٍ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
أَقْدَمْتُ وَيَحَاكَ مِنْ هَجْرِي عَلَى خَطَرٍ كَالْعَيْرِ يَقْدُمُ مِنْ خَوْفٍ عَلَى الْأَسَدِ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ : يَا عَاضَ بَظَرًا أُمِّهِ ، يَا غَثَّ ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ :

... .. أَنْزَرُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ

كَيْفَ يَكُونُ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ - وَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ : أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ . قَلْبِي مَفْرَشٌ أَوْ عَيْبَةٌ أَوْ خُرْجٌ فَأُشْرِجُهُ ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ فَمَا رَأَيْتَ أَغَثَّ مِنْكَ - فَانْقَطَعَ أَبُو تَمَامٍ انْقِطَاعًا مَا يُرَى أَقْبَحُ مِنْهُ وَقَامَ وَانصَرَفَ وَمَا رَاجِعُهُ بِحَرْفٍ .

(١) بَكَلَّتِيهِمَا (تَجْرِيد) .

(٢) أَوْ رَاغِبًا فِي (تَجْرِيد) .

شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدُّهْن فدخل عليه عبد الصمد
بعد خروجه مما شربه فقال :

بأَيِّمَنَ طَائِرٍ وَأَسْرٍ بِالِ	وَأَعْلَى رَتْبَةٍ وَأَجَلٍ حَالِ
شَرِبْتَ الدُّهْنَ ثُمَّ خَرَجْتَ عَنْهُ	خَرُوجَ الْمَشْرِفِيِّ مِنَ الصَّقَالِ
تَكَشَّفَ عَنْكَ مَا عَايَنْتَ مِنْهُ	كَأَنَّكَ كَشَفْتَ الْغَمَّ عَنْ الْهَلَالِ
وَقَدْ أَهْدَيْتَ رِيحَانًا ظَرِيفًا	بِهِ حَاجِيَتْ مُسْتَمْعَا سُؤَالِي
وَمَا هُوَ غَيْرُ يَاءٍ قَبْلَ (١) حَاءٍ	وَقَدْ سَبَقَا بِعِمِّ قَبْلَ دَالِ
وَرِيحَانُ النَّبَاتِ يَمِيشُ يَوْمًا	وَلَيْسَ يَمُوتُ رِيحَانُ الْمَقَالِ
وَلَمْ يَكْ مُؤَثِّرًا تَفَّاحَ شَمٍّ	عَلَى تَفَّاحِ أَسْمَاعِ الرِّجَالِ

ودخل رجل على أبي المُسْتَهْلِ الاسكافي ، وكان عبد الصمد حاضراً ، فدفع إليه
رقعة ، فدفع أبو سهل الورقة إلى عبد الصمد فقرأها ، فإذا فيها :

هَذَا الرَّحِيلُ فَهَلْ فِي حَاجَتِي نَظَرٌ أَوْ لَا فَأَعْلَمُ مَا آتَى وَمَا أَذَرُ

فقال : أجب عنها . فكتب عبد الصمد :

النَّفْسُ تَسْخُو وَلَكِنْ يَمْنَعُ الْعُسْرُ وَالْحَرْءُ يَمْدُرُ مِنَ الْعُسْرِ يَمْتَدِّرُ
ثم قال عبد الصمد لأبي سهل هذا الجواب قولاً ، وعليك أعزك الله الجوابُ
فَعَمَلًا وَنُجْجُحُ سَعَى الْأَمَلِ وَاجِبٌ عَلَى مِثْلِكَ . فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .
كان لأحمد بن المَعْدَلِ ابنُ تَيْيَاهُ شَدِيدُ الْذَهَابِ بِنَفْسِهِ مُبْغِضٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ،
فمر يوماً بعمه عبد الصمد فقال :

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمُنَى الْأَعْمَامُ بِابْنِ (٢) أَخٍ أَصْبَحْتُ فِي جَوْفِ قُرْقُورٍ إِلَى الصَّيْنِ

(١) في الأغاني : بعد مكان قبل .

(٢) في ابن (أغاني ١٣ : ٢٥٧) والقرقور : السفينة .

قد كان مما طويلا لا يُقام له
فكيف بالصبر إذا أصبحت أكثر في
يا بعض الناس في عشر^(٢) وميسرة
لو شاء ربّي لأضحيّ واهباً لأخي
وكان خيراً له لو كان مؤثراً
وقائل لي : ما أضناك ؟ قلت له :
إن القلوب لتطوى منك يا ابن أخي

لو كان رؤيتنا إياك^(١) في الحين
بحال أغنينا من رمل يبرين
واقدر الناس في دنيا وفي دين
بمرّ ثكلك أجراً غسيرة ممّنون
في السالفات على غرّمول عنيّن
شخص ترقى وجهه عيني فيضنيّني
إذا رأيتك على مثل السكاكين

(١) قد كان هم طويل لا ينال له لو ان رؤيتنا ... (أمالى) .

(٣) قتر (أمالى) .

عبد الرحمن بن الحكم^(١)

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .
وأُمّه ، أم أخيه مروان ، آمنة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرِّق بن شَيْقِ
ابن رقية^(٢) بن مذحج بن كنانة .

وكنيته عبد الرحمن أبو مَطْرَف .

شاعر إسلامي متوسط الحال ، في شعراء زمانه .

وكان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحد
منهما من صاحبه .

رأى مروان بن الحكم يطوف بالبيت وهو يقول : اللهم أذهب عني الشر .
وأخوه عبد الرحمن ، يقول : اللهم إني أسألك ما استعاذ بك منه . فذهب الشر
عن مروان وقاله عبد الرحمن .

لما عزل معاوية بن أبي سفيان مروان بن الحكم عن الحجاز ، وولى سعيد
ابن العاص قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية لأن أخاه قال له : إلقه أُمَامِي وعَاتِبِي
لي واستصلحه .

وقيل : بل كان عبد الرحمن في دمشق فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فمَلَقَاهُ
وقال له : أقم حتى أدخل على الرَّجُلِ ، فإن كان عزّلك عن مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه
منفرداً وإن كان عن غير مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه مع النَّبَاسِ . فأقام ومضى عبد الرحمن
أمامه .

(١) أغاني ١٣ : ٢٥٩ والتجريد ١٥١٢ ومهذب ٤٣ : ٧ .

(٢) في الأغاني : شق بن رقية بن مخدج وفي الأصل ١ ، ب : ابن سوريّة .

فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يُعَشِّي الناس فقال :

أَتَتَكَ الْعِيسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تَكْشِفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقُطُوعَ
بَأَبْيَضَ مِنْ أُمِيَّةٍ مَضْرُوحِيٍّ ^(١) كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ مَنِيعٌ ^(٢)

فقال له معاوية: أزاراً جئت أم مفاخراً أم مكاراً ؟ قال : أى ذلك شئت . قال :
ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطع عَنْ كلامه الذى عَنْ له فقال : على
أى الظَّهْرِ أَتَيْتَنَا ؟ قال : على فَرْسٍ ، فقال : فما صنعت
غلالة أجش هزيم

يُمرِّضُ بقول النجاشي له :

وَنَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو غَلَالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّمَاحُ دَوَانِي
إِذَا خِلَتْ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ تَنَالَهُ مَرَّتُهُ بِهِ السَّاقَانِ وَالْقَدَمَانِ

فغضب معاوية وقال: أما إنه لا يَرُكِّبُهُ صَاحِبُهُ فِي الظُّلَمِ إِلَى الرَّيِّبِ وَلَا هُوَ
يَمْنُ يَتَسَوَّرُ عَلَى جَارَاتِهِ وَلَا يَتَوَثَّبُ عَلَى كَنَائِنِهِ بَعْدَ هَجَمَةِ النَّاسِ .

وكان عبد الرحمن مُتَّهَمًا بِذَلِكَ فِي امْرَأَةِ أَخِيهِ ، فَخَجَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا حَمَلَكَ عَلَى عَزْلِ ابْنِ عَمِّكَ ؟ الْجَنَازَةُ أَوْجَبَتْ سُخْطًا ؟ أَمْ لِرَأْيِ
رَأْيَتِهِ وَتَدْيِيرِ أَصْلَاحَتِهِ ؟ قَالَ : بَلْ لِرَأْيِ رَأْيَتِهِ وَتَدْيِيرِ أَصْلَاحَتِهِ ، قَالَ : فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ .
فَخَرَجَ فَلَقِيَ أَخَاهُ مَرْوَانَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى فَاسْتَشَاظَ غَيْظًا ، وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : قُبْحَكَ
اللَّهُ مَا أَضَعَفَكَ ، عَرَضْتَ لِلرَّجُلِ بِمَا أَغْضَبَهُ حَتَّى إِذَا اتَّصَفَ مِنْكَ أَحْجَمْتَ عَنْهُ .
ثُمَّ لَبِسَ حُلَّتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ وَدَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ رَأَاهُ
وَتَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ : مَرْحَبًا يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، لَقَدْ زُرْتَنَا بَعْدَ اسْتِثْنَاءٍ مِمَّا إِلَيْكَ ،

(١) المضروحي : السيد الكريم .

(٢) منيع (أغاني) .

فقال : لا والله ما زرتك لذلك ولا قدِمتُ عليك فالفيتُك إلا عاقاً قاطعاً . والله ما أنصفتنا ولا جزيبتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بنى عبد شمس لآل أبي العاصي والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حرب ، وشرفوكم وولّوكم فما عزلوكم^(١) ولا آثروا عليكم حتى إذا وليتُم وأفضى الأمر إليكم أبيتُم إلا أثره وسوء صنيعه وقُبْحَ قطيعه ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيهِ نيفا وعشرين ، وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحسنى والسوءى بالمرصاد .

وقيل : قال له معاوية : عزلتك لثلاث لو لم يكن إلا واحدة منهن لأوجببتُ عزلك ، إحداهن أنى أمرتُك على عبد الله بن عامر ، وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تشتفي منه ، والثانية كراهيتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتي رملة استعدتُك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها ، فقال مروان : أما ابن عامر فإني لا أستنصر منه في سلطاني ولكن إذا تساوت الأقدام عليم أين موقعه . وأما كراهتي أمر زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه ، ثم جعل الله لنا في تلك الكراهة خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه لتأتني على سنة أو أكثر وعيبتى^(٢) بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً يُعرّضُ بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح . فقال له معاوية : يا ابن الوزغ ، لست هناك . فقال مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة - يعني أربعين - ولو قد بلغوها لعلمت أين تقعُ منى . فأنخزل معاوية ثم قال :

فإن أك في شراركم قليلاً فإني في خياركم كثير
بنات الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلاتٌ نزورُ

(١) في الأصل (وعزلوكم) والتصويب عن الأغاني وبه يستقيم المعنى .

(٢) عيبة الرجل : موضع سره . وفي التجريد والأغاني (وعندي) .

فلما فرغ مروان من كلامه استخذني معاوية في يده وخضع له وقال : لك العُتْبَى وأنا رادُّك إلى عمِّك . فوثب مروان وقال : كلا ، والله . وعَيْشِكَ ، لا رأيتني عائداً إليه أبداً . وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيتُ لك سَقْطَةً مثْلَها قط . ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شيء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شيء تخشاه منهم ؟ فقال : ادنُ مني أُخْبِرْكَ بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم بن أبي العاصي كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة ، لما زُفَّت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحد النظر إليه ، فلما خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد حَدَّثَتَ النظرَ إلى الحكم فقال : ابن المخزومية ؟ ذلك رجلٌ إذا بلغ ولدُه ثلاثين - أو قال أربعين - ملكُوا الأمرَ عِدي ، فوالله لقد تَلَقَّاهَا مروان من عين صافية . فقال له الأحنف : لا يَسْمَعَنَّ هذا منك أحد ، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن . فقال له معاوية : فاكْتُمها علي يا أبا بحر إذا فقد ، لعمري ، صدقت ونصحت .

كان عبدُ الرحمن بن الحكم عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث إليه عبيدُ الله ابنُ زياد برأس الحسين بن علي ، رضى الله عنهما ، فلما وضع بين يدي يزيد في الطست بكى عبدُ الرحمن ثم قال :

أُبْلِغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَسْكُنُ كَمُوتِرِ اقْوَاسٍ وَلَيْسَ لَهَا كَنْبَلُ
لَهَا مٌ بِجَنْبِ الطِّفِّ أَذْنَى قَرَابَةٍ مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْوَعْدَى الْحَسْبُ الرِّذْلُ
سُمِّيَتْ أُمِّى نَسَلُهَا عِدَدَ الْحَصَى وَبَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلُ

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا .

قال ابن أبي مليكة : رأيت بني أمية يتتابعون نحو ابن عباس من حين نفي

ابن الزبير بنى أُمَيَّةَ عن الحجاز ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلا خارجا من عنده ، فدخلنا عليه فقال له عُبيدُ بنُ عُمَيْرٍ : مالى أراك تَذْرِفُ عَيْنَاكَ ؟ فقال : إن هذا ، يعنى عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتا أبكاني وهو :

وما كنتُ أخشى أن ترى الذَّلَّ نِسْوَتِي وعبدُ منافٍ لم تَغْلُها الفَوَائِلُ
فذكرت قرابةً بيننا وبين بنى عَمَّنَّا بنى أُمَيَّةَ ، وأنا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلامُ فدخل الشيطان بيننا أيما مدخل .

كان عبد الرحمن بن الحكم مُولَماً بجارية لأخيه مروان يقال لها شنباء ، ويهيمُ بحبها ، فبلغ ذلك مروانَ فنَهَرَهُ وتَوَعَّدَهُ وتحفظ منه في أمر الجارية ، وحجبها عنه ، وقال عبد الرحمن فيها :

لعمْرُ أبي شنباء إني بذكرها وإن شَحَطْتَ دارُ بها لَحَقِيقُ
ولمَّني لها ، لا يَنْزَعِ اللهُ ما أها لَدَيَّ^(١) ، وإن لم ترَّعَهُ ، لصديق
ولما ذَكَرْتُ الوصلَ قالتُ وأَعْرَضْتُ متى أنت عن هذا الحديثِ مُفِيقُ
لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مُفَرَّغٍ وذلك غلط :

ألا أبلغُ مُعاويةَ بنَ حرب مُغْلَغَلَةً من القَرَمِ الهِجَانِ^(٢)
اتعصبُ أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهدُ أن رَحِمَكَ من زيادٍ كَرَحِمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دان

(١) على (أغاني) .

(٢) القرم: السيد العظيم — الهجان من كل شيء : خياره وخالصة ، ورجل هجان : كريم

فبلغ ذلك معاوية فخاف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج
عبد الرحمن إلى زياد فلما دخل عليه قال : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :
ألا أبلغ معاوية بن حرب

فقال : لا أيها الأمير ما كذا قلت ولكنى قلت :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ زِيَادٍ	مُغْلَغَةٌ مِنَ الْقَرْمِ (١) الْهَجَانِ
مِنْ ابْنِ الْقَرْمِ قَرْمٌ بَنَى قَصِيَّةَ	أَبِي الْعَاصِي بْنِ أَمْنَةَ الْحَصَانِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى	وَبِالتُّورَةِ أَحْلَفُ وَالْقُرْآنِ
لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَسْطَى بَنَانِي
سِرَرْتُ بِقُرْبِهِ وَفَرَحْتُ لِمَا	أَتَانِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْبَيَانِ
وَقُلْتُ لَهُ أَخُو ثِقَةٍ وَعَمِّ	بِعَوْنِ اللَّهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ
كَذَاكَ أَرَاكَ وَالْأَهْوَاءَ شَتَّى	فَمَا أَدْرَى بِغَيْبٍ مَا تَرَانِي

فرضى عنه زياد ، وكتب بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب ، قال :
أنشدنى ما قلت لزياد ، فأنشده فتبسم ثم قال :

قببح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له حيث تقول :

لأنت زيادة في آل حرب

شرُّ من القولِ الأولِ ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه .

استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة
البحر فنكص واستمعى فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ
شاب ، فمضى وأبلى بلاء حسناً . فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث :

(١) الرجل (أغانى) .

شَنَانُكَ إِذَا رَأَيْتُكَ حَوْتُكِيًّا^(١) قَرِيبَ الْخَصِيَّتَيْنِ مِنَ التُّرَابِ
كَأَنَّكَ قَمَلَةٌ لَقِحتْ كَشَافَا لِبُرْعُوثٍ بَيْمَرَةً أَوْ صُؤَابٍ^(٢)
كَفَاكَ الْغَزْوُ إِذَا أَحْبَبْتَ عَنْهُ حَدِيثُ السِّنِّ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ
فَلَيْتَكَ حَيْضَةً ذَهَبَتْ ضَلَالَا وَلَيْتَكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّرَابِ
نَظَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ إِلَى قَتْلِ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْجَمَلِ فَبَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَيَا عَيْنَ جُودِي بَدَمَعَ سَرِبَ عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ
وَمَا ضَرَّهُمْ عِنْدَ حَيْنِ الْنفُوسِ أَيُّ أَمِيرِي قُرَيْشٍ غَلَبَ
عَرَضَ مَعَاوِيَةُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ خَيْلَهُ فَمَرَّ بِهِ فَرَسٌ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ قَالَ : سَابِحٌ . ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ آخَرَ فَقَالَ : هَذَا ذُو عُلَّالَةٍ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخَرَ فَقَالَ : هَذَا أَجَشُّ هَزِيمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا أُرَدْتُ إِنَّمَا عَرَّضْتُ بِقَوْلِ النَّجَاشِيِّ فِي :
وَنَجِي ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلَّالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَالرَّمَاخُ دَوَانِي
سَلِيمُ السَّطَا عَيْلُ الشَّوَى سَنَجُ النَّسَا كَسِيدِ النَّضَا بَاقِي عَلَى النَّسْلَانِ
أُخْرِجْ عَنِّي وَلَا تَسَا كُنِّي فِي بِلَدٍ ، فَتَلَقَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخَاهُ مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ
مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : حَتَّى مَتَى تُسْتَعْدَلُ وَتُضَامُ ؟ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : هَذَا عَمَلُكَ
بِنَفْسِكَ فَقَالَ :
أَتَقَطُرُ آفَاقُ السَّمَاءِ لِنَسَا دَمًا إِذَا قَلَّتْ هَذَا الطَّرْفُ أَجْرُدُ سَابِحٌ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَرْفَعُ الطَّرْفَ ذِلَّةً وَحَتَّى مَتَى تَعْيَا عَلَيْكَ الْمَنَاسِخُ
فَدَخَلَ مَرْوَانُ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ : حَتَّى مَتَى هَذَا الِاسْتِخْفَافُ بِآلِ أَبِي الْعَاصِ ؟
أَمَا اللَّهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، وَلَقُلْ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ :
فَضْحَكَ مَعَاوِيَةُ ، وَقَالَ : لَقَدْ عَفُوتُ لَكَ عَنْهُ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ .

(١) الحوتكي: القصير الضاوي (قاموس - حنك) وهي في الأصل حوبكيا .

(٢) الصؤاب جمع صؤابة وهي بيضة القمل .

ديك الجن^(١)

ديكُ الجنُّ لقبٌ غلبَ عليه .

وهو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان^(٢)
ابن زيد بن تميم .

وكان جدُّه تميمٌ ممن أنعم الله ، عز وجل ، عليه بالإسلام من أهلِ مؤتة^(٣)
على يد حبيب بن مسلمة الفهري .

وكان شديدَ التشعبِ والعصبيةِ على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضلٌ ،
جَمَعْنَا وإِيَاهُمْ وَلَادَةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمُوا وَمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا قُتِلَ بِهِ ،
وَلَمْ نَجِدْ اللَّهَ ، عز وجل ، فَضَّلَهُمْ عَلَيْنَا إِذْ جَمَعْنَا الدِّينَ .

وهو شاعرٌ مجيدٌ ، يذهب مذهبَ أبي تمامٍ والشاميين في شعره .

من شعراء الدولة العباسية ، [وكان من] ساكني حمص ولم يبرح نواحي الشام
ولا وفد على العراق ، ولا على غيره منتجعاً بشعره إلى أحد .

وكان ماجناً خليعاً ، منعكفاً على اللهو والقصف ، متلاقفاً لما ورث عن أبيه .
وكان مُتَشَبِّهًا تَشَبُّهًا حَسَنًا ، وله مراتٌ كثيرةٌ في الحسين ، رضى الله تعالى عنه ،
وعدة أشعار في هذا المعنى .

وكانت له جاريةٌ يهواها فاتنهما بعلام له فقتلها ، واستنفد شعره بعد ذلك
في مراثيها .

(١) أغاني ١٤: ٥١ - التجريد ق ٢ ج ١ - ١٥٤١ .

(٢) في الأصل : عنان بن يزيد .

(٣) مؤتة : قرية من أرض البلقاء من الشام وكانت بها غزوة في جادى الأولى سنة ثمان . التقى فيها المسلمون بالروم . وكانت كلمة مؤتة في الأصل (بيتة) .

ومن شعره :

أَنْتِ حَدِيثِي فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ أَتَعَبْتُ مِمَّا أَهْدَى بِكَ الْحَفَظَةَ
كَمْ وَاعِظٌ فَيْكَ لِي وَوَاعِظَةٌ لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تَنْهَاهُ عَنْكَ عِظَةٌ

وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية ، من أهل حمص هويها ، وغلبت عليه ، وذهبت به ، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ، فأجابته لعلمها برغبته فيها فأسلمت على يده فتزوّجها وكان اسمها ورداً ففي ذلك يقول :

النَّظَرُ إِلَى شَمْسِ الْقُصُورِ وَبَدْرِهَا وَلِلْوَنِ حُمْرَتِهَا ^(١) وَبَهْجَةِ زَهْرِهَا
لَمْ تَبْكِ ^(٢) عَيْنُكَ أبيضاً فِي أَسْوَدِ
وَرْدِيَّةُ الْوَجَنَاتِ يَخْتَبِرُ اسْمَهَا جَمْعُ الْجَمَالِ كَوَجْهِهَا فِي شَعْرِهَا
وَتَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا مِنْ نَعْمَتِهَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِخُبْرِهَا
تَسْقِيكَ كَأْسَ مَدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا عَجَباً وَلَكِنِّي بَكَيْتُ لَخُصْرِهَا
تَسْقِيكَ كَأْسَ مَدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا وَرْدِيَّةُ مَدَامَةٍ مِنْ ثَغْرِهَا ^(٣)

وكان قد أعسر واختلت حاله فرحل إلى سلمية ^(٤) قاصداً لأحمد بن علي الهاشمي ، فأقام عنده مدة طويلة وحمل ابن عمّه على بغضه إياه [بعد مودته وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنه أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له ، وقرر ذلك جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه . . .] ^(٥) فشاع الخبر حتى انتهى إلى عبد السلام فكتب إلى أحمد بن علي شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حمص ، ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها :

(١) وإلى خزامها (أغاني ١٤ : ٥٥ وتجريد : ١٥٤٢) .

(٢) لم تبك (تجريد) .

(٣) في الأصل تقديم وتأخير في وضع أشطر البيتين الأخيرين والتعديل عن التجريد .

(٤) سلمية من أعمال حماه .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، ونقلناه عن الأغاني لما يقتضيه السياق .

إِنْ رَيْبَ الزَّمَانِ طَالَ انْتِكَائُهُ كَمْ رَمْتَنِي بِحَادِثٍ أَحْدَاثُهُ

[يقول فيها] :

ظَنِّيْ أَنَسٍ قَلْبِيْ مَقِيلُ ضُجَّاهُ وَفُؤَادِيْ بَرِيرُهُ وَكَبَائُهُ^(١)

[وفيها يقول] :

خِيفَةً أَنْ يَخُونُ عَهْدِيْ وَأَنْ يُضْ حَيِّ لَغَيْرِيْ حُجُولُهُ وَرِعَاثُهُ^(٢)

ومدح أحمدَ فيها ، فأمره بالرجوع ، فرجع إلى حمص وفر ابنُ عمِّه ، وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه ، خَرَجَ إليه مُسْتَقْبِلًا وَمُعْتَفًا على تَمَسُّكِ هذه المرأة بعد ما شاع أمرُها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها أَعْدَتَتْ في مغيبه حادثةً لَا يَجْمَلُ [به] معها القيامُ عليها ودَسَّ الرجلُ الذي رماها به ، وقال : إذا قدم عبدُ السلام فقفْ على بابهِ ، كأنك لم تعلم بقدومه ، ونادِ باسم وَرْدٍ فإذا قال : من أنت ؟ فقل : أنا فلان ، فلما نزل عبدُ السلام منزله وألقى ثيابه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جواباً من لم يَعْرِف من القصص شيئاً ، فبينما هو في ذلك إذ قَرِعَ البابُ فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا فلان ، فقال لها عبدُ السلام : يا زانية زعمتِ أنك لا تعرفين من هذا شيئاً ، واختَرَطَ سيفه وضرَبَها فقتلها وقال :

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِمَطْفِئِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوَصَالِ وَصَلْتُ

فَالَّذِي - مَنِيْ اشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ الْعَارُ مَا قَدْ عَلَيْهِ اشْتَمَلْتُ

قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدْ حَلُمْتُ وَلَا أَعْلَمُ أَنِيْ حَلُمْتُ حَتَّى جِهَلْتُ

(١) البريرة: من ثمر الأراك ، والكبات ما نضج منه .

(٢) الحجول جمع حجل : وهو الخلل - والرعات : ما يعلق في أذن المرأة من القرطة

والواحدة رعثة .

لائم لي بجهله ولماذا
سوف آسى طول الحياة وأبكى
أنا وحدي أحببت ثم قتلت
لك على ما فعلت لا ما فعلت
وقال أيضا فيها :

لك نفس مواتيه والنيا معاديه
أيها القلب لا تمد لهوى البيض ثانيه
ليس برق يكون أخ لب من برق غانيه
خفت سرى ولم أخ لك فموتى علانيه

ثم بلغ السلطان خبره فطلبه ، فخرج إلى دمشق ، فأقام بها ، وكتب أحمد
ابن علي إلى أمير دمشق يسأله أن يؤمنه ويحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوه
جنائته ، فقدم حص ، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته فندم ، ومكث شهراً
لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام إلا ما يمسك رمة .

وقال في نذبه عليها :

ياطلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردي يديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها
مكنت سيفي^(١) في مجال وشاحها ومدامى تجرى على خديها
فوحق نعلها فما وطىء الخصى شي أعز علي من نعلها
ما كان مقتلها^(٢) لأنني لم أكن أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وانفت من نظير الحسود إليها
وتروى هذه القصيدة لغيره .

(١) قد بات سفي (أغاني) .

(٢) قتلها (أغاني) .

قيل كان في غطفان فتى يقال له السُّلَيْكُ بن مجّمع ، وكان من الفرسان ، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم وكان يهوى بنت عمّه له ، فكان يخطبها مدّة ، فيمنعها أبوها ، ثم زوّجها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطلبونه بدم قاتلهم فقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجراح آخرين وأثخن هو حتى أيقن بالموت ، فعاد إليها فقال : ما أسمح بكِ نفساً لهؤلاء ، وإنى أحبُّ أن أقدمك قبلى . قالت : افعل ، ولو لم تفعله لعمّته أنا بعدك . فضربها بسيفه حتى قتلها وقال :

يا طلعة [طلع] الحمام عليها الأبيات

ثم نزل إليها وتمرّغ بدمها ، وتخصّب به ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل . وبلغ قومه خبره فحملوه وابنة عمّه ودفنوها وحفظت فزارة عليه الأبيات فنقلوها ، وقيل : إن قومه أدركوه وبه رمق فسمعوه يُردّد الأبيات فحفظوها ، وبقي عندهم يوماً ومات .

وقال ديك الجن في هذه المقتولة :

أشفقتُ أن يردّ الزمانُ بِغَدْرِهِ	أو أبتلى بعد الوصال بهجره
قر أنا استخرَجته من دُجْنِهِ	لبليّتي وجلوته من خِدرِهِ
فقتلته وبه على كرامة	مِلّه الحشا . وله الفؤادُ بأُسْرِهِ
عهدي به ميثاً كأحسنِ نائِمٍ	والحزنُ يسقى ^(١) عِبرَتِي في نَحْرِهِ
لو كان يدري الميثُ ماذا بَعْدَهُ	بالْحَى ^(٢) كان بكى له في قَبْرِهِ
غُصَصُ تكاد تغيظ منها نفسه	ويكادُ يخرج قلبه من صَدْرِهِ

(١) يسفح دمعى (أغاني) .

(٢) بالحي حل (أغاني) .

كان ديك الجن يَهْوَى غلاماً من أهل حمص يقال له بكر بن رهم^(١) ، وكان شديد التمتع والصون ، فاحتال عليه قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى منزله لهم يعرف بميماس فأشكروه وفسقوا به جميعاً ، وبلغ ذلك ديك الجن فقال فيه :

قل لمضيم الكشح ميماس	أنتقص العهد من الناس
باطاقة ^(٢) الآس التي لم تمتد	إلا أذلت قصب الآس
ورثت بالكاس وشرابها	وحف أمثالك في الكاس
وردت ^(٣) ميماساً ويا بعد ما	بين مغيثيك وميماس
تقطع أنفاسك في إرهم	وملكهم قطع أنفاسي
لا بأس مولاي على أنها	نهية المكروه والبأس
بيننا أنافت وعلت بالفتى	إذ قيل خطته على الراس
فاله ودع عنك أحاديثهم	سيصبح الذاكر كالنأسي

وقال فيه وقد جلسا يتجادلان حتى غاب القمر :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدر
إذا ما تجلى من محاسنك الفجر
إذا ما انتضى سحر الذين يبايل
فطارفك لي سحر وريقك لي سحر
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى

لصحت بأعلى [الصوت] يا بكر يا بكر

وقال فيه أيضاً :

يا بدر ما فعلت بك الأبطال^(٤) يا دار ما فعلت بك الأيام

(١) في الأغاني والتجريد : بكر بن دهمرد .

(٢) يا طلعة (أغاني) .

(٣) وحال ميماس (أغاني) .

(٤) في الأصل (الأبطال) والتصويب عن الأغاني ، ويريد بها أبطال الحمر .

في الدارِ بَعْدُ بقيّة نِستامِها
عَرَمَ الزَّمانُ على الدِّيارِ بِرَغَمِهِمْ
شغل الظلام كراك عن ديوانهم^(١)
وقال فيه أيضاً :

قولا لبكر بن دهمرد^(٢) إذا اعتكرت
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ الْبَغْيَ مَضْرَعَةٌ^(٣)
قَدْ كُنْتَ تَنْفِرُ^(٤) مِنْ سَهْمٍ بِغَانِيَةٍ
وَكُنْتَ تَفْرَعُ مِنْ لَمَسٍ وَمِنْ قُبَلٍ
وإن تَدَمَّ فَخِذَاكَ مِنْ رَكْضٍ فَرُبَّمَا
وقال يُعَزِّي جعفر بن عليّ الهاشمي من قصيدة :

نَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ
إِذَا عَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا
ثم مات جعفر بن عليّ فقال يرثيه :
على هذه كانت تدورُ النوائِبُ
ألا أيُّها الركبُانُ والرَّدُّ واجبٌ
إلى أي فتیانِ الندى قصَدَ الرَّدَى
وفي كل جَمْعٍ للذهابِ مَذَاهِبُ
قفوا خَبَرُونَا ما تقول النَوادِبُ
وأيُّهُمْ نَابَتْ رِجَاءُ النَوائِبُ

(١) في ديوانه (أغاني) .

(٢) في الأصل : رَغَمَ والتصويب عن الأغاني .

(٣) مهلكة (تجريد) .

(٤) تفرق (تجريد) .

(٥) أمسي عليك وقلبي الوجع الدامي (أغاني - تجريد) .

فيا قَبْرَهُ جَدَّ كُلِّ يَوْمٍ بِجُودِهِ
فإنك لو تَدْرِي بما فيك من عُلَا
أَسْعَى لأَحْظَى فِيهِ بِالْأَجْرِ إِنَّهُ
وما الإِثْمُ إِلَّا الصَّبْرُ عَنْكَ وَإِنَّمَا
يَقُولُونَ مِقْدَارُهُ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ
تَرَشَّفتُ أَيَّامِي وَهُنَّ كَوَالِحٌ
فَدَافَعْتُ فِي صَدْرِ الزَّمَانِ وَنَجَّيْتُهُ
لو أن يَدِي كَانَتْ شِفَاءَكَ أَوْ دُمِي
لَسَلِمْتَ تَسْلِيمَ الرِّضَا وَتَخَذْتُمَا
فَتَى كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ مِنْ حَيْثُ جِئْتَهُ

لِنَائِبَةٍ نَائِبَتِكَ فَهُوَ مُضَارِبٌ

بَكَكَ أَخٌ لَمْ تَحْوِهِ بَقَرَابَةٌ
فَتَى هَمُّهُ حَمْدٌ عَلَى الدَّهْرِ رَاجِحٌ
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَأَمْرِهِ
شِمَائِلُ إِنْ يَشْهَدُ فَنَنْتَ مَشَاهِدٌ
وَتَضْحَكُ سَنُ الْمَرْءِ وَالْقَلْبُ مُوجَعٌ
وَأَظْلَمْتُ [الدُّنْيَا] (٢) الَّتِي كُنْتُ جَارَهَا

كَأَنَّكَ لِلدُّنْيَا أَخٌ وَمُنَاسِبٌ

مُبَرَّدٌ نِيرَانِ الْمَصَائِبِ أَنَّنِي أَرَى زَمَنًا لَمْ تَبْقَ فِيهِ مَصَائِبٌ

(١) يَقْضِبُ الْقَلْبَ قَاضِبٌ (أَغَانِي) .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي .

كان خطيب حمص يُصَلِّي على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثَ مراتٍ في
خُطْبَتِهِ ، وأهل حمص كلُّهم من اليَمَن [لم يكن فيهم من مضر] ^(١) إلا ثلاثة أبيات
فتمصّبوا على الخطيب وعزلوه فقال فيهم ديك الجن :

سَمِعُوا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ تَوَالِي	فَتَفَرَّقُوا شِيْعًا	وَقَالُوا لَا لَا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى الصَّلَاةِ إِمَامُهُمْ	فَتَحَزَّبُوا وَرَمَى الرِّجَالُ رِجَالًا	
شَاهَتْ وَجُوهُكُمْ وَجُوهٌ طَالَمَا	رَغِمَتْ مَعَاطِئُهَا وَسَاءَتْ حَالَا	

(١) ما بين القوسين من الأغاني .

علي بن الخليل^(١)

مولي لمن بن زائدة الشيباني .

كوفي كنيته أبو الحسن .

كان يماثر صالح بن عبد القدوس ، ولا يفارقه فاتهم بالزندقة وأخذ مع صالح ثم أطلق لما انكشف أمره .

لما جلس الرشيد بالرافقة^(٢) للمظالم ، دخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئي على عصا وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه والثياب وفي يده قصة فلما رآه أمر بأخذ قصته . فقال : يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت ، فقال : اقرأها ، فاندفع ينشد ما فيها من الأبيات :

إني لجأت إليك من رهب	قد كان شرّ دني ومن كبس
واخترت حكمك لا أجوز	حتى أوسد في ثرى رمسي
كم قد قطعت إليك مدريعا	ليلا بهيم اللون كالنفس
إن حاجني من هاجس جزع	كان التوكّل عنده تربي
ما ذاك إلا أنني رجل	أصبو إلى بقر من الإنس
بقر أوانس لا قرون لها	نجل العيون نواعم أمس
ردع العير على ترائبها	يقبلن بالتقبيل ^(٣) والجلس
وتشاهد الفتيان بينهمو	صفراء عند المزج كالورس

(١) أغاني ١٤ : ١٧٤ .

(٢) الرافقة بلد متصل البناء بالركة وهما على ضفة الفرات (مراسد) وكانت في الأصل بالرافقة . (٣) الترحيب (أغاني) .

للماء في حافاتها حَبَبٌ نَظَمٌ كَرَفَمَ صَحَائِفِ الْفُرْسِ
والله يَعْلَمُ في بَقِيَّتِهِ ما إِنْ أَضَعْتُ فَرَائِضَ^(١) الْخُمْسِ
يا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحِلِهِ نُجْبٌ تَخَبُّ بِمَهْمَةٍ جَلَسَ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ في أَرْمَتِهَا طَيَّ التَّجَارِ عِمَائِمِ الْبُرْسِ^(٢)
لما رَأَتْكَ الشَّمْسُ إِذْ طَلَعَتْ كَسَفَتْ بِوَجْهِكَ ظَلَمَةَ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلُّهُمْ في يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي أُمْسِ
لَهُ مَا هَازُونَ مِنْ مَلِكٍ بَرُّ السَّرِيرَةِ طَاهِرِ النَّفْسِ
مَلِكٌ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نِعَمٌ تَرْدَادُ جِدَّتِهَا عَلَى اللَّبْسِ
تَحْكِي خِلَافَتَهُ بِبَهْجَتِهَا أَنْقَ السَّرُورِ صَبِيحَةَ الْعُرْسِ
مِنْ عِتْرَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا أَهْلُ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
نُطْقٌ إِذَا احْتَضَرَتْ بِجَالِسِهِمْ وَعَنْ السَّفَاهَةِ وَالْخَلَا خُرْسِ
فَأَطْلَقَهُ الرَّشِيدَ وَقَتَلَ صَالِحَ بْنِ عَبْدِ الْقُدُوسِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ فِي أَنَّهُ لَا تُقْبَلُ لَهُ
تُوبَةٌ بِقَوْلِهِ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ
وَقَالَ : إِنَّمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَتْرُكُ الزُّنْدَقَةَ وَلَا تَحُولُ عَنْهَا أَبَدًا .
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَنِّهِمِ الرَّمْلِيُّ : قَالَ لِي الْمَأْمُونُ يَوْمًا : أَنْشِدْنِي بَيْتًا جَيِّدًا فِي الْمَدِيحِ
فَإِخْرًا عَزِيزًا مُلْحَدًا حَتَّى أُوَلِّيكَ كُورَةً تَخْتَارُهَا قَالَ قُلْتُ : قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيلِ :
فَمَسَحَ السَّمَاءَ فَرَوْعُ نَبْعَتِهِمْ وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفُرْسِ
مُتَهَلِّلِينَ عَلَى أَسْرَانِهِمْ وَلَدَى الْهَيَاجِ مَصَاعِبُ الشَّمْسِ^(٣)

(١) إقامة (الأغاني) .

(٢) البرس بالكسر والضم : القطن أو شبيهه به .

(٣) الشمس (جمع شمس) من الرجال : الصعب الخلق .

فقال : أحسنتَ وَلَيْتُكَ الدِّينُورُ ، فَأَنشِدْنِي بَيْتَ هِجَاءٍ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ ، حَتَّى أُولِيكَ كُورَةَ أُخْرَى فَأَنشِدْتَهُ :

قَبِضَتْ مَنَاطِرُهُمْ فَمِنْ خَبَرَتُهُمْ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لِقُبْحِ الْخَبَرِ
قال : أحسنتَ وَلَيْتُكَ هَمْدَانُ . فَأَنشِدْنِي مَرثِيَةً حَتَّى أُولِيكَ كُورَةَ أُخْرَى
فَأَنشِدْتَهُ :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ
قال : أحسنتَ وَلَيْتُكَ نَهَاوَنْدُ ، فَأَنشِدْنِي بَيْتًا مِنَ الْغَزْلِ ، عَلَى هَذَا النَّمَطِ ، حَتَّى أُولِيكَ كُورَةَ أُخْرَى ، فَأَنشِدْتَهُ :

تَمَالَ نَجْدٌ دَارِسَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا كَلَانَا عَلَى طَوْلِ الْجَفَاءِ مَلُومُ
فقال : أحسنتَ قَدْ جَعَلْتَ الْخِيَارَ إِلَيْكَ ، فَاخْتَرْتُ السُّوسَ مِنْ كُورِ الْأَهْوَاِ
فَوَلَانِي ذَلِكَ أَجْمَعَ وَوَجَّهْتُ إِلَى السُّوسِ بَعْضَ أَهْلِي .

نَزَلَ أَبُو دُلَامَةَ بِدِهْقَانٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو بَشِيرٍ فَسَقَاهُ شَرَابًا أَعْجَبَهُ فَقَالَ :
سَقَانِي أَبُو بَشِيرٍ مِنَ الرَّاحِ شَرِبَةً لَهَا لَذَّةٌ مَا ذُقْتُهَا بِشَرَابِ
وَمَا طَبَخُوهَا غَيْرَ أَنْ غُلِّمَهُمْ سَمِي فِي نَوَاحِي كَرَمِهَا بِشِهَابِ
فَأَنشِدَ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَقَالَ : أَخْرَقَهُ الْعَبْدُ أَخْرَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَلَدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ ابْنٍ ، فَوَافَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْخَلِيلِ ، فَقَالَ : اسْمَعْ مِنِّي أَيُّهَا الْأَمِيرُ
تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ ، فَأَنشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ النَّرِّ^(١) مِنْ وَائِلٍ أَهْلَ الرِّيَاسَاتِ وَأَهْلَ الْمَعَالِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
جَاءَتْ بِهِ غِرَاءُ مِمْسُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ

عليه من معنٍ ومن وائلٍ سِيا تباشيرٍ وسِيا جَلالٍ
 فاللهُ يُبقيهِ لنا سَيِّدا مُدافعاً عنا صروفَ الليالِ
 حتى نراهُ قد علا مِنبراً وفاضٍ في سؤاله بالنِّوالِ
 وسَدَّ ثَغْراً فكفى شرَّه وقارعَ الأبطالِ تحْتَ العوالِ
 كما كفانا^(١) ذاكَ آباؤه فيَحْتَذِي أفعالهم عن مِثالِ
 فأمرَ له عن كلِّ بيتٍ بألفِ درهمٍ .

دخل عليُّ بن الخليل على المهديِّ فقال له : يا عليُّ ، أنت على معاقرتك الخمرَ
 وشرِّبك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ قال : تبتُّ منها . قال :
 فأين قولك فيها :

أولعتُ نفسي بِلَدَّتِها ما ترى عن ذاكِ إقصارا
 وأين قولك :

إذا ما كنتَ شاربِها قسِراً ودع قول المواذلِ واللواحي
 قال : هذا شيءٌ قلتهُ في شبابي يا أمير المؤمنين ، وأنا القائلُ بعد ذلك :
 على اللذاتِ والراحِ السلامُ تَقْضِي العهدُ واتقطع الدِّمامُ
 مضى عهدُ الصِّبا وخرَجْتُ عنه كما من غمِّدِه خرج الحُسامُ
 وَقرْتُ^(٢) على المشيبِ فليس مِنِّي وصالُ الغانياتِ ولا المدامُ
 ووَلَّى اللهُو والقَيْناتُ عَنِّي كما ولي عن الصُّبْحِ الظلامُ
 حلبت الدهرَ أشطَرَه فعمدى لصَرْفِ الدهْرِ محمودٌ وذامُ

(١) في الأصل (كفتنا) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) وقر على وزن كرم ووعده : رزن .

دخل علي بن الخليل ذات يوم علي زائدة بن مَعْنٍ فخادته وناشده ، ثم قال له زائدة : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نَشِطَ الأميرُ ، فَأُتِيا بالطعامِ فأَكَلَا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ فقال : إن سقيتني [ما أريد شربت] ^(١) وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه . فضحك ثم قال : قد عرفتُ الذي تريد ، وأنا أسقيك منه فَأُتِ بِشَرَابٍ عَمِيقٍ ، فلما شَرِبَ منه ، وطابت نَفْسُهُ أنشأ يقول :

يا صاحٍ قد أنعمت إصباحي	فبادر ^(٢) السلسال بالراح
قد دارت الكأس برقراق	حياة أبدان وأرواح
تجري على أغيد ذي روثق	مُهَذَّبِ الأخلاقِ جَحْجَاح
ليس بفحاشٍ على صاحب	ولا على الراحِ بفضاح
تسره الراح إذا أقبلت	ريح أنرج وتفاح
يسمى بها أزهر في قرطق	مقلد الجيد بأوضح
كأنها الزهرة في كفه	أو شعلة أو ضوء مضباح

كان لعلي بن الخليل صديق من الدهاقين يُعاصِره ، فغاب عنه غيبة طويلة ، وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا فدفعه ، وقويت حاله وادعى أنه من بني تميم ، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيته فقال يهجوهُ :

فرشت له قريح المسـ	ك والنسرين والعربا
فأمسك أنفه عنها	وقام مؤلياً هرباً
يشمُ الشيخ والقيصو	م كي يستوجب النسباً
وقام إليه ساقينا	بكأس تنظم الحبيباً

(١) الزيادة عن الأغاني ١٤ : ١٨٠ .

(٢) في الأغاني : يارد .

مُعْتَقَةٍ مُرَقَّرَقَةٍ (١) تَسْلَى هَمَّ مَنْ شَرِبَا
 فَآلَى لَا يُسَلِّسِلُهَا وَقَالَ أَصِيبْ لَنَا حَلَبَا
 وَقَدْ أَبْصَرْتُهُ دَهْرًا طَوِيلًا يَشْتَهَى الْأَدْبَا
 يَرُوحُ بِنِسْبَةِ الْمَوْلَى وَيُصْبِحُ يَدَّعِي الْعَرَبَا
 فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا كَ يَذْرُكُهُ إِذَا طَلَبَا
 أَتَيْنَاهُ بِشَبُوطٍ (٢) يَرَى فِي ظَهْرِهِ حَدَبَا
 فَقَالَ أَمَا لِي خِلْكَ (٣) فِي طَعَامٍ يَذْهَبُ السَّغْبَا
 فَصِدُّ لَأَخِيكَ يَرْبُوعًا وَضَبًا وَاتْرِكِ اللَّعْبَا
 فَصَارَ تَشَبُّهًا بِالْقَوِّ مَرَّ جِلْفًا جَانِيًا جَشْبَا (٤)
 إِذَا ذُكِرَ الْبَرِيرُ (٥) بَكَى وَأَبْدَى الشَّوْقَ وَالطَّرْبَا
 وَلَيْسَ ضَمِيرُهُ فِي الْقَوِّ م إِلَّا الْقَيْنَ وَالْعِنْبَا
 جَعَدْتُ أَبَاكَ نَسْبَتَهُ وَارْجُو أَنْ تُفِيدَ أَبَا
 أَرْغَبَ عَنْ بَنِي كَسْرَى وَمَا عَنْ مِثْلِهِمْ رَغْبَا

كان علي بن الخليل جالسا مع ولد المنصور وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدي ، فررت عتبة في مولاتها ، والجارية معها فوقفت وسلمت وسألت عن خبره ، فلم يؤفها حق الجواب لشغله (٦) بالجارية فلما انصرف أنشده علي بن الخليل :

(١) مروقة (أغاني) .

(٢) الشبوط : سمك نهري صغير الرأس عريض الوسط .

(٣) أَمَا لِي خِلْكَ مِنْ (أغاني) .

(٤) الجشب : الحشن الغليظ .

(٥) في الأصل (الزبير) والتصويب عن الأغاني ، والبرير : ثمر الأراك .

(٦) لشغل قلبه (تجريد) .

راقِبْ بِطَرَفِكَ مِنْ تَخَا فُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْخَلِيلِ
فَإِذَا أُمِيتَ مَخَافًا^(١) فَعَلَيْكَ بِالنَّظَرِ الْجَمِيلِ
إِنْ الْعَيُونَ تَدُلُّ بِاللَّ ظَرَ الْمَلِيحِ عَلَى الدَّخِيلِ
إِنَّمَا عَلَى حُبِّ شَدِيدٍ دُ أَوْ عَلَى بُغْضٍ أَصِيلِ

كتب والبة بن الحباب يوما إلى علي بن الخليل يسأله ويسأله ألا يشتغل
بالمهاشمي يومه ذلك ويصف له مجلسه وغلاما دعاه وغناه عنده فكتب إليه
علي بن الخليل من أبيات :

أما ولحاظُ جارية تَذِيبُ حُشَاشَةَ الْمُهْجِ
وَسِخْرُ جَفْوَنِهَا الْمَضْيِيعِ كَ بَيْنَ الْفَتْرِ وَالْدَّعِجِ
مَلِيحَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا مِنْ خُلُقِهَا السَّعِجِ
وَحُرْمَةٌ دَنَّاكَ الْمَزْوِ لِ وَالصَّبَاءِ مِنْهُ تَجِي
كَأَنَّ مَجِيئَهَا فِي السَّكَا سَ حِينَ تُصَبُّ مِنْ وَدَجِ
لَوْ أَنْعَرَجَ الْأَنَامُ إِلَى بِشَاشَةِ مَجْلِسِ بَهْجِ
وَكُنْتُ بِجَانِبٍ جَدْبٍ لَكَانَ إِلَيْكَ مُنْعَرِجِي
وَصَارَ إِلَيْهِ فِي أَثَرِ الرُّقْمَةِ .

(١) لحاظهم (أغانى - تجريد).

أبو الشَّيْبِلِ عَصْمَةُ بْنُ وَهْبِ الْبُرْجُمِيِّ^(١)

هو عَصْمَةُ^(٢) بْنُ وَهْبٍ مِنَ الْبَرَّاجِمِ .
وَلَدَ بِالْكُوفَةِ ، وَتَأَدَّبَ بِالْبَصْرَةِ .
وَقَدِمَ إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيِ أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ وَمَدَحَهُ .
وَكَانَ طَبِّياً نَادِراً [كَثِيرَ الْغَزْلِ]^(٣) مَا جِئْنَا ، فَتَفَقَّ عَلَى^(٤) الْمُتَوَكِّلِ بِإِشَارَةِ الْعَبَثِ
وَحَدَّثَهُ^(٥) وَخُصَّ بِهِ فَاتْرَى وَأَفَادَ .

ولما مدحه بقوله :

أَقْبَلِي فَأَخْيِرُ مُقْبِلٌ وَاتْرَكِي قَوْلَ الْمُعَلَّلِ
وَتَقِي بِالنَّجْجِ إِذَا بَدَأَ صَرَّتِ وَجْهَ الْمُتَوَكِّلِ
مَلِكٌ يُنْصَفُ يَا ظَا لِمَتِي مِنْكَ وَيَمْدِلُ
فَهُوَ الْغَايَةُ وَالْأَمَلُ مَوْلَى يَرْجُوهُ الْمُؤَمِّلُ

أَمْرَ لَهُ لِكُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ ثَلَاثِينَ بَيْتاً ، فَانْصَرَفَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
مَدَحَ أَبُو الشَّيْبِلِ الْبُرْجُمِيُّ مَالِكََ بْنَ طَوْقٍ بِمَدْحٍ عَجِيبٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصُرَّةٍ مَخْتُومَةٍ
يَنْهَا مِائَةَ دِينَارٍ ، فَظَنُّهَا دِرَاهِمَ فَرَدَّهَا وَكَتَبَ مَعَهَا :

(١) أَغَانِي ١٤ : ١٩٣ . وَالْبُرْجُمِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى الْبَرَّاجِمِ وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنْ تَمِيمٍ وَهُوَ لَقَبُ الْخَمْسَةِ
بَطُونٍ : عَمْرُو ، وَالظَّلِيمِ وَقَيْسٍ وَكَلْفَةَ وَغَالِبَ بَنِي حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ (الْبَاب) .

(٢) عَاصِمٌ (أَغَانِي) .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي .

(٤) عِنْدَ .

(٥) وَخَدَّمَهُ

فَلَيْتَ الَّذِي جَادَتْ [به] كَفُّ مَالِكٍ وَمَالِكٌ مَدْسُوسَانِ فِي اسْتِ امِّ مَالِكٍ
وَكَانَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي اسْتِهَا فَأَيَّسَرُ مَفْقُودٍ وَأَهْوَنُ هَالِكٍ
وَكَانَ [مَالِكٌ] ^(١) يَوْمَئِذٍ أَمِيرًا عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الرِّقْعَةَ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ
فَأَحْضَرَ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ظَلَمْتَنَا وَاعْتَدَيْتَ عَلَيْنَا . فَقَالَ : قَدَّرْتُ عِنْدَكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،
فَوَسَّلْتَنِي بِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : افْتَحْهَا فَفَتَحَهَا فِإِذَا هِيَ مِائَةُ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَقْلَنِي
أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : قَدْ أَقْلَتُكَ وَلَكَ كُلُّ مَا تُحِبُّ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَقَصَدْتُ نِيَّي .

وَقَالَ أَبُو الشَّيْبِلِ الْبُرْجُمِيُّ : كَانَ فِي جِيرَانِي طَبِيبٌ أَحْمَقُ فَمَاتَ فَرَأَيْتُهُ فَقُلْتُ :

قَدْ بَكَاهُ بَوْلُ الْمَرِيضِ بَدَمْعٍ وَكَيْفَ فَوْقَ مُقْلَتَيْهِ ذَرُوفٍ
ثُمَّ شَقَّتْ جُيُوبَهُنَّ الْقَوَارِدُ رُ عَلَيْهِ وَنُحْنُ نَوْحِ اللَّهِيْفِ
يَا كَسَادَ الْخِيَارِ شَنْبَرَ وَالْأَقْدُ رَاصٍ طُرًّا وَيَا كَسَادَ السُّفُوفِ
كَيْفَ تَمْشِي مَعَ الْقَوَى فَإِنْ جَا ضَعِيفٌ لَمْ تَكْتَرِثْ بِضَعِيفِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَنُوفٍ رَقَاعَا تِ تَوَلَّيْتُ مِنْهُ وَعَقْلٌ سَخِيفِ

قَالَ أَبُو الشَّيْبِلِ : لَمَّا عَرَّضَ لِي الشَّعْرُ أَتَيْتُ جَارًا لِي نَحْوِيَا ، وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ ،
أُظَنُّهُ الْمَازِنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ رَجَلَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ وَقَدْ جَاشَ صَدْرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ
الشَّعْرِ ، فَكْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ حَتَّى تَسْمَعَهُ ، قَالَ : هَاتِيهِ وَكُنْتُ قُلْتُ شَعْرًا لَيْسَ بِالْجَمِيدِ ،
إِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ مُبْتَدِئٌ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ : مِنَ الْعَاضِ بَظُرُ أُمِّهِ الْقَائِلُ هَذَا ؟ فَقُمْتُ
حَاجِلًا ، وَقُلْتُ لَهُ : أَعْضَاكَ اللَّهُ بِبَظُرِ أُمِّكَ .

كَانَ أَبُو الشَّيْبِلِ إِذَا حَضَرَ مَكَانًا أَضْحَكَكَ التَّوَاكِلُ بَنُوادِرِهِ ، قَالَ ابْنُ الْمَرْزُبَانِ :
فَرَأَيْتُهُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي ، وَقَدْ قَالَ لَهُ : حَدَّثْنَا بِبَعْضِ نَوَادِرِكَ . قَالَ : نَعَمْ زَنَى ابْنُ بَنِي
بِجَارِيَةٍ سِنْدِيَّةٍ لِبَعْضِ جِيرَانِي ، فَحَبِلَتْ وَوُلِدَتْ : وَكَانَتْ قِيَمَةُ الْجَارِيَةِ عَشْرِينَ

دينارا^(١) فقال لي: يا أبتِ ، الصبيُّ ابني ، فساومت به ، فقيل لي: خمسون ديناراً ، فقلت له : ويحك كنت أخبرتنى الخبرَ وهي حُبلى فأشتريتها بعشرين ديناراً ، ونزح الفضل بين الثمنين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبي حتى اشتريته بما أرادوا ، ثم أحبلها ثانية فولدت ابناً آخر فجاء يسألني أن أبتاعه . فقلت له : عليك لعنة الله ، أى شيء حَمَلَكَ على أن تُحبل هذه ؟ ألا عَزَلْتَ عنها ؟ فقال : لا أستحل العَزَلَ وأقبل على جماعةٍ يُعَجِّبُهُمْ مني ويقول : أبى شيخٌ كبيرٌ يأمرني بالعَزَلَ . ويستَحِلُّه ، فقلت له : يا ابن الزانية تستحل الزنى وتخرج من العَزَلَ . فضحكنا منه . وقلنا له : زدنا فقال :

دخلت أنا ومحمودُ الوراقُ إلى حانة يهوديٍّ خمارٍ فقلت له أريد بنتَ عشرٍ قد أنضجها الهَجِيرُ فأخرج لنا شيئاً عَجيباً فابتعنا منه وشربنا . فقلت له : اشرب معنا ، فقال : لا أستحل شرب الخمر . فقال لي محمودُ : ويلك ! رأيتَ أعجبَ مما نحن فيه ؟ يهوديٌّ يتحَرَّجُ من شرب الخمرِ ، ونحن نشربها ونحن مسلمون ، فقلت : أجل ، والله لا نُفْلِحُ أبداً ، ولا يعبأ الله بنا . ثم سَكِرْنَا وقمنا في الليل ، فَنَكُنَا بنته وامرأته وأختَه وسَرَقْنَا ثيابَه وخَرَبْنَا في مناراتٍ نبيذٍ له وانصرفنا .

قال أبو الشَّيْبِلِ الْبُرْجُمِيُّ : حضرت مجلسَ عُبيدِ اللهِ بن يحيى بن خاقان وكان إلى مُحَسِّنًا وعلى متفضلاً ، فجری ذكر البرامكة ووصفهم الناسُ بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثرُوا ، فقامت في وسط المجلس فقلت لعبيد الله : أيها الوزيرُ قد حكمتُ في هذا الخطب حُكماً نظمته في شعر لا يقدرُ أحدٌ أن يرُدَّهُ عَلَيَّ ، وإنما جعلته شعراً ليُدَوَّنَ ويبقى فيأذن الوزيرُ في إنشاده فقال : قل ، فقلت :
رأيتُ عُبيدَ اللهِ أكبرَ سُودداً وأكرمَ من فضلِ بن يحيى وخالدِ
أولئك جادوا والزمانُ مساعدٌ وقد جاد ذا الدهرُ غيرُ مساعدِ

(١) في الأصل : درهما والتصويب عن الأغاني والسياق يؤكد .

فتهلل وجه عبيد الله ، وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطت يا أبا الشَّبل ولا هذا كله . فقلت : والله ما حايبتك أيها الوزير ، ولا قلت إلّا حقاً ، وأتبعني القوم في تقرّظه فما خرجتُ من مجلسه إلّا وعلى الخلع وتحتي دابةٌ بسرجها وإجامها ، وبين يدي خمسة آلاف درهم .

كان أبو الشبل بعث بقمينة كانت لهشام النخويّ الضريّر تدعى خنساء ، وكانت تقول الشعر : فعبت بها يوماً فأفرطت فأغضبها فقالت له : ليت شعري بأي شيء تدلّ أنت؟ أنا أشمر منك ، ولئن شئت لأهجوّنك حتى أفضحك فأقبل عليها وقال :
 خنساء قد أفرطت علينا وليس منها لنا مجير
 تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير
 تفجّلت حتى بان ذلك عليها ، وامسكت عن جوابه .

ومن شعر أبي الشبل البرجمي :

عذري من جوارى الحسي إذ يزهدن في وصلي^(١)
 رأيت الشيب قد ألبسني أبهة الكهل
 فأعرضن وقد كنّ إذا قيل أبو الشبل
 تسارعن وقلن لقد وافى أبو الشبل^(٢)

سرقه من قول العتي^(٣) :

رأيت الغواني الشيب لاح بفرقي فأعرضن عني بالحدود النواضر
 وكنّ إذا أبصرني أو سمعن بي اتين^(٤) فرقن الكوى بالمحاجر

(١) يرغب عن وصلي (أغاني) ١٤ : ٢٠٠ .

(٢) تسعين فرقن الكوى بالأعين النجل (أغاني) .

(٣) في الأصل من الضي ، والنقول عن الأغاني .

(٤) سبعين (أغاني) .

عبد الله بن الزبير الأسدي^(١)

عبد الله بن الزبير الأسدي ابن الأشيم بن الأعشى بن بَجْرَة بن قيس بن مُنْقِذ
ابن طريف بن عمرو بن معن^(٢) بن الحارث بن قنعب بن ثعلبة [بن] دودان^(٣) بن أسد
ابن خزيمة .

شاعرٌ إسلاميٌّ كوفيٌّ المنشأ والنزل من شعراء الدولة الأموية .
وكان من شيعة بني أمية ، وذوى الهوى فيهم ، والتعصب لهم ، والنصرة
على عدوهم ، ثم غلب مصعب بن الزبير على الكوفة فأُتي به أسيراً فُني عليه ووصله ،
وأحسن إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب . ثم عمي
عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان .
وكنيته أبو كثير ، وهو أحد الهجائين للناس ، المرهوبِ شعْرُهم وهو القاتل
يخاطب نفسه :

فَقَالَتْ مَا فَعَلْتَ أَبَا كَثِيرٍ أَصَحَّ الْوُدِّ أَمْ أَخْلَفْتَ عَهْدِي

كان قومٌ من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بَجْرَة بن قيس بن مُنْقِذ
قتلوا رجلاً من بني الأشيم ، رهط عبد الله بن الزبير ، فخرج عبد الرحمن بن الحكم ،
وهو إذ ذاك على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان وافداً إلى معاوية ، ومعه
ابنُ الزبير ورفيقان له من بني أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير : خذ من بني عمك
دِيتِينَ لِقَتِيلِكَ فَأَبَى ابْنُ الزبير فكان عبدُ الرحمن يميلُ إلى هذا القاتل ، فعضب عليه

(١) الأغاني ١٤ / ٢١٧ .

(٢) في الأصل معنى والتصويب عن الجهرة والأغاني .

(٣) وفي «ب» : ذروان وفي جهرة الأنساب دودان (١٨٣) .

عبدُ الرحمن ورَّدهُ عن الوفد ، من منزل يقال له فيَّاض ، تخالفه ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيدَ بن معاوية ، فأعاده وقام بأمره ، وأمره يزيد أن يهجوَ عبدَ الرحمن ابنَ أمِّ الحكم ، وكان يزيد يُبْغِضُهُ فهِجَاهُ بِأبيات ، فلما بلغت عبدَ الرحمن هَدَمَ داره فأتى عبدُ الله معاويةَ فشكاه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك فاستشهد أسماءُ بن خارجة وقال له : سَلِّهَ عَنْهَا ، فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمَتَهَا وَلَكِنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْبَصْرَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِلْمَسَاحِ فَأَمَرَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَإِنَّمَا شَهِدَ لَهُ أَسْمَاءُ بِذَلِكَ لِتَرْفِدِهِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ وَلَمْ تَكُنْ دَارُهُ إِلَّا خِصَاصَ قَصَبٍ .

حبس عبدُ الرحمن بنُ أبي الحكم عبدَ الله بن الزبير ، وهو أمير الكوفة ، في جنابة وضمها عليه ، وضربه ضرباً مُبَرِّحاً يَهْجَاهُ إِيَّاهُ ، فَاسْتَفْغَتْ بِأَسْمَاءُ بِنَ خَارِجَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُلَطِّفُ فِي أَمْرِهِ ، وَيَرْضَى خُصُومَهُ ، وَيَشْفَعُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَمْرِهِ حَتَّى خَلَّصَهُ وَأَطْلَقَهُ بِشَفَاعَتِهِ ، فَكَسَاهُ أَسْمَاءُ ، وَوَصَلَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ وَلَعِيَالَهُ جَرَايَةَ دَائِمَةً مِنْ مَالِهِ ، فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ :

الم تر أن الجودَ أرسل فابتغي	حليف صفاء وأتلى لا يزايله ^(١)
تخيرَ أسماءُ بنَ حصنٍ فبطنت	بفعل العلا أيمانهُ وشمائلهُ
فلا مجدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقه	ولا جرى إلا جرى أسماءَ فاضلهُ
وفضلُ أسماءَ بنِ حصنٍ عليهمو	سماحةُ أسماءَ بنِ حصنٍ ونائلهُ
تراه إذا ما جئته مهللاً	كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
تري الجندَ والأعرابَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ	كما وردت ماء الكلاب نواهيلهُ
إذا ما أتوا أبوابه قال مرحباً	لجؤوا البابَ حتى يَقْتُلَ الْجُوعَ قَاتِلُهُ
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه	لجاد بها فليَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
فأعطاه أسماءُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ .	

(١) أغاني : ١٣ : ٣٣ وفي الأصل صفيا ثم بياض (وبعد وأتلى) .

وكان لأسماء بن خارجة ذكرٌ قبيحٌ عند الشيعة ، ويمدون في قتلة الحسين
ابن علي ، رضي الله عنهما .

خطب المختار بن أبي عبيد يوما على المنبر فقال : أرى نارا من السماء تسوقها ريحٌ
كالحة سوداء تحرق آل أسماء ودار أسماء .

وكان المختار يحتمل عليه ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيسا فتنصره ، فبلغ
أسماء قول المختار فيه . فقال : أو قد سمع بي أبو إسحاق

ولا قرار على زار من الأسد

فهرب إلى الشام ، وطلبه المختار فقاته ، فأمر بهدم داره ، فلم يقدم عليها مضري
لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس ، فتولت ربيمة واليمن هدمها فقال في ذلك عبدالله
ابن الزبير الأسدي :

تأوب ^(١) عين ابن الزبير شهودها	وقل على ما قد عراها هجودها
أتاني وعرض الشام بيني وبينها	أحاديثُ والأنباء ينمي بعيدها
بأن أبا حسان تهدم داره	لكيز سعت فساقها وعبيدُها
جزت مضرا عنه الجوازي بفعلها	ولا أصبحت إلا بشر جدودها
فما جرهم لا سيّدًا يمنعونه	ولا خائفا إن جاء يوما طريدُها
لم تفضبوا تبًا لكم إذ سطت بكم	بحوس القرى في داركم ويهودها
تركتم أبا حسان تهدم داره	مسيّدة أبوابها وحديدُها
ففي رجبٍ أو غرة الشهر بعده	تزوركم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفا دين عثمان دينهم	كتاب فيها جبرئيل يقودها
فن عاش منكم عاش عبداؤ من يمت	ففي النار سقياء هناك صديدُها

(١) تأوب (أغاني) وفي الأصل يا قرب .

وقيل إن الذي هدم دار أسماء مصعب بن الزبير .
وقيل إن مصعبا لما ولي العراق دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي فقال له : إيه
أنت القاتل :

إلى رجب أو غرة الشهر بعده البيتان
فقال له : أنا القاتل ذلك . فقال : لو قدرت على جحده ليجحدته قال : فاصنع
ما أنت صانع . فقال : أما إني لا أصنع إلا خيرا ، أحسن قومك إليك فأحببتهم
وواليتهم ومدحتهم ، وأمر له بجائزة وكسوة وردة إلى منزله مكرما . فكان
ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ، ويذكره . فلما قتل مصعب بن الزبير عبيد الله
ابن ظبيان اجتمع معه في مجلس وكان ابن الزبير قد أضر فعر فخره فاستقبله بوجهه
وقال :

أبا مطر شئت يمين تفرغت بسيفك رأس ابن الحواري مصعب
فقال له ابن ظبيان : كيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة من ذلك ، هيهات
سبق السيف العدل .

وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة ، وكان
يهول^(١) عليه في منامه فلا ينام حتى كمل جسمه^(٢) ونهك فلم يزل كذلك حتى مات .
دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على عبيد الله بن زياد وعنده أسماء بن خارقة ،
حين قدم ابن الزبير من الشام ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حننت قلوبى وهنأ بعد هدأتها فهيجت مغرما صبا على الطرب
حننت إلى خير من حث المطى له كالبدريين أبي سفيان والعتب

(١) يقال هول عليه بكذا : افزع به .

(٢) في الأصل ١ - ب (يحل حمد) والتصويب عن الأغاني ١٣ : ٣٧ .

تذكَرَتْ بِقُرَى الْبَلْقَاءِ نَائِلُهُ لَقَدْ تَذَكَّرْتَهُ مِنْ نَازِحِ عَزَبٍ
وَاللَّهُ مَا كَانَ بِي لَوْلَا زِيَارَتُهُ وَأَنْ أَلَا فِي أَبَا حَسَانَ مِنْ أَرْبٍ
حَنْتُ لَتَرْجِعَنِي خَلْفِي فَقُلْتُ لَهَا أَرَى (١) أَمَامَكَ فَالْقِيَّةَ فَتَى الْعَرَبِ
لَا يَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يَفَارِقُهُ وَلَا يِعَاقِبُ عِنْدَ الْحُكْمِ بِالْعَضَبِ
مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمْنَاهُ وَأَكْرَمِهِ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ
قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ: إِنْ مِنْ أَصَابَهُ الْكَلْبُ أَوْ الْجَفُونُ لَمْ يَبْرَأْ
إِلَّا أَنْ يُسْقَى دَمَ مَلِكٍ فَيَقُولُ: إِنَّهُ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ صَدِيقًا لِعَمْرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ، فَلَمَّا أَقَامَهُ
أَخُوهُ لِيُقْتَصَّ مِنْهُ بِالْعَ كُلُّ ذِي حَقٍّ وَتَدْسِيسٍ فِيهِ مِنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى أَخِيهِ، وَكَانَ
أَخُوهُ لَا يَسْأَلُ مَنْ ادَّعَى عَلَيْهِ شَيْئًا بَيْنَهُ وَلَا يَطْلُبُهُ بِحُجَّةٍ وَإِنَّمَا يَقْبَلُ قَوْلَهُ ثُمَّ يَدْخُلُهُ
السَّجْنَ لِيُقْتَصَّ مِنْهُ فَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ، وَالْقَيْحُ يَنْضَحُ مِنْ ظَهْرِهِ وَكَتَافِهِ عَلَى
الْأَرْضِ وَالْحَائِطِ، لَشِدَّةٍ مَا يَمُرُّ بِهِ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِ
الْجَعْلَانُ (٢) فَكَانَتْ تَدْبُّ عَلَيْهِ تَنْتَقِبُ لِحْمَهُ وَهُوَ مَقِيدٌ مَغْلُولٌ يَسْتَغِيثُ فَلَا يُغَاثُ
حَتَّى مَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. فَدَخَلَ الْمَوَكَّلُ بِهِ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَفِي
يَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدَحٌ لَبَنٍ يَرِيدُ أَنْ يَتَسَحَّرَ بِهِ، وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ أَمَاتَ عَمْرُو؟
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَشَرِبَ اللَّبَنَ. ثُمَّ قَالَ: لَا تَغْسِلُوهُ وَلَا تُكَفِّنُوهُ
وَادْفِنُوهُ فِي مَقَابِرِ الْمُشْرِكِينَ، فَدُفِنَ فِيهَا. فَرِثَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيُّ، بِهَذِهِ
الْأَبْيَاتِ:

عَقَدْتُمْ لِعَمْرٍو عُقْدَةً وَغَدَرْتُمْ بِأَبْيَضٍ كَالْمَصْبَاحِ فِي لَيْلَةِ الدَّجْنِ

(١) هَذَا أَمَامَكَ (أَغَانِي ١٣ : ٣٤).

(٢) فِي الْأَصْلِ أ، ب: الْغِيلَانُ وَالْجَعْلَانُ عَنِ الْأَغَانِي.

وكبَلَّتْهُ حَوْلًا يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَمَا قَالَ عَمْرُو إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
يُحَدِّثُ مَنْ لَا فَيْتُ أَنْكَ عَابِدُ
فَلَمْ أَرَ وَقْدًا كَانَ لِلْعَدْرِ عَاقِدًا
وَكُنْتَ كَذَاتِ الْفِسْقِ لَمْ تَدْرِ مَا حَوَتْ
جَزَى اللَّهُ عَنِّي خَالِدًا شَرًّا مَا جَزَى
قَتَلْتُمْ أَخَاكُمْ بِالْإِطَارِ سَفَاهَةً
فَلَوْ أَنْكُمْ أَجْهَزْتُمْ إِذْ قَتَلْتُمْ
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَرَى فِيكَ مَا تَرَى
قَطَعْتَ مِنَ الْأَرْحَامِ مَا كَانَ وَاشِجَا
وَأَصْبَحْتَ تَسْعَى قَاصِدًا بِكُتَيْبَةٍ
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ قَدْ سَلَفَتْهَا
تَنَوُّهُ بِهِ فِي سَاقِهِ حَلَقُ اللَّبَنِ
لِضَارِبِهِ حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ دَعْنِي
وَصَرَعْتَ قَتَلَى بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْزُّكْنِ
كَوَفْدِكَ شَدُّوا غَيْرَ مَوْفٍ وَلَا مُسْنَى
بِخَيْرِ حَالَيْهَا أَسْرَقُ أَمْ تَزَنِي
وَعُرْوَةَ شَرًّا مِنْ خَلِيلٍ وَمَنْ خَذَنَ
فِيَا لَكَ لِلرَّأْيِ الْمُضَلَّلِ وَالْأَفْنِ
وَلَكِنْ قَتَلْتُمْ بِالْإِطَارِ وَبِالسَّجْنِ
بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مَا دُونَهُ يُغْنِي
عَلَى الْبَغْيِ إِذْ بَعَثَ الْخَافُونَ بِالْأَمْنِ^(١)
تَهْدِمُ مَا حَوْلَ الْحَطِيمِ وَلَا تَبْنِي
فَالِدُمَاءِ الدَّهْرِ مَا عَشْتَ مِنْ حَقْنِ

لما قدم الحجاج الكوفة والياً صعد المنبر فخطبهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل
الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفرخ في صدوركم ،
ودرج في حُجُوركم ، فأنتم له خدين وهو لكم قرين . ومن يكن الشيطان له قريناً
فساء قريناً .

ثم حَثَّهم عَلَى اللَّحَاقِ بِالْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَأَقْسَمَ لَا يَجِدُ مِنْهُمْ أَحَدًا اسْمُهُ فِي
جَرِيدَةِ الْمُهَلَّبِ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فجاءه عمير بن ضابئ البرُجمي^(٢) فقال له : أيها الأمير إني شيخ كبير لا فضلَ
فيّ وقد خرج اسمي في هذا البعث ، ولي ابنٌ شابٌّ هو أجلد مني ، فاقبله بديلاً بي .

(١) عَلَى الشَّبَابِ وَابْتَعَتِ الْخَافَةُ بِالْأَمْنِ .

(٢) فِي ١ ، ب الْجَرْهَمِي وَهُوَ تَصْغِيفُ .

فقال له الحجاج : انصرف أيها الشيخ فلما ولى قال له عيينة بن سعيد بن العاص :
أيها الأمير ، إن هذا جاء إلى عثمان وهو مقتولٌ فرَّقْسه وكسَّر ضِلْما من أضلاعه ،
وجعل يقول : أين تَرَكْتَ ضابِئًا يا نعل . وكان عثمانُ حبسَ أباه ضابِئًا فمات في
الحبس . فقال الحجاج : رُدُّوه فرُدَّ . فقال له : أيها الشيخ أطلب اليومَ مني
بديلا ؟ ألا طَلَبْتَ بديلا يوم الدارِ في قَتْلِ عثمان ؟ يا حَرَسِيَّ ، اضرب عُنُقَه ،
فضربَ عنقه .

وسمع الحجاج ضوضاء فقال : ما هذه الضوضاء ؟ قال : هذه البراجمُ جاءت
لتنصُرَ عُمرًا . فقال : ارموهم برأسه ، فوَكَّوا منهزمين إلى بلادهم . وازدَحَمَ الناسُ
على الجسرِ للعبورِ إلى المهلبِ حتى غرق بعضهم فقال عبد الله بن الزبير الأسدي :
أقول لإبراهيمَ لما لَقِيتهُ أرى الأمرَ أمسى واهيا مُتَشَعِّبا
تَخَيَّرْ فإما أن تزور ابن ضابئٍ عُمرًا وإما أن تزور المهلبا
ها خُطَّتَا خَسَفَ نِجَاؤُكَ مِنْهُمَا رَكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلَجِ أَشْهَبَا
فأضحى ولو كانت خراسانُ دونه رآها مكانَ الشَّوقِ أو هي أقربا
دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما ولىها ،
وقد مدحه ، فاستأذنه في الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : لِمَ تُسْقِطُ السماءُ علينا ،
وَتَمْنَعُنَا مَطَرَهَا في مديحك لأسماء بن خزيمة ؟ وقال لبعض من حضر أنشدها
فأنشد :

إذا مات ابنُ خزيمة بنِ حصنٍ	فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ
ولا رَجَعَ الوفودُ بغيرِ جيشٍ	ولا حَمَلَتْ على الطَّهْرِ النساءُ
ليومٍ منك خَيْرٌ من أناسٍ	كثيرٍ حولهم بقرٌ وشاء
فبورك في أبيك وفي بنيهِ	إذا ذَكُرُوا ونَحْنُ لك الفداءُ

فالتفت إليه مُصعبٌ وقال : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف
وبلغ ذلك أسماء فمَوَّضَه حتى أرضاه ، ثم رجع له مُصعبٌ بعد ذلك وأحضره وسمع
مديحه وأحسن إليه .

لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ صَلَّيَ الْحِجَاجُ جَسَدَهُ ، وبعث برأسه إلى عبدِ الملكِ
فجلس على سريره ، وأذن للناسِ فدخلوا عليه فقام عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ الأَسَدِيُّ ، فاستأذنه
في الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا خيراً وتَوَخَّ الحقَّ فيما تقوله . فأنشأ يقول :

مشى ابنُ الزُّبَيْرِ القَهْقَرَى وتَقَدَّمتُ أُمِيَّةٌ حَتَّى أحرزوا القَصَبَاتِ
وجئتُ المُجَلَّى^(١) يا ابنَ مروانَ سابقاً أَمَامَ قريشٍ تَنفِضُ العذراتِ
فلا [زلت] سباقاً إلى كل غايَةٍ من المجدِ نَجَاءً من الغمراتِ

فقال له : أحسنت ، سل حاجتك قال له : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أميرَ
المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكُسُوةٍ ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يُعيدُ
الآيات فقال : لا ، ولكن أبيتك التي قلتها في الحجاج ، فأنشده :

كأني بعبَدِ الله يَرَكِبُ رَدْعَهُ وفيه سِنَانٌ زاعِجِيٌّ مُجَرَّبٌ^(٢)
وقد فرجته المَلْحَدُونَ وحَلَقَتْ به وبمَنُ آسَاءَ عَنقَاءُ مُغْرَبُ
تولَّوا وخلَّوهُ فشالَ بشلوه طويلٌ من الأجداعِ عارٍ مُشْدَبُ
بكَفَى غلامٍ من ثَقِيفٍ نمت به قريشٌ وذو المجدِ التليدِ مُعَقَّبُ

فقال له عبد الملك : لا تقل « غلام » ولكن قل « هُمَام » وكتب إلى الحجاج
بأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى .

(١) في الأصل : المصلى . والمجلى السابق من الخيل ، والعذرات : جمع عذرة وهي الناصية
وقيل الخصلة من الشعر .

(٢) محرب : محدد يقال حرب السنان : حدده .

دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على بشر بن مروان ، وعليه ثياب خلعهما
بشر عليه ، وكان قد بلغ بشراً أنه كرهه فجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ،
وجعل يتأمل من حوله من بني مروان ، ويجيل بصره فيهم كالتعجب من جمالهم
وهيأتهم . فقال له بشر : إن نظرك يا ابن الزبير ليذلُّ على أن وراءه قولاً . فقال :
نعم أيها الأمير قال : قل فقال :

كَانَ بَنِي أُمَيَّةَ حَوْلَ بَشْرِ نَجُومٌ وَسَطَهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ
هُوَ الْفَرْعُ الْمُهَذَّبُ (١) مِنْ قَرِيشٍ إِذَا أَخَذَتْ مَاخِذَهَا الْأُمُورُ
لَقَدْ كَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَأُضْحَى غَنِيًّا مِنْ نَوَافِلِهِ الْفَقِيرُ
فَأَنْتَ الْغَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشٌ لَنَا وَالْوَاكِفُ الْجَوْنُ الْغَزِيرُ (٢)
جَبَرْتَ مَهِيضَنَا وَعَدَلْتَ فِينَا فَعَاشَ الْبَائِسُ الْكَلُّ الْكَسِيرُ
فَأَمْرٌ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دَرْهَمٍ ، وَرَضِيَ عَنْهُ .

دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على بشر بن مروان [متعرضاً له ويسمعه شيئاً
من شعره] (٣) فقال : أظنك متعرضاً لأن أسمع منك ، فهل أبقى أسماء بن خارجة
منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً ؟ لقد نزلت فيه بحرك (٤) يا ابن الزبير .
فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء كان للمديح أهلاً ، وكانت له عندي أياد كثيرة ،
فكنت لمعرفه شاكراً ، وأيادي الأمير عندي أجل وأكثر وأمل في أعظم
وإن كان قولي لا يحيط بها ، ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم ، فإن
أذن لي بالإشاد رجوت أن أوفق للصواب ، فقال : هات . فقال :

(١) المقدم (أغاني) .

(٢) المطير (أغاني) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل : برحت بخبرك وما ذكرناه عن الأغاني .

تعاوت على شلوي الذئاب العواسلُ تداركني بشر بن مروان بعد ما
 يتامى ومن تأوى إليه العميَّاهلُ غياث الضعاف المرملين وعصمة الـ
 أقرت بنو قحطان طراً ووائل^(١) قريع قريش والهمام الذي له
 وفي يدك الأخرى عطاءً ووائلُ يدك بن مروان يد تقتل^(٢) العدى
 رويننا بما جادت علينا الأناملُ إذا أمطرتنا منك يوماً سحابةً
 يهل علينا منك طلٌّ ووابلُ فلا زلت يا بشر بن مروان سيِّداً
 تدانت إليه للعطاء القبائلُ^(٣) فأنت المصطفى يا ابن مروان والذي
 وكنا فراساً أحرقتها الشعائل فلولا بنو مروان طاشت حلومنا
 فأمر له بجائزة وكساه خِلعة . وقال : إني أريد أوفدك على أمير المؤمنين فتهمياً
 لذلك يا ابن الزبير . فقال أنا فاعل أيها الأمير قال : فما ذا تقول إذا وفدت عليه قال
 فارتجل هذه القصيدة وقال :

أقولُ أمير المؤمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازلِ
 واطفأت عنا نار كل منافقٍ بأبيض يهلول^(٤) طويل الحمايلِ
 نمته قروم^(٥) من أمية للعلا إذا افتخر الأقوام وسط المحافلِ
 هو القائد^(٦) الميمون والمعصمة التي غدا حقها يعلو على كل قائلِ^(٧)
 إذا ما سألنا رِفْدَه هطلت لنا سحابة كفيه بجودٍ ووائلِ

(١) وبعده : وقيس بن عيلان وخندف كلها أقرت وجن الأرض طرا وخابل

(٢) في الأصل : يريقتك .

(٣) وبعده : يرجون فضل الله عند دعائكم إذا جمعتمكم والحجيج المنازل

(٤) في الأصل مملوك (والتصويب عن الأغاني ١٤ : ٢٥٤) .

(٥) نمته قروم . في الأصل : تمته قوم .

(٦) في الأصل : القائل .

(٧) أتى حقها فينا على كل باطل (أغاني) .

أخوك أمير المؤمنين ومن به نَجَاد ونُسْقَى صوبَ أَسْنَحَمَ هَاطِل
 حلِيمٌ عَلَى الْجَهَالِ مِنَّا وَرَحْمَةٌ عَلَى كُلِّ حَافٍ مِنْ مَعَدَّةٍ وَنَاعِلٍ
 فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ، هذا والله الشعرُ وهذه القدرة عليه فقال
 له حَجَّار بن أَبَجَرِ المِجَلِّي ، وكان من أشرف أهل الكوفة ، وكان عظيمَ المنزلة عند
 بشر أصلح الله الأمير هذا أشعرُ الناس وأحضرُهم قولاً إذا أراد . فقال محمد بن عُمَيْر
 ابن عَطَارِد وكان عدواً لحَجَّار : أصلح الله الأمير ، إنه لشاعر وأشعر منه الذي
 يقول :

لبشر بن مروانٍ على كلِّ حالةٍ من الدهر فضلٌ في الرخاء وفي الجَهْدِ
 قَرِيعٌ قَرِيشٌ والذي باع ماله لِيَكْسِبَ حمداً حين لا أَحَدٌ يُجْدِي
 يُنَافِسُ بشرٌ في السباحة والندى لِيُخْرِزَ غَايَاتِ المَكَارِمِ بِالْحَمْدِ
 فقال بشرٌ من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشرٌ مُغَضِّباً عليه . فقال :
 ابعت فأخضره . فقال : هو غائب في البصرة ، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها إلى
 لأُشَدِّ كَها لترضى عنه وقال بشرٌ : هيهات لست أرضى عنه حتى يأتيني ، وكتب
 محمد بن عمير بن عطارِد إلى الفرزدق أن يَأْتِيَهُ ، فتهيأ للقدوم على بشرٍ ثم بلغه أن
 البصرة قد جُمِعَتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه . فقال عبد الله بن الزَّيْبِر
 لمحمد بن عطارِد في مجلسه ذلك بحضرة بشر بن عمير :

بني دارم هل تعرفون محمداً بدَعْوَتِهِ فيكم إذا الأمرُ حَقَّقَا
 وساميتُ قوماً كراماً بمَجْدِكُم وجاء سَكِينَتاً^(١) آخر القومِ مُخَفِّقَا
 فأصْلَك دَهْمَانُ بنُ نَصِرٍ قَرْدَهُم ولا تَكُ وَغْدَاً في تميمٍ مُعَلَّقَا
 فإن تيمماً لست منهم ولا لهم أَخَا يا ابن دَهْمَان فلا تَكُ أَحْمَقَا

(١) السكيت : آخر خيل الحلبة .

فلولا أبو مروان لافيتَ وابلا من السَّوطِ يُنْسِيكَ الرحيقَ المُعْتَقَا
أحينَ علاك الشيبُ أصبحتَ عاهراً وقلتِ اسقني الصهباءَ صرفاً مُروّفاً
تركت شرابَ المسلمين ودينهم وصاحبتَ عبداً من فزارة أزرقاً
تبيتان في شرب الدامة كالذي أتيح له جبل فأضحى مخنقاً
فقال له بشر : أقسمتُ عليك إلا أَمْسَكَتَ . فقال : أفعلُ ، أصلحك الله
والله لولا مكانك لأفقدتُ خُصِيَّتِيهِ بالحق ، وكف ابن الزبير ، وأحسن بشرُ جازتَه
وكسوته ، وشمتَ حَجَّار بن أبجر بمحمد بن عمير ، وأقبل بنو أسد على ابن الزبير
فقالوا : عليك لمنةُ الله تُشمتُ حَجَّاراً بمحمد ! ؟ والله لا رضى عنك حتى تهجُوه
هجا يرضى به محمدُ بن عميرٍ عنك أو لستَ تعلمُ أن الفرزدقَ أشعرُ العرب ؟ قال :
بلى ، ولكن محمداً ظلمنى وتمرّض لى ، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل فلم تزل به
بنو أسد حتى هجا حجاراً فقال :

سليلَ النصراني سُدَّتْ عِجْلاً ولم تَكُنْ لذلك أهلاً أن تَسودَ بنى عجلٍ
ولكنهم كانوا أناساً^(١) فسُدَّتْهم ومِثْلُكَ من سادَ اللثامَ بلا عَقْلٍ
فكيف بعِجْلٍ إن دنا الفِصحُ واغْتَدَّتْ عليك بنو عِجْلٍ ومرجلكم يَغْلَى
وعندك قِيسُ النصراني وصلبُها وعانيةُ صهباءٍ مثلُ جَنَى النحلِ
فبلغ حجاراً قوله ، فشكاه إلى بشر ، فقال له : أهجوت حجاراً ؟ فقال : والله
ما هجوتُه ولقد كَذَبَ عَلَيَّ ، فأتاه ناس من بنى عجل ، فتهددوه بالقتل فقال :

تَهَدَّدُنِي عِجْلٌ وما خلت أنى خَلَاةٌ لعِجْلٍ والصليبُ لها بَعْلُ
وما خِلْتَنِي والدهرُ فيه عجائبُ أَعْمَرُ حتى قد تَهَدَّدُنِي عِجْلُ
وتوَعِدُنِي بالقتل منهم عِصَابَةٌ وليس لهم في العز فرْعٌ ولا أَصْلُ

وعجل أسود في الرخا وثمانب
 فإن تلقنا عجل هناك فإلنا
 ولا لهمو ملجأ ولا بعل
 وكان الزبير بن الأشيم ، أبو عبد الله بن الزبير ، شاعراً . وهو القائل :
 ألا يلقوى للرقاد المورق
 وللربيع بعد الغبطة التفرق
 وهم الفتى بالأمر من دون نيله
 مراتب صعبات على كل مرتقى
 ويوم بصحراء البديدين قلبه
 بمنزلة النعمان وابن محرق
 وذلك عيش قد مضى كان بعده
 أمور أشابت كل رأس ومفرق
 وغير ما استنكرت يا أم مالك
 حوادث إلا تكسر العظم تعرق^(١)
 فراق حبيب أو تغير حالة
 من الدهر أوراام لشخصي مفوق
 على أنى جلد صبور مرزا
 وهل تترك الأيام شيئاً لمشفق
 وأما ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير الأسدي فهو الذي يقول يمدح عيينة بن
 أسماء بن خازمة الفزاري :

قالت عيينة موهنا
 أين اعتراك الهم أين
 هل يبلغن بك المني
 ما كنت تأمل في عيينة
 بدر له الشيم الكرا
 ثم كملات فاعلمينه

وهو القائل في بعض بني عمه :
 ومولى كداء البطن أو فوق دائه
 يزيد موالى الصدق خيراً وينقص
 تر بصب^(٢) أرجوان يتوب ويرعوى
 به الحكم حتى استياس المتربص

(١) تفرق العظم : تأكل ما عليه كله .

(٢) تلومت (أغاني) .

أتى عبد الله بن الزبير الأسدي إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له : إني قد
امتدحتك بأبيات ، فاسمعها ، فقال : إني لست أُعطى الشعراء شيئاً قال : اسمعها
مني ، ثم ترى رأيك قال : هات إذا فأنشده :

الله أعطاك المهابة والتقى	وأحل بيتك في العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر	والخيل تثر بالقنا المتكسر
إني مدحتك إذ نبأ بي منزلي	وذمت إخوان الندى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدحتي	ومتى أكن بسبيل خير أشكر ^(١)
فهل نحوى من يمينك نفحة	إن الزمان الح يا ابن الأشتر

فقال : كم ترجو أن أعطيك ؟ فقال ألف درهم ، أصلح بها أمر نفسي وحيالي ،
فأمر له بعشرين ألف درهم .

(١) في الأصل جاءت غير واضحة هكذا (ومنى التي تسل ... لتشكر) والنصوب عن الأغاني

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت^(١)

ذكرتُ نسبه في ترجمة أبيه .

كان عبدُ الرحمن قد شَبَّ بِرَمْلَةٍ بِنْتِ معاوية فقال :

رَمْلُ هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ عَمْرَاكِ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالْتَّمَعِ
إِذْ تَقُولِينَ عَمْرَكَ اللَّهُ هَلْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
أَمْ هَلْ أَطْمَعْتُ فَيْكَ يَا ابْنَ حَسَّانَ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أَطْمَعْتَ مِنِّي

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ، ودخل على معاوية ، وقال : يا أمير المؤمنين
ألا تنظر إلى هذا العليج من أهل يثرب يتهمكم بأعراضنا ، ويُشَبِّبُ بنسائنا ،
قال : ومن هو ؟ قال : عبدُ الرحمن بنُ حسان ، وأنشده ما قال : فقال معاوية :
ليست العقوبة من أحدٍ أقبحَ منها من دونِ القدرة ، ولكن امهل حتى يقدم وفدُ
الأنصار ، ثم أذكركني به ، فلما قدموا ذكروه ، فلما دخلوا عليه ، قال : يا عبد الرحمن
يبلغني أنك شَبَّتَ بِرَمْلَةٍ بِنْتِ أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ولو علمت أن أحداً
شَرَفَ شِعْرِي أَشْرَفَ منها لَذَكَرْتُهُ قال : فأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإن
لها لأختاً يقال لها هند ؟ قال : نعم قال : وإنما أراد معاوية أن يُشَبِّبَ بها أيضاً ،
فِيَكْذِبَ نفسه ، فلما فعل ذلك وبلغ الناسَ قالوا : قد كنا نرى أن تشيب ابنَ
حسانٍ بابنة معاوية لِشَيْءٍ فَإِذَا ذَلِكَ الشَّيْءُ عَنْ رَأْيِ معاوية وأقره وعَلِمَ من كان
يَعْرِفُ أن معاوية ليست له بنتٌ أخرى وأنه خَدَعَهُ لِشَبِّبَ بها ، ولا أصل لهذا
فيعلم الناس أنه قد كذب على الأولى لما ذكر الثانية . ولم يَرْضَ يزيدُ بما كان
من ذلك من معاوية ، فأرسل إلى كعب بن جُمَيْل . فقال : اهج الأنصار . فقال :

(١) أغاني ١٥ : ١١١ وما يليها .

أرادتني أنت إلى الشُّرك ؟ أجهو قوما نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وآوؤهُ وصَدَّقُوهُ ، لا أفعل ، ولكن أدُلُّكَ على الشاعر الكافر ، قال : ومن ؟
قال : الأخطلُ . قال : فدعاه وقال : اهْجُ الأنصار . قال : أفرقُ من أمير المؤمنين .
قال : لا تخف شيئاً أنا لك بذلك فهجّاهم فقال :

وإذا نسبت ابنَ الفريضةِ خلته	كالجَحشِ بينِ حجارةٍ وحمارِ
لعن الإلهُ من اليهودِ عصابةً	بالجزعِ بينِ صُلَيْصِلٍ وضِرَارِ
قومٌ إذا هدرَ العصيرَ رأيَهم	حُمراً عيونهم من المُسْطارِ ^(١)
خلوا المكارمَ تستمرّ من أهلها	وخذوا مساحيككم بني النّجارِ
إن الفوارسَ يعرفون ظُهُورَكم	أولاد كل مقبَحٍ أكّارِ
ذهبت قريشٌ بالمكارمِ كلّها	واللّومُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية ، وحسر رأسه وقال : يا أمير
المؤمنين أترى لوئماً ؟ قال : لا بل أرى كرمًا وخيرًا . قال : زعم الأخطل أن اللومَ
تحت عمائمنا . قال : أو فعل ؟ قال : نعم ، قال لك لسانه ، وكتب أن يؤتني به .
فلما أتني به قال للرسول : أدخِلْنِي على يزيدَ أولاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي
كنت أخافُ قال : لا تخف شيئاً ودخل علي معاوية فقال علام أرسلت إلى هذا الرَّجُلِ
الذي يمدحنا ويرمي وراءَ حوزتنا . قال : إنه هجا الأنصار . قال ومن زعمَ ذلك
قال : النعمان بن بشير قال : لا تقبل قولَه عليه ، وهو يدّعي لنفسه ، ولكن تدعوه
بالبيّنة ، فإن ثبتَ شيءٌ أخذته به ، فدعاه بالبيّنة فلم يأت بها . فخلاه .

وقيل : إن معاوية قال للأنصار لما استمدّوه عليه ، لكم لسانه إلا أن يكون
ابن يزيد قد أجارَه ، ودس إلى يزيد إني قد قلتُ اليومَ كَيْتَ وكَيْتَ فأجرَه فأجارَه .

(١) السطار : الحفرة الصارعة لشاربها . أول عصير الخمر قبل طبخه :

ولما شَبَّ عبدُ الرحمن بأختِ معاويةَ غضبَ يزيدُ فقال : يا أمير المؤمنين اُقتلْ
عبدَ الرحمن بن حسان ، فإنه شَبَّ بعمِّتي قال : وما قال ؟ قال :

طالَ كَيْلِي وَبَتُّ كَالْحَزُونِ وَمَلَّتْ الثَّوَاءُ فِي جَيْرُونِ^(١)

قال : وما علينا من طُولِ كَيْلِهِ ؟ قال : فإنه يقول :

فَلِذَاكَ^(٢) اغْتَرَبْتُ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

فقال معاوية : وما علينا مِنْ ظَنِّ أَهْلِهِ ؟ قال : فإنه يقول :

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلَاةِ الْفَوَاصِ مُيزَّتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال معاوية : صدق يا بُنَى . قال . فإنه يقول :

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

قال معاوية : صدق يا بُنَى فإنها كذلك . قال : فإنه يقول :

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا^(٣) إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِ رَاءَ تَمْشَى فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

خَاصَرْتُهَا : أَخَذْتُ بِخَصَرِهَا وَأَخَذْتُ بِخَصْرِى . قال : لا ولا كُلُّ هذا يا بُنَى

وضحك . ثم قال : أنشدنى ما قال أيضا فأنشده :

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا ^(٤)	عِنْدَ حَدِّ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارَى إِذَا مَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا	بِوَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي ^(٥)
تَجْعَلُ النَّدَى وَالْأُلُوءَ ^(٦) وَالْعُورَ	دَ صِلَاءً ^(٧) لَهَا عَنِ الْكَانُونِ

(١) روى البيت في الأغاني ٣ : ١٨٨ :

صاح حيا الإله حيا ودورا عند أصل القناة من جيرون

(٢) فبتلك (أمالى) .

(٣) ماشيتها (أمالى) .

(٤) ضربتها (أمالى ٣ : ١٨٨) .

(٥) دخلت إلى الدار ... فيميني

(٦) الألوة ، العود الذى يتبخر به ،

(٧) الصلابة والصلابة : النار أو العظم منها . وقودها تجعل المسك والبلنجوج والند ... د

(أمالى) .

وقبابٌ قد أُسْرِجَتْ وبيوتٌ نُضِدَّتْ بالريحان والزَّرجون^(١)
فقال: يا بني ليس يجبُ القتلُ في مثل هذا والمعقوبةُ دون القتل تُغريه ، ولكننا
نَكْفُهُ بالصَّلَةِ والتَّجَاوُزِ عَنْهُ .

كان عبدُ الرحمن قد تهاجى هو وعبدُ الرحمن بنُ الحكم بن أبي العاص . والسببُ
في ذلك أن عبدَ الرحمن كان خليلاً له مخالطاً . فقيل لعبدِ الرحمن بنِ الحكم : إن
ابنَ حسان يَخْلُفُكَ على فراشِكَ في أهْلِكَ ، فراسل امرأةَ ابن حسان فأخبرتُ بذلك
زوجها ، وقالت : ارسل إليّ إني أُحِبُّكَ حبًّا أراه قاتِلِي ، فأرسل ابنُ حسانٍ إلى
امرأةِ ابنِ الحكم ، وكانت تواصلُهُ وقال للرسول إليها : قل لها : إن امرأتِي تزورُ
أهلها فزوريني حتى نَخْلُو ساعةً فزارته ، فقامت معها ، ثم قال لها : قد جاءت
امرأتِي ، فأدخلها بيتا إلى جنبه وأمرَ امرأته ، فأرسلت إلى عبدِ الرحمن بنِ الحكم
إنَّكَ ذَكَرْتَ حَبِّكَ لِي ، وقد وقع ذلك في قلبي ، وإن ابن حسان قد خَرَجَ اليوم إلى
ضَيْمَتِهِ ، فهلم . فنهياً ثم أقْبَلَ ، فإنه لقاعدٌ معها إذ قالت : قد جاء زوجي . فادخل
هذا البيت فإنه لا يَشْعُرُ بك ، فأدخلته البيت الذي فيه امرأته فلما رآها تيقنَ
بالشر ، ووقع الشرُّ بينهما ، وهما كل واحدٍ صاحبه .

وقيل : سبب التهاجى بينهما أنهما خرَّجا إلى صيد بَكْلَابٍ لهما في إمارة مروان فقال
ابن الحكم :

ازجُرْ كلابَكَ إنها قَلْطِيَّةٌ^(٢) تُقْبِي ومثلُ كلابِكُم لم تَصْطَدْ

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأكلُ من فريسةِ صَيْدِهِ قالتم^(٣) يغنينا عن الْمُتَصَيْدِ

(١) الزرجون قضبان الكرم — الواحدة زرجونة ، صبح أحمر والخمر .

(٢) القلطى : الرجل الخبيث اللارد . والفلاط : القصير جدا من الناس والكلاب والسنابير .

(٣) في الأصل قالتم والتصويب : عن الأغاني .

إنا أناس رَيِّقُونَ وإنَّكم ككلابكم في الولَغ والمُتَرَدِّدِ
حُزُّنا كمو للضَّبِّ تَحْتَرِشُونَهُ والرَّيْفُ يَمْنَعُكم بكلِّ مَهْدٍ
ثم رجعا إلى المدينة ، فكانا يتعارضان الشعر ، فقال عبد الرحمن بن الحكم :
ومِثْلُ أُمِّكَ أُمُّ الْعَبْدِ قَدْ ضَرَبَتْ عِنْدِي وَلِيَّ بَغْنَائِي مِنْهُمْ خُدَمُ
وَأَنْتَ عِنْدَ ذُنَابَاهَا تَعَاوِدُهَا عَلَى الْقُدُورِ تَحْسِي خَاثِرَ الْبَرَمِ
فَنَقَضَهَا ابْنُ حَسَّانٍ عَلَيْهِ فَقَالَ :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَرْجِي مَطِيَّتُهُ إِذَا عَرَّضْتَ فَسَائِلُ عَنْ بَنِي الْحَكَمِ
الْقَائِلِينَ إِذَا لَاقَوْا عَدُوَّهُمْ فِرُّوا وَكُرُّوا عَلَى النَّسْوَانِ وَالنَّعَمِ
كَمْ مِنْ أَمِينٍ نَصِيحِ الْحَبِّ قَالَ لَكُمْ أَلَا نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ يَا بَنِي الْحَكَمِ
عَنْ رَجُلٍ لَا بَغِيضَ فِي عَشِيرَتِهِ وَلَا ذَلِيلٍ قَصِيرَ الْبَاعِ مُهْتَضَمِ
وَقَالَ ابْنُ حَسَّانٍ فِيهِ أَيْضًا :

صَارَ الْعَزِيزُ ذَلِيلًا وَالذَّلِيلُ لَهُ عِزٌّ وَصَارَ فُرُوعُ النَّاسِ أَذْنَابًا
إِنِّي لَمُتَمَسِّ حَتَّى يَبِينَ لَكُمْ فَيْكُمْ مَتَى كُنْتُمْ لِلنَّاسِ أَرْبَابًا
فَارْقُوا عَلَى ظُلْمِكُمْ ثُمَّ انْظُرُوا وَسَلُوا عَنَّا وَعَنْكُمْ قَدِيمَ الْعِلْمِ أَنْسَابًا
فَسَوْفَ يَضْحَكُ أَوْ يَعْتَادُهُ ذِكْرُ يَابُوسَ لِّلْسَدَهِرِ لِلْإِنْسَانِ رِيَابًا

كتب معاوية إلى سعيد بن العاص ، وهو عامله على المدينة ، أن يضرب كل واحد من ابن حسان وعبد الرحمن بن الحكم مائة سوط . وكان ابن حسان صديقا لسعيد ، وما مدح أحدا قط غيرَه فكرِه أن يضربه أو يضرب ابن عمه ، فأمسك عنهما ، ثم ولي مروان فلما قدم المدينة ضرب ابن حسان مائة سوط ، ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان أثيرا عند معاوية مكينا :

ليت شعري أغائب أنت^(١) بالشا
 إنه إن يكن^(٢) فقد يرجع الغا
 إن عمراً وعامراً أبويننا
 إنهم مانعوك أم قلة الكتا
 أم جفلاء أم أغوزتك القراطيد
 يوم أنبئت أن ساقى رُضت
 ثم قالوا إن ابن عمك في بلد
 فتلاط الأرحام والود والصحة
 إنما الرمح فاعلمن قساة
 م خليلي أم راقد نعمان
 نب يوماً ويوقظ الوسنان
 وحراماً قدما على العهد كانوا
 ب أم أنت عاتب غضبان
 س أم أمرى به عليك هوان
 وأنا كم بذلك الرُكبان
 وى أمور يأتي بها الحدثن
 بة فيما أنت به الأزمان
 أو كبعض العيدان لولا السنان

وهى طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنك أمرت
 سميداً أن يضرب ابن حسان مائة سوط وابن الحكم مائة سوط ، فلم يفعل . ثم
 كتب إلى مروان بذلك^(٣) ، فضرب ابن حسان مائة ولم يضرب أخاه . قال : فتريد
 ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سميد . فكتب إلى مروان ، وعزم
 عليه أن يضرب أخاه مائة وبعث إلى ابن حسان بحلة . فلما ورد الكتاب على
 مروان بعث إلى ابن حسان أنا مثل والدك وما كان منى إليك إلا على سبيل التأديب
 لك ، واعتذر إليه . فقال ابن حسان : ما بدا له في ذلك إلا لشيء قد جاء . وأبى أن
 يقبل منه . فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه إليه بالحللة فرمى بها في الحش فقيل له :
 حلة أمير المؤمنين ترمى بها في الحش ؟ فقال : نعم ، ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه

(١) في الأصل ١ - ب (ليس) .

(٢) أية ما تكن (أغاني) ٤ : ١١٥ .

(٣) ثم وليت مروان ١٥ : ١١٦ .

فأخبروه الخبر . فقال : قد عرفت أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ؟ قد أبي أن يَغْفُو ، فهل أحضر أخاك ، فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين ، فإنه ضعيف ، فطلبوا إليه ، فأجابهم فأخرجه فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك . فقال له : يضربك مائة ويضربه خمسين !! بئس ما صنعت إذ وهبتهما له . فقال : إنه عبد ، وإنما ضربته ما يضرب العبد ، وهو نصف ما يضرب الحر ، فحمل هذا الكلام حتى شاع في المدينة ، وبلغ ابن الحكم فشق ذلك عليه . وأتى أخاه مروان فأخبره الخبر ، وقال : فضحتني لا حاجة لي فيما تركت فهل فاققص . فضرب ابن الحكم خمسين سوطا أخرى . فقال عبدالرحمن ابن حسان يهجو ابن الحكم :

دع ذا وعد قريض شعرك في امرئ	يهدي ويثد شعره كالفاخر
عثان عكمو ولستم مثله	وبنو أمية منكمو كالآمر
وبنو أبيه سخيقة أحلامهم	فحش النفوس على المجلس الزائر
أحيائهم عار على أموالهم	واليثون مسبة للفاخر
هل ^(١) ينظرون إذا مددت إليهمو	نظر القيوس إلى سيفاد الجادر ^(٢)
خزر العيون منكسو أذقانهم	نظر الذليل إلى العزيز القاهر

ثم إن أبا واسع أحد بني الأشعر ، من بني أسد بن خزيمة ، هجا ابن حسان وعيره بضرب ابن المعطل أباه حسانا على رأسه ، وعيره بأكل الخصى فقال :

إن ابن المعطل من سليم
أذل قياد رأسك بالخطام^(٣)

(١) هم (أغانى) ٢٥ : ١١٧ .

(٢) الجادر الحسن السمين وفي الأغاني إلى شفار الجازر ١٥ / ١١٧ .

(٣) في الأصل : إذا يقتاد رأسك بالحسام .

عمدت إلى الخصى فأكلت منها لقد أخطأت فأكهة الطعام
وما للجارحين يحمل فيكم لديكم يا بني النجار حامى
فلما عمّ بنى النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عليه ، فخرج من المدينة
يريد أهله ، فعرض له أسد فقضقه . فقال ابن حسان فى ذلك :

أبلغ بنى الأشعث إن جثتهم ما بال أبناء بنى واسع
والليث يملوه بأنبياءه منعقراً فى دمه الناقع
إذ تركوه وهو يدعوهم بالنسب الدانى وبالشاسع
لا يرفع الرحمن مصروعكم ولا يؤهى قوة الصارع
فقلت له امرأته : ما دعا أحد قبلك للأسد بخير قط ، قال : ولا نصر أحد
الأسد كما نصرنى قط .

كان الأخطل ومسكين الدارنى صديقين لابن الحكم فاستعان بهما على
ابن حسان ، فهجاء الأخطل ، وقال مسكين : ما كنت لأهجو أحداً ، واعتذر إليه ،
وكتب مسكين إلى عبد الرحمن بقصيدته اللامية ، يدعو به إلى المنافرة والمفاخرة ،
فكتب إليه عبد الرحمن :

إلا إن الشباب ثياب لبس وما الأموال إلا كالظلال
فإن يبل الشباب فكل شيء سمعت به سوى الرحمن بال
أتانى عنك يا مسكين قول بذلت النصف فيه غير آل
دعوت إلى التناضل غير قحج ولا غمر يطيل لدى النضال
وهى أطول من قصيدة مسكين ، ثم انقطع التناضل بينهما .

عامر أبو الطفيل^(١)

هو عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدى بن سعد^(٢)
ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة .
له صحبة بسيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وعمر بعده عمراً
طويلاً .

وكان مع أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . وروى عنه أيضاً ،
وكان من وجوه شيعته ، وله منه محل خاص ، يُستغنى بشهرته عن ذكره .
وخرج طالبا بدم الحسين ، رضوان الله عليه ، مع المختار بن أبي عبيد ، حتى قُتل
المختار ، وأُفلت هو وعمر بعد ذلك .

روى أبو الطفيل قال : سمعت علياً ، رضى الله عنه ، يخطب . فقال : سلوني
قبل أن تفقدوني . فقام إليه ابن الكواء فقال : ما الناريات ذرواً ؟ فقال : الرياح
فقال : فالحاملات وقرأ ؟ قال : السحاب ، قال : فالجاريات يسراً ؟ قال : السفن قال :
فالقسيمات أمراً ؟ قال : الملائكة .

قال : فمَنْ الذين بدّلوا نعمة الله كُفراً ؟ قال : الأفجران من قريش ! بنو
أمية ، وبنو مخزوم .

قال : فما كان ذو القرنين ؟ أنبيأ أم ملكاً ؟ قال : كان عبداً مؤمناً أو قال : صالحاً
أحب الله وأحبه الله ، ضرب ضربة على قرنه الأيمن فمات ، ثم بُعث فضرب ضربة
على قرنه الأيسر فمات . وفيكم مثله . لما استقام الأمر لماوية لم يكن شئ أحب إليه من لقاء

(١) الأغاني : ١٤ : ١٤٧ .

(٢) في الأصل ابن سعيد . وكذلك في ب .

أبي الطفيل ، فلم يزل يكتبه ويلطف له حتى أتاه ، فلما قدم عليه جعل يسأله عن أمر الجاهلية فدخل عمر بن العاص وتقر معه فقال له معاوية : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا قال : هذا فارس صفيّ وشاعرهما ، هذا خليل أبي الحسن . ثم قال : يا أبا الطفيل ، ما بلغ من حبك لعلّي ؟ قال : حبّ أم موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ، قال : بكاء العجوز الثكلى والشيخ الفقود ، وإلى الله عز وجل أشكو التقصير . فقال معاوية : لكن أصحابي هؤلاء لو كانوا سئلوا عني ما قالوا ما قلت في صاحبك . قالوا : إذا والله لا نقول الباطل ، فقال معاوية : لا والله ولا الحق تقولون .

ثم قال معاوية هذه الذي يقول :

إلى رجب السبعين تعرفونني^(١) مع السيف في حواء جهم عديدها

ثم قال : أنشدنا هذه الأبيات يا أبا الطفيل ، فأنشده :

رَجُوف كَمَتْنِ الطُودِ فِيهَا مَعَاشِرُ	كَغُلْبِ السَّبَاعِ نَمْرُهَا وَأَسْوَدُهَا
كَهَوْلٍ وَشَبَّانٍ وَسَادَاتُ مَعَشِيرِ	عَلَى الْخَيْلِ فُرْسَانٌ قَلِيلٌ صُدُودُهَا
كَأَنَّ شَمَاعَ الشَّمْسِ تَحْتَ لَوَائِهَا	إِذَا طَلَعَتْ أَغَشَى الْعَيُونِ حَدِيدُهَا
شِمَارَهُمْ سِيَا النَّبِيِّ وَرَايَةُ	بِهَا اتَّقَمَ الرَّحْمَنُ مِمَّنْ يَكِيدُهَا
تَخْطِفُكُمْ آبَاؤُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ	نَخْطِفُ ضَوَارِيَ الطَّيْرِ طَيْرًا تَصِيدُهَا

فقال معاوية لجلسائه : أعرفتكموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أخش شاعر والأُم جليس ،

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، أتعرفهم ؟ قال ما أعرفهم بخير ، وما أبعدهم من شر .

وقام خزيمة الأسدي فأجابهم^(٢) فقال :

إلى رجبٍ أو غرةِ الشهرِ بعده تُصَبِّحُكُمْ حَمْرُ الْمَنَايَا وَسُودُهَا

(١) في الأصل (لا يعرفونني) وما أثبتناه عن الأغاني ١٥ / ١٤٩ .

(٢) (في ١ - ب) وفي الأغاني : فأجابه .

ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم كتاب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش فيكم عاش عبداً ومن يموت ففي النار سُقياء هناك صديدها
لما رجع محمد بن الحنفية من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم ، فخرج إليه
جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، فكسروا السجن وأخرجوه ، فكتب
ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك . فأخرج مصعب
نساءهم ، وفيهن أم الطفيل امرأة أبي الطفيل ، وابتاع له صغيراً ، يقال له يحيى . فقال
أبو الطفيل في ذلك :

فإن يك سيرها مصعب فأني إلى مصعب مذنب
أقود الكتيبة مستلماً كأني أخو عرة أجرب
على دلاص تخيرتها وفي الكفذور وثق مقضب
شمرت عليهم مع الشعراء ن ناراً إذا خمدت تنقب
فلو أن يحيى به قوة فيعدو مع القوم أو يركب
ولكن يحيى كفرخ العقا ب في الوكر مستصعب أزغب

وقال أبو الطفيل لم يبق من الشيعة غيري ثم يقول :

وخلقت سهماً في الكنانة واحداً سيرى بكم أو يكسر السهم كبيره
وكان أبو الطفيل مع المختار في القصر ، فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ . وقال :
ولما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسرا
دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال : أصبحت
كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام جائحة لم أبك منها على دنيا ولا دين
قال ولم ذاك يا أعرج ؟ قال عبد الله بن عباس يفة الناس وأخوه عبید الله

يُطعم الناس ، فما أبقيا لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحب شرطته عبد الله ابن مطيع ، فقال : انطلق إلى ابن عباس وإلى أخيه ، فقل لهما أعدتما^(١) إلى راية ترابية قد وضعا الله فنصبتهما ؟ بددا عني جمعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت. فقال له ابن عباس : قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس : تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ ، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين ، طالب فقه أو طالب فضل فأى هذين تمنع ، فأنشأ عند ذلك أبو الطفيل يقول :

لا در در الليالى كيف تضحكنا	منها خطوب أعاجيب وتبكيها
ومثل ما تحدث الأيام من غير	يا ابن الزبير عن الدنيا تسليها
كنا نجي ابن عباس فيقبسنا ^(٢)	علما ويكسبنا أجرا ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة	جفانه مطعمنا ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما	ننال منها الذى نبتغي إذا شينا
إن النبي هو الذى كُشِفَتْ	به عمايات باقينا وماضينا
وربطه عصمة في ديننا ولهم	فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعله ^(٣) أدنى منهما رجا	يا ابن الزبير ولا أولى به ديننا
فقيم تمنهم عنا وتمنعنا	منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا
إن بوئى الله من أجرى يفضهمو	في الدين عزاولا في الأرض تمكينا

ومن شعر أبي الطفيل يرثى ابنه ، ودعى إلى ولية فسمع قينة تغنيها فبكى حتى كاد يموت :

(١) في الأصل : أعدتما إلى راية ابن أبيه ... بدراعتي جمعكما ومن صوني اللباب من أهل سلاسل العراق وقال له فعلت وفعلت ، والتصويب عن الأغاني ١٥ : ١٥٢ .

(٢) ١ ، ب وفي الأغاني فيقبسنا .

(٣) في الأصل فاعلم وهذه عن الأغاني .

خَلَى عَلَى طَفِيلٍ أَلْهَمَ فَانْشَعَبَا . وَهَدَّ ذَلِكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبَا .
 وَأَبْنَى سُمَيَّةَ لَا أَنْسَاهَا أَبَدًا . فِيمَنْ نَسِيتُ وَكُلُّهَا كَانَ لِي وَصَبَا .
 فَأَمْلِكْ عَزَائِكَ إِنْ رَزَقَ يُبْلِيتَ بِهِ . فَلَنْ يَرُدَّ بَكَاءُ الْمَرْءِ مَا ذَهَبَا .
 وَلَيْسَ يُشْفَى حَزِينًا مِنْ تَذَكُّرِهِ . إِلَّا الْبَكَاءُ إِذَا مَا نَاحَ وَانْتَحَبَا .
 فَإِنْ سَلَكَتَ سَبِيلًا كَفْتَ سَالِكَهَا . وَلَا مُحَالَةَ أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي كُتِبَا .
 فَا لِبَطْنِكَ ^(١) مِنْ رِيٍّ وَلَا شَبَعٍ . وَلَا ظَلَمْتَ بِيَسَاقِ الْعَيْشِ مَرْتَبَا .

بيننا فتية من قريش ببطن محسر ، يتذاكرون الأحاديث ، ويتناشدون
 الأشعار ، إذ أقبل طويس ، وعليه قوهى وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطو في
 مشيته ، فسلم وجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النعمان أوتغنيننا ؟ قال : نعم ،
 وكرامة ، أغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من شيعة
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، وصاحب رايته ، أدرك الجاهلية
 والإسلام ، وكان سيد قومه وشاعرهم . قالوا : ومن ذلك يا أبا عبد النعمان ؟ فذكرت
 أنفسنا . قال : ذلك أبو الطفيل ، عامر بن وائلة ، ثم غناهم :

أندعوني شيخا وقد عشت حقة . وهن من الأزواج نحوى نوازع
 وما شاب رأي من سنين تتابعت . علي . ولكن شيبته الوقائع
 فطرب القوم ، وقالوا : ما سمعنا قط بأحسن من هذا .

عمرو بن معديكرب الزبيدي^(١)

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله .

ويقال : معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد ، وهو منبّه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب^(٢) بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكنيته أبو ثور .

وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم^(٣) ، وهي معدودة من المنجبات .

وهو فارس اليمن ، مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس .

وكان يقال لعمرو : مائق زبيد ، وكان لا يدعى في الخلفة ، فبلغهم أن خشم تريد ، فتأهب لهم ، وجمع معديكرب بني زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال : لو أشبعني أبي غداً كفيت خشم ، فجاء معديكرب ، فأخبرته ابنته بذلك . فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم . قال : فسليه ما يشيئ له قال : فسأله فقال : فرق من ذرة وعنق^(٤) رباعية قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع ، فصنع له ذلك ، وذبح له العنز ، وهياً له الطعام ، فجلس عليه ، وأكله جميعاً ، وأتته خشم في الصباح ، فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفع رأسه ، فإذا لواه أبيه قائم

(١) أغاني ١٥ : ٢٠٨ - تجريد مذهب ١ / ٦٢ ط ١٦٤٨ .

(٢) عريب أغاني وتجريد .

(٣) في الأصل : (حرم) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٤) العناق الأتي من أولاد المعز .

فوضع رأسه ، ثم رفعه ، فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سرحةٌ مُحَرَّقةٌ فتلقى أباه وقد انهزم ، فقال : انزل عنها ، فقال : إليك اليوم يا مائقُ فقال له : بنو زبيد خلَّه ، أيها الرجل ، وما يريدُ فإن قُتِلَ كُفِيتَ مُؤْنَتَهُ وإن ظَهَرَ فهو لك ، فألقى إليه سلاحه فركب ، ثم رمى بنفسه في خشم ، حتى خرج من بين ظهرائهم ، ثم كر عليهم ، وفعل ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زبيد ، فانهزمت خشم ، وقهروا فقبل له يومئذ : فارسُ زبيد .

وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، وهو ابن أخته ، حين انتهى إليهم أمرُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكرَ لنا أن رجلاً من قريشٍ يقال له محمدٌ قد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبيٌّ ، فانطلق بنا حتى نعلمَ علمه وبادرَ قُرُوءَ بن مُسَيِّك لا يَغْلِبُكَ على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسَفَّهَ رأيه وعصاه ، فركب عمرو متوجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : خالفتني يا قيس .

وقال عمرو في ذلك :

أمرُكَ يومَ ذي صنعا ء امرأَ بيِّنًا رَشَدُهُ
أمرُكَ باتقاءِ الله ٤ تأتِيهِ وتَعْتَمِدُهُ (١)
وكنْتَ كذِي الحَمِيرِ غَرُ رَه من عِيرِهِ وتَدُه

ولما قَدِمَ عمرو ، في وفدٍ مذحج ، مع قُرُوءَ بن مُسَيِّك المرادي ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وبعثَ قُرُوءَ على صدقاتٍ من أسلم منهم ، وقال له : ادعُ الناسَ وتألفهم فإذا وجدتَ الغفلةَ فانهبها (٢) واغزُ ، ولم يكن قُرُوءُ دخل

(١) تَعَمِدُهُ (أغاني ١٥ / ٢١٠) .

(٢) فاهتبلها (أغاني) .

في الإسلام مُفَارِقًا لِلْمُلُوكِ كِنْدَةَ ، مَبَاعِدًا لَهُمْ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَقْعَةً بَيْنَ مَرَادٍ وَهَمْدَانَ أَصَابَتْ فِيهَا هَمْدَانُ مِنْ مَرَادٍ حَتَّى أُتْخَنُوهُمْ فِي يَوْمٍ ، يُقَالُ لَهُ يَوْمُ الرَّزْمِ^(١) وَكَانَ الَّذِي قَادَ هَمْدَانَ إِلَى مَرَادٍ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكِ الشَّاعِرِ الْهَمْدَانِيُّ أَبُو مَسْرُوقٍ بْنُ الْأَجْدَعِ فَفَضَّحَهُمْ يَوْمَئِذٍ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ فُرُوه :

فَإِنْ تَغْلِبُ فغَلَابُونَ قَدَمَا وَإِنْ تُهْزَمُ فَغَيْرُ مُهْزَمِينَا

فَلَمَّا تَوَجَّهَ فُرُوه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتَ كَارِجُلَ خَانَ الرَّجُلِ عَرَقُ نَسَائِهَا

يَعْمَتُ رَاحِلَتِي أَمَامَ مُحَمَّدٍ أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحَسَنَ ثَرَائِهَا

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ : هَلْ شَأْنُكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّزْمِ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الَّذِي يَصِيبُ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ قَوْمِي وَلَا يَسُوءُهُ ؟ فَقَالَ : أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَرَادٍ وَزَيْدٍ وَمَذْحِجٍ كُلِّهَا .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ أَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَالَ :

وَجَدْنَا مُلْكَ فُرُوهَ شَرِّ مُلْكِ حَمَارٍ سَافٍ مِنْخَرَةٍ بِقَدَرٍ

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدَرٍ وَخَثَرٍ

فَلَمَّا ارْتَدَّ عَمْرُو مَعَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا مِنْ مَذْحِجٍ اسْتَجَاشَ^(٢) فُرُوهَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَقَالَ لَهُمَا : إِنْ اجْتَمَعْتُمْ فَعَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُكُمْ ، وَهُوَ عَلَى النَّاسِ ، وَوَجَّهَ عَلَيْهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكْتِيَّةَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ بَعْضُهُمْ وَنَجَّى بَعْضٌ فَلَمْ تَزَلْ جَرْمُ وَزَيْدُ وَأَدَدُ

(١) كَانَتْ فِي الْأَصْلِ : الرُّومُ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي وَمَرَاوِدِ الْأَطْلَاعِ

(٢) يُقَالُ اسْتَجَاشَ : طَلَبَ الْمَدَدَ وَالْجَيْشَ وَجَمَعَهُ عَلَيْهِمْ :

بنو سعد المشيرة بعدها قليلاً ففي هذا الوجه وقعت الصمصامة إلى آل سعيد ، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معديكرب سُبِيَتْ يومئذ ، ففداها خالدٌ ، فأثابه عمرو الصمصامة فصارت إلى سعيد بن العاص^(١) ، ووُجِدَ سعيدٌ جريحاً يوم حُصِرَ عثمانٌ وقد ذهب السيفُ والغمدُ ثم وُجِدَ الغمدُ . فلما قام معاوية جاء أعرابي بالسيفِ بغير غمدٍ وسعيد حاضر فقال سعيد : هذا سيفي ، فَجَحَدَهُ الأعرابي . فقال سعيد : الدليلُ على أنه سيفي أن تَبْعَثَ إلى غمده^(٢) فتَقْعِدُهُ فيه فيكون كِفَافَهُ . فبعث معاوية إلى الغمدِ فأُتِيَ به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار ، فأخذه سعيد منه ، فلم يزل عندهم حتى أَصْعَدَ المهديُّ من البصرة . فلما كان بواسطة بعث إلى بني^(٣) سعيد فيه ، فأعطاهم خمسين ألف درهم ، وأخذه . وكان بنو سعيد قالوا : إنه في السَّيْلِ^(٤) فقال : خمسون سيفاً قاطماً أغنى من سيفٍ واحدٍ وأعطاهم خمسين ألفاً^(٥) .

ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزاة تبوك يريد المدينة أدركه عمرو ابن معديكرب ، في رجال من بني زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُمْسِكَ عنه ، حتى يُؤْذَنَ له فحُلِّيَ سبيلُهُ . فلما تقدم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسير قال : حياك إلهك ، أيت اللعن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، فأَمِنَ بالله يؤمِّنكَ يوم الفزع الأكبر . فقال عمرو : وما الفزعُ الأكبرُ ؟

(١) في الأصل : إلى آل سعيد والتصويب عن الأغاني .

(٢) في الأصل : يبعث إلى غمدى فيغمد وفي التجريد أنه يحضر غمده فيغمد فيه (١٦٤٩) .

(٣) آل (تجريد) .

(٤) للسبيل (التجريد) ومعناها : المعتمد والأيد والفخر .

(٥) خمسين ألف درهم (تجريد) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فزع ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى مَيِّتٌ إلا نُشِرَ ثم تَلَجُّ تلك الأرضُ بدَوِيٍّ تَنهَدُ منه الأرضُ ، وتَخِرُّ الجبالُ ، وتَنشَقُّ السماءُ في عرضها انشقاقَ القِبْطِيَّةِ الجديدة ، ما شاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار ، فتنظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسانٌ في السماء يَرْمِي بمثل رموسِ الجبالِ من شرر النار ، ولا يبقى ذو رُوحٍ إلا انمَلَحَ قلبه وذَكَرَ ذَنْبَهُ .
فأين أنت يا عمرو ؟ قال : إنني أسمع أمراً عظيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، فَأَسْلَمَ وبَايَعَ لقومِهِ عن الإسلام ، وذلك عند مُنْصَرَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك . وكانت في رجب سنة تسع ، وكان عمرُ ابن الخطاب رضى الله عنه ، إذا نظر إلى عمرو قال : الحمد لله الذى خَلَقَنَا وخلقَ عمرًا تعجبًا من خَلْقِهِ .

قال بعض الرواة : رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً عظيماً أعظمَ ما يكونُ من الرجال ، أجشُّ الصوت إذا التفت التفت بجميع جسده . وهذا خطأ لأنه مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب ودفن برؤذة وهي بين قم والري .
وقيل إنه قتل في وقعة بها في موضع يعرف بفندِيسجان^(١) ودفن بها هو والنعمان بن مقرن .

وقيل إنه أدرك خلافة عثمان ومات بالفالج .

قال الشعبي : وفرض عمرُ رضى الله عنه ، لعمر بن معديكرب في ألفين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألفٌ هنا - وأوماً إلى شِقِّ بطنِهِ الأيمن - وألفٌ هنا - وأوماً إلى شِقِّ بطنِهِ الأيسر - فما يكون ههنا - وأوماً إلى وَسَطِ بطنِهِ - فضحك عمر رضى الله عنه ، وزاده خمسمائة .

(١) فنديسجان قرية من قرى نهاوند (مراصد) وكانت تقرأ في الأصل هكذا (فند سجان) .

مهملة النقط - وهي في الأغاني ٢١٣/١٥ قبل يشجان .

قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينة وحدى على مياه معدٍ كلَّها^(١) ما خفت أن أُغلب عليها ، ما لم يُلْقَى خُرَّاهَا وَعَبْدَاهَا :
أما الحُرَّان فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ^(٢) بن الحارث .
وأما عَبْدَاهَا فأسودُ بنى عَبْس وأسودُ بنى سعد - يعنى عنصرة والسُّلَيْك ابن السُّلَيْكَة - وكلهم قد لَقِيت .
فأما عامر فسرّيع الطمنِ على الصَّعْب .
وأما عُتَيْبَةُ^(٢) فأولُ الخيل إذا غارت وأخرُها إذا أتت .
وأما عنصرة فقليل النُّبُوَّة شديدا الكَلْب .
وأما السُّلَيْك فبعيد الغارة كالليث الضارى .
قالوا : فما تقول فى العباس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه كما قال فى :
إذا مات عمرو قلتُ للخيلِ اوطئوا زُبَيْدًا فقد أودى بنَجْدَتِهَا عمرو
وقام منفضبا ، وعلم أنهم أرادوا توبيخه بعباس .
كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص : إني قد مددتك بالفى رجل : عمرو بن
معديكرب وطلَيْحَة^(٣) بن خويلد الأسدى فشاورها فى الحرب ، ولا تؤكَّلهما شيئا .
وشهد عمرو بن معديكرب القادسيَّة وهو ابن مائة وستِّ سنين ، وقيل مائة
وعشر .
ورماه رجلٌ فى القتال بسهم ، فوقع فى كَتِفِهِ ، وكان عليه درع حصينةٌ
فلم يَنْفُذْ ، وحملَ على المِلْجِ فعاثقه فسقط إلى الأرض ، فقتله عمرو وسَلَبَهُ ، ورجع
بِسَلَبِهِ وهو يقول :

(١) العرب كلَّها (تجريد) .

(٢) كانت فى الأصل عينة والتصويب عن الأغاني .

(٣) فى الأصل طلحة والتصويب عن الأغاني ١٤ : ٢٧ .

أنا أبو ثورٍ وسيفي ذو النونِ أضربهم ضَرْبَ غلامٍ مجنونِ
يا زبيد إنهم يموتون
وكان الفارس عليه سواراً ذهبٍ ومِطْقَةٌ ذهبٍ وقبأه ديباجٍ .
وقال عمرو أيضاً :

ألم بسلمى قبل أن تظمنا إن لنا من حُبِّها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس إلا أنا
شككت بالرمح حيازيمه والخيْلُ تعدو زَيْماً بيننا

ولما قتل العليج عبْرَ نهر القادسية ، هو وقيس بن مكشوح المرادى ، ومالك بن الحارث الأشتر^(١) وكانت فرسُ عمرو ضعيفةً فطلبَ غيرها فأُتِيَ بفرس فأخذ بِمَكْوَةٍ^(٢) ذَنَبَهُ وضرب به الأرض فأقمى الفرس فردّه وأتى بآخر ففعل به ذلك فتَحَلَّجَل ولم يقع ، فقال : هذا على كل حال أقوى من ذاك وقال لأصحابه : إني حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فإن أسرعتم بمقدار جزرٍ جزورٍ وجدتموني وسيفي في يدي أقاتل به تلقاء وجهي ، وقد عقرَ بي القوم ، وأنا قائم [بينهم] وقد قتلتُ وجردتُ وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد جُرِّدتُ [ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زبيد تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حياً فحملوا فانتهاوا إليه وقد صُرِعَ عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من المعجم فأمسكها وإن الفارس ليضربُ الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الأعجمي بنفسه وخَلَّى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني . قالوا : أين فرسك؟ قال : رُمِيَ بِنُشَابَةٍ فشب فصرعني وعار^(٣) .

(١) في الأصل (وطلب الحرب الأشتر) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) المكوة بفتح العين وضمها : أصل ذنب الدابة حيث عرى من الشعر .

(٣) عار يعبر : ذهب كأنه منفلت .

[عن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف تزد ولا تزد ؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل] ^(١) نكلمه قال : هيهات والله لا ألقاه في هذا أبدا ، فقد لقيني في بعض فجاج مكة ، فقال : يا طليحة ، أقتلت هكاشة ؟ فتوعدني وعيدا ظننت أنه قاتلي ولا آمنه . فقال عمرو : لكنني ألقاه . فقال : أنت وذاك . فخرج إلى المدينة ، فقدم على عمر وهو يُعَدِّي الناس ، وقد جَفَنَ لعشرة عشرة ، فإذا أكلوا جلس عشرة ، فأقعدَه عمرُ مع عشرة ، فأكلوا ونهضوا ، ولم يَقم عمرو فأقعدَ معه تَكَمَلَة عشرة ، فأكلوا ونهضوا ، فلم يَقم عمرو ، فأقعدَ معه تَكَمَلَة عشرة ، حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مآكل في الجاهلية ، فمنعني منها الإسلام ، وقد ضربتُ في بطني ضربتين وتركتهما هواءَ فُسْدِه . فقال له : عليك بحجارة من حجارة الحرة فسدَّ بها . يا عمرو بلغني أنك تقول : إن لي سيفا يقال له الصَّمَضَامَة وعندى سَيْفٌ يقال له المصم وإني إن وضعتَه بين أذنك لم أرفعه حتى يخالط شراسيفك ^(٢) .

وكان عمرو مع هذا المحل مشهورا بالكذب . كان الأشراف يخرجون بالكوفة إلى ظاهرها يتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، ويتناشدون الأشعار ، فوقف عمرو إلى جنب خالد بن الصَّقْعَبِ النُّهْدِيِّ فأقبل عليه يُحَدِّثُه ويقول : أغرتُ على بني زيد ، فخرجوا إلى مُسْتَرَعْفِين ^(٣) وخالد بن الصَّقْعَبِ يقدمهم فطعننته طعنة فوق وضربته

(١) يباض في الأصل : وما بين القوسين عن الأغاني : ٢١٧/١٥ .

(٢) الشرسوف : طرف الصلح المشرف على البطن والجمع شراسيف - وفي الأغاني : أضراسك مكان هذه الكلمة .

(٣) الاسترعاف : السبق والتقدم .

بالصمصامة حتى فاظ وسلَّبتُه سلاحه وفرسه . فقال له رجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذي تذكره هو الذي تُحدِّثُه . فقال : اللهم غفرًا ، إنما أنت مُحدِّثٌ فاسمع فإنما تُحدِّثُ بمثل هذا وأشباهه لترهب هذه المدية .

كان عمرو قد حمل حمالة ، فأتى مجاشع بن مسعود فقال : أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي ، فأمر له بمشرين ألف درهم وفرسٍ وجوادٍ عتيقٍ وسيفٍ صارمٍ وجارية قنيسة ، ومر بيبي حنظلة فقالوا له : يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ، ما أشدَّ في الحرب لقاءها ، وأجزل في الأزمات عطاها ، وأحسن في المكرمات إناها ، لقد قابلتها فاجبتُّها ، وسألتها فما بخلتُّها ، وهاجيتها فما أفحمتُّها .

جاء رجل إلى الكُنَاسة^(١) فرأى عمرو بن معديكرب واقفاً على فرس ، فقال : لأنظرُ ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده تحت^(٢) ساقه وبين السرج ، ففطن له عمرو ، وضمها عليه ، وحرَّك فرسه ، فجعل الرجل يمدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال له : يا ابن أخي مالك ؟ قال : يسدي تحت ساقك تفلِّي عنه ، وقال : يا ابن أخي إن في عمك بَقِيَّةً بَعْدَ .

حدث من شهد موت عمرو بن معديكرب ، قال : كانت مغازي العرب إذ ذاك الرِّىَّ ودَسْتَبِي^(٣) نخرج عمرو مع شباب من مَذْحِجٍ حتى نزل الخان الذي دون روضة ، فتغدى القوم ، ثم ناموا ، وقام كل واحد منهم لقضاء الحاجة ، وكان عمرو إذا أراد حاجة لم يجترئ أحد أن يدعو ، وإن أبطأ . فقام الناس للرحيل فرحلوا

(١) الكُنَاسة بالضم : محلة بالكوفة مشهورة (مراسد) .

(٢) بين ساقه ١٥ : ٢٢٢ .

(٣) كورة كبيرة كانت مشتركة بين الرى وهمدان فقسمت كورتين . وهذه هي كورة همدان التي أفردت لها اشتمل على تسعين قرية وتسمى قرية منها دسئي همدان (مراسد) .

إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلما أبطأ صحننا به : ياعمرو ، فلم يجبنا وسمعنا
عَلَزًا شديدًا ومِرَاسًا ، في الموضع الذي دخله ، ونَفَسًا عاليًا ، فدخلناه فإذا به مُحَمَّرَةٌ
عيناه مائل شِقَّةً مفلوج ، فحملناه على فرس ، وأمرنا غلامًا شديد الذراع فارتدَّفه ،
ليمدل مِيلَه فمات برُودة ودُفِنَ على قارعة الطريق . وقالت امرأته الجعفية ^(١) ترثيه :
لقد غادر الركب الذين تَحَمَّلُوا برُودةً تشخصا لا ضميما ولا غُمَرًا ^(٢)
فقل لزُبيدٍ بل لَمَذْحَجٍ كلَّها فَقَدْتُمْ أبا ثَوْرٍ سِنَانَكُمُ عَمَرًا
فإن تَجَزَعُوا لا يُغْنِي ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يُمَقِّبُكُمْ أَجْرًا
وقال عمرو بن معديكرب في أخته رِيحانة لما سبها الصَّمَّةُ بن بكر ، وكان
أغار على بني زبيد في قيس ، فاستاق أموالهم ، وسبي ريحانة ، وانهزمت زبيد من
بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبدالله بن معديكرب ، وهو يناشده أن يُخَلِّيَ عنها له ،
فلم يفعل ، فلما يئس منها وَلَّى وهي تناديه بأعلى صوتها : ياعمرأه ، فلم يقدر على انزعاجها
فقال :

أَمِنْ رِيحَانَةَ الداعي السميعُ	يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
سبها الصَّمَّةُ الْجَشَمِيُّ غَضَبًا	كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهَا صَدِيعُ
وحالت دونها فرسان قيس	تَكْشَفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدُّرُوعُ
إذا لم تستطع شيئًا فدَعُهُ	وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
فكيف تريد أن تُدْعَى حَكِيمًا	وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى تَبُوعُ

وقيل : إن الشعرَ قاله عمرو في امرأة كان زوجها من مراد ، وذهب مُغِيرًا
قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخْبِرَ أنه ظهرَ بها وَضَحٌ ، وهو داء تَحْذَرُهُ العرب ،

(١) في الأصل الجعفرية والتصويب عن الأغاني والتجريد .

(٢) الغمر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور .

فطلقها ، فتزوجها رجل من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً ، وأن الذي قيل فيها باطل ، فشُبب بها في هذه القصيدة .

كان عبدُ الله بنُ معديكرب أخو عمرو رئيسَ بني زبيد ، فجلس مع بني مازن في شرب^(١) منهم فتَغَنَّى عنده حبشيٌّ ، عبدٌ للمُخَزَّم أحد بني مازن ، يشبب بامرأة من بني زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال : ما كفاك أن تشرب معنا حتى تُشبب بالنساء ، فنَادَى الحبشيُّ : يا لبني مازن ، فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، ورَأَسَ عمرو مكانَ أخيه وكان عمرو غزاهو وأبى المرادى ، فأصابوا غنائم ، فادَّعى أبى أنه كان مُسانداً فأبى عمرو أن يُعْطِيَه شيئاً ، وكره أبى أن يكون بينهما شُرٌّ لحدائنة قتل أبيه ، فأمسك عنه ، وبلغ عمراً أنه توَعَّده ، فقال من أبيات :

أعاذلَ ملّنى ^(٢) بدّنى ورُحى	وكلُّ مُقْلَصٍ سَلِسٍ ^(٣) القيادِ
أعاذلَ إنما أفنى شبابى	وأقرَحَ عاتقِ أثرٍ ^(٣) النجَادِ
تمنّانى ليلقانى أبى	وددت وأينا منى وِدَادِ
ولو لاقيتنى ومى سلاحى	تكشَفَ شَحْمُ قَلْبِكَ عن سوادِ
أريد حَيَاتَه ^(٤) ويريدُ قَتْلِي	عذيرَكَ من خليلِكَ من مُرَادِ
تمنّانى وسابغنى دِلَاصٌ	كأن قَتِيرَهَا ^(٥) حَدَقُ الجِرَادِ
وسيفى كان من عهد ابن صدّ	تَخَيَّرَه الفتى من قومٍ عادِ
ورُحى العنبرى تُخال فيه	سِنَاناً مثل مِقْبَاسِ الزنادِ

(١) الشرب : جمع شارب .

(٢) شكنى ... سهل القياد (تجريد) .

(٣) حل (تجريد) .، ثقل (أغانى) .

(٤) حباءه (أغانى) .

(٥) القتير : رؤس السامير في الدرع .

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن مُلْجَمَ لعنه الله قال :

أريد حياته ويريد قَتْلِي عذيرك من خليلك من مُراد

قال أبو الطفيل : لما جَمَعَ علي ، رضى الله عنه ، الناسَ للبيعة جاء عبدُ الرحمن بن مُلْجَمَ المرادى فردّه مرةً أو مرتين ، ثم بايعه . فقال : ما تجبس أسقاها فوالذى نفسى بيده ليخضين هذه من هذه ثم تمثل :

اشدّد حيازيمك للموتِ فإن الموتَ لا فيكا

ولا تجزع من الموتِ إذا حل بوادিকা

وجاءت بنو مازن لعمر و فقالوا : إن أخاك قتله رجلٌ مِنّا سفيهٌ ، وهو سكرانٌ ، ونحن سيِّفك وعَضُدُك ، نسألك بالرحمِ إلا ما أخذتَ منا الدِّيةَ ، ما أحببت ، فهمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحدَى يَدَيَّ أصابَتْنِي ولم تُردِ *

فبلغ ذلك أختاً لعمر و ، يقال لها كبشة . وكانت ناكحةً في بني الحارث بن كعب ، فغَضِبَتْ . فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تُعَيِّرُ به عمراً :

أرسل عبدُ الله إذ حان يومُه إلى قومه لا تَمَقِلُوا لهمُ دِمي

ولا تأخذوا منهم إفاً وأبكرًا^(١) وأترك في بيتٍ بصعدةٍ مُظلمٍ

ودع عنك عمراً إن عمراً مُسالِمٌ وهل بطنُ عمرٍ وغيرُ شبرٍ لَطَمٍ

فإن أنتم لم تفعلوا وأبيتم^(٢) فمشوا بأذان النعام المصلم

أَيَقْتُلُ عبدَ الله سيدَ قومه بنو مازن أن سب راعى الخزَم

(١) في الأصل : احالا وابكروا - والإفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر

(أغاني) ٢٣٠/١٥ .

(٢) فإن أنتم لم تتأروا واتديتم (الحماسة) وأغاني .

فقال عمرو قصيدة يقول فيها :

أَرِقْتُ وَأَمْسَيْتُ لَا أَرْقُدُ وساورني المَوْجُعُ الْأَسْوَدُ
وبت لَذِكْرِي بَنِي مَازِن كَأَنِّي مُرْتَفِقٌ أَرْمَدُ

ثم أكب عمرو على بني مازن ، وهم غارئون فقتلهم ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأُمها ، دون عمرو ، يأنف عنهم من قتل منهم فكبت كبشة في نساء قومها ورثت أخاها وعيرت عمراً فأحمتها فأكب عليهم أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا . وقال عمرو بن معديكرب :

تمت مازن جهلا خلاطى فذاقت^(١) مازن طعمَ الخِلاطِ
أطلت فراطكم^(٢) عاما فعاما ودين المَذْحِجِيَّ إِلَى فِراطِ
أطلت فراطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قَطَاطُ^(٣)
غَدَرْتُمْ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى فَا إِن يَبْنِئَا أَبَدًا يَمَاطُ^(٤)

حدث من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب ، وقد تنازعا في شيء ، فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمك . فقال سعد : قوما أفى الكماا فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرطنك ، فقال : كلا إننا غرور موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي : فأخذت بيد الأشعث فنترته^(٥) فوق علي وجهه ثم أخذت بيد عمرو فجذبتة فالتخلخل ، والله لكأنما حركت أسطوانة القصر .

(١) في الأصل : (جلا طلاطى - فذق في) وما أثبتناه عن الأغاني ١٥ / ٢٣٢ .
(٢) أطلت فراطكم أى أطلت إسمالككم والثاني بكم إلى أن قتلنكم وفي الأصل : فراقكم .
(٣) كانت قطاط : أى حسي .
(٤) كانت في الأصل تماطى والتصويب عن الأغاني ، يقول : ليس بيتنا لنذار وإنما الحرب مفاجئة .
(٥) نثره : جذبه بشدة .

قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص على عمر رضي الله عنه ، فأتياه
وبين يديه مالٌ يوزن فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يوم الخميس . قال : ما حبسكما عني ؟
قالا : شغلنا بالمنزل يوم قدمنا . ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم . فلما فرغ من
وزن المال نَحَّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيه . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين هذا
الأجلح بن وقاص شديد المروءة ، بعيدُ الفرّة شديد^(١) الكرّة ، والله ما رأيت
مثله من الرجال صارعا ومصروعا ، ولكأنه لا يموت . فقال عمر ، للأجلح ، وأقبل
عليه : هيه . قال : وأنا أعرفُ الغضبَ في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين الناس
صالحون كثيرٌ نسلهم دارةٌ أرزاقهم خصبٌ نباتهم أجرياء^(٢) على عدوهم جبان عدوهم
عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم ، والله ما رأيت مثلك إلا من تقدمك ، فنستمتع الله
بك . قال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك ؟ قال : منمنى ما رأيتُ
في وجهك . قال : أصبت ، أما لو قلتَ له مثل الذي قال لك لأوجعتكما ضربا
وعقوبة ، فإن ترَكَكُمْ لَنَفْسِك فإني سائر لذلك والله لوددت لو سَلِمَتْ لكم
حالكم هذه أبداً . أما إنه سيأتي عليك يومٌ تَعْصُهُ وينهشُك وتَهْرُء وينبَحُك ،
ولست له يومئذ وليس لك ، فإن لم يكن بعيداً فما أقربه منكم .

لما كان يومُ القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانا ومناطق [ورقابا] وغير
ذلك ، فبلغت مالا عظيما ، فزل سَعْدُ الخُمُسِ ثم فَضُّ^(٣) البقية ، فأصاب الفارسَ
ستة آلاف درهم ، والراجل ألفان ، وبقي مال دَثْر^(٤) ، فكتب إلى عمر رضي الله
عنه بما فعل ، فكتب إليه أن رُدَّ على المسلمين الخُمُسَ وأعطِ من لَحِقَكَ ممن لم يشهد

(١) وشيك (أغانى ١٥/٢٤٢) .

(٢) في الأصل : حربا .

(٣) يقال : فض الشيء على القوم : فرقه وقسمه

(٤) مال دَثْر : كثير .

الوقعة ففعل وأجرى من لم يشهد بحجري من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه أن فض مابق على حاملة القرآن ، فأناه عمرو بن معد يكرب فقال له : ما معك من كتاب الله ؟ قال : إني أسلمت باليمن ، ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن . قال : مالك في هذا المال نصيب . وأناه بشر بن ربيعة الثقفي الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال له : ما معك من كتاب الله تعالى ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك وضحك القوم منه ، ولم يعطه شيئا فقال عمرو :

إذا قتلنا ولا يمي لنا أحد
نُعطي السويبة من طعن له نقد
قالت قريش ألا تلك المقادير
ولا سويبة إذ تُعطى الدنانير

وقال بشر بن أبي ربيعة الخثعمي :

أنخت بباب القادسية ناقتي
وسعد أمير شره دون خيره
وعند أمير المؤمنين نوافل
تذكر هداك الله وقع سيوفنا
عشية ود القوم لو أن بعضهم
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة
ترى القوم فيها واجين كأنهم
جمال بأحمالهن زفير
وسعد بن وقاص على أمير
وخير أمير بالعراق جرير
وعند المثنى فضة وحرير
بباب قدس والمكر^(١) عسير
يُعار جناحي طائر فيطير
دلّقنا لأخرى كالجبال نسير
جمال بأحمالهن زفير

فكتب سعد إلى عمر بما قال لها وبما ردّا عليه من القصيدتين فكتب إليه أن أعطيها على بلائهما ، فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم .

(١) في الأصل قويس والتصويب عن الأغاني ومرامد الاطلاع وهي موضع بناحية القادسية .
والمكر في الأصل المكين وما أثبتناه عن الأغاني ١٥ / ٢٤٣ .

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فتناظر ، يوما ، محمد ابن العباس الصُّوليُّ هو وعليُّ بن المهيم ، حولنا في الإمامة فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر ، فلجَّت المناظرة بينهما إلى أن ثبط محمد عليا فقال له علي : إنما تكلمت بلسان غيرك ، ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت ، فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله ، وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ، ونهض عن فرشه ، ونهض الجلوس ، فخرجوا ، وأراد محمد أن ينصرف فمنعه ابنُ صالح صاحب المصلى ، وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال : فعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ، ونهض على الحال التي رأيت ، وتنصرف بغير إذن منه ، فاجلس حتى يَرى رأيَه فيك ، وأمر بأن يجلس ومكث المأمون ساعة ثم خرج فجلس على سريره وأمر بالجلوس فردوا إلى المجلس ، فدخل عليُّ بن صالح فعرفه ما كان من أمر محمد في الانصراف ، وما كان من منعه إياه ، فقال دعه ينصرف إلى لعنة الله وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لم دخلتُ إلى النساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان ، لم آمن فلبت الغضب ، وله بنا حرمة ، فدخلت لأغشاهن حتى يسكن غضبي . ومضى محمد من وجهه إلى طاهر فسأله الركوب إلى المأمون ، وأن يستوهبه جرَّمه فقال له طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليَّ خليفتي في الدار أنه قد دعا بالجلوس ، فقال : أكره أن أبيت ليلة ، وأمير المؤمنين عليُّ ساخط ، ولم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأذن له ، فدخل ومجير الخادم واقف على يمين أمير المؤمنين ، فلما بصر المأمون بطاهر أخذ مندبلا من بين يديه ، فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثا ، حتى وصل طاهر وحرك شفقيه بشيء أنكره طاهر ثم دنا فسلم فرد السلام ، وأمره بالجلوس ، فجلس في موضعه ، فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرفه الخبر واستوهبه ذنب محمد فوهبه له ، وانصرف وعرف محمد ذلك ، ثم دعا بهارون بن خنمويه وكان شيخا خراسانيا داهية ثقة عنده فذكر له فعل المأمون من تحريك شفقيه ، ومسح

عينيه ، فقال له كاتبٌ مُجيراً والطفُ له واطمن له عشرة آلاف درهمٍ على تعريفك ما قال المأمون ، ففعل ذلك والطف له فعرّفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيناه وترحم على محمد الأمين ومسح دمه بالمنديل ، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلهم يركبون إليه ، فقال له قد جئتكَ لتوَلِّيَني خراسانَ وتحتال لي فيها . وكان أحمدُ يقولُ فضَّ الخرائط بين يدي المأمون ، وغسانُ بن عبادٍ إذ ذاك يقولُ خراسان . فقال له أحمد : فهلاً أتت بمنزلك وبعثت إلى حتى أصيرَ إليك ولا يشتَهَر الخبرُ بما تريدُ مما ليس بمادتكَ ؟ لأن المأمون يعلم أنك لا تتركُ إلى أحد من أصحابه وسبيلُك في ذلك فأنصرفَ وغضَّ عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك فيه ، فلبث مدة ثم زورَ ابن أبي خالد كتاباً عن غسان بن عبادٍ إلى المأمون ، يذكُر أنه عليل ، ولا يأمن على نفسه ، ويستخلفُ غيره على خراسانَ وجعله في خريطة وفضَّها بين يدي المأمون في خرائط ، فلما قرأ المأمون ذلك اغتمَّ وقال : ما ترى ؟ فقال لعلها عِلَّةٌ عارضةٌ تزول وسيرد بعد هذا غيره فيرى أميرُ المؤمنين حينئذ رأيه . ثم أمسك أياها ، وكتب كتاباً آخر ودسَّه في الخرائط يذكُر فيه أنه قد تناهى في العِلَّةِ إلى ما لا يرجو معه نفسه ، فلما قرأه المأمون قلقَ وقال له : يا أحمد إنه لا يدفعُ لأمر خراسانَ فما ترى ؟ قال : هذا رأى إن أشرتُ فيه بما أرى فلم أصب لم استقبله ، وأميرُ المؤمنين أعلم بخدَمِهِ ومن يصلحُ لخراسان منهم ، فجعل المأمون يُسمي رجلاً ، ويظعن أحدُ فيهم واحداً بعد واحد ، إلى أن قال : فما ترى في الأعور ؟ فقال له : إن كان عند أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده ، فدعا به المأمون فعقدَ له على خراسان وأمره أن يُعسكر بمسكر باب خراسان ، ثم تعقب الراى فلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضاء أمره وخشى أن يوحش طاهراً بنقضه أمره فمضى شهرتاً تام وطاهرٌ مقيمٌ بمسكره ثم أمر المأمون في سحر ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقد اللواء له بإحضار مخارق المغنّى

فأحضره وعند ما صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر قال يا مخارق أتغنى :
إذا لم تَسْتَطِيعْ أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وكيف تريد أن تدعى حكيماً وانت لكل ما تهوى تبوعُ

قال : نعم قال : هاته ، فغناه . فقال : ما صنعت شيئاً ، فهل تعرف من يقول
أحسن مما تقول ؟ قال : نعم علوية . فأمر بإحضاره ، فكأنما كان بالباب فغناه واحتفل ،
فلم يُعْجبه . وقال : ما صنعت شيئاً ، أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله . قال : نعم
عمرو بن بانه ، فأمر بإحضاره فحضر فغناه فقال : أحسنت ما شئت ، هكذا ينبغي أن
يقال . يا غلام اسقني رطلا واسق صاحبيه رطلا رطلا ، ثم دعا له بعشرة آلاف
درهم وخِلمة وثلاثة أثواب ثم أمره بإعادته . فأعاده ، فرد القول الذي قال وأمر له
بمثل ما أمر له به أولاً ، حتى فعل ذلك عشراً ، فحصل لعمرو بن بانه مائة ألف درهم
وثلاثون ثوباً ، ودخل المؤذنون فأذنوا بالظهر فمقد إصبعه الوسطى بإبهامه ، وقال :
أنعمت عليّ وأحسنت إليّ ، فإن أذنت أن أقسم أخوياً ما وصل إليّ فإنهما حضرا
فقال : ما أحسن ما استمحت لهما ، بل تُعْطِيهما نحن ولا نُلْجِئُهُما بك ، وأمر لكل
واحد منهما بمثل جائزة عمرو وبكر إلى طاهر فرحله فلما تَسَنَّى عِنانَ دابته منصرفا
دنا منه حميد الطوسي فقال : اطرح علي ذنبيه تراباً : فقال : اخساً يا كلب وسار طاهر
لوجهه وقدم غسان بن عباد فسأله المأمون عن علته وسببها فخاف أنه لم يكن عليلاً
ولا كتبَ بشيء من ذلك . فلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بأحمد بن أبي خاله ،
وأمسك عن ذلك ، فلما كان بعد مدة من مقدّم طاهر إلى خراسان ، قطع الدعاء
للمأمون يوم الجمعة . فقال له عون بن مجاشع بن مسمدة^(١) صاحب البريد [لِمَ لَمْ]
تدعُ لأمير المؤمنين في هذه الجمعة ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبُ فيه ، وفعل مثل

(١) في الأصل : ا ب (معدة) والتصويب عن الأغاني .

ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لمون : لا تكتب به وفعل مثل ذلك في الجمعة الثالثة ، فقال عون : إن كُتِبَ التجار لا تنقطع عن بغداد وإن اتصل هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيرنا لم نأمن أن يكون ذلك سبباً لزوال نعمتي ، فقال : اكتب بما أحببت . فكتب إلى المأمون ، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد ، وقال له : إنه لم يذهب على احتيالك في أمر طاهر وتمويهك له ، وأنا أعطى الله عهداً أن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي^(١) وتصلح ما أفسدته علي من أمر مملكتي^(٢) ، لتدمن عاقبتك فشخص أحمد وجعل يتلوم في الطريق ، ويقول لأصحاب البردا كتبوا بخبر عليّ فلما وصل إلى الرى لقيته الأخبار ب وفاة طاهر ووافاه رسول طليحة بن طاهر فأغذ السير حتى قدم خراسان فلقية طليحة فقال له أحمد : لا تكلمني ولا تزين وجهك ، فإن أباك عرّضني للعطب وزوال النعمة مع احتيالي له ، وسعي إنما كان في محبته فقال له : الآن أبي مضى لسبيله ، ولو أدركته لما خرج عن طاعتك وأنا فأحلف لك بكل ماتسكن إليه [نفسك] وأبذل كل ما عندي من مال وغيره ، فاضمن عني حسن الطاعة وضبط الناحية والإخلاص في الصُحبة فكتب أحمد إلى المأمون بخبر طاهر وخبر ابنه طليحة ، وأشار عليه بتقليده ، فأنفذ إليه المأمون اللواء والمهد والخلف ، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام .

كتب عمر إلى النعمان ، إن في جُندك رجلين من العرب ، عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد الأسدي^(٣) فأخضِرهما الحرب وشاورهما في الأمر ، وابعثهما في الطلائع ولا تولهما عملاً والسلام .

وكتب إليه كتاباً آخر : فإذا وضعت الحرب أوزارها ، فضعهما حيث وضعا أنفسهما يشير إلى أن عمراً ارتد وطليحة تنبأ .

(١) في الأصل : إن لم توافني بشخص حتى يوافيني به كما أخرجته من يدي .

(٢) من أمر ملكي لأبيدن خضراءك . أغاني والتصويب عن الأغاني — ٢٣٦ / ١٥ .

(٣) رواية الأغاني : (فإذا حضر الناس فأذنهما وشاورهما وابعثهما ...) ٢٤٤ / ١٥ .

عمرو بن بانه^(١)

هو عمرو بن محمد بن سليم بن راشد مولى ثقيف، كان أبوه صاحب ديوان ووجهها من وجوه الكتاب .

ونسب إلى أمه بانه بنت روح القحطبية . وكان صالح الشعر حسن الصنع والغناء ، وكان يُقعدُه عن اللحاق بالمتقدمين في صنعه أنه كان مُرتجلاً . والمُرْتَجِلُ [من المحدثين] لا يلحق الضراب ، وليس فيه مَطْعَن .

وكان تياها معجبا شديد الذهاب بنفسه ، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومُغْنِيهِم على ما كان به من الوَضَح . وفيه يقول الشاعر :

أقول لعمرو وقد مررت بي فسلم تسليمًا جافِيَه
لئن فضلك بفضل الفناء فقد فضل الله بالمافيه

وقال يوما لإسحاق في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يُقاسُ بِمَثَلِكَ ، لأنك تعلمت الغناء تكسبًا وتعلمته تطرُّبًا ، وكنت أُضربُ لثلاث أتعلم وكنت تضربُ حتى تتعلم .

كان عمرو بن بانه يُحبُّ خادما فزاره يوما فطلب من يضربُ عليه فلم يجد ، فقال له جعفر الطبال : إن أنا أغنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك^(٢) ، أى شيء يكون لي عندك ؟ قال : مائة درهم قال : ودستجة^(٣) نبيذ قال : نعم ، وكان جعفر حاذقا نادرا طيبا ، وكان بذل الهمة فقال : أسمعني مخرج صوتك ، ففعل فسوى عليه

(١) أغاني ١٥ : ٢٦٩ .

(٢) رواية الأغاني : إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك (١٥ : ٢٧٣) .

(٣) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج ، وكانت في الأصل (دستجة) .

طَبْلَةً فَكَانَ يُسَوِّي الْوَتَرَ وَاتَكَا عَلَيْهِ بِرُكْبَتِهِ ، وَأَوْقَعَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَمْرُو يَغْنَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ حَتَّى أَمْسَى ، لَا يَنْسَكِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَدَفَعَ لَهُ مِائَةَ دَرَاهِمٍ وَأَحْضَرَتْ الدَّسْتَجَةَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَحْمِلُهَا فَحَمَلَهَا تَحْتَ طَيْلَسَانِهِ .

وَكَانَ صَدِيقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرُ ، حَدِّقْ جَارِيَّتِي فَلَانَةَ ضَرْبِ الطَّبْلِ ، وَلَكَ مِائَةُ دِينَارٍ ، أَعْجَلْ لَكَ مِنْهَا خَمْسِينَ دِينَارًا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَعَجَّلَ لَهُ الْخَمْسِينَ ، فَلَمَّا حَدَّقَتْ طَالِبَ إِبْرَاهِيمَ بِبَقِيَّةِ الْمِائَةِ فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَحْمَدُ ابْنُ دَاوُدَ الْحَسَنِيِّ خَلِيفَتَهُ فَأَعْدَاهُ وَوَكَّلَ إِبْرَاهِيمَ وَكَيْلًا فَلَمَّا تَقَدَّمَ مَعَ الْوَكِيلِ إِلَى الْقَاضِي أَرَادَ الْوَكِيلُ أَنْ يُكَذِّبَ حُجَّتَهُ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، سَلَّهُ مِنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا الَّذِي يَدْعِيهِ ؟ وَمَا سَبِيهِ ؟ فَقَالَ جَعْفَرُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْقَاضِي ، أَنَا رَجُلٌ طَبَّالٌ وَقَدْ شَارَطَنِي إِبْرَاهِيمُ عَلَى مِائَةِ دِينَارٍ ، عَلَى أَنْ أُحْدِقَ جَارِيَّتَهُ وَتَعَجَّلَ لِي خَمْسِينَ دِينَارًا ، وَمَنْعَنِي الْبَاقِي ، بَعْدَ أَنْ رَضِيَ حَدَّقَهَا فَيُحْضِرُ الْقَاضِي الْجَارِيَّةَ وَطَبْلَهَا وَأُحْضِرُ أَنَا طَبْلِي وَيَسْمَعُنَا الْقَاضِي ، فَإِنْ كَانَتْ مِثْلِي فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ وَإِلَّا حَدَّقْتُهَا [فِيهِ] حَتَّى يَرْضَى الْقَاضِي . فَقَالَ : قُمْ عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْهَا ، فَأَخَذَ الْأَعْوَانُ بِيَدِهِ فَأَقَامُوهُ .

وَصَنَعَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ لِحْنًا فِي هَذَا الشَّعْرِ فَشَاعَ عَنْهُ ، فَعَرَضَهُ عَلَى مُتَمِّمِ الْهَمَامِيَةِ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ ، فَقَالَتْ : إِيْشِ هَذَا اللَّحْنُ الْجَدِيدُ وَالْكَمِيتُ الْمَحْدَثُ ؟ قِيلَ : لِحْنُ صَنَعَهُ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ ، فَتَغَنَّى بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَتْ مُتَمِّمٌ لِلجَّارِيَّةِ اتِّي تَغْنِيهِ : أَقْطِمِي ، أَقْطِمِي ، حَسْبُكَ هَذَا وَاللَّهُ كَجَمَارٍ حُنَيْنٍ الْمَكْسُورِ الْمُشَبَّهِ بِهِ كَالْكَمِيتِ .

عمرو بن عبید الحزین^(١)

هو من كِنانة صليبة ، والحزین لقب غلب عليه .

واسمه عمرو بن عبید بن وهب بن مالك .

ويكنى أبا الشعثاء بن حُرَيْث بن جابر بن بكر ، وهو راعي الشمس الأكبر ،

ابن يعمر بن عدی بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وقيل : هو مولى ، وأنه الحزین^(٢) بن سليمان ، وسليمان يُكنى أبا الشعثاء .

وكنية الحزین أبو حكيم^(٣) ، حجازي شاعر من شعراء الدولة الأموية ،

مطبوع ، ليس من فحول طبقة ، هجاء خبيث اللسان ساقط يرضيه اليسير

[ويتكسب] بالشعر وهجاء الناس لم يخدم الخلفاء ولا اتجمعتهم بمدح ، ولم يزل

بالحجاز حتى مات .

وهو الذي مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان عبد الله من فتيان

بنی أمية وظرفائهم ، حسن الوجه حسن المذهب ، وأمه أم ولد ، وزوجة عبد الله

رَملة^(٤) ابنة عبد الله بن عبید الله^(٥) ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان

ابن الريان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو .

وزوجته الأخرى هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب

(١) الأغاني ١٥ : ٣٢٣ - تجريد ١٦٦٢ .

(٢) في الأصل تقرأ (رأبه الحزین) والتصويب عن الأغاني .

(٣) ويكنى أبا الحكم (أغاني)

(٤) في الأصل : ربيعة وما أثبتناه عن الأغاني .

(٥) في الأصل عبید الله بن عبید الله .

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها لما كان يقال إنه ناتق فى ولادها^(١) فمات عنهما ولم تلد منه .

تخلفه محمد بن على بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات .

وكان عبدُ الله بنُ عبد الملك قد حجَّ ، فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ ، الشاعرُ بالمدينة ، وهو ذربُ اللسان ، فأياك أن تحتجبَ عنه وأرضيه . وصِفَتُهُ أنه أشعرُ ذو بطن ، عظيم الأنف ، فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه ، وقال له : إياك أن ترُدَّه ، فلم يأت الحزينُ حتى قام ودخل لينام فقال له الحاجب : قد ارتفع فلما ولى ذكر فلاحقه فقال : ارجع فاستأذنْ له ، فدخل . فلما صار بين يديه ورأى جماله وكماله وفى يده قضيبُ خيزرانٍ وقف ساكتاً وأمله^(٢) عبدُ الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له : السلام عليك ورحمةُ الله أولاً ، فقال له : وعليك السلام وحيا الله وجهك أيها الأميرُ ، إني قد كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه ، فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامى هذا بيتين قال : ما هما ؟ قال :

فى كَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَيْقُ من كَفِّ أُرْوَعَ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُنْفِضِ حَيَاءً وَيُنْفِضِ مِنْ مِهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
فَأَجَازَهُ فَقَالَ : أَخْذِ مَنِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ لَا خَادِمَ لِي ، فَقَالَ : اخْتَرِ أَحَدَ هَذَيْنِ الْغَلَامَيْنِ ، فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا . وقال عبد الله : أهلينا ترُدُّل ؟ خذ الآخر .

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق ، فى أبياته التى امتدح بها على بن الحسين رضى الله عنه ، التى أولها :

هَذَا الَّذِى تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

(١) فى الأصل : (كائن فى أولادها) وما ذكر عن الأغاني . والناتق الكثيرة الأولاد .
والولاد : الولادة .

(٢) فى الأصل (أمله) والتصويب عن الأغاني .

وهو غَلَطَ ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يُمدَحُ بهما مثلُ علي بن الحسين ، رضى الله عنهما ، لأنهما من نعوت الجبارة والملوك ، وليس كذلك ولا هذا من صفته رضى الله عنه ، وله من الفضل المتعارف ما ليس لأحد .

قال الزهرى : ما رأيت هاشميا أفضلَ من علي بن الحسين ، رضى الله عنهما . وكان بالمدينة ناس يعيشون ما يدرون من أين معاشهم ، ولما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤثرونه . وذكر أنه كان يعمل مائة أهل بيت بالمدينة .

ومن الناس من يروى هذه الأبيات لداود بن مُسلم في قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد ، مولى قثم فيه ، وأن الفرزدق أدخلها في الأبيات التي قالها في علي بن الحسين .

والأبيات التي رويت وقيل إنها قيلت في قثم :

وكم صارخ بك من راج وراجية يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم
والبيتان بعد ذلك ، والصحيح من كل ما قيل أنهما للحزين في عبد الله وهما
في قصيدة منتظمة المعاني متشابهة تُدبِّي عن نفسها ، قالها لما قدم على عبد الله ،
وهو عامل مصر ، فأتى رقيق من البربر ، وفي الرقيق أخوان ، فقال عبد الله
للحزين : أى الرقيق أعجب إليك ؟ قال : ليختر لي الأمير ، فقال الأمير : خذ هذا
فإنى رأيته حسن الصلاة^(١) قال الحزين : لا حاجة لى به فأعطاني أخاه ، فأعطاه إياه .
والغلامان مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز ، وهو الذى عجب عبد الله من صلاته ،
وتميم أبو محمد بن تميم ؛ وهو الذى اختاره الحزين . فقال في عبد الله يمدحه :
الله يعلم أن قد جئت ذا يمن من العرافين لا يُثنيني السأم

(١) في الأغاني (حسن الصلاة - صلاحه) .

ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها
ثم المواسم قد أوطأتها زمناً
قالوا دمشق ينبئك الخبير بها
لما وقفت عليها في الجموع ضحى
حيث به سلام وهو مرتفع
في كفه خيزران ريح عبق
يُنْفِضِي حياءً ويُنْفِضِي من مهابة
ترى رؤوس بني مروان خاضعة
إن هس هسوا له واستبشروا جدلاً
كلتا يديه ربيع غير ذي خلف
لذلك تسري على الأهوال بي القدم
وحيث تخلق عند الجمرة اللثم
ثم أتت مصر فم النائل العمم
وقد تعرّضت الحجاب والخدم
وضجة القوم عند الباب تزدهم
من كف أروع في عرينه شم
فما يكلم إلا حين يبتسم
يمشون حول ركايته وما ظلموا
وإن هم أنسوا إعراضه وجوا
فتلك بمرّ وهدي عارض هزم

ومن الناس من يقول : إنها قيلت في عبد العزيز بن مروان لذكره دمشق
ومصر ، وعبد الله بن عبد الملك أيضا ، ولي مصر ، وكان الحزين بها . كان على
المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مخزومة بن نوفل ، فجاء الحزين إلى شيخ
من أهل المدينة ، فاستعاره حمارة ، وذهب إلى العتيق ، فشرب وأهل على الحمار ،
وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف على باب المسجد ، كما كان صاحبه عوده ، فر
به صفوان ، فأخذه فحبسه ، وحبس الحمار معه ، فأصبح فوجد الحمار عنده محبوسا ،
فأنشده :

أيا أهل الجزيرة خبروني بأي جزيرة حبس الحمار
فما للغير^(١) من جرم إليكم وما بالغير إن ظلم انتصار

(١) في الأصل : للغير .

فردوا الحمارَ على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحَدَّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو
بالمسجد فقال له :

نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي طِيفَ حَوْلَهُ وَزَمَزَمَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُحَجَّبِ
لِزَانِيَةٍ صَفْوَانُ أُمِّ لَعْفِيفَةٍ لَا أَعْلَمُ مَا آتَى وَمَا أَتَجَنَّبُ
فقال له مولاه : هو لِزَانِيَةٍ . فخرج ينادى إِنَّ صَفْوَانَ ابْنُ زَانِيَةٍ ، فيعلق به
صفوان ، فقال له : هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية ، تخلى عنه .

كان الحزينُ قد ضَرَبَ على كل رجلٍ من قريشٍ درهمين درهمين في كل شهر ،
منهم ابنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فجاءه لأخذ درهميه ، وهو على حمار له أنحف ، وكثيرٌ مع ابن
أبي عتيق ، فدعا ابنُ أَبِي عَتِيقٍ للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين : من هذا معك ؟
قال : هذا أبو صخر ، كثيرٌ بن أبي جمعة ، وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين :
أتأذن لي أن أهجُوهُ ببيتٍ من الشعر ؟ قال : لا ، لعمري لا آذنُ لك أن تهجو
جليسى ، ولكن اشترى عرضه منك بدرهمين آخرين^(١) ودعا له بهما فأخذها ، ثم
قال : ما أنا بتاركه حتى أهجُوهُ ، قال كثيرٌ : ائذنْ له ، وما عسى أن يقول في ؟ فأذن
له ، فقال الحزين :

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته يَمَضُّ القِرَادُ بِاسْتِهِ وهو قائم
فوثب إليه كثيرٌ فَأَلَزَّهُ^(٢) فسقط هو والحمارُ وخلص ابنُ أَبِي عَتِيقٍ بينهما ،
وقال لكثيرٌ : قَبَحَكَ اللَّهُ ، أتأذن له وتَسْفُهُ^(٣) عليه ؟ فقال كثيرٌ : وأنا ظَنَنْتُهُ يبلنبي
هذا كله في بيت واحد ؟

(١) في الأصل : أخرى .

(٢) فوكزه (أغانى) وألزه بمعنى شده وألصقه .

(٣) وتبسط إليه يدك (أغانى) ١٤ : ٧٨ .

مر الحزينُ بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمأرُ فقال له : يا ابن أبي الشعثاء ، إني أصبحت عارياً ، أمتع الله بك ، وقد نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّة يريد الحج ، وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إلى ، قال : أما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب ؟ فدعا جعفر غلاماً له فقال : ائتني بجبة وقميص ، فدعا فجاء بذلك فقال : البسْ وأبْلِ وجَدِّ ، فلما ولي الحزين قال جلساء جعفر له : ما صنعت ؟ إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها ، ويُفسدُ بثمنها . فقال : ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها ، فسمع الحزين قولهم وما ردّ عليهم ، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه ، فلما أصبح الحزين أتى جعفرًا ومعه القوم الذين لاموه بالأمس فأنشده :

وما زال ينمى جعفر بن محمد إلى المجد حتى جهلته عواذله
وقلنا له هل من طريف وتاليد من المال إلا أنت في الجود باذله
تحاوله عن شبهة^(١) قد علمتها وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يحاوله

ثم قال له : بأبي وأمي قد سمعت ما قالوا ، وما رددت عليهم .

صحب الحزينُ رجلاً من بني عامر بن لؤي ، يلقب أبا بكرة ، واسمه عيسى ، وكان قد استعمل على سعايات ، فلما لم يصنع معه شيئاً قال :

صحببتك عاماً بعد سعد بن نوفل وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمراً
قال : وكان قد صحب قبله عمراً وسعد بن نوفل بن مساحق فحمدهما :
وجادا كما قصرت في طلب العلا فخرت به ذماً وحازا به فخراً
أولئك الجمادُ البيض من آل مالك وأنتم بنو قينٍ لحقم به نزراً

(١) شبهة (أغاني) .

وكان الحزين سفيها [نذلا] يمدح البر إذا أعطيه ويهجو على مثله إذا منعه ^(١) ،
فتزل بماصم بن عمرو بن عثمان ، فلم يقره فقال :

سيروا فقد جنّ الظلام عليكم فشرّ امرئ يبغى القرى عند عاصم
ظللنا عليه وهو كالتيس طاعما نشدّ على أكبادةا بالعمائم
وما لي من ذنب إليه علمته سوى أنني قد جثته غير صائم
ف قيل له : إن عاصما في قريش كثير فقال : والله لا بينته ، فقال :

إليك ابن عثمان بن عفان ، عاصم بـ ن عمرو سرت عيسى نخاب سراها
وقد صادفت كزّ اليدين مبخلا إذا ما خلت عرس الخليل أتاها

(١) [نذلا] يمدح بالزر إذا أعطيه ويهجو على مثله إذا منعه (أغاني) .

عنتره بن شداد^(١)

وقيل : عنتره بن عمرو بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم ابن زمة بن ربيعة .

وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيسى بن بغيض بن الريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر .
وكان يلقب بمنتره الفلحاء ، وذلك لتشق شفته .
وأمة أمه حبشية يقال لها زبيبة .

وكان لها ولد عبيد من غير شداد وهم إخوته من أمه .
وكان شداد قاه وأنكره مدة ، ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإمام ، فإن أنجب اعترفوا به وإلا بقى عبداً .
وكانت زوجة أبيه شداد قبل أن يدعيه قد شكته إلى أبيه ، وقالت له : إنه يراودني عن نفسي ، فغضب شداد ، وضربه ضرباً مبرحاً ، وضربه بالسيف فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه فلما رآها - وكان اسمها سمية ، وقيل بل سهية - قال عنتره :

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ لَوْ أَنَّ ذَا مَنكِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
تَجَلَّلَتْنِي إِذَا أَهْوَى الْمَصَا قَبْلِي كَأَنَّهُمَا صَنَمٌ يُعْتَادُ مَعْكُوفُ
قَدْ أَطْعَمْتُ الطَّمَنَةَ النُّجْلَاءَ عَنْ عُرْضٍ تَصْفَرَّ كَفُّ أَخِيهَا وَهُوَ مَزْرُوفُ
وغلِب عليه اسمُ جدِّه وهو عنتره بن شداد .

(١) الأغاني ٨ : ٢٣٧ تجريد ٩٦٦ مذهب ٢ : ٢٧ .

وقيل : إن عنزة نشأ في حجره فتُسب إليه دون أبيه ، وما ادعاه أبوه إلا بعد الكبر .

وكان سبب ادعائه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس ، فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فتبعهم العبسيون فلاحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم ، وعنزة فيهم . فقال له أبوه : كُرَّ يا عنزة . فقال عنزة : العبد لا يُحسِّنُ الكَرَّ ، ولكن يُحسِّنُ الحلابَ والصَّرَّ . فقال له أبوه : كُرَّ وأنت حرَّ . فكُرَّ وهو يقول :

أنا الهجينُ عنزة كلُّ امرئٍ يَحْمِي حِرَّهُ
أسودَه وأحمرَه والواردات مُشعرَه^(١)

فقاتل يومئذ قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق نفسه به .

وقيل : إن عبسا أغارت على بني طي ، فأصابوا نعا ، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنزة : لا تقسم لك نصيبا من أنصبتنا لأنك عبد ، فلما طال الخطبُ بينهم كَرَّت عليهم طي ، فاعتزلهم عنزة ، وقال : دونكم القوم ، فإنكم عددهم ، فاستنقذت طي الإبلَ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنزة فأجابه ذلك الجواب ، فحينئذ اعترف به أبوه وقال له : العبد غيرك .

وأغربة العرب ثلاثة : عنزة وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمرو الشريدي وأمه ندبة ، والسليك بن عمير السعدي وأمه السلكة وإليهما ينسبان .

وفي ذلك يقول عنزة :

بَكَرَتْ تَخُوفَنِي الخُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الخُوفِ بِمَعَزِلٍ

(١) في الأغاني وفي الديوان :

والشمرات المُشعرَه والواردات مُشفره

فأجبتُها إن النية منهلٌ فاقنتي حياءك لا أبا لك واعلمي
 إن النية لو نُمِّلُ مُثِّلَتْ إني امرؤ من خير عبس منصبا
 وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت والخيـل تعلم والفوارس أنى
 إذ لا أبادرُ في المضيق فوارسى إن يلحقوا أكرُر وإن يُستلحَموا
 حين النزول يكون غايةً مثلنا والخيـل ساهمةُ الوجوه كأنما
 ولقد أبيتُ على الطوى وأظله لا بد أن أسقى بذاك المنهل
 أنى امرؤ سأموتُ إن لم أقتل شخصى^(١) إذا نزلوا بضنك المنزل
 شطرى وأحى سائرى بالمنصل ألفيتُ خيرا من مُعِمِّ مَحْوَلِ
 فرقتُ جمعهم بضربة فيصصل أولاً أو كَلَّ^(٢) بالرعيل الأول
 أشدُّ وإن يُلَفَّوا بضنك أنزل ويفرُّ كل مُضَلَّلٍ مُسْتَوَهِّلِ
 تُسقى فوارسها تقيع الحنظل حتى أنال به كريم المأكـل

قوله : إني امرؤ من خير عبس منصبا :

يقول : لأن أبى من أكرم عبس ، فله شطرى ، والشطرا الآخر ينوب عن
 كرم أمى فيه ضربى بالسيف ، فأنا خير فى قومى ممن عمه وخاله منهم ، وهو لا يفتنى
 غنائى .

ويقال : إن هذه الأبيات قالها فى حرب داحس والغبراء .

قوله : ولقد أبيتُ على الطوى ، يعرض بقيس بن زهير سيّد بنى عبس ، فإن بنى
 عبس أغارت على بنى تميم ، فانهزمت بنو عبس ، وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنثرة ،
 ولحقهم ليلته ، فحاصى عنثرة عن الناس ، فساء ذلك قيسا وكان أكرلا فبلغ ذلك
 عنثرة فقال يُعرّضُ به : ولقد أبيت على الطوى

(١) مثلى (أغانى ٨ : ٢٤١) .

(٢) فى الأصل : (ولا أوكل) .

كان رجل من عبس قد هجا عنتره وذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعييره بذلك . فقال عنتره : والله إن الناس بالطعمة يترافدون ، والله ما حضرت مرفداً الناس ، ولا أبوك ولا جدك قط . وإن الناس ليُدْعَوْنَ في الفزع فما رأيناك ، في خيل قط ، أنت ولا أحداً من أهل بيتك ، ولا كنت إلا في أرامل النساء ، ولو كنت في مفرسك الذي أنت منه أو طاولتك لطلتك ولو سألت أمك وأباك عن صحة هذا لأخبراك بصحته ، وإني لأحضر الوغى وأوفي المغنم وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت ، وأفصل الخطة الصمماء فقال له الآخر : فأنا أشعر منك ، فقال عنتره : ستملم — وكان عنتره لا يقول من الشعر إلا البيت والبيتين في الحرب ، ولا يقصد فقال قصيدته هذه والعرب تسميها المذهبة :

هل غادر الشعراء من متردّم	أم هل عرفت الدار بعد توهم
يادار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
ولقد نزلت فلا تظني غيره	مني بمنزلة المحب المكرم
ولقد شربت من المدامة بعدما	ركد الهواجر بالمشوف المعلم
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدُر	للحرب دائرة على ابني ضمير
الشائمي عرضي ولم أشتيمهما	والناذرين إذا لقيتهما دمي
ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمها	قيل الفوارس ويك عنتره أقدم
هلا سألت القوم ^(١) يابنة مالك	إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يُخبرك من شهد الوقائع ^(٢) أنني	أعشى الوغى وأعف عند المغنم
فإذا شربت فإنني مُستهلك	مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصّر عن ندى	وكما علمت شمائل وتكرمي

(١) الخيل (أغانى - معلقات) .

(٢) الوقعة (معلقات) .

ولما أنشد النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ، قولَ عنترَة :
 ولقد أبيتُ على الطوى وأظلهُ حتى أنالَ به كريمُ المأكَلِ
 قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما وُصِفَ لى عَرَبِيٌّ قط فأُحِبَّتْ أن أراه
 إلا عنترَة .

قيل لعنتره : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا ، قيل : فلم شاع لك هذا
 فى الناس ؟ قال : كنت أُنْدِمُ إذا رأيت الإقدام عَزَمًا وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام
 حَزَمًا ، ولا أدخل موضعًا لا أرى لى منه مخرجًا ، وكنت أعتد الضعيفَ الجبانَ
 فأُضْرِبُهُ الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشجاع فأثنى عليه فأقتله .
 آثار عنترَة على بنى نبهان من طَيِّءٍ فأطردَ لهم طريدةً وهو شيخ كبير فجعل
 يَطْرُدُها ويرتجز ، ويقول :

كأنما آثارها بالحنثِ آثارُ ظُلَمَانٍ بقاعٍ محدث

وكان وزر بن جابر العبَّهاني فى عيره فرماه وقال : خذها وأنا ابن سلمى فقطع
 مطاء^(١) فتحمل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح :

وإن ابن سلمى فاعلموا عنده دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولادمي
 إذا ما تمشى بين أجيال طَيِّءٍ^(٢) مكان الثريا ليس بالمتهم
 رمانى ولم يدهش بأزرق لَهْذَمٍ^(٣) عشيةَ حلَّوا بين نَعْفٍ ومَحْزَم
 وكان الذى قتله يسمى بالأسد الرهيص .

وقيل : غزا طيئًا مع قومِهِ فانهزمت عبس فجزعت فرسه ولم يقدر من الكبر
 أن يعودَ يركب فدخل دَغَلًا فأبصره رَيْثَةُ طَيِّءٍ وهاب أن يأخذه أسيرًا فرماه فقتله .

(١) المطا : الظهر .

(٢) هذا الشطر رواه الأغاني :

* يحل بأُكنافِ الشباب وينتمى *

(٣) اللهزم : الحاد القاطع من السيوف .

عيسى بن موسى^(١)

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد ونشأ بالحميمة من أرض الشام .

وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والسؤدد منهم ، ولم يكن الشعر من شأنه ، ولكنه قاله لما خلعه أبو جعفر ، وباع المهدي ابنه ، كما حكى ناقد خادم عيسى بن موسى أنه كان واقفا بين يديه وجاءه^(٢) خبر المنصور وما ذبره عليه من الخلع ، فجعل يتململ في فراشه ويهمهم ثم جلس فأنشد :

خَيْرْتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما إما صغارٌ وإما فتنةٌ عَمَّ
وقد همتُ مراراً أن أساقِهم كأسَ المنيةِ لولا الله والرحمُ
ولو فعلت لزال عنهم نِعَمٌ بكفر أمثالها تُسَقَّرُ النِّقَمُ

قال موسى بن محمد بن علي : رأيت في المنام كأنى دخلت بستاناً فلم أرفيه إلا عنقوداً واحداً عليه من الحب المرصف ما الله به عليم ، فولد لي عيسى ، ثم ولد لعيسى ما رأيت .

كان عيسى بن موسى إذا حجَّ يحجُّ ناسٌ كثير من أهل المدينة يتعرضون لفضله ومعروفه فيصلُّهم .

قال : فر الزبير بن هشام بن عروة بأبي الشدائد الفزاري وهو يُنشد :

(١) الأغاني ١٦ : ٢٤١ .

(٢) ليلة أناه خبر (١٦ : ٢٤١) .

عصاةٌ إن حجَّ عيسى حجُّوا وإن أقام بالمراق دَجُّوا
قد أمقوا لميقة فلجوا فالتوم قوم حجهم مُموجٌ
أهكذا كان يكون الحجُّ

ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك الزبير فسلم عليه فلم يرُدُّ عليه السلام ، فقال له :
مالك يا عبدَ الله لا ترد السلام على ؟ فقال له : ألم أسمعت تهجو حاج بيت الله فقال
أبو الشدائد :

إني وربُّ الكعبةِ المبنيَّةِ	والله ما هجوتُ من ذي نية
ولا امرئ ذي رغبةٍ تقيَّةِ ^(١)	لكنني أرعى على البرية
من عُصبةٍ أغلوا على الرعية	[بغير أخلاق لهم شريعة] ^(٢)

(١) ذي رعة تقيه (أغاني) ٢٤٣/١٦ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأغاني .

عامر بن الطفيل^(١)

وعلقمة بن علاثة

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر .
وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص .
وأم عامر كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر وأُمها أم الطُّباء بنت معاوية ،
فارس الكهرّار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة .
وأُمها خالدة بنت جعفر بن كلاب .
وأُمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف .
وأم أبيه الطفيل أم البنين^(٢) بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .
وأم علقمة كليل بنت أبي سفيان بن هلال من النخع ، سبيّة وأم أبيه ماويةُ
بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف من النخع مهيرة .
كان أول ما هاج التناكرَ بينهما أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبولُ ، فبصر به
عامر فقال له : لم أراك اليوم عورةَ رجلٍ أفتح منك فقال علقمة : أما والله ما تثبُّ على
جاراتها ولا تنازل كَنّاتها ؛ يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقُروم ؟ والله لفرسُ
أبي حنوة^(٣) أذكرُ من أهلك ، ولنخلُ أبي غيهب أعظمُ ذِكراً منك في نجد .
وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ،
وكان فحله فحلاً لبني حرملة بن الأشعر بن حرملة بن مرة بن عوف بن سعد ،

(١) الأغاني : ١٦ : ٢٨٣ . مهذب ٢ : ٦٨ تجريد ١٧٥٣ .

(٢) كانت في الأصل : اليتيم وما أثبتناه عن الأغاني .

(٣) كانت في الأصل حيوة والتصويب عن الأغاني .

وسمى غيهاً لسواده ، فاستعاره منهم ، يستطرقه فغلبهم عليه ، فقال له علقمة :
أما فرسُكم فعارة ، وأما فحلُكم فقدرة ، ولكن إن شئت نافرْتُك . فقال : قد شئت .
فقال عامر : لأنا أكرمُ منك حسَباً ، وأثبتُ منك نسباً ، وأطولُ منك قصباً ، فقال
علقمة : لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحبُّ إلى نساءك أنْ أصبحَ
فيهن منك ، فقال علقمة : [على ماذا تنافرنى يا عامر ؟ فقال عامر :] ^(١) أنا فِرْك على
أنى أنحرُ منك للّقاح ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطعمُ منك في السّنة الشّياح ^(٢) .
فقال عامر : أنت رجلٌ تقاتل الناسَ والناسُ يزعمون أنى جبان ، ولأن تلقى العدوَّ
وأنا أمامك أعزُّ من أن تلقاهم وأنا خلّفتك ، وأنت جواد ، والناس يزعمون أنى
بخيل ، ولست كذلك ، ولكنى أنا فِرْك أنى خيرُ منك أثراً ، وأحدُ منك بصراً ،
وأعزُّ نفراً ، وأسرّحُ منك ذِكْراً ، وقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضلٌ على
بنى مالك في العدد ، وبصرى ناقصٌ وبصرُك صحيح ، ولكنى أنا فِرْك على أنى أنشر
منك أمة ^(٣) وأطولُ منك قِمة ^(٤) وأحسنُ منك لمة ^(٥) ، وأجعدُ منك جُمة ^(٦) ،
وأبعدُ منك همة . فقال علقمة : أنت رجلٌ جسيم ، وأنا رجلٌ قصيف ، وأنت جميل
وأنا قبيح ، ولكنى أنا فِرْك بآبائى وأعمامى ، فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن ^(٧)
لأنافرك بهم ولكنى أنا فِرْك على أنى خيرُ منك عقبا ، وأطعمُ منك جدباً . فقال
علقمة : قد عرفت أن لك عقباً فى العشيرة وقد أطعمت طيئاً إذ سارت ولكنى أنا فِرْك

(١) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يستقيم الكلام (٢٨٤ / ١٦) .

(٢) الشياح : القحط .

(٣) الأمة : الجماعة ، الجيل من الناس .

(٤) القمة : جماعة الناس ، أعلى كل شيء ، القامة .

(٥) اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن .

(٦) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٧) فى الأصل : ولكنى والتصويب عن الأغاني .

على أنى خير منك وأولى بالخيرات [منك] وقد أكثرنا المراجعة ، منذ اليوم ،
 فخرجت أم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر نافرهما ، أيكما أولى
 بالخيرات . وقيل : قال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحماة وأقتل منك
 للكمأة ، وخير منك للمولى والمولاة . فقال علقمة : والله [إني أعز منك ؛] ^(١)
 إني لبرء وإنك لفاجر ، وإني لوفى وإنك لغادر ، فقيم تفاخري يا عامر ؟ فقال عامر :
 والله إني لأنزل منك في القفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعن منك للشفرة ،
 وأطعم منك للهبرة . فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر بليد النظر ، وثاب
 على جاراتك في السحر . فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بني الأحوص على
 بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ولكن قل له : أنافرك بأشرنا وأقربنا للخيرات
 وخذ عليه بالكبر ، فقال له علقمة هذا القول . فقال عامر : عير وتيس وتيس وعير
 فذهبت مثلاً نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعطأها الحكم أيتنا نفر عليه
 صاحبه أخرجهما ، ففعلوا ووضعوا بها رهنا من أبنائهم ، على يد رجل من بنى الوحيد
 يُقر بذلك ، فسمى الضمين إلى الساعة ، وهو الكفيل . وخرج علقمة ومن معه
 من بنى خالد ، وخرج عامر ومن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه
 عامر بن مالك ، وهو أبو براء ، فقال : يا عماء أعنني فقال : يا ابن أخي سبني
 فقال : لا أسبك وأنت عمي . فقال : فسب الأحوص فقال عامر : ولا أسب
 الأحوص وهو عمي . فقال : فلا أعينك ، ولكن دونك نعل فإني قد ربت ^(٢) فيها
 أربعين مرباعاً فاستمن بها في نفارك وجعلنا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب ،
 فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، وقال : أنما كرر كبتى

(١) الزيادة بين القوسين عن الأغاني ١٦ / ٢٨٦ .

(٢) في الأصل فإن ربت وما أثبتاه عن الأغاني .

البعير الأنف قالا : فأيتنا اليمين ؟ قال : كلاكما يمين . وأبى أن يقضى بينهما ، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مروان بن سُرَاقَة ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

يا لقريشَ بيِّنوا الكلاما إنا رَضِينا منكمُ الأحكاما
فبيِّنوا إن كنتمُ حُكَّاما كان أبونا لهمُ إماما
وعَبَد عمرو منع الفِئاما في يوم نَحَرَ مُعلما إعلاما
ودعَلجُ أقدمه إقداما لولا الذي أجشَمهم إجماما
لا تَخَذَتْهُم مَذْهِج نعاما

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا ، فأتوا إلى غِيلان بن سلمة بن مغيث الثقفي ، فردها إلى حَرْملة بن الأشعر المُرِّي ، فردها إلى هَرَم بن سِنان بن عمرو الفزاري ، فانطلقا حتى نزلا به . وقيل : ساقا الإبل معهما ، حتى أُنْتَجَت وأرْبَعَت لا يأتیان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هَرَم : لعمري ، لأحكمن بينهما حكما ثم لأفصلن ، ثم لا أثق إلى واحد منكما ، فأعطيني موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسَلِّما بما قضيت بينكما ، ففعلا فأمرها بالانصراف ، ووعدا ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجلُ خرجوا إليه ، فخرج علقمة بنى الأحوص ، فلم يتخلف منهم أحد مع القبابِ والجُزُرِ والقدورِ يَنْحَرُونَ في كل يوم ويُطْعِمُونَ وجمع عامر بنى مالك ، فقال : إنما تخاطرون بأخسابكم فأجابوه ، وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع كَنِيَّة إلا وجدت الأحوصَ منيخا بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرها ، فقال عامر : فما كان من منافرتيها ودعا عامر أباه أن يسير معه فقال :

أؤومرُ أن أسبَّ أباشريج^(١) ولا والله أفعلُ ما حَيَّيتُ

(١) في الأصل (أسب شريح كلا) وما أُنْبِتناه عن الأغاني .

أُكَلِّفَ سَعْيَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ قَتَلَ أَبِي شَرِيحٍ مَا لَقِيَتْ
وَلَا أَهْدَى إِلَى هَرَمٍ لِقَاحًا فَيُخَيِّبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ يُيَمِّتُ
وَكُرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَطْنَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ شَرِيحٍ
الْأَحْوَصُ :

لَحَى اللَّهُ وَفَدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلَا بِهِ مِنْ السَّوَةِ الْبَاقِي عَلَيْهِمْ وَبَالُهَا
أَلَا إِنَّمَا بُرِّدَى صِفَاقٌ مَتِينَةٌ أَبِي الضَّمِيمِ أَعْلَاهَا وَأُثْبِتَ حَالُهَا
وَسَارَ عَامِرٌ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى الْخَيْلِ مُجَنَّبِي الْإِبِلِ ، عَلَيْهِمُ السِّلَاحُ ، فَقَالَ رَجُلٌ
مِنْ غَنَى : يَا عَامِرُ بئس ما صنعتَ ، أَخْرَجْتَ بَنِي عَامِرٍ تَنَافَرُوا بَنِي الْأَحْوَصِ ، وَمَعَهُمُ
الْقَبَابُ وَالْجُزُرُ ، وَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُ النَّاسَ ، مَا أَسْوَأَ مَا صَنَعْتَ . فَقَالَ عَامِرُ
لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّهِ : أَخْصِيَا كُلَّ شَيْءٍ مَعَ عَلَقْمَةَ مِنْ قُبَّةٍ أَوْ قَدِيرٍ أَوْ لَقْحَةٍ فَعْمَلَا ،
فَقَالَ عَامِرُ : يَا بَنِي مَالِكٍ إِنَّهَا الْقَارِعَةُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ فَاشْخَصُوا بِمِثْلِ مَا شَخَصُوا بِهِ
فَعْمَلُوا ، وَثَارَ مَعَ عَامِرٍ لَبِيدٌ وَرَبِيعَةٌ وَالْأَعَشَى ، وَمَعَ عَلَقْمَةَ الْحَطِيبَةُ وَفَتَيَانٌ مِنَ
بَنِي الْأَحْوَصِ مِنْهُمْ السَّنْدَرِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيحٍ ، وَمُرْوَانُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ قَتَادَةَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ فَقَالَ لَبِيدٌ :

يَا هَرِيمُ وَأَنْتَ أَهْلُ عَدَلٍ إِنْ نَفَرَّ الْأَحْوَصُ يَوْمًا قَبْلِي
لِيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لَا تَجْمَعَنَّ شِكَايَهُمْ وَشَكَايِي
وَنَسْلَ آبَائِهِمْ وَنَسْلِي

وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَقْمَةُ قَدْ نَافَرَتْ غَيْرَ مُنْفَرٍ
نَافَرَتْ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ الْعَرَّعَرِ

وقال قحافة بن عوف^(١) بن الأحوص :

نَهْنَهُ إِلَيْكَ الشَّعْرَ يَالْبَيْدُ وَاصْدُدْ فَقَدْ يَنْفُكُ الصَّدُودُ
سَادَ ابْنَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سُدُّدُكُمْ مُطَرَفُ زَهِيدُ

وقال أيضا :

إِنِّي إِذَا مَا نُسِيَ الْحَيَاءُ وَضَاعَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللِّوَاءُ
أُنْمِي وَقَدْ حُقَّ لِي النَّمَاءُ إِلَى كُهُولٍ^(٢) ذِكْرُهَا سَنَاءُ
إِذَا لَا تَزَالُ جِلْدَةً كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ لِسَقْبِهَا رُغَاءُ
لَمْ يَنْهَمْنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُمْ سُورَةٌ وَلَا
الْمَجْدُ وَالسُّودُ وَالْعَطَاءُ

وقال أيضا :

أَنْتُمْ هَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ فِي شَتَوَاتٍ مُضَرِّ الْهَوَالِكِ
يَاسِرَ أَحْيَاءٍ وَشَرَّهَا لَكِ

وقال السَّنْدَرِيُّ ورفع صوته بإنشادهما فقبل من هذا ؟ فقال :

أَنَا لَمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيُّ أَنَا الْفَتَى الْجَعْدُ الطَّوِيلُ الْجَعْفَرِيُّ
مَنْ وَلَدَ الْأَحْوصِ أَخُوَالِي غَنِي

فقال عامر : أجب يالبيد ، فرغب لبيد عن أجابته ، وذلك لأن السَّنْدَرِيَّ كانت
جدته أمة اسمها عَيْسَاءُ فقال :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَسْبَتِهِمْ أَيْتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا
لِئَلَّا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ يَسْبَنِي^(٣) وَيَشْتَمُ أَعْمَامًا قُرُومًا^(٢) عَمَامًا

(١) في الأصل : تقرأ (محافر بن عون) والتصويب عن الأغاني .

(٢) ذكور (أغاني) .

(٣) (نديتي . . . أعماما عموما) أغاني ١٦ / ٢٩٠ .

وَأَنْشِرَ مِنْ تَحْتَ الْقُبُورِ أُبُوءَ كَرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى التَّمَائِمَا
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ وَلِيدَا وَفَدَّوْنِي وَلِيدَا وَعَاصِمَا^(١)
أَلَا أَتَيْنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكَ فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا ثَمًّا
فَوُتِبَ الْحَطِيبَةُ فَقَالَ :

ما يحسن الحكم بالفصل بعدما بدا سابق ذو غرّة وحجول
وقال أيضا :

يَا عَامِرٌ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ لَوْ كَانَ مَسْعَاةً مِنْ جَارِيَتِهِ أَمَمٌ
جَارِيَتُ قَرَمًا أَجَارَ الْأَحْوَصَانَ بِهِ سَمَحَ الْيَمِينَ فِي عَرِينِهِ شَمَمٌ
لَا يَضَعُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَلَا يَبِيتُ عَلَى مَالٍ لَهُ قَسَمٌ
كَانَتْ^(٢) بَنُو مَالِكٍ مَجْدًا وَمَكْرَمَةً وَغَايَةً كَانَ فِيهَا الْمَوْتُ لَوْ قَدِمُوا
وَمَا أَسَاءُوا فِرَارًا عَنْ مُجَلَّجَةٍ^(٣) لَا كَاهِنَ يَمْتَرِي فِيهَا وَلَا حَكَمٌ

فَأَقَامَ الْقَوْمُ عِنْدَهُ أَيَّامًا ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَامِرٍ ، فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عِلْقَمَةُ ، فَقَالَ :
يَا عَامِرُ إِنِّي كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا ، وَإِنْ فِيكَ خَيْرًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ ،
إِلَّا لَتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، إِنْ تَنَافَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ إِلَّا بِآبَائِهِ ؟ فَمَا الَّذِي
أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَفْضَلَ عَلَيَّ عِلْقَمَةَ ، فَوَاللَّهِ
لَنْ فَعَلْتُ لَا أَفْلَحُ بَعْدَهَا أَبَدًا . هَذِهِ نَاصِيَتِي فَاجْزُزْهَا وَاجْتَنِبْكُمْ فِي مَالِي ، وَإِنْ
كُنْتُ لَا بَدَ فَاعْلَا فَسَوْ يَبْنِي وَيَبْنِي . قَالَ : انْصَرِفْ فَسَوْفَ أَرَى رَأْيِي ، فَخَرَجَ عَامِرٌ ،
وَهُوَ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ مُنْفَرٌّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِلْقَمَةَ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَامِرٌ ، فَأَتَاهُ
فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا عِلْقَمَةُ إِنْ كُنْتُ لَأُحْسِبُ فِيكَ خَيْرًا ، وَأَنْ لَكَ رَأْيًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ

(١) (وَلِيدَا وَسَمَوْنِي مَفِيدَا وَعَاصِمَا) (الْأَغَانِي) .

(٢) هَابِت (أَغَانِي) .

(٣) مَجَلَّجَةٌ : مَدْوِيَّةٌ بِمِيدَةِ الذِّكْرِ - فِي الْأَغَانِي : مَجْلَعَةٌ وَهِيَ الْمَصِيبَةُ الَّتِي تَسْتَأْصِلُ كُلَّ شَيْءٍ .

هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً وأحمدُهم لقاءً ، فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أَنْ تُثْفِرَ عَلَى عامراً ، اجزُزْ ناصيتي واحتسبكم في مالي ، وإن كنتَ لا بد فاعلا فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي نخرج ، وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً .

وقيل إن هَرَمًا قال لعامر ، وقد استدعاه : يا عامر كيف تفاضلُ علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هَرَم ؟ قال : لأنه أنَجَلُ منك عينا في السناء ، وأَكْرَمُ منك نفراً يوم الدعاء ، قال عامر : هل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، هو أكثرُ منك نائلاً عند العطاء ، وأعظمُ منك جَفَنَةً عند الدعاء ، ثم قال لعلقمة : كيف تنافر عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرَم ؟ قال : أتَقْدُ منك لساناً وأمضَى منك سناناً . قال علقمة : فهل غيرُ ذلك ؟ قال : نعم هو أقتلُ منك للكُهاةَ وأفكُ منك للعفاة .

ثم إن هَرَمًا أرسل إلى بنيهِ وبني أُميَّةَ إني قاتل بين هذين الرجلين مقالةً ، فإذا فعلتُ فليطرُدْ بعضُكم عشرَ جزائرَ فليَنجَحِرْها عن عامر ، ويطرُدْ بعضُكم عشرَ جزائرَ ، وليَنجَحِرْها عن علقمة ، وفرّقوا بين الناس لئلا يكونَ لهم جماعة . وأصبح هَرَمٌ فجلسَ يجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا ، فقام لبيدٌ . فقال :

يا هَرِمَ ابن الأكرمين منصيباً إنك قد وُلّيتَ مُحْكَمًا عَجَبًا
فاحْكُمْ وصوبَ رأس من تصوباً إن الذي يعلو عليها تُرْتُباً^(١)
لخَيْرُنا عَمّا وأما وأبا وعامرٌ خيرها مُرَكَّبًا
وعامرٌ أدنى لقيسٍ نسباً

(١) في الأصل : ندبا وما أثبتناه عن الأغاني والمهذب والمعنى : أبداً أو جميعاً .

فقسام هَرمٌ فقال : يا بني جعفر تحاكمتما عِنْدِي ، وأنتما كَرُّ كَبَتِي البعير
الأَزم تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما
سيد كريم .

وعمد بنو هَرمٍ وبنو أبيه إلى تلك الجزُر فنجروها ، حيث أمرهم هَرم ، عن
علقة عَشْرًا وعن عامر عَشْرًا ، وفرقوا على الناس ، ولم يُفَضَّلْ هَرمٌ واحدًا
منهما على صاحبه ، وكره أن يقولوها ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوةً ويوقع بين
الحيين شرا .

وكان الأعشى حين رَجَعَ من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوارِ
والخفرة من علقة ، فلم يكن عنده ما طلب ، فأجاره عامر وخفَرَه حتى أداه وماله
إلى أهله فقال :

علقمُ ما أنت إلى عامر	الناقصِ الأوتارِ والوترِ
إن تَسُدَّ الحوصَ فلم تَمُدُّهم	فعامرٌ ساد بني عامرِ
ساد وألْفَى قومه سادةً	وكابرًا سادوك عن كابرِ
عَهْدِي بها في الحى قد دُرِّعَتْ	صفراء مثل المَهْرَةِ الضامرِ
قد حجيم ^(١) التدى على صدرها	في مُشرقٍ ذى بهجةٍ نابضِ
لو أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلى صدرها	عاش ولم يُنْقَلْ إلى قابرِ
حتى يقول الناسُ مما راوا	يا عجباً للميتِ الناصرِ

فلما بلغ علقة ما قال الأعشى ، وشاع في العرب أن هَرمًا قد فضَّله توَعَّد
الأعشى فقال :

* لئن أمسى من الحى شاخصا *

(١) حجيم التدى : نهذ وصار له تنوء وارتفاع .

وعاش هرم حتى أدرك سلطانَ عمرَ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلتُ ذلك لعادت الحرب جذعةً ولبلغت شعاف^(١) هجر . فقال عمر : نعم مُستودعُ السرِّ ومستندُ الأمر أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليُسود العشيرة وإلى مثلك فليستبضع القوم بأحكامهم .

وكان علقمة على كلاب وما والاها . وكان قد أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مُرتدّاً . فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم ، أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب مُقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى . وبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه ، فبعث إليه سريةً أمر عليها القعقاع ابن عمرو ، وقال : يا قعقاعُ : سرّ حتى تُغيرَ على علقمة بن علاثة ، لعلك تأخذه لى أو تقتله ، واعلم أن شفاء النفس الحُرْصُ ، فاصنع ما عندك ، فخرج حتى أغار على المساء الذى علقمة عليه ، وكان لا يبرح أن يكون على وجل فسابقهم على فرسه مراكضةً وأسلم ولده وأهله واستاق القعقاعُ امرأةَ علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتَّقَوْه بالإسلام ، فقدم بهم على أبي بكر ، فحدثت زوجته وبناته أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره ، فكانوا مقيمين على الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غيرُ ذلك وقالوا لأبي بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسلم علقمة بعد ذلك فقبِلَ منه .

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ربما حدث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ، ويصغى إليهم ويبتسم ، فبينما هم ، يوماً كذلك ، يتذاكرون الشعرَ وأحاديث العرب سمع حسان بن ثابت ينشد هجاءَ أعشى بنى قيس بن ثعلبة لعلقمة بن علاثة ومديحه لعامر بن الطفيل بقوله :

(١) شعاف جمع شفقة ، وهى من كل شىء أعلاه .

علقمَ ما أنت إلى عامر

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كُفَّ عَنْ ذِكْرِهِ يَا حَسَانُ فَإِنْ أَبَا سَفِيَانَ
لَمَّا سَبَّنِي عِنْدَ هِرَقْلَ رَدَّ عَلَيْهِ عَلْقَمَةَ ، فقال حسان : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَنْ يُؤَلِّيكَ يَدَهُ فَقَدْ وَجِبَ شُكْرُهُ .

لَمَّا قَدِمَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَانَةَ الدِّينَةَ ، وَكَانَ صَدِيقًا لَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، لَقِيَهُ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي الْمَسْجِدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَكَانَ عُمَرُ يُشَبِّهُ خَالِدَ
ابْنَ الْوَلِيدِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ حَسْمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَكَانَ
خَالِدٌ صَدِيقًا لِعَلْقَمَةَ ، فَسَلِمَ عَلَيْهِ وَظَنَّ أَنَّهُ خَالِدٌ فَقَالَ لَهُ : أَعَزَّلُوكَ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ،
قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا نَفَاسَةٌ عَلَيْكَ وَحَسَدٌ لَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَهَلْ عِنْدَكَ
مَعُونَةٌ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ، إِنْ لَعِمَرُ عَلَيْنَا مِمَّا وَطَاعَةٌ وَلَا نَخْرُجُ إِلَى خِلَافِهِ ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ عُمَرُ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَدَخَلَ خَالِدٌ وَعَلْقَمَةُ فَجَلَسَا خَالِدٌ ، وَعَلْقَمَةُ إِلَى جَنْبِ
خَالِدٍ ، فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى عَلْقَمَةَ فَقَالَ : إِيْهِ يَا عَلْقَمَةُ أَنْتَ الْقَائِلُ لَخَالِدٍ مَا قُلْتَ ؟ فَالْتَفَتَ
عَلْقَمَةُ إِلَى خَالِدٍ فَقَالَ : يَا أَبَا سَلِيمَانَ أَفَعَلْتَهَا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا لَقَيْتُكَ قَبْلَ مَا تَرَى وَإِنِّي
لَأُرَاكَ لَقَيْتَ الرَّجُلَ . قَالَ : أَرَادَ وَاللَّهِ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا قَالَ : أَجَلْ فَهَلْ لَكَ أَنْ أُؤَلِّيكَ عَلَى حُورَانَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَلَاهُ إِيَّاهَا
فَمَاتَ بِهَا .

وَكَانَ الْحَطِيبَةُ لَمَّا أَطْلَقَهُ عُمَرُ مِنْ حَبْسِهِ ، قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اكْتُبْ لِي
كِتَابًا إِلَى عَلْقَمَةَ بْنِ عَلَانَةَ لِأَقْصِدَهُ بِهِ ، فَقَدْ مَنَعْتَنِي التَّكْسِبَ بِشَعْرِي ، فَقَالَ :
لَا أَكْتُبُ . فَقِيلَ لِعُمَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ إِنْ عَلْقَمَةُ لَيْسَ
بِعَامِلِكَ فَتَخْشَى أَنْ يَأْتِمَ . وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَشْفَعُ لَهُ إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ لَهُ بِمَا أَرَادَ
فَمَضَى الْحَطِيبَةُ بِالْكِتَابِ فَصَادَفَ عَلْقَمَةَ قَدْ مَاتَ ، وَالنَّاسُ مَنْصَرِفُونَ مِنْ قَبْرِهِ ،
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَ :

أرى العيس تتخدي^(١) بين قوٍ فضارج
فأتبعهم عيني حتى تفرقت
لعمري لنعم المرء^(٢) من آل جعفر
فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمت
وما كان بيني لو بقيتُك سالما
فقال له ابنه : كم طننت أن علقمة يعطيك ؟ قال : مائة ناقة يتبعها من أولادها
مائة قال : فهي لك ، وأعطاه إياها .

(١) يقال : خدي البعير ، والفرس ، يخدي : أسرع وزج بقوائمه .

(٢) الحى (أغاني) .

(٣) اقصدته (أغاني) .

عبد يغوث^(١)

هو عبد يغوث بن صلاة^(٢)

وقيل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاة بن المَعْقِل وهو ربيعة بن كعب الأرت^(٣) بن ربيعة بن كلب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَّة^(٤) بن خالد بن مالك ابن أدد بن زيد بن يشجب^(٥) بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن أرغشد بن سام بن نوح .

وكان يقال ليعرب المُرَعَف .

وكان عبدُ يغوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّداً لقومه ، من بني الحارث بن كعب ، وهو قائدُهم يوم الكَلَابِ الثاني إلى بني تميم ، وفي ذلك أُسِرَ فُقُتِل .

وعبد يغوث من أهل بيت مُعَرِّق في الشعر في الجاهلية والإسلام، فمنهم اللجلاج الحارثي ، وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاة ، وأخوه مُشهر ، فارسٌ شاعرٌ ، وهو الذي طعن عامراً بن الطفيل في عينه يوم قيَفَ الريح .

ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبَةَ بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاة كان فارساً شاعراً صعلوكاً ، أُخِذَ في دم ، فُحْبِسَ

(١) أغاني ١٦ : ٣٢٨ .

(٢) في الأصل وب : صلاة .

(٣) في الأصل : (كلب الأرب) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٤) في الأصل : (عليه) .

(٥) في الأصل : (يعرب) .

في مكة ، ثم قُتِلَ صَبْرًا ، وقد ذكرته في حرف الجيم - لما وقع كسرى بيني تميم الصفا^(١) بالمشتر فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموال والندارى ، بلغ ذلك مذحجاً ، فمضى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتتموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في بلاد اليمن وأحلافها من قضاة ، فقالت مذحج للأمم الحارثي ، وهو كاهن : ما ترى في هذا اليوم؟ فقال لهم الأمم : لا تغزوا بني تميم ، فإنهم يسرون أغباباً^(٢) ويردّون مياهها جباباً فتسكون غنيمتكم تراباً. واجتمع من مذحج ولقيفها اثنا عشر ألفاً من مذحج وكندة وخولان وهمدان ونهد وجرم وأخلاط من اليمن ، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن سلامة ، ورئيس همدان رجل يقال له مسروح^(٣) ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث الملك فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي وهو قاضي العرب ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقبلوا الخلف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، وادبرعوا الليل ، وبرزوا في الحرب وتثبتوا فرُبَّ عجلة تهب ريثاً ، ولا تختلفوا فلا جماعة لمن اختلف ، فاستعدوا للحرب ، وأقبل أهل اليمن من بني الحارث وأشرافهم ، فزلوا قريباً من الكلاب ، ورجلٌ من بني زيد ابن رباح بن يربوع يقال له مُشَمَّت بن زنباع في إبل له ، عند خاله من بني سعد ، يقال له زهر ، فلما أبصرهم المُشَمَّت قال له : إيه دونك الإبل ، وتنج عن طريقهم ، ثم أتى الحى فأنذرهم ، وركب المشمت ناقه ، وسار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم فأعدوا القوم وصبيحهم فأغاروا على النعم فطردوها وجعل يرتجز ويقول :

في كلِّ عام نَعَمٌ ننتابُه على الكلابِ غِييًّا أربابُه

(١) في الأصل : (الصفة) .

(٢) في الأصل : (يرون أعقاباً) .

(٣) في الأغاني (مسرح) . وفي النقائض (مشرح) .

فأجابه غلام كان من بني سعد في النعم على فرس له فقال :

عما قليلٍ ستري أربابه صُلْبَ القناة حازما شبابه^(١)

على جوادٍ ضمير غيابه

وأقبلت سعد والرباب ، ورئيسُ الرباب النعمانُ بن حسان التميمي ، ورئيسُ بني

سعد قيسُ بن عاصم المنقرِي ، فقال صبي حين دنا من القوم :

في كلِّ عامٍ نَعَمْ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتُنْتَجُونَهُ

أربابه نوكي فلا يحمونه ولا يلاقون الطَّمان دُونَهُ

أَنَعَمْ الإِماءَ تَحْسَبُونَهُ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تَرْجُونَهُ

فقال ضمير بن أسد الحارثي^(٢) : انظروا إذا سُقْتُمُ النعم فإن اتَّكَمَ الخيلُ عُصَبًا عُصَبًا

تثبت الأولى للأخرى حتى تَلَحَقَ فإن أمرَ القوم هَيْنٌ ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا

إليكم حتى يردوا وجوه النعم [ولا ينظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديد]^(٣) فأقبل

القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومَ مَهَمٍ حتى إذا كان من آخر النهار قُتل النعمانُ بن حسان ،

قتله رجلٌ من أهل اليمن ، وكانت أمه من بني حَنْظَلَة ، يقال له : عبدُ الله بن كَعْب ،

وهو الذي رماه ، وقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان :

ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ ، رَبُّ ابْنِ حَنْظَلِيَّةٍ قَدْ غَاضَنِي ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا . وظن أهل اليمن أن بني

تميم سَيَرُدُّهُمْ قَتْلُ النعمان فلم يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا حِرْصًا عَلَيْهِمْ ، فاقتتلوا حتى حَبِزَ بينهم

الليل ، فباتوا يحرمُس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال ، فنَادَى قيسُ

ابن عاصم : يَا لَسَعْدٍ فَنَادَى عَبْدُ يَغُوث : يَا لَسَعْدٍ . قيسُ بن سعد يدعو سعدَ بن زيد

مناة بن تميم ، وعبدُ يَغُوث يدعو سعدَ العشيرة ، فلما سمع سعد ذلك نادى : يَا لَكَعْب ،

(١) في الأصل (حان ما ننتابه) .

(٢) ضمرة بن لبيد الحماسي (أغاني) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يكمل الكلام .

فنادى عبدُ يغوث: يالكعب . قيسٌ يدعو كعبَ بن سعد ، وعبدُ يغوث يدعو كعبَ ابن عمرو .

فلما رأى ذلك قيسٌ قال : ما لهم أخزاهم الله ؟ ما ندعو لشعارٍ إلا دعوا بمثله ، فنادى قيس : يالْقَاعِيس ، يعنى ابنَ الحارث بن عمرو بن كعب ، فلما سمع وَغْلَةً ابنُ عبد الله الجرمي الصوتَ وهو صاحب اللواء يومئذ طرحة ، وهو أولُ مُنْهَزِمٍ من اليمَن ، وحملت عليه بنو سَمْدٍ والربابُ فهزمتهم أفضعَ هزيمة ، وجعل قيسُ ابن عاصم ينادى : يا لَتَمِيم لا تَقْتُلُوا إلا فارسا ، فإن الرِّجَالَةَ لكم ، وجعل يرتجز ويقول :

لما تَوَلَّوْا عُصْبًا شَوَازِبًا^(١) أقسمتُ لا أظعنُ إلا راكبا

إني وجدتُ الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من بنى زَعْبِل ، وهو زَعْبِلُ بن كعب أخو الحارث بن كعب ، وهو أنذال . فكان الأسارى يريدون بذلك رِخْصَ الفداء فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ، ويقول له : امسك حتى أصطاد لك زَعْبِلَةً أُخْرَى ، فذهبت مثلاً ، فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ، حتى أسر عبدُ يغوث ، أسره فتى من بنى عُمَيْر بن عبد شمس ، وقتل يومئذ علقمة بن سَبَّاع الفُرَيْمى ، وهو فارس هَبُود ، وهَبُود فارس عمرو ابن الجعد المرادى ، وأسر الأهمر رئيس كندة ، أسره ابنُ قيس وقتل من بنى ضَبَّة ضَمْرَةَ ابن أسيد الحماسي^(٢) قتله قبيصة^(٣) بن ضرار .

(١) الشازب : الحشن أو الضامر .

(٢) في الأغاني : وقتلت بنو ضَبَّة ضَمْرَةَ بن لبيد الحماسي الكاهن .

(٣) في الأصل : (قيصه) .

وأما عبد يغوث فأنطلق به العبشمي إلى أهله ، وكان العبشمي أهوج فقالت له أمه ، وقد رأت عبد يغوث جميلاً وسيماً ضخماً : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم بأسرك هذا الأهوج ، فقال لها : أيتها الحرّة هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذلك ؟ قال : أعطى ابنك مائة من الإبل ويَنطلق بي إلى الأهم فإني أخوف أن تنزعني سعد والربابُ منه ، فضمن لها مائة من الإبل وأرسل إلى بني الحارث بن كعب فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشمي وأنطلق به إلى الأهم فأنشده عبد يغوث :

أَهْمُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَالِدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدَّوَا الْمَسَاعِيَا
تَدَارَكُ أُسِيرًا عَانِيَا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقَنِّي التَّيْمُ الْقَى الدَّوَاهِيَا
فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد قتل فارسنا وسيدنا ، ولم يُقتل لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهم إليهم فأخذه عصمة بن أثير التيمي فأنطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم اقتلوني قتلة كريم ، فقال له عصمة : نعم ، وما تلك القتلة ، فقال : اسقوني الخمر ودعوني أنوح على نفسي . فقال له عصمة : نعم ، فسقاه الخمر وقطع له عرقاً يقال له الأكل ، وتركه ينزف الدّم ، ومضى عنه ، وبقي عنده ابذان له ، فقالا له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تصطلمنا ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال عبد يغوث :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا يِيَا فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ حَظٌّ وَلَا يِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَايِمَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لَوْ مَيَّ أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(١)
أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَا تَلَايَا
أَبَا كَرَبٍ وَالْأَيَّامَيْنِ كَلَاهَا وَقَيْسَا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا

(١) شماليا : يريد شمالي .

جزى الله قومي بالكُلاب ملامَةً صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نَجَّيتُني من الخيلِ نَهْدَةً ترى خلفها الحوَّ الجيادَ تواليا^(١)
ولكنني أحمى ذمار أيبكم وكان الرماحُ يَحْتَظِفُن المَحَامِيا
وتضحكُ مني شَيْخَةٌ عَبْشِمِيَّةٌ كأن لم ترقبلى أسيراً يمانيا
وقد علمت عُرْيَسِي مُلَيْكَةً أَنِّي أنا الليثُ مَعْدُوًّا عَلَى وعاديا

وكانوا قد شدوا لسانه لثلا يَهْجُوهم وأبوا إلا قَتَلَه فقال :

أقول وقد شدوا لساني بِسِعةٍ أمشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيَا
أمشرَ تيمٍ قد ملكتم فاسْجِحُوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
فإن تقتلونى تَقْتُلُوا بِي سَيِّدًا وإن تطلقونى تَحْرُبُونِي^(٢) بِمَالِيا
أحقا عبادَ الله أن لست سامما نشيد الرعاء المَعْرِين المتاليا
وقد كنت نَحَّارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلًا مَطِيًّا وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيَّ ماضيا
وأنحر للشربِ الكرامِ مَطِيتِي وأصدع بين القَيْنَتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها^(٣) بكفى وقد انحوا إِلَى العواليَا
كأنى لم أركبُ جواداً ولم أقل لخيلى كُرِّي نَفْسِي عن رِجالِيا
ولم أسبأ الزُّقَ الرَوِيَّ ولم أقل لأيسارِ صدق أعظموا ضوءَ نارِيا

فقتلوه بالنعمان بن حسان وقالت صغية بنت الخرع ترى النعمان :

لقد أجدنا شفاء النفس لو شُفِيَتْ وما قتلنا به إلا امرأً دونه
وأما وَغْلَةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الجَرْمِي فلحقه رجل من بني سعد فعقر مرَّ كُوبَه

(١) في الأصل : (يرى خلفها يهجو الجبان مواليا) وما أثبتناه عن الأغاني ١٦ / ٣٣٤ .

(٢) حرب الرجل : سلبه ماله .

(٣) في الأصل : (بين الجراد رعيثها) .

فَنَزَلَ وَجَعَلَ يَمْدُو عَلَى رَجْلَيْهِ ، فَلَحَقَ رَجُلًا مِنْ بَنِي نَهْدٍ ، يُقَالُ لَهُ سَلِيْطُ بْنُ قَتَبِ بْنِ
رِفَاعَةَ فَقَالَ لَهُ : ارْدَفْنِي ، فَأَبَى فطَرَحَهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَرَكِبَ عَلَيْهِ وَأَدْرَكَتِ الْخَيْلُ
النَّهْدِيَّ فَقَتَلُوهُ فَقَالَ وَعَلَةَ فِي ذَلِكَ :

وَمَا سَمِعْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسًا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أُغْشِرُ فَاجِرُ
نَجْوَتُ نَجَاءٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ (١) كَأَنِّي عِقَابٌ دُونَ تَبَاءٍ (٢) كَاسِرُ

وَقَالَتْ نَائِمَةُ عَمْرُو بْنِ الْجَعْدِ :

أَشَابَ قَذَالَ الرَّأْسِ مَضْرَعُ سَيِّدٍ وَفَارِسُ هَبَّودٍ أَشَابَ الْفَوَاصِيَا

وَقَالَ عُلُقَمَةُ بْنُ سَبَّاعٍ لِعَمْرُو بْنِ الْجَعْدِ :

لَمَّا رَأَيْتِ الْأَمْرَ كَمُخْلَوَجَةٍ أَكْرَهْتُ فِيهِ ذَا بِلَا مَارِنَا

قُلْتُ لَهُ خُذْهَا فَإِنِّي أَمْرُوٌّ يَعْرِفُ رُمَحِي الرَّجُلَ الْكَاهِنَا

يَعْنِي أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْجَعْدِ كَانَ كَاهِنًا .

(١) نَجْوَتُ نَجَاءٍ لَيْسَ فِيهِ وَتِيرَةٌ (أَغَانِي) .

(٢) تَبَاءٌ (أَغَانِي) .

عبد الله بن الدمينه^(١)

هو عبدُ الله بن عبيدِ الله ، أحدُ بنى عامر بن تيم الله بن مُبَشَّر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وهو خثعم بن انمار بن إياس بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك .

وقيل إن أكلب هو ربيعة بن نزار وليس هو ابن عفرس وإنما هم حالفوا خثعم ، ونزلوا فيهم ونسبوا إليهم .

والدَّمِينَةُ أمه ، وهي بنت حَذِيفَةَ السلولية .

وكانت كنيةُ ابنِ الدمينه أبا السرى .

كان بلغه أن رجلاً من أخواله ، من سلول ، يقال له مزاحم بن عمرو يأتي امرأته حماء ليلاً فرصدته حتى أتاها فقتله ، وقتلها بعده وقتله مصعب بن عمرو أخو مزاحم . وكان مزاحم بن عمرو قد هجا ابنَ الدمينه بقصيدة أفحشَ فيها وذكر امرأته فقال :

يا ابنَ الدمينه والأخبارُ يرفعُها	وخذُ النجائبِ والمحذورُ يُخفيها
يا ابنَ الدمينه إن تَغْضَبُ لما فَعَلْتُ	وطالَ خِزْيُكَ أو تَغْضَبُ مَوَالِيها
أو تُبَغِضُونِي فكم من طَعْنَةٍ نَفَدَتْ	يعدو خلال ^(٢) اختلاجِ الجوفِ عاديها
جاهدتُ فيها لكم إني لكم أبدا	أبني نِجَابَتَكُمْ ^(٣) عَمْدًا فَآتِيها
لا بر ^(٤) عندي لكم حتى تُفَيِّئَنِي	غبراءَ مظلمةً هَارٍ نواحيها

(١) أغاني (أميرى) ١٥٤/١٥ مذهب ٩٠/٣ .

(٢) في الأصل : تبدو اختلال .

(٣) معايبكم (أغاني) .

(٤) فذاك (أغاني) .

أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا هَجَمَتْ
كَمْ كَاعِبٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ قَعَدَتْ لَهَا
كَقَعْدَةِ الْأَغْصِرِ الْعَلْفُوفِ^(٢) مُتَّحِيَا
عَلَامَةً كَيَّةً مَا بَيْنَ سُرَّتَيْهَا
وَشَهَقَةً هُنْدَ حَبْسِ الْمَاءِ تَشْهَقُهَا
وَتَعْدِلُ الْأَيْرَ إِنْ زَاغَتْ فَتَبْعُهَا
بَيْنَ الصَّفُوفِينَ فِي مُسْتَهْدَفٍ وَمِدٍ^(٤)
مَاذَا يَرَى ابْنُ عَمِيدِ اللَّهِ فِي امْرَأَةٍ
فَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ هَذَا الشَّعْرُ أَتَى امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ لَهَا : قَدْ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ
فِيكَ مَا قَالَ ، وَقَدْ بَلَغَكَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي قَطْ ، فَقَالَ : فَمَنْ أَيْنَ لَهُ
الْعَلَامَاتِ ؟ قَالَتْ : وَصَفَهَا لَهُ النِّسَاءُ ، فَقَالَ : هِيَ بَاتِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ . ثُمَّ أَمْسَكَ
بِيَدِهِ وَصَبَرَ حَتَّى ظَنَّ أَنْ مَزَاحِمًا نَسِيَ الْقِصَّةَ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الْقَوْلَ ، وَأَعَادَتْ الْحَلِيفَ
أَنْ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَهُ لَهُ النِّسَاءُ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تُتَكَيَّنِي مِنْهُ لَا أَقْتُلَنَّكَ ، فَعَلِمَتْ
أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ وَوَاعَدَتْهُ لَيْلًا ، وَقَعَدَ لَهُ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ وَصَاحِبُهَا لَهُ فُجَاءَهَا
لِلْوَعْدِ ، فَجَمَلَ يَكْلُمُهَا ، وَهِيَ مَكَانُهَا ، فَلَمْ تَكْلُمْهُ ، فَقَالَ لَهَا : يَا حِمَاءُ مَا هَذَا الْجَفَاءُ
الَلَّيْلَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ : ادْخُلْ ، فَدَخَلَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ لِيَضَعَهَا عَلَيْهَا
فَوَضَعَهَا عَلَى ابْنِ الدُّمَيْنَةِ . فَوُثِبَ إِلَيْهِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ، وَقَدْ جَمَلَ لَهُ حَصَى فِي ثَوْبٍ

(١) النوم (أغاني) .

(٢) في الأصل : العلفوف وما أثبتناه عن الأغاني . والعلفوف : الجاني المسن الكثير اللحم .

(٣) من متين النبل يرميها (١٥ : ١٥٢) .

(٤) يقال ومد اليوم والليلة : اشتد حرهما مع سكون الريح فهو ومد .

فَضْرَبَ بِهِ كَبِدَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فَأَخْرَجَهُ فَطَرَحَهُ مَيِّتًا . وَجَاءَ أَهْلُهُ فَاحْتَمَلُوهُ وَلَمْ يَجِدُوا بِهِ
أَثَرَ السِّلَاحِ فَدَلَمُوا أَنَّ ابْنَ الدِّمِينَةِ قَتَلَهُ . وَقَالَ ابْنُ الدِّمِينَةِ :

قَالُوا هَجَّتْكَ سُلُوكُ الْقَوْمِ مُخْفِيَةً قَالِيَوْمَ أَهْجُوا سُلُوكًا لَا أَخَافِيهَا
قَالُوا هَجَاكَ سُلُوكِي فَقُلْتُ لَهُمْ قَدْ أَنْصَفَ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ رَامِيهَا
رَجَالَهُمْ شَرٌّ مِنْ يَمَشِي وَنِسْوَتُهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ وَاسْتُذِلَّ حَامِيهَا
يَحْكُمُ كُنَّ بِالصَّخْرِ اسْتَاهَا بِهَا نَقَبُ لَا يَحْكُمُ نِقَابَ الْجَرْبِ طَالِيهَا

وَقَالَ يَذْكُرُ دُخُولَ مُزَاحِمٍ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ :

لَكَ الْخَيْرُ أَنْ وَاعِدْتَ حَمَاءَ قَالِقَهَا نَهَارًا وَلَا تُدْلِجُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
فِيَا نِكَ لَا تَدْرِي أَيْبُضَاءُ طَفْلَةٍ تَعَانِقُ أُمَ لَيْثَا مِنَ الْقُبُومِ ضَيْفَا
فَلَمَّا سَرَى عَنْ سَاعِدَيَّ وَلِحْيَتِي وَأَيْقَنَ أَنِّي لَسْتُ حَمَاءَ جَمْعَمَا
ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الدِّمِينَةِ أَتَى امْرَأَتَهُ ، فَطَرَحَ عَلَى وَجْهِهَا قَطِيفَةً وَجَلَسَ عَلَيْهَا ، فَبَكَتْ
بُيْنَتًا لَهُ مِنْهَا ، فَضْرَبَ بِهَا الْأَرْضَ فَقَتَلَهَا . وَقَالَ :

* لَا تَتَخَذَنَّ مِنْ كَلْبٍ سُوءَ جُرُوءًا *

وَجَلَسَ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلَهَا وَقَالَ :

إِذَا قَعَدْتَ عَلَى عَرْنَيْنٍ جَارِيَةٍ فَوْقَ الْقَطِيفَةِ فَادْعُو لِي بِحَقَّارٍ
وَخَرَجَ جَنَاحُ أَخُو مُزَاحِمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَاسْتَمَدَّاهُ عَلَى ابْنِ الدِّمِينَةِ فَخَبَسَهُ .
وَقَالَتْ أُمُّ أَبَانَ وَالِدَةُ مُزَاحِمٍ تَرَى مُزَاحِمًا وَتَحْضُ جَنَاحًا وَمُضْعَبًا :
بِأَهْلِي وَمَالِي بَلْ يَجُلُّ عَشِيرَتِي بَنِي تَيْمٍ لَا تَغْدُو بِغَيْرِ سِلَاحٍ^(١)
فَهَلَا قَتَلْتُمُ بِالسِّلَاحِ ابْنَ أُخْتِكُمْ فَيُظْهِرُ فِيهِ لِلشُّهُودِ جِرَاحَ
فَلَا تَطْمَعُوا فِي الصِّلَحِ مَا دُمْتَ حَيَّةً وَمَا دَامَ حَيًّا مُصْعَبُ وَجَنَاحَ

(١) قَتِيلَ بَنِي تَيْمٍ بِغَيْرِ سِلَاحٍ (أَغَانِي ١٥ : ١٤٦) .

ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدور وأن الطالبين شحاح
ولما طال حبسه ولم يجد أحد بن إسماعيل عليه حُجَّةٌ ولا سبيلاً خلاًه .
وقتل سلول رجلاً من خُثَمِ مكانَ المقتول ، وقتلت خُثَمُ تقرأ من سلول ،
ولهم في ذلك قصص . وأقبل ابن الدمينه حاجاً بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب
أخو المقتول لما رآه ، وقد كانت أمه حرصته عليه ، وقالت له : اقتل ابن الدمينه
فإنه قتل أخاك ، وهجا قومه ، ودم أخيك مطلول ، وكنت أعذرُك قبل هذا ، فإنك
كنت صغيراً ، وقد كبرت الآن ، فلما كثرت عليه خرج من عندها وبصر
بابن الدمينه واقفاً يُنشدُ الناس ، فعدا إلى جزار فأخذ شفرته ، وعدا على ابن الدمينه
فجرحه بها جرحين . فقيل : مات لوقتِه ، وقيل سلّم . ومر عليه مصعبٌ بعد ذلك ،
وهو في سوقٍ يُنشدُ فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا وأتبعه الناس حتى اقتحم داراً
وأغلقها على نفسه ، فجاء رجل من قومه فصاح به : يا مصعب إن لم تضع يدك في يد
السلطان قتلتك العامةُ فاخرج . فلما عرفه قال : أنا في ذمتك حتى توصلي إلى
السلطان ، فسلمه إلى السلطان ، فقفذه في سجن تبالة . ومكث ابن الدمينه ليلته
جريحاً ومات من الغد .

وبلغ مصعباً أن قوم ابن الدمينه يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه ،
فقال يحرض قومه بهذا الشر :

إذا انتبَحَتْ كلابُ السجنِ حولي	طمعتُ هشاشةً وهنا فؤادي
طاعةً أن يدُقَّ السجنَ قومي	وخوفاً أن يُبيَّتَنِي الأعداى
فما ظنى بقومي شرُّ ظنِّ	ولا أن يُسلمونى فى البلاد
وقد جندَلْتُ قاتلهم فأمسى	يَمُجُّ دَمَ الوتينِ على الوساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلاً فكسروا السجن ، وأخرجوه منه وهرب إلى صنعاء ،
ولم يكن جلدًا من الرجال فقال :

أَيْبَنِي أُنَى يُعْمَنِي بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَطْمَعُ أُمَ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
أَيْتَ كَأَنِّي بَيْنَ شِقَّتَيْنِ مِنْ عَصَا حَذَارُ الرَّدَى أَوْ خَيْفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَتْ كِي أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةُ تَرِيدُونَ قَتْلِي قَدْ ظَفَرْتَ بِذَلِكَ
كَانَ ابْنُ الدِّمِينَةِ قَدْ هَوَى امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا أُمَيْمَةُ ، فَهَامَ بِهَا مَدَّةً ،
فَلَمَّا وَصَلَتْهُ تَجَنَّى عَلَيْهَا ، وَجَعَلَ يَنْقُطِعُ عَنْهَا ، وَيُنَاضِبُهَا . ثُمَّ زَارَهَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فَتَمَاتِبَا
طَوِيلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ أُمَيْمَةُ فَقَالَتْ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى (١) تَرَ كَتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كَلُومُ
فَأَجَابَهَا ابْنُ الدِّمِينَةِ بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ السُّرَى وَجُونُ الْقَطَا بِالْجُلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَأَنْتَ الَّذِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَاةَ وَفَرَقْتَ جُرْحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَخْفَظْتُ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمُ
ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَقُتِلَ وَهِيَ عِنْدَهُ .

وَمِنْ شَعْرِ ابْنِ الدِّمِينَةِ :

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتَ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًّا عَلَى وَجْدٍ
إِنْ هَتَفَتْ وَرَقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَتْنٍ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَبْدِي
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يُعْمَلُ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُؤْسِ
عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهِ لَيْسَ بِذِي وَدٍّ

كان ابن الدمينه يهوى امرأة من قَوْمِهِ ، فأرسلت إليه إن أهلى قد نهونى
عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها :

أَطَعْتُ الْأَمْرِيكَ بَيْتَ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبَتِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوَعُوكَ فَاعْصَى مِنْ عَصَاكَ
أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ ^(١) وَمَنْ صَلَّى بِنُعْمَانٍ الْأَرَاكِ
لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فَوَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكَ

قال الأصمى : مررت بالكوفة بجارية تَطْلَعُ مِنْ جِدَارٍ إِلَى طَرِيقٍ عَلَى فَتَى
واقف وهو يقول لها :

أَسْهَرُ فَيْكَ وَتَنَامِينَ عَنِّي ، وَأَبْكِي وَتَضْحَكِينَ مِنِّي ، وَتَسْتَرِيحِينَ وَأَتَعِبُ ،
وَأُحْضِنُكَ الْمَوْدَةَ وَتَمْدُقِينَهَا ، وَأَصْدُقُكَ وَتُنَافِقِينَ ، وَيَأْمُرُكَ عَدُوِّي بِهَجْرِي
فَتُطِيعِينَهُ ، وَيَأْمُرُنِي نَصُوحِي بِهَجْرِكَ فَاعْصِينِي .
ثُمَّ تَنْفَسُ وَأَجْهَشُ بِالْبُكَاءِ .

فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ أَهْلِي يَمْنَعُونِي مِنْكَ ، وَيَنْهَوْنِي عَنْكَ ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟
فَأَنْشَدَهَا :

أُرَيْتَ ^(٢) الْأَمْرِيكَ بَيْتَ حَبْلِي الْأُيَاثِ
ثُمَّ التَفَتَ فَرَأَى فَقَالَ : يَا فَتَى مَا تَقُولُ أَنْتِ فِيمَا قُلْتِ ؟
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ عَاشَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى مَا حَكَمَ إِلَّا بِمَثَلِ حَكْمِكَ .

(١) بكل فج (أغانى) .

(٢) أطعت (الأغانى) .

عزة الميلاء^(١)

مولاةٌ للأنصار ، مسكنها المدينة ، من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما .
وسُميت الميلاء لتمايلها في مشيها .
وقيل : كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال ، فسميت بذلك .
وقيل : بل كانت مُغزاةً بِشُرْبِ النبيذِ ، وكانت تقول : خذ ملاء واردد فارغا .
وكانت مطبوعةً على الغناء ، أحسنَ الناس صوتا بمؤدٍ . وهي أقدم من غنى
الغناء الموقَّع من نساء الحجاز .
لما قدم سائبُ خاثر ونشيط المدينة غنيا أغاني الفارسية فلقنت عزةُ عنهما نغما
والفَّت عليه الحانا أعجميةً ، فهي أولُ من غنى أهل المدينة بالغناء ، وحرص نساءهم
ورجالهم عليه .
وكان مشايخُ أهل المدينة إذا ذكروا عزةً قالوا : لله درُّها ، ما كان أحسنَ
غناءها وأحلى صوتها وأندى خلقها وأحسن ضربها وأجمل وجهها وأظرف لسانها
وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها .
وكان ابن سُرَيْج في حدائث سنَّة يأتى المدينة ، ويتعلم غناءها .
وكان إذا سئل من أحسنُ غناء ؟ قال : مولاة الأنصار المُفضَّلةُ على كل من غنَّى
وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء .
كان طويس أكثر ما^(٢) يأوى إلى عزة الميلاء ، وكان في جوارها وكان إذا

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٣ .

(٢) في الأصل : (أكرم) .

ذَكَرَهَا يَقُولُ : هِيَ سَيِّدَةٌ مِّنْ غَبْنَى مِنَ النِّسَاءِ ، مَعَ جَمَالٍ بَارِعٍ ، وَخَلْقٍ فَاضِلٍ ،
وَإِسْلَامٍ لَا يَشُوبُهُ دَنَسٌ ، تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَهِيَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَتَنْهَى عَنِ السُّوءِ وَهِيَ
مُجَارِبَتُهُ ، فَتَاهِيكَ بِهَا مَا كَانَ أَنْبَلَهَا وَأَنْبَلَ مَجْلِسِهَا .

كَانَتْ إِذَا جَلَسَتْ جُلُوسًا عَامًّا كَانَ الطَّيْرُ عَلَى رِءُوسِ أَهْلِ مَجْلِسِهَا . فَمَنْ تَكَلَّمَ
أَوْ تَحَرَّكَ نَقَرَ رَأْسَهُ .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يَقُولُ فِيهَا طُوَيْسٌ هَذَا الْقَوْلَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي سَلَّمَ
مِنْ إِسَاءَةِ طُوَيْسٍ ؟

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
أَبِي رَيْبَعَةَ ، يَفْشَوْنَهَا فِي مَنْزِلِهَا فَتُغْنِيهِمْ .

وَعَنَتُ عُمرَ لِحْنِهَا فِي شَعْرِ مِنْ شَعْرِهِ ، فَشَقَّ ثِيَابَهُ ، وَصَاحَ صَبِيحَةَ عَظِيمَةٍ
صَعِقَ مَعَهَا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ الْقَوْمُ : لَغَيْرِكَ الْجَهْلُ يَا أَبَا الْخَطَّابِ . قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ
مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي وَلَا عَقْلِي .

وَكَانَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ مُعْجَبًا بِغَنَائِهَا وَبِقَدَمِهَا عَلَى سَائِرِ قِيَانِ الْمَدِينَةِ . خَتَنَ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ ، وَأَوَّلَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَامَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
وَحَضَرَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ وَثَقُلَ سَمْعُهُ .

وَكَانَ يَقُولُ إِذَا دُعِيَ : أَعْرُسُ أَمْ أَعْذَارُ ؟ فَخَضَرَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَيْسَ مَعَهُ
عَلَيْهِ إِلَّا ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ فَلَمَّا وَضِعَتِ الصَّخْفَةُ قَالَ : أَطْعَامُ يَدٍ أَوْ
يَدَيْنِ ؟ فَطَعَامُ يَدٍ . فَلَمْ يَزَلْ يَا كُلَّ حَتَّى جِيءَ بِشَوَاءٍ . فَقِيلَ : أَطْعَامُ يَدٍ أَوْ يَدَيْنِ ؟
فَقِيلَ : بَلْ طَعَامُ يَدَيْنِ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الطَّعَامِ ثَنَيْتُ وَسَادَةً وَأَقْبَلَتْ عِزَّةُ
الْمِيلَاءِ ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ شَابَةٌ فَوَضَعَ فِي حَبْرِهَا مِزْهَرًا فَضْرِبَتْ فِيهِ ، وَعَنَتُ أَوَّلَ غَنَائِهَا
فِي شَعْرِ حَسَانٍ وَهُوَ :

فلا زال قصر بين بصرى وجلق عليه من الوسمى جود وواهل
 فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان على خديه ، وهو مُصْنَع لها . وكنتى
 بطعام اليد عن الثريد ، وطعام اليدين عن الشواء ، لأنه ينهش نهشا .
 حضر حسان فى مأدبة لآل نبيط وغنت عزة الميلاء ورائقة^(١) فى شعر حسان .
 انظر نهاراً بباب جلّق هل تؤأس^(٢) دون البلقاء من أحد
 فجعل حسان يقول : قد أراى هناك سميعاً بصيراً ، وهو يبكى فإذا سكمتا سكن
 عنه البكاء .

وكان ابنه عبد الرحمن كلما سكمتا يشير إليهما أن غنيا فيبكي أبوه ، فلما انقلب
 حسان من المأدبة إلى منزله استلقى على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ،
 وقال : لقد أذكرتنى عزة وصاحبتهما أمرا ما سمعته أذنأى بعد ليالى جاهليتنا مع جبلة
 ابن الأيهم .

قال خارجة بن زيد : فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيان يكنّ مع جبلة بن
 الأيهم ؟ فتبسم ثم جلس إليه ، فقال : لقد رأيت عشر قيان خمس روميّات يغنين
 بالرومية بالبربط وخمس يغنين غناء أهل الحيرة أهداهن إليه إياس بن قبيصة ، وكان
 يقد عليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .

وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والورد والياسمين وأصناف الرياحين
 وضرب العنبر والمسك فى صُحُفِ الفضة وأوقد له العود الهندى إن كان شتاء
 وبُطْنِ الثلج إن كان صيفا . ويأتى هو وأصحابه بكُسى من السكتان ، وبالشتاء
 بفراء الفَنَك^(٣) وما أشبه ذلك . ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلع على من

(١) فى الأصل (ريقة) .

(٢) أنس الشيء : أبصره وعلمه .

(٣) الفَنَك : جنس من الثعالب أصغر من الثعالب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه. هذا ، مع حلمٍ عَمَّنْ جَهْلٍ وَضَحِكٍ
وَبَذَلٍ من غير مسألة ، مع حُسْنِ وجهٍ وحسن حديثٍ ، وما رأيت في مجلسه خَنًا
قط ولا عريضةً ، ونحن يومئذ على دين الشرك ، فجاء الله بالإسلام فتركنا الخمر
وما كرهه وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ^(١) في الزهور
والطرب ، فلا يشرب أحدٌكم ثلاثة أقداح إلا يصاحب صاحبه^(٢) ويفارقه وتضربون
فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون .

وقيل : إن حسان لما فرغ من الطعام ثقل جلوسه على من كان حاضراً فأومأ
ابنه إلى عزة فغنت :

انظر خليلي بباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد
أجمال شعشاء إذ هبطن من الـ مخميص بين الطبشان فالسند
فبكي حسان حتى سدرَ ثم قال : هذا عمل الفاسق ، أما لقد كرهتم مجالستي
فقبح الله مجلسكم سائرَ اليوم . وانصرف إلى بيته .
وشعشاء المذكورة هي امرأة من أسلم تزوجها حسان فولدت له بنته أم فراس ،
فتزوجها عبد الرحمن بن الحكم .

وقيل : هي شعشاء بنت عمرو من بني ماسكة من يهود ، وكان أبوها مدراس
الذي بلى الدراسة للتوراة وكان ذا قدر فيهم .
وكان حسان لما خطبها إلى قومها من أسلم ردوه فهبجهم .

قال رجل من أهل المدينة ما ذكرت قط بيت حسان بن ثابت :
أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّ سُبْحَ وَصَوْتَ الْمُسَامِرِ الْفَرْدِ
إِلَّا عُدْتُ فِي الْقُوَّةِ كَمَا كُنْتُ .

(١) الفضائح : عصير العنب ، وشراب يتخذ من التمر ، ولبن مزج بماء كثير فصار رقيقا ،

(٢) صاحبه ويفارقها وتضرب فيه (أغاني) .

اجتمع فتيةٌ من قريش عند قينة من القينات ، ومعهم عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، فبينما هم مجتمعون إذ استأذن حسان ، فكره القوم دخوله وشق عليهم . فقال عبد الرحمن : أيسرُكم ألا يجلس ؟ قالوا : نعم ، قال : مروا هذه إذا دخل أن تغني :

أولادُ جَفَنَةٍ حولَ قبرِ أبيهم	قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِّلِ
يَسْقُونَ من وَرَدِ البَرِصِ عليهم	كأَسَا تُصَفِّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم	شُمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ
يُنَشُّونَ حتى ما تَهَرُّ كلابُهُم	لا يَسْأَلُونَ عن السوادِ المُقْبِلِ

فبكي حسان حتى ظنوا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيكم الفاسقُ ؟ لعمري لقد كرهتمُ مجالستي . وقام فانصرف .

كان في المدينة رجلٌ ناسكٌ من أهل العلم والفقه ، وكان يغشى عبد الله بن جعفر ، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني :

بانتُ سعادٌ وأمسي حبلُها انقطعا واحتلت الغورَ فالتحديتُ فالفراها
وانكرتني وما كان الذي نكرتُ من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلما
فهام بها وترك ما كان عليه ، فشى إليه عطاء وطاوسُ ولاماه فكان جوابه
أن تمثل :

يلومني فيك أقوامٌ أجالسُهُم فما أبالي أطارَ اللومُ أم وقعا
وبلغ عبد الله بن جعفر خبره ، فبعث إلى النخاس ، وأحضر الجارية وسمع غناءها في هذا الصوت ، فقال لها : ممن أخذتِها ؟ فقالت : من عزة الميلاء ، فابتاعها بأربعة آلاف درهم ، ثم بعث إلى الرجل يسأله خبرها فأعلمه إياه . وصدقه عنه . فقال : أتحب أن تسمع هذا القول ممن أخذته عنه الجارية ؟ قال : نعم . فدعا بعزة الميلاء فقال : غنيه إياه . ففنته فصعق الرجل وأغمى عليه . فقال ابن جعفر : أئيمناً فيه ، الماء الماء . فنضج على وجهه ، فلما أفاق قال له : أكل هذا بلغ بك من عشقها ؟ فقال :

وما خَفِيَ عنك أكثر . قال : أفتُحِبُّ أن تسمعه منها [قال : قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي إن سمعته منها] ^(١) وأنا لا أقدر على ملكها ، قال : أفتَمَرِّفُها إن رأيتهَا؟ قال : لم أعرف غَيْرَهَا فأمر بها فأخرجت . فقال : خذها فهي لك ، ووالله ما نظرتُ إليها إلا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه [وقال : أمنت] ^(٢) عيني وأحييت نفسي ، ورددت على عَقْلِي ، وتركنتي أعيش بين أهلي . ودعا له دعاء كثيرا ، فقال عبدالله : ما أرضى أعطيكها هكذا يا غلام احمل معه مثل ثمنها لكي تهتم به ويهتم بها .

بينما عزة يوما بحضرة ابن أبي عتيق تغنى ، وكانت له جارية تعلقها فتى من فتيان المدينة ، وكان كثيراً ما يعبت بها ، فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك . فقال لها : قولى له : وأنا أيضا أحبُّك ، فإذا قال لك . فكيف لى بك ؟ فقولى له : مولاي يخرج إلى مالٍ له ، فإذا خرج أَدْخَلْتُكَ المنزل . وجمع ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه وقال لعزّة غنى فغنت ساعة وتلبثت الجارية ساعة . ودخلت البيت كأنها تطلب حاجة . فقال لها : تعالى فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلت فوثب فأخذها فوقها على الحجلة . فوثب ابن أبي عتيق هو وأصحابه فقال وهو غير مكترث : يافساقُ ما يُجْلِسُكُمْ مع هذه المغنية ؟ فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا ستر الله عليك . فقالت له عزة : يا ابن الصديق ما أظرفه لو لا فسقه . فاستحى وخرج .

وبلغه عن ابن أبي عتيق بعد ذلك أنه إن وقع في يده أن يصيربه إلى السلطان . فأقبل يعبت بها كلما خرجت فشكت ذلك إلى مولاه . فقال لها : أو لم يرتدع عن العبت بك ؟ قالت له : لا . قال : فهَيِّئِي طحناً ليلة إلى الغداة . فهيات ثم قال لها : عديه

(١) ما بين القوسين تكملة للكلام وهو من الأغاني .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني وهو يياض بالأصل .

الليلة ، فإذا جاء قولى : إن وظيفتى الليلة طحنُ هذا كَلِّه . ثم اخرجى إلى البيت وأتركه ، ففعلت . فلما دخل طحنتِ الجاريةُ قليلاً ثم قالت له : خذ الرِّحَى فإن مولائى قد جاء إلى أو بعض من وَكَلَه بى ، فاطحن حتى نأمن من أن يجيئنا أحد ثم نصيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ، ومضت الجارية إلى مولاهما وتركته . وقد أمرَ ابن أبى عتيق عِدَّةَ جوارٍ أن يترأوحن على سهر ليلهن ويتفقذن أمر الطحين وتحثيثه كلما أمسك ، ففعلن وجعلن ينادينه كلما كف : يا فلانة ، باسم الجارية ، إن مولائى مستيقظ والساعة يعلمُ أنك قد كففتِ عن الطحين ، فيقومُ إليك بالمصا على عادته مع من تقدَّمك فى نوبتها إذا نامت . فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهدُ فى العمل والجارية تتفقده ، وتقول له : استيقظ سيدي ، والساعة ينام ، فلم يزل يطحن حتى أصبح ، وفرغ من جميع القمح . فلما علمتُ بفراغه أتته فقالت له : قد أصبحتَ فأنج بنفسك فقال : أوفعتها يا عدوة الله ، فخرج متموباً ، فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألا يعود إلى كلامها فلم ترمه بعد ذلك ما تكره .

عروة بن الزبير^(١)

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فأجلسه معه على السرير . فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير ، فخرج عروة فقال للآذن : إن عبد الله بن الزبير ابن أبي وأبي ، فإن أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم ، فذكر ذلك لعبد الملك فقال له عبد الملك : قد أخبرنا الآذن بما قلت . وإن أخاك لم يكن قتلتنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه ، وإن أهل الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا رجلاً إن شتموه ، فإذا أذنا لأحد قبلك فلا تدخل ، وإن أذنا ، وأنت جالس ، فقد جاء من يشتمه فانصرف .

ثم قدم ابن الزبير على عبد الملك حين شكا رجله فقال له : اقطعها ، فقال : إني أكره أن أقطع مني طائفا ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إن بلغت ركبتك قتلتك ، فقطعت ولم يقبض وجهه .

وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا تجد للقطع ألماً فقال : ما يسرنى أن هذا الحائط وقاني أذاها .

سقط محمد بن عروة بن الزبير من أعلى سطح في اسطبل دواب عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلتها ، فأتى عروة رجل يعزيه فقال : إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتُها . فقال : لا بل أعزيك بمحمد فقال : ماله ؟ فأخبره بشأنه فقال :

وكنيت إذا الأيام أحدثن نكبة أقول شوى^(٢) ما لم يُصِبَنَّ صميمي

(١) أخباره في مواضع متفرقة من الأغاني .

(٢) الشوى : رذال المال ، الأمر الهين ، اليدان والرجلان والأطراف ما كان غير مقتل .

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، وإن كنت أخذت
فقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت فقد عافيت .

فلما قدم المدينة أتاه ابنُ النُكدير فقال : كيف أنت ؟ فقال : لقد لقينا من
سَفَرِنا هذا نصباً .

ولما قُطِعت رِجلُ عروة بن الزبير جاءه عيسى بنُ طَلْحَة ، فقال عروة لبعض
بنيه : اكشف لعمرك عن رِجلي ينظرُ إليها فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
يا أبا عبد الله ما أعددتُ لك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما نحتاجُ إليه
من رأيك وعلمك ، فقال له عروة : ما عزّاني أحد عن رِجلي مثلك .

قال هشام بن عروة : خرجت مع أبي عروة حاجاً ، ومعنا أخى محمد بن عروة ، وكان
من أحسن الناس وجهاً ، وقد سُمِّيَ زين المواقب لحسنه وجماله ، فلما كنا ببعض
الطريق ، إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة فكلم بعضنا بعضاً ، وقلنا : هذا أبو الخطاب ،
لو سائرناه ! فرآنا عروة فقال : فيم أنتم ؟ فقلنا : هذا عمر بن أبي ربيعة فضرب
عروة إليه راحلته فلما رآه عمر عدل إليه فسلم عليه . ثم قال له : وأين زين المواقب ؟
يعنى محمداً . قال : قد تقدم فعدل عمر واتبع محمداً فقال له عروة : نحن أكفاء لك ،
وأولى أن تسائرنا . فقال : إني رجلٌ موكل بالجمال أتبعه حيث كان . ثم ضرب راحلته
ومضى نحوه .

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه^(١)

واسمُ أبي بكر عبدُ الله وكان يسمى في الجاهلية عتيقا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الله بن عثمان بن عامر بن عويمر^(٢) بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .
وكان اسمُ عبد الرحمن عبدَ العزى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الرحمن .

وأُمُّه وأُمُّ عائشةَ أُمُّ المؤمنين ، أُم رومان بنت عامر بن عويمر^(٢) بن عبد شمس ابن عتاب بن عبد الرحمن بن أذينة بن سُبَيْع بن دَهْمَان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة بن خزيمة .

وقيل : إنها بنتُ عمير بن عبد مناف^(٣) بن دهمان بن الحارث بن غنم .
ولعبد الرحمن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يهاجر مع أبيه صِغَرًا عن ذلك ، فبقى بمكة ، وخرج قبلَ الفتح مع فِتيّة من قريش .
وقيل : بل كان إسلامه يومَ الفتح ، وإسلامُ معاويةَ في وقت واحد .
وكان عبد الرحمن قد خَرَجَ في فِتيّة من قريش مُهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح ، وربما كان معاويةُ معهم .

وكان عبد الرحمن أحد الرماة ، وهو المخاطبُ لمروان يوم دعا لبيعة يزيد ، والقائلُ له : إنما تريدون أن تجعلوها كِسْرَوِيَّة أو هِرَقْلِيَّة ، كلما هلك كسرى

(١) أغاني أميري : ١٦ : ٩٣ . تجريد ١٨٩٧ .

(٢) في الأصل : عويم .

(٣) في الأغاني : بنت عويمر بن عتاب بن دهمان ١٦ / ٩٤

أوه رقل ملك كسرى أوه رقل . فقال مروان : أيها الناس هذا الفتى الذى قال لوالديه : أفٍ لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى . فصاحت به عائشة رضى الله عنها : أَلِعَبْدُ الرَّحْمَنِ تقول هكذا ؟ كذبت ، والله ، ما هو به ، ولو شئت أن أسمى الرجل الذى نزلت فيه لسميته ، ولكنى أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعن أباك وأنت فى صلبه ، فأنت بعض من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أفينا نتأول القرآن وإلينا تسوق اللعن ؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاما ما تود أنى لم أقمه . فأرسل إليها وترضاها وحلف ألا يصلى بالناس أو تؤمته ففعلت .

وكان عبد الرحمن اشهر بليلى بنت الجودى بن عدى بن عمرو بن أبى عمرو
الفسانى ، وأحبها حباً شديداً وقال فيها :

تذكرت ليلي والسموة دونها	فما لابنة الجودى ليلي وماليا
وإن تعاطى قلبه حارثية	تحل ببصرى أو تحل الحوانيا
وكيف تلاقى بلى ولعلها	إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

وقال فيها :

يا ابنة الجودى قلبى كئيب	مستهام عندها ما يُنبئ
جاورت أخوالها حتى عُكِل	فلعُكِلَ فى فؤادى نصيب
ولقد لاموا فقلت دعوها	إن من تنهون عنه حبيب
إنما أبلى عظامى وجسمى	حُبُّها والحبُّ شئ عجيب
أيها العائب عندى هواها	أنت تُغري بمن أراك تميب

وكان قدم فى تجارة فرآها هناك على طنفسة ، حولها ولائد فأعجبته ، فقال له عمر : ما لك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال : والله ما رأيته قط إلا ليلة فى بيت المقدس فى جوار ونساء يتهادين ، فإذا عثرت إحداهن قالت : يا ابنة الجودى ، وإذا حلفت

حلفت بابنة الجودي . فكتب عمرُ إلى صاحب الثغر الذي هي فيه : إذا فتح اللهُ عليكم دمشقَ فقد غنمتُ عبدَ الرحمن بنَ أبي بكرٍ ليلى ابنةَ الجودي ، فلما فتح اللهُ عليهم غنموه إياها ، ونقلها له عمرُ بن الخطاب . قالت عائشة : فكنت أكله فيها وفيما يصنع بها ، فيقول : يا أُخَيَّةُ دُعيني ، فوالله لكأنني أُرشف من ثناباها حبَّ الرمان ، ثم ملَّها وهانت عليه ، فكنت أكله فيما يسيء كما كنت أكله في الإحسان إليها ، فكان إحسانه إليها أن ردها إلى أهلها . فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضتها فأفرطت ، فإما أن تنصيفها وإما أن تجهزها إلى أهلها وكانت بنتَ ملك دمشق .

ومات عبد الرحمن بن أبي بكرٍ بالحبشي ، جيلٍ من مكة على أميال ، فحمل فدُفن بمكة ، فقدمت عائشةُ فوقفت على قبره ثم قالت ممتثلة :

وكنا كندَ مائٍ جذيمةَ حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطلول اجتماع لم نبت ليلةً معا

أما والله لو حَضَرْتُكَ يا ابنَ أمِّ لدفتك حيث مت ، ولو أنى شهدتك لما زرتك .

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : لما قتل معاوية بنُ خديج الكِنْدِي

وعمرُو بن العاص أبي ، يعني محمد بن أبي بكر الصديق بمصر ، جاء عمي عبدُ الرحمن

ابن أبي بكر الصديق فاحتملني أنا وأخا لي من مصر ، فقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا

بهائشة ، رضى الله عنها ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيت قط والدة

أبرَّ منها ، فلم نزل في حِجْرها حتى إذا كان ذات يوم ، وقد ترعرعنا ، ألبستنا ثياباً

بيضا ، ثم أجلسنا كل واحد منا على فخذه ، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن ، فلما

دخل عليها تكلمت ، فحمدت الله عز وجل ، وأثنت عليه ، فما رأيت متكلما

ولا متكلمة قط قبلها ولا بعدها أفصح منها وأبلغ ، ثم قالت : يا أخى : لم أزل أراك

(١٨ / ٥ مختار الأغاني)

معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولا عليك ، ولا تُهَمَّةً لك [فيهما] ولا لشيء تكرهه ، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، تخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان ، وكنت ألطف لذلك وأحقّ بولايته وقد قويا على أنفسهما وشباً وعرفاً ما يأتيان به ، وهما هما فضمهما إليك ، وكن كحُجَّية بن المضرب أخى كندة ، فإنه كان له أخ يقال له معدان ، مات وترك صبيةً صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم ، وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث ماشاء الله ، ثم إنه عرض له سفر ، لم يجد بُدّاً من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها زينب ، فقال : اصنعي بديني أخى ما كنت أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت ، فقال لامراته : [ويلك] مالي أرى بني معدان مهزلة ، وأرى بني سماناً ؟ فقالت : قد كنت أواسى بينهم ، ولكن يعبثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان فقال لهم : كيف كانت فلانة معكم ؟ فقالوا : ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدح من لبن ، وأروه قدحاً صغيراً فغضب على امرأته غضباً شديداً ، وتركها حتى إذا أراح عليه راعياً إبله قال لها : اذهبا فائتما وإبلكما لبني معدان ، فغضبت من ذلك زينب ، وهجرته وضربت بينها وبينه حجاباً ، فقال : والله لا تذوقن منها صبوحةً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك :

لججنا ولجت هذه في التفضب	ولطّ الحجاب بيننا في التجنب
وخطت بعودي أتمدّ جفن عينيها	لتقتلني وشدّما حُبّ زينب
رحمتُ بني معدان إذ قلّ مالهم	وحق لهم مني وربّ المحصّب

وكان اليتامى لا يَسُدُّ اختلالهم هدايا لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدنا أريحنا عليهمو سأجعل بيني مثل آخر مغرب
وقلت خذوها وأعلموا أن عممكم هو اليوم أولى منكم بالتكسب
فلما بلغ زينب الأبيات خرجت حتى أتت المدينة ، فأسلمت . وذلك في ولاية عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، فقدم حجة المدينة يطلب زينب أن تُردَّ عليه ، وكان
نصرانيا ، فنزل بالزبير بن العوام ، فأخبره بقصته ، فقال عمر للزبير: قد بلغتني قصة
ضيفك ، ولقد هممت به لولا تحمُّه بالنزول عليك ، فرجع الزبير إلى حجة فأعلمه
قول عمر فقال حجة في ذلك :
إن الزبير بن عوام تداركني منه يسير كريم سيئه عصم

عمران بن حطان^(١)

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .
وكنيته أبو سَمَّاك^(٢) .

شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الشِّراة ودعاتِهِم ، والمقدم^(٣) في مذهبِهِم ، وكان من القعدة ، لأن عمره طال فضُف عن الحرب وحضورها ، فاقْتَصَرَ على الدعوة والتحريض بلسانه .

وكان قبل أن يُفتن بالشِراة مُشتهراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُلِيَ بذلك المذهب ، فضلَّ وهلك .

وأدرك صدرًا من الصحابة ، روى عنهم ورَّوا عنه .

فما رُوِيَ عنه أنه قال : كنت عند عائشة ، رضي الله عنها ، فتذاكروا القُضاة ، فقالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُؤْتَى بالقاضي العدل يوم القيامة ، فلا يزال به ما يرى من شِدَّةِ الحسابِ حتى يتمنى أنه لم يَقْضِ بين اثنين في تَمَرَةٍ .

وكان من أهل السنة ، لكنه تزوج امرأة من الشِّراة ، من عشيرته وقال :
أرُدُّها عن مذهبها إلى الحق ، فأضَلَّته وذهبت به .

(١) أغاني (أميرى) ١٦ : ١٥٢ ، مذهب الأغاني ٣ : ٢٥٠ ، تجريد ١٩٢٦

(٢) في الأصل (شهاب) .

(٣) والمقدمين (أغاني) .

وقيل : قدم عليه غلامٌ من عمان ، وكان يصلي فقتله^(١) عن مذهبه في مجلس واحد ، وكان أصله من البصرة .

ولما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاجُ فهرب ، وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك بن مروان فهرب ، ولم يزل ينتقل في أحياء العرب وقال في ذلك :

حللنا في بني كعب بن عوف وفي عك وعامر عوثبان

وفي جرّم وفي عمرو بن مُرٍّ وفي زيد وحَيٍّ بني النُدانِ

ثم لحق بالشام ، فنزل بروح بن زنباع الجذامي ، فقال له روح : ممن أنت ؟ فقال : من الأزدي ؛ أزد شنوءة . وكان روحٌ يسمُّر عند عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلاً ما سمعت منك حديثاً قط إلا سمعته منه ، حدثني به وزادني ما ليس عندي ، فقال : ممن هو ؟ قال : من الأزدي . قال : إني لأسمعك تصف صفةَ عمران بن حطان ، لأني سمعتك تذكر لغة قزارية ، وصلاة وزهداً وروايةً وحفظاً وهذه صِفَتُهُ . فقال روح : وما أنا وعمران ؟ ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد فإن رجلاً من أهل الشقاق والنفاق ، قد كان أفسد على أهل العراق وحببهم بالشرارة ، ثم إني طلبته فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام ، فهو ينتقل في مدائنهم . وهو رجلٌ ضَرْبٌ^(٢) طُوالٍ أفوهُ أزرَق . فقال روح : والله هذه صفة الرجل [الذي عندي]^(٣) .

ثم أنشد عبدُ الملك يوماً قولَ عمران بن حِطّان ، يمدحُ عبدَ الرحمن بن مُلْجَم ، لعنه الله ، بقتله أمير المؤمنين ، عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه :

(١) يقال قتل وجهه عنهم أى صرفه .

(٢) الضرب : الرجل الماضى الندب .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ (١) مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ قُبَانَا (٢)
إِنِّي لِأُفَكِّرُ فِيهِ ثُمَّ أَحْسَبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ يَعْرِفُ مِنْكُمْ قَائِلَهَا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ جَمِيعًا . فَقَالَ لِرَوْحَ :
سَلْ ضَيْفَكَ عَنْ قَائِلَهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَسْأَلُهُ ، وَمَا سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَلَمْ أَجِدْهُ
إِلَّا عَالِمًا بِهِ ، وَرَاحَ رَوْحٌ إِلَى أَضْيَافِهِ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَأَلَنَا مِنَ الَّذِي
يَقُولُ :

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ عِلْمٌ بِهَا . فَقَالَ عِمْرَانُ : هَذَا قَوْلُ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ فِي ابْنِ مُلْجَمٍ ،
لَعَنَهُ اللَّهُ ، قَاتِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : فَهَلْ فِيهَا غَيْرُ هَذَا
تَقْدِمُهُ؟ (٣) قَالَ :

لِلَّهِ دَرُّ الْمَرَادِيِّ الَّذِي سَفَكَتُ كَفَاءَ مُهْجَةِ شَرِّ الْخَلْقِ إِنْسَانَا
أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَاءَ بِضْرَبَتِهِ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عُرْيَانَا
فَعِنْدَا رَوْحٌ فَأَخْبَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ . فَقَالَ : مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : ضَيْفِي فَقَالَ :
أُظَنُّهُ ، وَاللَّهِ ، عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ ، فَأَعْلِمْنِي أَنِّي قَدْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَلْقَنِي (٤) بِهِ . فَقَالَ :
أَفْعَلْ ، فَرَاحَ رَوْحٌ إِلَى أَضْيَافِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عِمْرَانَ فَقَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ
فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِكَ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ اخْتَارُ ذَلِكَ ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا الْحَيَاءُ
مِنْكَ ، أَنَا مُتَّبِعُكَ ، فَاذْطَلِقْ ، فَمَضَى رَوْحٌ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ صَاحِبِي قَالَ : أَنَا مُتَّبِعُكَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنِّي لِأُظَنُّ أَنْ سَتَرَجِعُ فَلَا تَجِدُهُ .

(١) كَرِيم (أَغَانِي) وَمَهْذَب .

(٢) رِضْوَانَا (مَهْذَب) .

(٣) تَفِيدْنِي (أَغَانِي) .

(٤) تَأْتِينِي (أَغَانِي) .

فلما رجع إلى منزله إذا عمرانُ قد مضى ، وإذا هو قد خَلَفَ رقعةً عند فراشه فيها مكتوب :

يا روحُ كم من أخى مَثَوَى نَزَلْتُ بِهِ	قد ظنَّ ظَنِّكَ من لَحْمٍ وَغَسَّانٍ
حتى إذا خِفَّتُهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ	من بعد ما قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
قد كُنْتُ ضَيْفَكَ حَوْلًا لَا تُرَوِّعُنِي	فيه الطَّوَارِقُ من إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ
حتى أَرَدْتُ بِي الْعُظْمَى فَأَوْحَشَنِي	مَا أَوْحَشَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زَنْبَاعٍ فَإِنْ لَهُ	فِي الْحَادِثَاتِ هَذَاتِ ^(٢) ذَاتِ الْوَانِ
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَا قَيْتُ ذَا يَمَنِ	وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةٍ	كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سَرَى وَإِعْلَانِي
لَكِنْ أَبْتَ ذَاكَ آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ	عِنْدَ التَّلَاوَةِ فِي طَهٍ وَعِمْرَانِ

ثم إن عمران أتى الجزيرة فنزل بزفر بن الحارث بقرقيسيا ، فجعل شبابُ بني عامر يتمجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزُفَرَ أَوْزَاعِيًّا وقدم على زفرَ رجل من أهل الشام ، كان قد رأى عمرانَ عند رَوْحِ بن زنباع ، فصاحه وسلم عليه ، فقال زفرُ للشامي : أتعرفه ؟ قال : نعم هذا شيخٌ من الأزد . فقال زفر : أزدِيُّ مرةً وأوزاعيُّ أخرى ! ! إن كنتَ خائفًا آمناك وإن كنتَ عائلًا أغنيك . فقال : إن الله هو الغني وخرج وهو يقول :

إِنْ الَّتِي أَصْبَحْتَ يَغْيِي بِهَا زُفَرَ	عَيَّتَ عِيَاءٌ عَلَى رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ
أَمْسَى ^(٢) يُسَائِلُنِي حَوْلًا لَا تُخْبِرُهُ	وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ غُدُوعٍ وَخَدَاعٍ
حَتَّى إِذَا انْجَدَمَتْ مِنِّي حَبَائِلُهُ	كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعِي ^(٣)

(١) في الأصل : حتى هنأت وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) ما زال يسألني (مهذب) .

(٣) إهلاعي : إفزاعي وترويعي .

فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ رَوْحُ إِنِّي رَجُلٌ إِمَّا صُرِيحٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي لَسْتُ^(١) تَارِكُهَا كُلُّ أَمْرٍ لِلَّذِي يَسْعَى بِهِ سَاعِي
وَإِكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ هَزْئِي^(٢) وَمَسْأَلَتِي مَاذَا تَرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ
أَكْرِمُ بِرَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَلَيْسَ^(٣) بِهِ قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعَلَا دَاعِي
جَاوَزَتْهُمْ سَنَةٌ فِيمَا دَعَوْتُ بِهِ عَرَضِي صَحِيحٌ وَنَوِي غَيْرُ تَهْجَاعِ
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنَّمِيٌّ بِحَادِثَةِ^(٤) حَسْبُ اللَّيِّبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِي

ثم خرج فنزل بُمَآن ، بقوم يكثرُونَ ذِكْرَ أَبِي بَلَالِ بْنِ مَرْدَاسِ بْنِ أُدِيَّةَ
وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ ، وَيَذْكُرُونَ فَضْلَهُ ، فَأَظْهَرَ فَضْلَهُ وَيَسَّرَ أَمْرَهُ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبَهُ الْحِجَابُ
مِنْ هُنَاكَ فَهَرَبَ وَنَزَلَ فِي رُودَمِيْسَانَ ،^(٥) طَسُوجٍ مِنْ طَسَاسِيجِ السَّوَادِ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ ،
فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ وَكَانَ نَازِلًا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أُمَرَةٍ أُسْرُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الْأَنْسِ وَالْخَفَرِ
نَزَلْتُ بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَمَا لَهُمْ عُودٌ سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصَرُ
مِنَ الْأَزْدِ إِنْ الْأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ يَمَانِيَّةٌ تَعْلُو إِذَا ذُكِرَ الْبَشَرُ
فَأَصْبَحَتْ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعَشَرٍ بَدَّوْا بِي^(٦) فَقَالُوا مِنْ رِيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
أَوْ الْحَيِّ قَحْطَانٍ وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ كَمَا قَالَ لِي رَوْحٌ وَصَاحِبُهُ زُفَرٌ

(١) غير (مذهب) .

(٢) لوى (مذهب) .

(٣) وأسرته (مذهب) .

(٤) بواحدة (مذهب) .

(٥) في الأصل رودسان وما أثبتناه عن الأغاني .

(٦) أتوني (مذهب) .

وما منهمو إلا يُسَرُّ بِنَسْبَةٍ يُصَيِّرُنِي (١) منه وإن كان ذا نَفَرٍ
فنجن بنو الإسلام والله ربُّنا (٢) وأولى عباد الله بالله من شَكَرٍ

اجتمع الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فقال لهم : أَيْقَى أَحَدُكُمْ مِنْكُمْ؟
فقالوا : لا . فقال الأخطل : قد بَقِيَ مِنْهُمْ ، يا أمير المؤمنين ، من هو أشعرُ منهم .
فقال : ومن هو ؟ قال : عمرانُ بن حِطَّان . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه قال وهو
صادق ، ففاتهم ، فكيف لو كَذَبَ كما يكذبون .

لما دخلت غزاةُ الحُرُورِيةِ — هي وشيْبٌ على الحِجَاجِ — الكوفةَ تَحَصَّنَ مِنْهَا ،
وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عمرانُ بن حِطَّان وكان الحِجَاجُ لَيْجَ في طَلَبِهِ :
أَسَدٌ عَلَى وَفَى الحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاهُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
صَدَعَتْ غَزَاةُ قَلْبِهِ بِفَوَارِسٍ تَرَكْتُ مَعَارِفَهُ (٣) كَأَمْسِ الدَّابِرِ
ثم مضى إلى الشام فنزل على رَوْحِ بْنِ زَيْبَاعِ .

وكان الفرزدقُ يقول : لقد أحسنَ بنا عمرانُ بنُ حِطَّانَ فلم يأخذَ فيها أَخَذْنَا فِيهِ ،
ولو أخذَ في ذلك لَأَسْقَطْنَا ، يعني لَجَوْدَةٍ شِعْرِهِ .

مر عمرانُ بن حِطَّانُ بالفرزدق وهو ينشد ، والناس حَوَّلَهُ ، فوقف عليه وقال :

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ
فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ فَضْلَ الْقَسَمِ الْعَوَادِ
لَا تَقُلْ لِلْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّ الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

فقال الفرزدق : لولا أن الله شَغَلَ هذا عنا برَأْيِهِ لَلَقِينَا مِنْهُ شَرًّا .

(١) يقربني (مذهب) .

(٢) واحد (مذهب) .

(٣) مدابره (أغاني)

اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من مُتَمَارِهِ ، فيهم عبدُ الله بن عبدِ الأُعلى الشاعرُ . فقال مسلمة : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبد الله : قول الشاعر :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ
قال مسلمة : إنه ما وعظني شعرٌ قط كما وعظني شعرُ عمران بنِ حِطَّانٍ حيث يقول :

فيوشك يومٌ أن يُقَارِنَ لَيْلَةً يسوقان حَتْفًا راح نحوكَ أو غدا
فقال بعضُ من حضر : أما والله لقد سَمِعْتُهُ أَجَلَ الموتِ ثم أفناه وما صنَّع هذا شاعرٌ قبله . فقال مسلمة : وكيف ذلك ؟ قال : قال :

لا يُمَجِّزُ الموتُ شَيْءًا دُونَ خَالِقِهِ والموتُ فَإِنْ إِذَا مَا نَالَهُ الْأَجَلُ
وَكُلُّ كَرْبٍ أَمَامَ الموتِ مُتَضِعٌ للموتِ والموتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلُ
فبكي مسلمةُ حَتَّى اخْضَلَّتْ لَحْيَتُهُ ثم قال : ارْدُدْهَا عَلَيَّ فَرَدَّهَا حَتَّى حَفَظَهَا .
قالت امرأةُ عمران بنِ حِطَّانٍ لعمران يوما : أتزعمُ أنك لا تكذبُ في شعرك ؟
قال : بلى !! قالت : أفرايتَ قولَكَ :

وَكَذَاكَ مَجْزَأَةُ بَنِي ثَوْرٍ رِيكَانُ أَشْجَعٍ مِنْ أُسَامَةَ
أَيكونُ رجلٌ أَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ ؟ قال : نعم ، إن مجزأةَ بنِ ثَوْرٍ فتَحَ مَدِينَةَ
كَذَا وَكَذَا ، وَالْأَسَدُ لَا يَقْدِرُ عَلَى فَتْحِ مَدِينَةٍ .

عمارة بن الوليد^(١)

هو عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لوئى بن غالب .

وهو أحد أزواج الركب ، ويقال له الوحيد ، وكان يقال لهم أزواج الركب لأنهم لم ينزل بهم غريب إلا قرّوه ، وأحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج إليه .

وكان عمارة نفحوراً متعمرّضاً لكل من عارضه من قريش ، فمر يوماً بمسافر ابن عمرو بن أمية فوقف عليه ، فقال :

خَلِقَ الْبَيْضُ الْحَسَانَ لَنَا وَجِيادُ الرِّيطِ^(٢) وَالْأَزُرُ
كَبَرًا كُنَّا أَحَقَّ بِهِ حِينَ صَيَّغَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فأجابه مسافر فقال :

أَعْمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَدْ يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ مِنْ ذِكْرِهِ
هَلْ أَخُو كَاسٍ مُخَفِّفُهَا وَمَوْقُ صَحْبَةٍ سَكْرَةٍ
وَمُحْيِيهِمْ إِذَا شَرَبُوا وَمُقِلُّ فِيهِمْ هَذَرَةٍ
خَلِقَ الْبَيْضُ الْحَسَانَ لَنَا وَجِيادُ الرِّيطِ وَالْحَبْرَةِ^(٣)
كَبَرًا كُنَّا أَحَقَّ بِهِ كُلُّ نَحْيٍ تَابَعَ أَثَرَهُ

كان عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت : لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا . قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشراب فلا أستطيع تركه ، ثم اشتدّ

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٥٨ والتجريد ٣ : ١٠٢٤ .

(٢) الريط جمع ربطة : اللامة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً وكل شيء يشبه الملحفة .

(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتحها) ضرب من برود اليمن .

وَجَدَهُ بِهَا ، فُخْلَفَ لَا يَشْرُبُهُ وَتَزَوَّجَهَا وَمَكَثَ حِينَا لَا يَشْرَبُ ، ثُمَّ لَبَسَ ذَاتَ يَوْمٍ حُلَّتَهُ وَرَكَبَ نَاقَتَهُ وَخَرَجَ يَسِيرُ ، فَمَرَّ بِبُخَارٍ عِنْدَهُ شَرِبَ يَشْرَبُونَ فِدَعَوْهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ أَتَقَدُّوا مَا عِنْدَهُمْ . فَقَالَ الْخَمَارُ : أَطْعِمُهُمْ ، وَيَلْكَ . فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ، فَتَحَرَّ لَهُمْ نَاقَتَهُ فَأَكَلُوا . فَقَالَ : اسْقِيهِمْ وَيَلْكَ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ شَيْءٌ يَشْرَبُونَ بِهِ فَسَقَّاهُمْ يُزِدُّنَهُ ، وَمَكَثُوا أَيَّامًا ذَاتَ عَدَدٍ ثُمَّ خَرَجَ وَأَتَى أَهْلَهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ امْرَأَتُهُ قَالَتْ : أَلَمْ تَحْلَفْ أَنَّكَ لَا تَشْرَبُ ؟ وَلَا مَتَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

وَلَسْنَا بِشَرِبِ أُمِّ عَمْرٍو إِذَا اتَّشَوْا ثِيَابُ النَّدَايِ عِنْدَهُمْ كَالْغَنَائِمِ
وَلَكِنَّا أُمُّ عَمْرٍو نَدِينَا بِمَنْزِلَةِ الرَّيَّانِ لَيْسَ بَعَائِمِ
أَسْرَكَ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ نَشْوَةً أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَارِمِ
خَلِيئًا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كَفْتُ فِيهِمْ وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مَرْتَضًى فِي التَّنَادِمِ
قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ تِجَارِ الرُّومِ بِحُمْلَةٍ مِنْ لِبَاسٍ قِيسَرٍ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَتَى بِهَا عِمَارَةَ ابْنَ الْوَلِيدِ ، فَاسْتَعْلَاهَا . وَقَالَ : لَنْ تَعْدِمَ لَهَا عَوْنًا فِي بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ عَمْرٍو : قَدْ أَخَذْتُهَا . وَاشْتَرَاهَا بِمِائَةِ بَعِيرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَخْطُرُ فِيهَا حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى بَنِي غَزْوَمٍ فَنَادَاهُ عِمَارَةُ : أَتَبِيعُ الْحُمْلَةَ ؟ فَغَضِبَ عَمْرٍو وَالتَفَتَ إِلَى عِمَارَةَ فَقَالَ لَهُ :

عَلَيْكَ بِجَزْرِ أَيْرٍ أَيْيَكَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسَهَّمَةَ الرِّقَاقَا
ذَرَوْهَا عَنْكُمْ وَغَلَّتْ عَلَيْكُمْ وَأَعْطَيْنَاهَا مِائَةَ حِقَاقَا
وَقَلْتُمْ لَا نَطِيقُ ثِيَابَ سَهْمٍ وَكُلُّ سَوْفٍ يَلْبَسُ مَا أَطَاقَا

فَغَضِبَ عِمَارَةُ ، وَقَالَ : يَا عَمْرٍو مَا هَذَا التَّهْوُرُ ؟ إِنَّكَ لَسْتَ بِمُعْتَبَةٍ بَنِ رِبِيعَةَ ، وَلَا بِأَبِي سَفْيَانَ بَنِ حَرْبٍ ، وَلَا بِالْوَلِيدِ بَنِ الْغُبَرَةِ ، وَلَا سَهِيلِ بَنِ عَمْرٍو ، وَلَا أَبِي ابْنِ خَلْفٍ ، فَقَالَ عَمْرٍو : إِنْ فِيَّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ مَا فِيهِ ؛ مِنْ عَتَبَةَ حِلْمُهُ ، وَمِنْ أَبِي سَفْيَانَ رَأْيُهُ وَمِنْ سَهِيلٍ جَوْدُهُ وَمِنْ أَبِي بَنِ خَلْفٍ نَجْدَتُهُ ، وَأَمَّا الْوَلِيدُ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ فِيَّ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَلَكِنِّكَ وَاللَّهِ مَا لَكَ عَقْلُ الْوَلِيدِ

ولا بأسُ ابنِ حَرْبٍ ولا لسانُ أبي الحكم ، يعني أبا جَهْل . وانصرفَ عمارَةُ فامرَ
بجَزورٍ فنُحِرَت على الطريق ، أى طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لمن هذه الجزور؟
ف قيل : لعمارة . فقال له : أطعمنا منها يا عمارَة ، فضحك منه ثم قال :

عليك بِجَزْرِ أَيْرٍ أَيْبِكَ إنا كَفِينَاكَ المِساسَةَ والعِراقا^(١)
وَمَسْغَبَةَ الأطايبِ من قَرِيشٍ ولم يَرِ كَأْسُنَا إِلَّا دِهاقا^(٢)
وَنَلْبَسُ في الحِوادثِ كلَّ زَغْفٍ^(٣) وعند الأمنِ أَراداً رِقا
فوقع الشرُّ بينهما فقال عمرو :

لعمري أَيْبِكَ والأخبارُ تَنْمِي لقد هَيَّجَتْنِي يا ابنَ الوليدِ
فلا تَمَجِّلْ عِمارةَ إن سَهما كَمخزومٍ بنِ بَقْظَةَ في العَديدِ
فأجابه عمارَةُ بنُ الوليد :

ألا يا عمرو هل لك في قَرِيشٍ أبٌ مِثْلُ المَغيرَةِ والوليدِ
وَجَدُّ مِثْلُ عبدِ اللَّهِ يُنَمِّي إلى عمرو بنِ مَخزومٍ بِعُودِ
إذا ما عُدَّتْ الأعْوادُ نَبْعا فما لي في الأباطِحِ من نَدِيدِ
وإني للمُنابِذِ من قَرِيشٍ شَجِيٌّ في الخَلْقِ من دونِ الوليدِ
أُحْـوِطُ ديارَهم وأذودُ عنهم وأصبرُ في وِغا السومِ الشَدِيدِ
وأبذلُ ما تَضَنُّ به رجالٌ وتطمِئِنُّ المِروءَةُ في المَزِيدِ
وإنك من بني سَهمٍ بنِ عمرو مكانَ الرَّدْفِ من عَجْزِ القَمُودِ
وقد عَلِمْتَ سَراةَ بني لُؤَيٍّ بأني غيرُ مُؤْتَشَبٍ زَهِيدِ
وكانَ أبوكَ جَزَّاراً وكانت له فاسٌ وقدرٌ من حديدِ

(١) المسهمة العراقا (أغاني) .

(٢) كانت (الاداء هاقا)

(٣) الزغف جمع زغفة : الدروع الواسعة أو المحكمة .

وكان النجاشي قد أمر السحرة فسحرت عمارة بن الوليد . وذلك أن عمارة خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وكانا قد خرجا تاجرين إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش مُتَجَرِّأً ووجها ، وكلاهما في جاهليته شاعرٌ مُشْرِكٌ فاتكٌ ، وكان عمارة معجبا بالنساء ، وصاحبَ محادثة ، فركبا السفينة ليألي ، فأصابا من تخمرٍ معهما ، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو : [قبليني ، فقال لها عمرو :]^(١) قبلي ابن عمك فقبلته وحذر عمرو على زوجته فرصدها ورصدته ، وجعل إذا شربا أقلَّ عمرو من الشراب وأرقَّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله ، وجعل عمارة يريد لها على نفسها ، فامتنت منه ، وإن عمراً جلس على ناحية السفينة يبول ، فدفعه عمارة إلى البحر ، فلما وقع فيه سبى حتى أخذ القلس^(٢) فارتفع ، فظهر على السفينة ، فقال له عمارة : أما والله يا عمرو لو علمت أنك تحسن السباحة ما فعلت . فلما قال ذلك عمارة لعمرو اضطجعتا عمرو وعرف أنه أراد قتله . ومضيا على وجههما ، فلما نزلا الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاص أن اخلعني وتبرأ مني ومن جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم ، وخشي على أبيه أن يقتبّع بجريرته وهو يترصد لعمارة ما يترصد ، فلما ورد الكتاب على العاص [بن وائل] مشى في رجال من قومه ، منهم نبيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، إلى المغيرة وغيره من بني مخزوم ، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شرٍّ ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، فإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، وقد خلعتُهُ : فقال بنو المغيرة : أنت تخافُ عمراً على عمارة ، قد خلعتنا عمارة وتبرأنا منه إليك ، ومن جريرته ، نخل بين الرجلين . فقال السهميون : قد قبلنا فابعثوا

(١) ما بين القوسين عن التجريد وهي زيادة يستقيم بها الكلام .

(٢) القلس : حبل السفينة وكانت في الأصل القلعة والتصويب عن التجريد ٣ : ١٠٢٥ .

مناديا بمكة: إنا قد خلعناها، وتبرأ كل واحد منا من صاحبه، فبعثوا مناديا فنادى بمكة [بذلك]، فقال الأسود بن المطلب: والله طُلِّدُم^(١) عمارة بن الوليد إلى آخر الدهر، فلما اطمأننا بأرض الحبشة لم يَلْبَثْ^(٢) عمارة أن دَبَّ لامرأة النجاشي فأدخلته، فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مَدْخَلِهِ يخبرُ عمرو بن العاص بما كان من أمره فجعل عمرو يقول: ما أُصَدِّقُكَ أَنَّكَ قَدَرْتَ على هذا الشأن، إن المرأة أرفعُ من ذلك، فلما أكثر على عمرو بما كان يخبره، وكان قد صدَّقَهُ، ولكنه أحب التثبت وأراد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو دفعه إلى النجاشي، وكانا في بيت واحد، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وجعل عمارة يدهوه إلى أن يشرب معه فيأبى^(٣) عمرو ويقول: هذا يشغلك عن مَدْخَلِكَ فقال له عمرو يوما: إن كنت صادقاً فقل لهما فلتدْهَنِكَ من دُهْنِ النجاشي الذي لا يدْهِنُ به غيره، فإنني أعرفه، وإنني به أُصَدِّقُكَ ففعل عمارة، فجاء بقارورة من دُهْنِهِ فلما شمها عمرو عَرَفَهَا وقال: أشهد أنك صادق. ولقد أصبت شيئا ما أصابه أحد من العرب من امرأة الملك، ما سمعنا بهذا، وسكت عنه حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال: أيها الملك إن ابن عمي سفيهٌ، وقد خشيتُ أن يَمُرَّ^(٤) نِيَّيْكَ عِنْدَكَ أمره. وقد أردت أن أعلمك شأنه فلم أفعل حتى استَثَبْتُ، وإنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا من دُهْنِكَ قد أُعْطِيَهُ ودَهَنِي منه، فلما شم النجاشي الدهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي، ثم دعا بعمارَة وقال له:

(١) في الأصل: (بطل عمارَة) وما أثبتناه عن التجريد ١٠٢٦

(٢) في الأصل: لم يَثْبِتْ .

(٣) في الأصل: فينادى .

(٤) في الأصل: يعيرني، والتصويب عن التجريد. ويقال: عره يعره: إذا ساءه، أو

وماه بما يكره .

إني أكره أن أقتل قرشياً ، ولو قتلت قرشياً لقتلتك . ثم دعا بالسواحر فجرّ دوه من ثيابه ، ثم أمرهن فنفخن في إحليله ، ثم خلى سبيله ، فخرج هارباً^(١) ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة وكان اسمه ببحيراً قبل أن يسلم فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يردّه مع الوحش فلما وجد ربح الإنسان هرب حتى إذا أجهده العطش ورد ، فشرب حتى تملأ وخرجوا في طلبه ، فقال عبد الله بن أبي ربيعة : فسميت فالتزمته فيجعل يقول : يا ببحير أرسلني فأني أموت إن أمسكتُموني . قال عبد الله : فضبطته فمات في يدي مكانه فواريته^(٢) ثم انصرفت ، وكان شعره قد غطى كل شيء منه .

(١) جاء في التجريد ص ١٠٢٧ (فخرج هائماً على وجهه من الوحش ومتى رأى الإنسان هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه ولم يزل كذلك مدة أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وصبرا من خلافة عمر رضى الله عنه فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ...) .
(٢) في الأصل فواراه ثم انصرف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

عبد الله الأعشى^(١)

هو عبدُ اللهِ بنُ خَارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن خَارجة بن أبي ربيعة
ابن ذهل بن شيبان بن [ثعلبة الحصين]^(٢) بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن
وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .
شاعرٌ إسلاميٌّ من ساكني الكوفة ، مروانيُّ المذهبِ شديدُ التَّعَصُّبِ
لبنِي أمية .

قدم على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : ما الذي بقي منك ؟ قال : أنا
الذي أقول :

وما أنا في أمري ولا في خصومي	بمَهْتَضَمٍ حَقِّي ولا قارعٍ سِنِّي
ولا مُسْلِمٍ مولاى عند جناية	ولا خائفٍ مولاى من شرٍّ ما أَجْنِي
وإن فؤادي بين جنبيَّ عالمٌ	بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضَّلني في الشعرِ واللُّبِّ أني	أقول على علمٍ وأعرف من أغني
وأصبحتُ إذ فضَّلْتُ مروانَ وابنه	على الناس قد فضَّلْتُ خيرَ أبٍ وابنٍ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة
تخوت ثياب ، وعشر [فرائض] من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وقال له : إمض
إلى زيد^(٣) الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيْلاً^(٤) فمضى فأتى زيدا

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٦٠ تجريد ١٩٣١ .

(٢) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

(٣) في الأصل يزيد .

(٤) العيل : أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم ، للمذكر والمؤنث .

فقال له : اثنى غدا فأتاه فجعل يردد فقال فيه شعراً وأتى سفيان بن الأبرد السكبي ،
فكلمه سفيان ، فأبطأ عليه فأتى ^(١) سفيان فقال له :

عُدْ إِذْ بَدَأْتَ بِحُسْنِي فَأَنْتَ لَهَا وَلَا تَكُنْ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَيَّابَا
وَاشْفَعْ شَفَاعَةَ أَنْفٍ لَمْ يَكُنْ ذَنْبَا فَإِنْ مِنْ شُفْعَاءِ النَّاسِ أَذْنَابَا
فَأَتَى سَفِيَانُ زَيْدَا الْكَاتِبَ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ .

دخل أعشى ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا
يجد فقال له : يا أمير المؤمنين مالي أراك متلو ما ينهضك الحزم ، ويقعدك العزم ،
وتهم بالإقدام ، ثم تجنح إلى الإحجام ؟ انقذ لنصرتك وامض لأيك ، وتوجه إلى عدوك ،
كجذك مقبل ، وجده مدبر وأصحابه له ما يقتون ، ونحن لك محبون ، وكلتهم متفرقة ،
وكلتنا عليك محتمة والله ما تؤتى من ضعف جنان ، ولا قلة أعوان ، ولا يثبطك
عنه ناصح ولا يحرضك ^(٢) عليه غاش ، وقد قلت في ذلك أبياتا . فقال : هاتها فإنك
تنطق بلسان ودود ، وقلب ناصح ، فقال :

آلُ الزَّيْبِرِ مِنَ الْخِلَافَةِ كَالْتِي عَجَلَ النَّجَاجُ بِحَمَلِهَا فَأَحَالَهَا
أَوْ كَالضَّعَافِ مِنَ الْحَوْلَةِ مُجَلَّتْ مَا لَا تُطِيقُ فَضِيْعَتُ أَحْمَالَهَا
قَوْمُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ كَمْ لِلْغَوَاةِ أَطْلَتُمْ إِهْمَالَهَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ لَا فِيهِمْ لَا زَلَمُ أَرْكَانَهَا وَنَمَالَهَا
أَمْسُوا عَنِ الْخَيْرَاتِ قُقُلًا مُوثِقًا فَانْهَضْ بِيَمِينِكَ فَانْتَحِ أَقْفَالَهَا

فضحك عبد الملك ، وقال : صدقت يا عبد الله إن أبا خبيب لقفل دون كل خير ،
ولن يتأخر عزمنا إن شاء الله ، ووصله بصلية سنية .

(١) فعاد إلى سفيان (أغاني) ١٦ : ١٦١ .

(٢) في الأصل : ولا عرضك .

كان الحجاج قد جفا الأعشى ، وأطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاج من حرب ذي الجراح ذكر فتنة بن الأشعث وجعل يوبّخ أهل العراق ويؤنبهم على فعلهم ، فقال من حضرهم من أهل البصرة : إن الذنب والمعصية بدأ من أهل الكوفة . فقال أهل الكوفة : لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسي ، إذ جاء مخالفاً من السند ، وأكثروا في ذلك ، فقام أعشى بن ربيعة فقال : أصلح الله الأمير ، لا براءة من ذنب ولا ادعاء على الله عصمة لواحد من أهل المصرين . قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك ، فأبى الله إلا نصرَكَ . وذلك أنهم جزعوا وصبرّت وكفروا وشكّرت إذ قدرت ، فوسّعهم عفوُ الله تعالى وعفوك فنجّوا ، ولولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسر الحجاج بكلامه . وقال له جيلاً ، وقال : تهياً للوفادة على أمير المؤمنين ، ليسمع هذا منك .

دخل أعشى بن ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده :

رَأَيْتُكَ أَمْسَ خَيْرَ بَنِي مَعَدٍ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسِ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الضُّعْفَ ضِعْفًا كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

فقال له : من أي بني ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بني أمامة . فقال : إن أمامة ولد قيساً وحارثة ، فأحدهما نجم والآخر خمل فمن أيهما أنت ؟ قال : فقلت له : أنا من ولد حارثة ، وهو الذي نجم ، وقد كانت بكر بن وائل توجّته فقال بمخصرة في يده وغمزها في بطني ثم قال : يا أخا بني ربيعة ، هُمُّوا ولا تفعلوا فإذا حدثتني فلا تكذبني ، فجعلت له عهداً لا أحدث أبداً قرشياً بكذب .

عمرو بن قَيْثَة

هو عمرو بن قَيْثَة [بن ذريح] بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبي : ليس من العرب من له ولد ، كل واحد منهم قبيلة قائمة مفردة
بذاتها غير ثعلبة بن عكابة ، فإنه ولد أربعة ؛ كل واحد منهم قبيلة قائمة بنفسها :
شيبان بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة . وقيس بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة . وذهل
ابن ثعلبة - وهو أبو قبيلة ، وتيم الله بن ثعلبة - وهو أبو قبيلة .

وكان عمرو بن قَيْثَة من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال : إنه أول من قال
الشعر من نزار .

وهو أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى
قيصر ، فمات في طريقه ، وسمته العرب عمرا الضائع لموته في غربه ، وفي غير أرب
ولا مطلب ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دونه وأيقن أنا لاحتقان بقيصر
فقلت له لا تبك عَيْنُكَ إنما نحاولُ ملكاً أو نموت فنُعذراً

وكان شاعراً مقداماً فخلاً ، وكان شاباً حسناً ، جميل الوجه مديد القامة [حسن
الشعر] (٢) .

(١) الأغاني أميري ١٦ : ١٦٣ تجريد ١٩٣٣ .

(٢) بياض في الأصل وما أثبتناه عن الأغاني ١٦/١٦٣ .

مات أبوه وخلفه صغيراً ، فكفله عمه مَرثدُ بنُ سعد ، وكان سبّاباً^(١) قديميه ملتصقتين .

وكان عمه محبّاله ، معجّباً به ، رفيقاً عليه ، وكانت عنده امرأة ذاتُ جمال فهويت عمرأ وشغفت به ، ولم تُظهِر له ذلك ، فغاب مَرثد لبعض أمره ، فبعثت امرأته إلى عمرو ، تدعوه على لسانِ عمه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البيوت ، ففعل ، فلما دخل أنكر شأنها ، فوقف ساعة فراودته عن نفسه ، فقال : لقد جئت بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدعى لمثل هذا ، ووالله لو لم أمتنع من ذلك وفاء لعمى امتنعت خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عنى في العرب . قالت : والله لتفعلن أو لأسوءنك . قال : إلى المساء دعوتنى ، ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يخبر عمه بما جرى ، فأمرت بجفنة فكبت^(٢) على أثر عمرو ، فلما رجع مَرثد وجدها متغيظة^(٣) فقال لها : مالك ؟ فقالت : إن رجلاً من قومك قريب القراة يستأمنى نفسى ، ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن ؟ قالت : أما أنا فلا أسميه ، ولكن قم أنت فاقتف^(٤) أثره تحت الجفنة . فلما رأى الأثر عرفه ، وكان لمَرثد سيفٌ يسمى ذا الفقار ، فآلى ليضربنه به فهرب ، فأتى الحيرة ، فكان عند اللخمين . ولم يكن يقوى على بنى مَرثد لكثرتهم . وقال لعمرو بن هند : إن القوم طردونى ، فقال : ما فعلوا إلا وقد أجَرمت ، وأنا أخص عن أمرك ، فإن كنت مُجرماً رددتك إلى قومك ، فغضب وهم بهجائه وهجا مَرثداً ، ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه .

(١) فى الأصل : سبّاباً .

(٢) فكفت .

(٣) متغضبة (أغانى) .

(٤) فاقتقد (أغانى) .

وقيل: إن مرثداً لما سمع ذلك هجر عمرأ فأعرض عنه ولم يعاتبه لموضعه من قلبه
فقال عمرو يعتذر إليه من أبيات :

خليلى لا تستعجلاً أن تزوداً وأن تجمعا شملِي وتنظرا غدا
وأن تنظراني اليوم أفض لبانة وتستوجبا [منأً] ^(١) على وتحمدا
لعمرك ما نفس بجد رشيدة تؤامرنى سوءاً لأضرم مرثدا

سأل رجل حماداً الراوية بالبصرة ، وهو عند بلال بن أبي بردة: [من أشعر الناس؟
قال : الذى يقول] ^(٢) :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يُرمى وليس برام
والشعر لعمرو بن قبيصة ، قاله لما بلغ تسعين سنة ، من أبيات أولها :
كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعتُ بها عنى عنانَ لجأى
على راحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيسا
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فما بال من يُرمى وليس برام
ولو أن ما أرمى بنبل رميتها ولكنى أرى بغير سهام
إذا ما رأنى الناس قالوا لم يكن حديثاً جديد البرى غير كهام
وأفنى ^(٣) وما أفنى من الدهر ليلة ولم يُغن ما أفنيتُ سلك نظام
وأهلكنى تأميل يومٍ وليلة وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

(١) ما بين القوسين عن الأغاني : ١٦ / ١٦٤ وبه يصح البيت .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني : ١٦ : ١٥٦ وبه يستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : وانى وما يغنى .

عروة بن أذينة^(١)

أذينة [لقبه] وهو عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله ابن رحل بن يعمر وهو الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .
وسمى يعمر بالشدّاخ لأنه تحمّل ديات قتلى ، كانت من قريش وخزاعة . وقال :
لقد شدّختُ هذه الدماء تحت قدمي ، فسمى الشدّاخ .
وقيل فيه : الشدّاخ بضم الشين .

وكنية عروة أبو عامر .

وهو شاعر غزليّ ، مقدّم من شعراء أهل المدينة ، معدود في الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس ، وعبد الله بن عمر المدوي ، وجده مالك بن الحارث ، روى عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه . قال يحيى بن عروة بن أذينة : أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له أنت القائل :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خلُق	أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمي له فيمَنِّي تطلُّبه	ولو جلستُ أتانى لا يمَنِّي
وإن حظُّ امرئ غيري سيلغه	لا بد لا بد أن يَحْتَازَه دوني
لا خيرَ في طمع يُدَنِّي لَمَنَقَصَةٍ	وعفة من كفافِ العيش تكفيني
لا أركب الأمرَ تُزِرِي عواقِبُه	ولا يما بُ به عِرْضِي ولا ديني
كم من فقير غنيَّ النفس تعرفه	ومن غني فقير النفس مسكين
ومن عدوّ رمانى لو قصدتُ له	لم آخذ النصفَ منه حين يرميني

(١) أغاني ساسي : ٢١ : ١٠٥ - مهذب ٣٩/٦ . تجريد ١٩٧٤

ومن أخ لي طوى كَشْحاً فقلت له إن انطواءك عني سوف يَطْوِيَنِي
إني لَأَنْطِقُ فيما كان من أَرِيي وأَكْثَرُ الصمتَ فيما ليس يعنِيَنِي
لا أبتغي وصل من يَبْغِي مقاطعتي ولا أَلِينُ لمن لا يشتهي لِيَنِي
فقال له ابن أذينة : نعم ، أنا فائِلُها . قال : فهلا قَعَدْتَ في بيتك حتى يَأْتِيَك
رزقك ؟ وغَفَلَ عنه هشام ، فركب من وقته راحلته ومضى منصرفاً . ثم افتقده هشامُ
فعرَفَ خبره فأتبعه جائزته . وقال للرسول : قل له أردت أن تُكذِّبَنَا وتُصدِّقَ نَفْسَكَ .
فمضى الرسول فليحظه وقد نزل على ماء يتغذى عليه ، فأبلغه رسالته ، ودفع إليه
الجائزة فقال : قل له : قد صدَّقَنِي اللهُ وكذَّبَكَ .

قال يحيى : وفرض له فريضتين كنت أنا في إحداها .
مر ابن عائشة الغني بعروة بن أذينة فقال له : قل أبياتا هزجا أغني فيها فقال له :
اجلس وقال :

سُلَيْمِي أَجَمْتُ بَيْنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا
وقد قالت لأثرابٍ لها زهر تلاقِينَا
تَمَآلَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعِيشُ تَمَآلَيْنَا
فغاب البرم الليل ة والعين فلا عِينَا
فأقبلن إليها مُدَّ رِعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا
إلى مثل مَهَابِ الرَّمَّةِ لَتَكْسُوَ الْمَجْلِسَ الزِينَا
تَمَنَيْنَ مُنَاهُنَ فَكُنَّا مَا تَمَنَيْنَا

فرواها ابن عائشة لما سمع قوله :

تَمَنَيْنَ مُنَاهُنَ فَكُنَّا مَا تَمَنَيْنَا

ثم قال : يا أبا عامر تمتك لما أقبل ببحرك وأدبر ذكرك .

وقفت سَكِينَةُ بنتُ الحسين ، رضى الله عنه ، على عروَةَ بن أُذينة في موكبها وجواربها ، فقالت : يا أبا عامر أنت الذى تزعم أن لك مروءةً ، وإن غزلكَ من وراء عِقةً ، وأنتك تَقِي . قال : نعم ، قالت : فأنت الذى تقول :

قالت وأبشَّتها وجدى فبَحْتُ به قد كنتَ عندى تحبُّ السَّترَ فاستترِ
أستَ تُبَصِّرُ مَنْ حَوْلِي فقلت لها غَطَّى هواك وما ألقى على بصرى
قال : بلى ، قالت : هن حرائرُ إن كان هذا خرج من قلبِ سليمٍ أو صحيح .

قال الزبير بن بكار : حدثني عمى قال : كان عروَةُ بن أُذينة نازلاً في العقيق ، في دار أبي فسمعه يُنشد :

إن التى زعمتُ فؤادك ملها	جعلت هواك كما جُمِلتِ هوًى لها
فبكَّ التى زَعمتَ بها وكلاهما	يُبْدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبُّك فوقها	يوماً وقد ضحيتُ إذا لأظلمها
وبيت بين جوانحي حُبُّ لها	أو كان تحت فراشها لأفلما
وإذا وجدتُ لها وساوسَ سلوةٍ	شفعَ الضميرُ إلى الفؤاد ^(١) فسَلما
بيضاء باكرها النعيم فصاغها	بلباقةً فأدقَّها وأجلما
لما عَرَضْتُ مسلماً لى حاجةٍ	أرجو معونتها وأخشى ذلها
منعتُ تحيَّتها فقلت لصاحبي	ما كان أكثرها لنا وأفلها
فَدَنَا وقال لعلها معذورة	من أَجْلِ رِقْبَتِها فقلت لعلها

قال : فأتى أبو السائب المخزومي ، وأنا في دارى بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدتُ لك حاجة ؟ قال : وكما تكون الحاجة . أبيات لعروَةَ بن أُذينة بلغنى أنك سمعتها منه . فقال له : وأية أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر ؟ قوله :

(١) شفعَ الفؤاد إلى الضمير (أغاني - مهذب) .

إن التي زعمت فؤادك ملها
فأنشدته فلما بلغت إلى قوله :

... .. فقلت لعلها

قال لي: أحسن والله :

إن كان أهلك يعمونك رغبةً عني فأهلي بي أضنُّ وأرغب
أذهب لا صاحبك الله ولا وسع عليك (يعني قائل هذا البيت) . لقد تعدى هذا
الأعرابي طوره ، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعني عروة) لحسن ظنه بها وطلبه
العدر لها . ثم عرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما
إلى الليل ، وانصرف .

لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده شيئا من شعره حتى أنشده :

سرى همى وهم الليل يسرى وغاب النجم إلا قيد فثر
أراقب في المجرّة كل نجم تعرّض للمجرّة كيف يجري
لهم ما أزال به مديما كأن القلب أضرم حرّ جمر
على بكر أخى ولّى حميدا وأى العيش يصفو بعد بكر

فقال ابن أبي عتيق : كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت ، فغضب
عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف لا يكلمه أبداً ، ومات متهاجرين .

أبو محجن الثقفي^(١)

هو عبدُ الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقْدَة بن عمرو بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف من المخضرمين الذين أدرَكوا الجاهلية والإسلام .
وهو شاعر فارس شجاع ، معدود في ذوى البأس والنجدة ، وهو من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها .

ولما كثر شربه الخمر ، وأقام عليه عمر ، رضى الله عنه ، الحد ، وهو لا ينتهى نقاء إلى جزيرة في البحر يقال لها حصوَضَى وبث معه حرسيا يقال له ابن جهراء ، فهرب منه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص وقال :

الحمد لله نجاني وسلمني ^(٢)	من ابن جهراء والبوصى قد حبسا
من يجشم البحر والبوصى مرَّ كبه	إلى حصوَضَى فبئس المركب التماسا
أبلغ لديك أبا حفص مُغْلَغَلَةً	عند الإله إذا ما غارَ أو جَلَسَا ^(٣)
أنى أكرُّ على الأولى إذا فزعوا	يوما وأحيسُ تحت الراية الفرسا
أغشى الهياج وتغشاني مضاعفة	من الحديد إذا ما بعضهم خنسا

وقيل : كان سبب نفيه أن أبا محجن هوى امرأة من الأنصار يقال لها شموس ، فحاول النظر إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فأجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها ، وأشرف من كوة في البستان فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشموسِ ودونها حَرَجٌ من الرحمنِ غيرُ قليلٍ

(١) أغاني ٢١ : ١٣٧ مهذب ٤٧/٢ تجريد ١٩٨٢ .

(٢) وخلصني (أغاني)

(٣) غار : أتى الغور ، وجلس : أتى نجدا .

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فنفاه إلى حضرة
مع ابن جهراء وقال له عمر : لا تدعه يخرج معه سيفاً ، فعمد أبو محجن إلى سيفه
فجعل نصله في غرارة ، وجفنه في غرارة أخرى ، فبهما دقيق ، فلما انتهى به إلى
الساحل وقرب البوصى ابتاع أبو محجن شاة وقال لابن جهراء هلم نتغذ . ووثب
إلى الغرارة كأنه يخرج منها دقيقاً ، فأخذ السيف ، فلما رآه ابن جهراء والسيف معه ،
خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر ، فأخبره الخبر . وأقبل أبو محجن إلى سعد
ابن أبي وقاص ، وهو يقاتل العجم يوم القادسية ، وبلغ عمر خبره فكتب إلى
سعد بحبس فحسه . فلما كان يوم قس الناطف ، والتحم القتال ، سأل أبو محجن
امراً سعد أن تعطيه فرس سعد وتحل قيده ليقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا
تبعه عليه ، وإن سلم عاد ، حتى يضع رجله في القيد ، فأعطيه الفرس ، وخلت سبيله
وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى بلاء حسناً إلى الليل ، ثم عاد إلى محبسه .

وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم أرمات ويوم الكتائب ، وهو أنه لما كان
يوم الكتائب اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما
قامت الشمس تراحم الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل ، وهذه الليلة التي كان في
صبيحتها يوم أرمات ، وقد كان المسلمون يوم أرمات أشرفوا على الظفر وقتلوا عامة
أعلام الفرس ، وجالت خيلهم في القلب ، فلولا أن رجلهم ثبتوا حين كرت الخيل
لكان رئيسهم قد أخذ لأنه كان يترل عن فرسه ، ويجلس على سريره ، ويأمر
الناس بالقتال ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وبات المسلمون ينتقمون منذ لدن
أمسوا وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده ، إن تم الناس على
الانتهاء فلا توقظني ، فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكثوا وسكت العدو فلا توقظني
فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتقمون ، وهؤلاء سكوت فأنبهني فإن انتهاء
العدو من السوء .

فلما اشتد القتالُ في تلك الليلة : كان أبو محجن في الحبس ، وهو وسعد في القصر ، فأراد أن يصعدَ إلى سعد فيستعفيه ويستقيله فهره وردّه ، فنزل وأتى سلمى بنتَ أبي حفصة ، فقال لها : يا بنتَ أبي حفصة هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تُخلّين عني ، وتعيريني اللقاء ، فله عليّ إن سَلَمَني اللهُ أن أرجعَ إلى حضرتك حتى تضي رجلي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا	وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قت عَنائي الحديدُ وأغلقت	مصاريعُ من دوني تُصمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوةٍ	فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شفَّ جسمي أنى كل شارقٍ	أعالج كَبَلاً مُصَمِّماً قد برانيا
فله دري يومَ أتركُ موثقاً	وتذهلُ عني أُسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحربِ العوانِ وقد بدتُ	وإعمالٍ غيري يومَ ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أخيسُ ^(١) بعهده	لئن فُرِجتُ ألا أزورَ الحوانيا

فقالت له سلمى : قد استبخرتُ الله تعالى ورضيتُ بعهديك فأطلقته . وقالت : أما الفرسُ فلا تقربها ورجعتُ إلى بيتها ، فخالفها أبو محجن إلى الفرس فأخذها ، وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق ، فركبها ثم دبَّ عليها ، حتى إذا كان بجيال اليمنة ، وأضاء النهارُ ، وتصافَّ الناسُ كثيرٌ ثم حمل على ميسرة القوم ، يلعب برُمحِهِ بين الصفين ، ثم رجع من خلفِ المسلمين إلى القلب ، فبدَّراً أمامَ الناس ، فحمل على القوم ، يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، وكان يقصف الناس أشدَّ قصف منكر ، فعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه ، ولم يروه بالأمس . فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هاشم بن عُتبَةَ ، أو هاشم نفسه . وقال قوم :

(١) يقال : خاس العهد وبالعهد : نقضه .

إن كان الخضرُ يشهدُ الحربَ فهو صاحبُ اللقاء . وقال آخرون : لولا أن الملائكةَ لا تباشرُ القتالَ ظاهراً لقلنا هذا ملكٌ بيننا . وجعل سعد يقول ، وهو مشرف : هذا أبو محجن ، وهذه اللقاء ، فلم يزل يقاتلُ حتى انتصف الليل ، فتحاجز الناس ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع عن نفسه السلاحَ وعن دابته وأعاد رجله في القيد ، وأنشأ يقول :

لقد عَلِمْتَ ثَقِيفٌ غَيْرُ فَخْرٍ	بأنا نحنُ أكرمُهم سيموا
وأكرمُهم دروعا سابغاتٍ	وأصبرُهم إذا كرهوا الوقوا
وأنا رِفْدُهم في كلِّ يومٍ	فإن جحدوا فسَلْ بهم عريفا
وليلة قادمٍ لم يشعروا بي	ولم أكره بمخرجي الصفوا
فإن أُحْبِسَ فقد عرفوا بلائي	وإن أُطْلِقَ أُجرُّهم حتوفا

فقلت له سلمى : يا أبا محجن في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنت صاحبَ شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعرُ على لساني فيبعثه أحياناً فحبسني لأنني قلت :

إذا مِتُّ فادفِنني إلى أصل كرمٍ	تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفِنني بالفلاة لأنني	أخاف إذا ما مِتُّ ألا أذوقها
لئروى بنجر الحصِّ لحي فإنني	أسير لها من بعد ما قد أسوقها

وكانت سلمى رأت من المسلمين جولةً ، وسعدُ بن أبي وقاص في القصر ، لعله كانت به ، لم يقدر على حضور الحرب ، وكانت قبلة عند المثنى بن حارثة الشيباني ، فلما قُتل خلف عليها سعدٌ ، فلما رأت شدة البأس صاحت وأمّثناه ولا مثنى اليوم فلطمها سعد ، فقالت : أفلك أجبناً وغيره ؟ وكانت مغاضبته ليلة أرماث ، وليلة الهدّة ،

وليلة السواد ، فلما أصبحت أتته فصالحته ، وأخبرته خبر أبي محجن ، فدعاه وأطلقه .
وقال : اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله فقال لا جرم ، والله لا خبثت
لساني إلى صفة قبيح أبداً .

وكان أبو محجن كلما أتى إلى سعد بن أبي وقاص شاربا يتهدده فيقول : لست
تاركها لإله ، فأما لقولك فلا ، فأثنى به يوم القادسية وقد شرب فأمر به إلى القيء ، وكانت
بسعد جراحة فلم يخرج للناس ، وجرى لأبي محجن ما تقدم ذكره .

وقيل : إن أبا محجن لما قال له سعد : لست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . قال :
قد كنت أشربها وكان الحد يقام على وأطهر منها فأما إذ نهيتني فلا والله لا أشربها
أبداً وقال :

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الإسلام والخرج
فقد أبأكرها صرفاً وأمزجها رباً وأطرباً أحياناً وأمتزج
وقد تقوم على رأسي منعمة فيها إذا رفمت من صورتها غنج
ترفع الصوت أحياناً وتخفيه كما يطن ذباب الروضة الهزج

وقال المفضل : إن الناس لما التقوا بالأعاجم ، يوم قس الناطف ، [كان مع الأعاجم
فيل ^(١)] يكر عليهم فلا تقوم له الخيل . فقال أبو عبيدة بن مسعود : هل له مقتل ؟
ف قيل : نعم خرطومُه ، إلا أنه لا يُفليت منه من ضرب به . قال : فأنا أهب نفسي لله ،
وكمّن له حتى إذا أقبل وسامته ^(٢) ف ضرب خرطومَه بالسيف ، فرمى به ، وشدّ عليه
الفيل فقتله . ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا : فرثاء أبو محجن بأبيات :

(١) بياض في الأصل وما بين القوسين عن الأغاني ٢١ : ١٤١ .

(٢) سامته : قابله ووازاه .

دخل ابنُ أبي محجنٍ الثَّقَفِيَّ على معاوية فقال له : أليس أبوك الذي يقول :
إذا مت فادْفِنْنِي إلى جنبِ كَرَمَةٍ الأبيات
فقال له ابنُ أبي محجنٍ : لو شئتُ لذكرتُ له ما هو أحسنُ من هذا من شعره .
قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألي اليوم عن مالي وكثرته	وسألي الناس ما فعلني وما خلقي
أعطى السَّنانَ أَمَامَ الرُّوعِ حِصَّتَهُ	وعاملَ الرُّمَحِ أرويه من العَلَقِ
وأطعنُ الطُّعنةَ النُّجلاءَ عن عُرْضِ	وأحفظُ السَّرَّ فيه ضربةَ العَنَقِ
عَفُّ المَطالِبِ عما لستُ نائله ^(١)	وإن ظَلِمْتُ شديدُ الحَقْدِ والحنَقِ
وقد أجود وما مالي بذى قَنَعِ ^(٢)	وقد أَكْرَ وراءَ المَحْجِمِ الفَرَقِ ^(٣)
والقوم تعلمُ أني من سرائهم	إذا سما بصرُ الرُّعْدِ يدُ الشَّقِّ
قد يُعَسِّرُ المرءَ حيناً وهو ذو كرم	وقد يثوب ثوابُ العاجِزِ الحَمِقِ
سيكثرُ المالُ حيناً بَعْدَ قَلَّتِهِ	ويكتسى العودُ بَعْدَ اليَبَسِ بالورقِ

فقال له معاوية : إن كنا أسأنا إليك القولَ لنُحَسِّنَنَّ لك الصَّفَدَ^(٤) . ثم أجزلَ
صَلَتِهِ ، وقال : إذا حَبِلَتْ وَوَلَدَتِ النساءُ فَلْتَلِدَنَّ مِثْلَكَ .

أتى عمر رضي الله عنه بجماعة ، منهم أبو محجن ، وقد شربوا الخمرَ فقال : أشرِبتم
الخمرَ بعد أن حَرَّمها الله تعالى ورسولُهُ ؟ فقال : ما حَرَّمها الله ولا رسولُهُ ، إن الله
عز وجل يقول : « ليس على الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إذا
ما اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فقال عمر لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلَفوا فيهم

(١) في الأصل : قائله .

(٢) القنع : الجود الكثير ، الفضل الواسع ، الكثير من كل شيء .

(٣) وقد أَكْر وراءَ الحجرِ البرقِ (أغاني) .

(٤) الصغد : العطاء — وكانت العبارة في الأصل (لنحسن إلى الصفة) والتصويب عن الأغاني .

خُبِثَ بِهِمْ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَشَاوَرَهُ فَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَمَا يَقُولُونَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِيلُوا الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ ، فَسَكْتُوا . فَقَالَ عُمَرُ لَعَلِّي : مَا تَرَى فِيهِمْ ؟ فَقَالَ : أَرَى إِنْ كَانُوا شَرَبُوهَا مُسْتَحِيلِينَ لَهَا أَنْ يَقْتُلُوهَا ، وَإِنْ كَانُوا شَرَبُوهَا وَهُمْ مُوقِنُونَ أَنَّهَا حَرَامٌ ، فَعَلَيْهِمُ الْحُدُ . فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا شَكَكْنَا فِي أَنَّهَا حَرَامٌ ، وَلَكِنْ قَدَّرْنَا أَنْ لَنَا نَجَاةٌ خِيَا قُلَانَا . فَجَعَلَ يَمُحُّهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، وَهُمْ يُخْرِجُونَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا جَلَدَهُ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَمْشُرُ بِالْفَتَى	وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ صَرْفَ الْقَادِرِ
ضُرِبْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ وَلَمْ أَكُ جَازِعًا	لِحَادِثِ دَهْرٍ فِي الْحُكُومَةِ جَائِرِ
وَإِنِّي لَدُو صَبْرٍ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي	وَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرِ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا	نِخْلَانُهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاوِرِ

فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ قَوْلَهُ :

..... ولست عن الصهباء يوما بصابر

قَالَ : قَدْ أَبَدَيْتَ مَا فِي نَفْسِكَ وَلَازَيْدَتَكَ عَقُوبَةً ، لِإِصْرَارِكَ عَلَى شَرْبِ الْخَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعَاقِبَ رَجُلًا قَالَ : لِأَفْعَالِنِ وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشُّعْرَاءِ : « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » فَقَالَ عُمَرُ : « قَدْ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ قَوْمًا ، فَقَالَ : إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَفَهُؤُلَاءِ عِنْدَكَ مِنْهُمْ ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَشْرَبُ [الْعَبْدُ] الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ .

حَدَّثَ مِنْ مَرَّةٍ بِقَبْرِ أَبِي عَجْنٍ فِي نَوَاحِي أَذْرَبَيْجَانِ ، أَوْ قَالَ : نَوَاحِي جَرَجَانِ .
قَالَ : رَأَيْتُ قَبْرَهُ وَقَدْ نَبَتَ حَوْلَهُ ثَلَاثَةُ أَصُولِ كَرْمٍ ، وَقَدْ طَالَتْ فَأَثْمَرَتْ ، وَهِيَ
مُعَرَّشَةٌ عَلَى قَبْرِهِ ، مَكْتُوبٌ : هَذَا قَبْرُ أَبِي عَجْنٍ الثَّقَفِيِّ ، فَوَقَفْتُ طَوِيلًا أَنْتَجِبَ
مِمَّا اتَّفَقَ لَهُ حَتَّى صَارَ كَأَمْنِيَّتِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا مِتَ فَأَذْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَتِي تَرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروَقَهَا

عويّف القوافي^(١)

هو عُوَيْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ حِصْنٍ .

وقيل ابن عُقْبَةَ بْنِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جُوَيْبَةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدَى بْنِ فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضٍ بْنِ رَيْثٍ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ .

شاعرٌ مُقَلِّدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مِنْ سَاكِنِي الْكُوفَةِ ، وَبَيْتُهُ أَحَدُ الْبَيْوتَاتِ الْمَقْدَمَةِ الْفَاخِرَةِ فِي الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعُدُّ الْبَيْوتَاتِ الْمَشْهُورَةَ بِالْكَبْرِ وَالشَّرَفِ مِنَ الْقَبَائِلِ ، بَعْدَ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فِي أَرْبَعَةِ بَيْوتٍ :

أُولَاهَا بَيْتُ آلِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، بَيْتُ قَيْسٍ ، وَبَيْتُ آلِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسِ الدَّارِمِيِّينَ^(٢) ، بَيْتُ تَمِيمٍ .

وبَيْتُ [آلِ] ذِي الْجَدَيْنِ [بن]^(٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَامٍ ، بَيْتُ شَيْبَانَ .

وبَيْتُ بَنِي الدِّيَّانِ ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، مِنْ الْيَمَنِ . فَأَمَّا كَنْدَةُ فَلَا يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْوتَاتِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا مَلُوكًا .

قال كسرى للنعمان : هل للعرب قبيلةٌ تُشْرَفُ عَلَى قَبِيلَةٍ ؟ قال : نعم قال : بأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثةُ آبَاءٍ متواليَةٍ رؤساءَ ، ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكُلِّ الرَّابِعِ ، وَابْتَدَأَ مِنْ قَبِيلَتِهِ فِيهِ . قال : فأطلب لي ذلك ، فطلبته فلم يجدته إلا في بَيْتِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بَيْتِ قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَآلِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ ، بَيْتِ تَمِيمٍ . وَآلِ ذِي الْجَدَيْنِ بَيْتِ شَيْبَانَ ، وَآلِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ بَيْتِ كَنْدَةَ .

(١) الأغاني ١٧ : ١٠٥ المذهب ٦٩/٤ . تجريد ٢٠٢٧

(٢) في الأصل : ابن عبد الدار .

(٣) في الأصل : بيت ذى الجد بن عبد الله ، والتصويب وماين القوسين عن الأغاني .

قال : جَمَعَ هؤلاء الرهط ، ومن تبعهم من عشائهم ، فأقدم لهم الحكماء
العدول ، وأقبل من كل واحد منهم شاعرٌ وقيل لهم : ليتكلم كل رجل منكم
بمآثر قومه وفعله لهم ، وليقل شاعرهم فليصدق . فقام حذيفة بن بدر وكان ألسنهم
وأجزلهم مقدما فقال :

[لقد] علمتُ معداً أن فينا الشرفَ الأقدمَ والعزَّ الأعظمَ ومآثر الصنيع
الأكرم . فقال من حوله : ولمَ ذاك يا أخا بني فزارة ؟ قال : ألسنا الدعائم التي
لا ترام والعزَّ الذي لا يُضام . قيل له : صدقت .

ثم قام شاعرهم فقال :

فزارةُ بيتُ العزِّ والعزِّ فيهمُ	فزارةُ قيسٍ حَسْبُ قيسٍ نِضالُها ^(١)
لها العزةُ القعساءُ والحسبُ الذي	بناه لقيسٍ في القديم رجالُها
فمن ذا إذا مَدَّ الأكفُّ إلى العلا	يمدُّ بأخرى مثلها فينالُها
فهيئات قد أعيَا القرونَ التي مضتْ	مآثرُ قيسٍ مجدُّها وفعلُها
وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكفَّهُ	إلى الشمسِ في تجرى النجومِ ينالُها
فإن تصلحوا نصلحْ كذاك جميعُنا	وإن تفسدوا يفسدْ على الناسِ حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس يُعَدُّ مآثرَ كِنْدَةَ ، وإنما أذن له قبل ربيعة وتميم
لقرابته من النعمان .

وقام بعده بسطام بن قيس يُعَدُّ مآثرَ ربيعة .

وقام بعده حاجبُ بن زرارة يُعَدُّ مآثرَ معد . فقام بعده قيس بن عاصم . فقالوا
نثرا ونظما .

فلما سمع ذلك كسرى منهم ومن شعرائهم ، قال : ليس منكم إلا سيدٌ يَصْلُحُ
لموضيعه . وأسنى جوائزهم وصرْفهم .

(١) في الأصل : حيث قيس نصالها بالصاد ، وهذه عن الأغاني .

وسمى عُوَيْفَ القوافى لبيت قاله :
سأُكْذِبُ من قد كان يزعم أنني إذا قلتُ قولاً لا أُجيدُ القوافي
فسمى عُوَيْفَ القوافى .

ووقف على جرير بن عبد الله البجلي ، وهو في مجلسه ، فقال :
أَصْبُ على بجميلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيبُ
فقال له جرير : ألا أشتري منك أعراضَ بجميلة ؟ قال : بلى . قال : بكم ؟ قال :
بألف درهم وبرذون . فأمر له بما طلب . فقال له :
لولا جريرٌ هلكتُ بجميلة نِعَمَ الفتى وبُشَّتِ القبييلة
فقال له جرير : ما أراهم نجواً منك بعد .

حدث جماعة من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجل من قادة^(١) بني عبد الملك
ابن مروان أنفَسَ على قومه ولا أحسدَ لهم^(٢) من الوليد بن عبد الملك بن مروان ،
أذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدَرَ بين يديه عُوَيْفُ
القوافى الفزاري فاستأذنه في الإنشاد ، فقال : ما أبقيت لي بعد ما قلت في أخي زهرة^(٣)
ما قلت . قال : وما قلت له مع ما قلت لأمر المؤمنين ؟ قال : ألسن الذي تقول له :
يا طَلَحَ أنت أخو الندى وحليفه إن الندى من بعد طلحة ماتا
إن الفمالي إليك أطلق رَحْلَه فبحيثُ بُتَّ من المنازل باتا
أو لست الذي تقول له :
إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عوف^(٤) ذريعَ الموتِ ليسَ له شفاء

(١) ولاة (أغاني) .

(٢) في الأصل : آخذ لهم .

(٣) لأخي بني زهرة (أغاني)

(٤) رواية الشطر الأول في الأغاني : تساقى الناس بعدك يا ابن عوف .

أَلَمْ تَقُمْ عَلَيْكَ السَّاعَةُ يَوْمَ قَامَتْ عَلَيْهِ . لَا وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ مِنْكَ شَيْئًا ، وَلَا أَنْفَعُكَ
بِنَافِعَةٍ أَبَدًا ، أَخْرِجُوهُ عَنِّي . فَقَالَ لَهُ الْقَرَشِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ : وَمَا الَّذِي أَعْطَاكَ طَلْحَةً
حَتَّى اسْتَخْرَجَ هَذَا مِنْكَ ؟ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَطِيَّتِهِ ،
وَلَكِنْ لَا وَاللَّهِ ، مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ قَطُّ أَجَلَ فِي قَلْبِي ، وَلَا أَبْقَى شُكْرًا ، وَلَا أَجْدُرَ إِلَّا
أَنْسَاهَا مَا عَرَفْتُ الصَّلَاتِ [مِنْ عَطِيَّتِهِ] ^(١) قَالُوا : وَمَا أَعْطَاكَ ؟ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ
وَمَعِيَ بُضَيْعَةٌ ^(٢) لَا تَبْلُغُ عِزْمَهُ أُرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَ قَعُودًا مِنْ قُعْدَانِ الصَّدَقَةِ فَإِذَا رَجُلٌ
بِصَحْنِ السُّوقِ ، عَلَى طَنْفَسَةٍ قَدْ طَرَحَتْ لَهُ وَإِذَا ^(٣) النَّاسُ حَوْلَهُ وَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِبِلٌ مَعْقُولَةٌ ،
فَظَنَنْتُ أَنَّهُ عَامِلُ السُّوقِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَثْبَتَنِي وَجَهَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبِي رَحِمَكَ اللَّهُ ،
هَلْ أَنْتَ مَعِينِي بِنَظَرِكَ عَلَى قَعُودٍ مِنْ هَذِهِ الْقُعْدَانِ تَبْتَاعُهُ لِي ؟ فَقَالَ : نَعَمْ أَوْ مَعَكَ
ثَمَنُهُ ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ . فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ بُضَيْعَتِي ، فَرَفَعَ طَنْفَسَتَهُ فَأَلْقَاهَا تَحْتَهَا ،
وَمَكَثَ طَوِيلًا ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ انْظُرْ فِي حَاجَتِي . فَقَالَ : مَا مَنَعَنِي مِنْكَ
إِلَّا الْاَنْسِيَانِ ، أَمَعَكَ حَبْلٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَقَالَ : هَكَذَا ، أَفْرِجُوا فَأَفْرِجُوا حَتَّى اسْتَقْبَلَ
الْإِبِلَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : اقْرَأْ هَذِهِ ، وَهَذِهِ ، وَهَذِهِ ، فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى أَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ بَكْرَةً
[أَدْنَى بَكْرَةٍ فِيهَا وَلَا دَنِيَّةَ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ بَضَاعَتِي] ^(٤) ثُمَّ رَفَعَ طَنْفَسَتَهُ ، فَقَالَ :
شَأْنُكَ بِضَاعَتِكَ ، فَاسْتَعْنِ بِهَا عَلَى مَنْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : أَيُّ رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنْتَ تَدْرِي
مَا تَقُولُ ؟ فَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ إِلَّا نَهْرُنِي وَشَتْمُنِي ، ثُمَّ بَعَثَ مَعِيَ ثَقْرًا فَأَطْرَدُوها حَتَّى أَطْلَعُوها
فِي رَأْسِ الثَّنِيَّةِ . فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا دُمْتُ حَيًّا أَبَدًا .

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ (مَضِيْعَةٌ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : (أَزْوَاد) .

(٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي .

قال أبو موسى الأشعري: حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازةً فأنصرفت معه ،
وعليه عمامة قد سدّ لها من خلفه فما علمت به حتى اعترضه رجل على بيع فصاح به :
أَجِبْنِي أبا حفص لَقِيتُ محمداً على حَوْضِهِ يَسْقِي به وَيَرَاكَ^(١)
فقال له عمر: كَبَيْتُكَ ، ووقف ووقف الناس معه ، ثم قال له : فَمَهْ . فقال :
فَأَنْتَ امرؤُ كَلْتَا يَدَيْهِ مفيدة شمالك خيرٌ من يمينِ سِوَاكَ
قال : ثُمَّ مَهْ ؟ فقال :

بَلَعْتَ مَدَى الْمَجْرَيْنَ قَبْلَكَ أَنْ جَرَوْا وَلَنْ يَدْرِكَ الْمَجْرُونَ بُعْدَ مَدَاكَ
فَجَدَّكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمُ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ
فقال عمر : لَا أَرَاكَ إِلَّا شَاعِراً ، مَا لَكَ عِنْدِي مِنْ حَقٍّ . قال : لَا ، وَلَكِنِّي سَائِلٌ
وَابْنُ سَبِيلٍ وَذُو نَهْمَةٍ . فالتفت عمر إلى قَهْرْمَانِهِ فقال : أَعْطِهِ فَضْلَ تَفَقَّتِي ، فَإِذَا هُوَ
عَوِيفُ الْقَوَافِي .

وكانت أختُ عويف القوافي عند عُيَيْنَةَ بن أسماء بن خازجة فطلّقها وكان عويفُ
مراغماً لِعُيَيْنَةَ . فقال : الْحَرَّةُ تُطَلِّقُ لغير ما بَأْسٍ . فلما حَبَسَ الْحِجَابَ عُيَيْنَةَ وَقَيْدَهُ
قال عويف :

مَنْعَ الرِّقَادَ فَمَا يُحَسِّ رِقَادُ	خَبِرْتُ أَنَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ ^(٢)
خَبِرْتُ أَنَاكَ عَنْ عَيْنَةٍ مَوْجِعُ	وَلِثْلِهِ تَقْصَدُ الْأَكْبَادُ
بَلَعَ النَّفُوسَ بِلَاؤُهُ فَكَأَنَّمَا	مَوْتِي وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
سَاءَ الْأَقَارِبَ يَوْمَ ذَاكَ فَأَصْبَحُوا	بِهَجِينٍ قَدْ سَرَوْا بِهِ الْحَسَادُ
يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدَّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ	لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارَهُ بِادُوا

(١) رواية الشطر الثاني في الأغاني :

على حوضه مستبشراً ورآكَ

(٢) رواية الحماسة : ذهب الرقاد . . . مما شجأك ونامت العود

لما أتاني عن عَيَّنة أنه عان^(١) عليه تظاهر الأفياد
نَخَلَتْ له نفسى النصيحة أنه عند الشدائد تذهب الأحقاد
وذكرت أى فتى يسد مكانه بالرِّفْد حين تقاصر الأرفاد
أم من يهين لنا كرائم ماله ولنا إذا عُدنا إليه معاد
لو كان من حَضَن تضائل ركنه أو من نضاد بَكَت عليه نضاد

سأل عوفى القوافى فى جمالة ، فمر به عبدُ الرحمن بنُ محمد بن مروان ، وهو
حديث السن ، فقال له : لا تسأل أحداً وصير إلى أكفك . فأتاه فاحتملها أجمع . فقال
يمدحه :

غلامٌ رماه الله بالخير يافعا له سيمياء لا تشقُّ على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشَّمرى وفى أنفه القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل واتزر
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذلٍ ولو شاء لا تنصر
دعانى فآسانى ولو صدَّ لم يُلمَّ على حين لا بادٍ يرجى ولا حضر

قال أبو زيد : وهذه الأبيات تمثل بها عوفى وإنما هى لابن عنقاء الفزارى ،
يقولها لابن أخ له . وكان قومٌ من العرب أغاروا على نَعم ابن عنقاء ، فاستاقوها ، حتى
لم يبق له شيء ، فأتى ابن أخيه فقال له : يا ابن أخى قد نزل بعمك ما ترى ، فهل
من حلوبة ؟ قال : نعم يا عم ، اصبر حتى يروح المال ، وأبلغ مروان ، فلما راح قاسمه إياه
وأعطاه شطره . فقال فيه هذه الأبيات .

ولما مات سليمان بن عبد الملك وولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه عوفى
القوافى ، وأنشده :

(١) أمسى (الحاسة) .

لاح سحابٌ فرأينا بَرَقَه ثم تدانى فسمعنا صَعَقَه
 وراحت الريح تَزَجِّي بُلُقَه ودُهمَه ثم تَزَجِّي وَرُقَه
 ذاك سَقَى قَبْرًا فَرَوَّى وَدَقَه قبر امرئ^(١) عَظَمَ رَبِّي حَقَه
 قَبْرَ سليمان الذي مَنَّ عَقَه جَحَدَ الخَيْرِ الذي قد بَقَه
 في المسلمين^(٢) جِلَه. ودِقَه فارق في الجحودِ منه صِدَقَه^(٣)
 قد ابتلى الله بِخَيْرِ خَلَقَه ألقى إلى خَيْرِ قَرِيشٍ وَسَقَه
 سُمِّيتَ بالفاروق فافرُق فرَقَه وارزق عيال المسلمين رِزَقَه
 واقصد إلى الجود ولا تَوَقَه بَحْرُك عَذْبُ الماء ما أَعَقَه
 رِيْثُكَ وَالْمَحْرُومُ من لَمْ يُسَقَه

فقال عمر : لسنا من الشعر في شيء ، وما لك في بيت المال من حق ، فألح عوف
 يسأل ، فقال : يا مزاحم ، انظر ما بقي من أرزاقنا فشاطره إياه ، ونحن نصبر على الضيق
 إلى وقت العطاء ، فقال له عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك : بل نُوفِّرُ على أمير
 المؤمنين ، وعلى رضاء الرِّجُل . فقال : وما أولاك بذلك ، فأخذ بيده وانصرف وأعطاه
 حتى رضى .

(١) في الأصل قبرا ثوى .

(٢) في العالمين (الكامل) والجل بكسر الجيم الكبير ، والدق بكسر الدال الصغير .

(٣) روى الكامل مكان هذا البيت :

لا ابتلى الله بخير خلقه

وجاء بعده : وكادت النفس تساوى خلقه (الكامل ج ٢ / ٢١٤ مطبعة أزهرية) .

عبد الله بن جحش^(١)

كان بالمدينة امرأة يقال لها صهباء، من أحسن الناس وجها . وكانت من هذيل، فتزوجها ابن عم لها، فمكث حيناً معها لا يقدر على اقتضاها لارتقاها فأبغضته وطالبته بالطلاق، فطلقها. وأصاب الناس مطر شديد في الخريف، فسال العقيق سيلاً عظيماً، فخرج أهل المدينة، وخرجت صهباء معهم، فصادت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة، فرآهم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء، وقد تفرق الناس وخفوا فاجتاز عليها ابن جحش، فرآها فتهاك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها قطنه كانت تداخل القرشيات وغيرهم، فلقبها ابن جحش، فقال لها : اخطبي عليّ صهباء، فقالت له : قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه، ولا أراهم يختارونك عليه، فشتمها ابن جحش وقال لها : كل مملوك لي حر إن لم تحمالي لي فيها حتى أتزوجها، لأضربنك ضربة بالسيف، وكان مقداما جسوراً، ففزعت منه ودخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء : ما له فارقها ؟ فقالت : لم يقدر عليها، فقالت، وأسمعت صهباء : إن هذا ليعترى^(٢) كثيراً من الرجال، ولا ينبغي أن تقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه، والله لو كان ابن جحش لثقبها ثقب اللؤلؤ ولو رُتقت بحجر، ثم خرجت من عندها، فأرسلت إليها صهباء أن مري ابن جحش فليخطبني، فلقبته فأخبرته الخبر فخطبها وأنعمت له، وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة، وأبت هي إلا ابن جحش، فتزوجته ودخل بها، وافتضها، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها :

(١) أغاني ١٧ / ١١٨ . تجريد ٢٠٣١

(٢) في الأصل التعزير وما أثبتناه عن الأغاني .

نعم الضجيجُ إذا النجوم تَفَوَّرَتْ بالغور أولاها على أخراها
عذبٌ مَقْبَلُها وثيرٌ رَدْفُها عبلٌ شواها طيِّبٌ مَجْنَاهَا
صهبا يطويها الضجيجُ لجنبها ملٌ الجمالة لَيْنٌ متناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها في الجوف شهوة ريمها وجناها
يا دارَ صهبا التي لا أنتهى عن ذكرها أبداً ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان مُعْجَباً بشعر عبد الله بن جحش ، فكتب إليه يأمره
بالقدوم عليه ، فورد كتابه وقد توفى ، فقال إخوانه لابنه : لو شخصت إلى أمير
المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفعك ، ففعل فبينما هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب
الإذن ، فهم بالرجوع ، ثم مضى لوجهه ، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه ،
فأخبره بوفاته ، فسأله عن كتابه ، فأخبره بضياعه ، فقال أنشدني في قول أبيك :

هل يبلغنها السلام أربعة منى وإن يفعلوا فقد تفعوا
على مِصَكَّيْنِ^(١) من جاهلهم وعنتريسين فيهما سطع
قرب جيراننا جاهلهم صبيحا فأضحوا بها قد انتجعوا
ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة قد طلعا
قد كان قلبي والمين تبصرهم لما تَوَلَّوْا للبين ينصدع
ساروا وخلفت بعدهم دنقا أليس بالله بئس ما صنعوا

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، قال : لا عليك أنشدني قول أبيك :
وماذا كثرة الجيران تغنى إذا ما بان من أهوى فسارا

(١) المصك : القوى من الناس وغيرهم . .

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، قال : ولا عليك ، أنشدني قوله :
يا دار صهباء التي لا أتتهى عن ذكرها أبدا ولا أنساها^(١)
قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، وأن هذه صهباء لأتت ، قال : لا عليك ،
قد يتنقص الرجل أن يشبب بأمه ولكن إذا شبب بها غير أبيه ، فأف لك ورحمة
الله على أبيك فقد ضيعت [أدبه وعقته إذ لم ترو شعره]^(٢) اخرج فلا شيء لك عندنا .

(١) رواية البيت في الأغاني :

دار لصهباء التي لا يئثني عن ذكرها قلبي ولا أنساها

(٢) جاء النص عرقا تحريفا شديدا وما أثبتناه بين القوسين عن الأغاني .

عبدُ الله بن العباس الربيعي^(١)

هو عبدُ الله بن العباس الربيعي بن الفضل بن الربيع ، والربيعُ على ما يدَّعيه أهله [ابن]^(٢) يونس بن أبي فروة ، وقيل إنه ليس ابنه . وآلُ أبي فروة يدفعون ذلك ، ويَزعمون أنه لقيط ، وجد منبوذاً ، فكفله يونس بن أبي فروة . ورباه ، فلما خَدَم المنصورَ ادَّعى إليه ، وكذبه عبدُ الله بن العباس .

وكان عبدُ الله شاعراً مطبوعاً ، مغنياً حسن الصنعة والخلق والرواية ، حلوا الشعر ظريفه ، ليس من الجيد الجزل ولا الرذول ، ولكنه مليحُ المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم .

قال عبدُ الله بن العباس : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثق ، وأنا بين يديه أُغنيّه ، وقد استعادني صوتاً مراراً ، وهو يستحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك : هذا يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه ، وإصغائك إليه ، قال : أجل ، هذا مولاي وابنُ مولاي لا تعرفون غير ذلك . فقال له : ليس كلُّ مولى ، يا أمير المؤمنين ، مولى لمواليه ، ولا كلُّ مولى يتجمل بولائه ، ولا كلُّ مُتَجَمِّل بولائه يجمع ما جمعه عبدُ الله من ظرفٍ أدبٍ وصحةٍ عقلٍ وفضلٍ وعلمٍ وجودةٍ شعر . فقال له : صدقت يا محمد . فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكرًا لحسنِ محضره فقلت في أضماف كلامي : وأفرط الوزيرُ أعزّه الله في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر ، وليس ذلك عندي ، وإنما أعبت بالبيتين والثلاثة

(١) الأغاني ١٧ : ١٢١ . تجريد ٢٠٣٣

(٢) في الأصل (أهل يونس) وما أثبتناه عن الأغاني .

ولو كان عندي أيضاً شيء من ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ، ومجمله في هذا الباب
 المحل الرفيع المشهور ، فقال : والله يا أخى لو عرفت مقدار قولك :
 يا شادنا رام إذ مررت في الشمانين قتلى
 يقول لى كيف أصبحت كيف أصبح مثلى
 لما قلت هذا القول ، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك :
 كيف يصبح مثلى
 لكنت شاعراً مجيداً .

وكان عبدُ الله بن العباس يقول : أنا أول من غنى بالكسكة في الإسلام
 وصنعت عليها :

أتانى يؤمرنى بالصبر ح [ليلاً] فقلت له غادها^(١)
 قال : وكان سبب دخولي في الغناء وتعليمي إياه أنني كنت أهوى جاريةً لعمتي
 رُقِيَّة بنت الفضل بن الربيع ، وكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها ، خوفاً
 من أن يظهر مالها عندي ، فيكون ذلك سبباً مني منها ، فأظهرت لعمتي أنني اشتغيت
 أن أتعلم الغناء ، ويكون ذلك في ستر عن جدتي ، ولعمتي من الرقة والمحبة لي على
 حال لا نهاية وراءها ، لأن أبي توفي في حياة جدتي الفضل . فقالت : يا بني .
 وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوة غلبت على قلبي إن مُنعتُ منها مت غماً . وكان
 لي في الغناء طبع قوى فقالت لي : أنت أعلم وما تختاره^(٢) ، والله ما أحبُّ منعك عن
 شيء ، وإنى لكارهة أن تحذق في ذلك وتشتهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك
 فقلت : لا تخاف من ذلك ، فإنما آخذُ منه مقداراً ما أهو به ، ولازمتُ الجاريةَ لمحبتى

(١) الشطر الثاني عن الأغاني — وقد جاء في الأصل هكذا : فقلت له . . . عاها .

(٢) في الأصل : أنت أعلم يوماً تختاره ، والتصويب عن الأغاني .

إياها بِعِلَّةِ الغناء ، فكنت آخذُ عنها وعن صويحباتها ، حتى تقدمتُ الجاريةَ حَذَقًا وأقرتُ لى بذلك ، وبلغتُ ما كنتُ أريدُ من أمر الجارية ، وصرتُ أُلَازِمُ مَنْزِلَ جدى ، فكان يُسرُّ بذلك ويظنُّه تَقَرُّبًا مِنى إليه ، وإنما كان وكدى^(١) فيه أخذُ الغناء فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا لابن دحمان ولا لغيرهم صوتٌ إلا أخذته ، وكنت سريعَ الأخذ ، وإنما كنتُ أسمعُه مرتين أو ثلاثا ، وقد صحَّ لى وأحسستُ من نفسى قوَّةً فى الصنعة فصنعتُ أوَّلَ صوتٍ صنعتُه فى شعر العرجى :

أماطتُ كساء الخزع عن حُرٍّ وجهها	وأذنتُ على الخدين بُرداً مُهلها
من اللاء لم يَحْجُجْجُنْ يَبْغِينِ حِسْبَةً	ولكن ليَقْتُلَنَّ البرىء المَغْفلًا
وترمى بعينها القلوبَ ولا ترى	لها رَمِيَّةً لم تُصمِ مِنْهُنْ مَقْتَلًا

ثم صنعتُ :

أَقْفَرُ مِنْ بَعْدِ حِلِّهِ سَرْفُ فالنحنى فالعقيقُ فالجرفُ

وعرضتها على الجارية التى أهواها ، وسألتها عما فيها ، فقالت : لا يجوز أن يكون فى الصنعة فوق هذا .

وكانت جوارى الحارث بن حجير بن بحر ، وجوارى محمد ، يدخلن إلى دارنا فيَطْرَحُنْ على جوارى عمى وجوارى جدى ، ويأخذن أيضا ما ليس عندهن من غناء دارنا ، فسمعنى ألقى هذين الصوتين على الجارية فأخذتُهما مِنى وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتُهن أنهما من صنعتى ، فسألتهما أن تُصَحِّحَهُمَا لهن ، ففعلتُ ثم اشتهرا حتى بلغا الرشيد ، فقضى بهما بين يديه يوما ، فاستظرفهما واستخفهما ، وسأل إسحاق : هل يعرفهما ؟ فقال : لا أعرفهما ، وأنهما لمن حسن الصنعة وجيدها . ثم سأل الجارية عنهما فوقفت ، خوفا من عمى ، وحذرا أن يبلغ جدى ، أنها ذَكَرْتَنى

(١) الوكد : القصد .

فانتهرها الرشيد ، فأخبرته القصة ، فوجه من وقته ، فدعا جدى ، فلما أخضره قال :
يا فضل ، أياكون لك ابنٌ يغنى ، ثم يبلغ فى الغناء المحل الذى يُمكِّنه أن يصنعَ
صوتين يستحسنهما إسحاق وسائرُ المغنين ويتداولهما جوارى القيان ، ولا تُعلمنى
بذلك ، كأنك رفعتَ قدره عن خدمتى فى هذا الشأن ، فقال له جدى : وحقَّ نعمتك
وولائِكَ يا أمير المؤمنين ، وإلا فأنا برىء من نعمتك وعلى العهد والميثاق والعق
والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا قط إلا منك الساعة ، فمن هذا من ولدى ؟
قال : عبدُ الله بن العباس ، فأخضرنيهِ الساعة ، فجاء جدى وهو يكادُ أن ينشقَّ
غَيْظًا ، فلما خرجت إليه شتمنى ، وقال : يا كلب بلغ من أمرِكَ ومقدارِكَ أن تجسِرَ
على أن تتعلم الغناء بغير أمرى ، ثم زاد ذلك حتى صنعت ، ولم تقنع بذلك حتى ألقيت
صنعتك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتهنَّ إلى جوارى الحارث [بن يشخير]^(١)
فاشتهرت وبلغ أمير المؤمنين فتذكر لى ولامنى وفصحت آباءك فى قبورهم ، وسقطت إلى
الأبد من المغنين وطبقة الجناكِرِ ، فبكيت غما بما جرى على ، وعلمت أنه قد
صدقَ فرحمنى وضمينى إليه . وقال : قد صارت الآن مصيبتى فى أهلك مصيبتين ،
إحداهما به وقد مضى وفات ، والأخرى بك ، وهى موصولةٌ بحياتى ، ومصيبةٌ باقيةٌ
العارِ على وعلى أهلى بعمدى . وبكى ، وقال : عز علىَّ يا بُنى أن أراك أبداً على غير
ما أحبَّ وليست لى فى هذا الأمر حيلةٌ لأنه أمرٌ قد خرج عن يدي . وقال : رجى
بعود حتى أسمعَكَ وأنظرَ كيف أنت ، فإن كنت تصلحُ للخدمة فى هذه الفضيحة ،
وإلا جئتُ بك منفرداً أو عرفتُه خبرك واستغفيتُه لك . فأثبته بعود وغنيته غناءً قديماً ،
فقال : لا ، بل غنِ صوتيك الذين صنعتهما فغنيته إياهما فاستحسنهما ، وبكى ، ثم
قال : تطلبُ وكيسةً يا بُنى ، وخاب أملى فيك فوا حزنى عليك وعلى أهلك .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

فقلت له : يا سيدي ليتني مت قبل هذا الذي أنكرته مني أو جرّمت ، ومالي حيلة .
ولكن وحياتك يا سيدي ، وعلى عهد الله وميثاقه والعتق والطلاق وكلّ يمين
يخلف بها حالف لازمة لي لا أغني أبداً إلا الخليفة أو وليّ عهدٍ فقال : قد أحسنت
فيما نهيت عليه من هذا الأمر ، ثم ركب وأمرني فأحضرت ، فوفقت بين يدي الرشيد ،
وأنا أرعدٌ فاستدنانني حتى صرت أقرب الجماعة إليه ، ومازحني ، وأقبل عليّ وسكّن
مني وأمر جدّي بالانصراف ، وأوماً إلى الجماعة فخدموني وسقيت أقداحا ، وغني
المغنون جميعاً ، فأوماً إلى إسحاق مغنّيه أن أبداً فغنّ إذا بلغت النوبة إليك قبل
أن تؤمر ليسكون أملح وأجل بك . فلما جاءت النوبة إلى أخذت عوداً ممن كان إلى
جانبى ، وقت قائماً واستأذنت في الغناء فضحك الرشيد وقال : غنّ جالساً فجلست
وغنيت لحنى الأول فطرب واستماده ثلاث مرات ، وشرب عايه ثلاثة أنصاف ، ثم
غنيت الثانى فكانت هذه حاله وسكّر ودعا بمسرور ، وقال : اعمل الساعة مع
عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابى وعيّبة مملوءة طيباً فحمل
ذلك كله منى .

قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد وليّ عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الولي
هو أم غيره ، دعانى ، وأمرني بالغناء ، فأعرفه يميني فيستأذن الخليفة في ذلك فإن
أذن لي في ذلك علم أنه وليّ عهد وإلا عرف أنه غيره حتى كان آخرهم الوائق فدعانى
في أيام المعتصم ، وسأله أن يأذن لي في الغناء ، فأذن لي ، ثم دعانى من الغد ، فقال
ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سرّى وأسرار الخلفاء قبلى ، ولقد هممت أن أمر
بضرب رقبتك فلا يبلّغنى أنك امتنعت من الغناء عند أحد ، فوالله لئن امتنعت
لأضربن عنقك فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت وطلّق من كان عندك يومئذ
وأريحنا من يمينك هذه المشثومة . ففمت ، وأنا لا أعقل جزءاً منه ، فأعتقت جميع

من كان بقى عندى من مماليكى ، الذين حلفت يومئذٍ وهم فى ملكى ، ثم تصدقت
بجملة واستفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى ، حتى خرجت منها وغنيت بعد ذلك
إخوانى جميعا ، حتى اشتهر أمرى ، وبلغ المعتصم خبرى ، ففعلتُ منه ، ثم غضب
علىَّ الواثقُ لشيء أنكره ، وولى الخلافة وهو ساخط علىَّ فكتبت إليه :

أذكرُ أمير المؤمنين رسائل أيام أَرهْبُ سَطْوَةَ السيف
أدعو إلهى أن أراك خليفة بين المقام ومسجد الخيف

فدعانى ورضى عني .

قال سليمان بن أبى شيمخ : دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم ،
وهو مختلط مغتاض ، وابنه عبدُ الله عنده فقلت : مالك أمتع الله بك ؟ فقال :
لا يُفْلِحُ ، والله ، ابنى عبد الله أبداً ، فظننته قد جنى جناية وجعلت أعتذر إليه له
فقال : ذنبه أعظم من ذلك وأشنع . فقلت : وما ذنبه ؟ قال : جاءنى بمض غلمانى
فحدثنى أنه رآه بقطرُبُل يشرب نبيذَ الداذى^(١) بغير غناء . فهل هذا فعل من يفلح ؟
فقلت وأنا أضحك : سهلت على القضية . قال : لا تفعل ، هذا من ضمة النفس وسقوط
إلهمّة : قلت : فكنت إذا رأيت عبدَ الله بعد ذلك فى مُجلة المغنين ، وشاهدت تبدُّله
فى تلك الحال ، وانخفاضه عن مراتب أهله ذكرت قول أبيه فيه .

قال إسحاق بن إبراهيم : لقيت عبد الله بن العباس الرِّبِيعى يوماً فى الطريق ،
فقلت له : ما كان من خبرك أمس ، قال : اصطبحتُ . فقلت : على ماذا ؟ ومع من ؟
فقال : مع خادم صالح بن عجيف وأنت به وبخبرى معه عارف ، وبمحبتي له ، واصطبحتنا
على زنى بنت الجن لما حملت من زنى ، وقد سئلت ، ممن حملك ؟ فقالت :

(١) فى الأصل : الراوى وما أثبتناه عن الأغاني وفى القاموس الداذى : شراب الفساق .

أشتم كفصن البان جعدُ مُرَجَّل شغفتُ به لو كان شيئاً مدانيا
 شككتُ أبى إن كنتُ ذقتُ كريقه سلافا ولا ماءً من المزن صافيا
 وأقسم لو خيَّرتُ بين فراقه وبين أبى لا خُرتُ ألا أباليا
 فإن لم أوسدْ ساعدي بعد هجعة غلاما هلاليا فشلتُ يمينيا

فقلت له : أقمتَ على لواطٍ ، وشربتَ على زنى ، والله ما سبقك إلى هذا أحد .
 واتفق أول رمضان في يوم النوروز فشرب عبدُ الله بن العباس في تلك الليلة إلى
 أن قارب الفجر أن يطلع وقال في ذلك وغناه بهذا الشعر :

اسقنى صهباء صافية ليلة النوروز والأحد
 حرم الصوم اصطباحها فتزوّد شربها لغد
 وأنسا أو فادعنا بحلا نشترك في عيشة رغد

وكان عبد الله مصطبحا دهره ، لا يفوته إلا في يوم الجمعة ، أو صوم شهر
 رمضان ، وكان يكثر المدح للصباح ، ويقول الشعر فيه ويغنيه ، فما قال فيه :
 ومُستطيل على الصهباء باكرها في فتيمة باصطباح الراح حُذاق
 فكلّ شيء رآه خاله قدحاً وكل شخص رآه خاله الساق

وكان عبدُ الله بن العباس يعشقُ عساليج ، فقالت له بذل الكبيرة : قد بلغنى
 أنك عشقت جارية اسمها عساليج فاعرضها علىّ فأما عذرتك وإما عذلتك ، فوجه
 إليها فحضرت ، وقال لبذل : هذه سيدتى ، فاسمى وانظري ، ثم مرّينى بما شئتِ
 أطعمك . فأقبلت عليه عساليج وقالت : يا عبد الله أتساورُ فيّ؟ فوالله ما شاورتُ فيك
 لما صاحبُتك . فتغيرت بذل وصاحت : أحسنتِ والله يا صبية ولو لم تُحسنينى شيئاً ولم يكن
 فيك خصلةٌ تحمدُ لوجب أن تُعشقى لهذه الكلمة ، ثم قالت لعبد الله : احتفظ
 بصاحبتك .

قال عبد الله بن العباس : جمع الوراق المغنين يوما ليصطبِحَ وقال لى : بحياتي إلا صنعت هَزَجًا حتى أدخل وأخرج إليكم السامة ، ودخل إلى جواريه ، فقلت هذه الأبيات وعملتُ فيها هَزَجًا جَوْدُهُ بجهدى قبل أن يخرج وهو :

بأبى زورٍ أنانى فى الفلَسْ	مَت إجلالا له حتى جلسْ
فتمانقنا جميعا ساعة	كادت الأرواحُ فيها تُختَلَسْ
قلت يا سُؤلى ويا كلَّ المَنى (١)	فى سواد الليل ما خِفَت العَسَسْ
قال قد خفتُ ولكنَّ الهوى	آخذٌ بالروح منى والنَّفَسْ
زارنى يخطر فى مشيته	حواله من نورٍ خَدَّيه قَبَسْ

فلما خرج من دار الحرم قال لى : إيه يا عبد الله ، ماذا صنعت ؟ فاندفعت فغنيته فشرب على الصوتِ حتى سَكِرَ ، وأمر لى بخمسة آلاف درهم ، وأمرنى بِطَرَحِهِ على الجوارى فطَرَحْتَهُ عليهن .

قال عبدُ الله بن العباس : لقينى سَوَّارُ بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصفر ، فقال : لى إليك حاجة فأتنى فى خفية فأثبته فقال : إنى قد أنشدتُك ولى إليك حاجة ، إن شَرَطْتَ لى كتبناها أفضيتُ بها إليك . فقلت : ذلك للقاضى على شَرَطٍ واجبٍ فقال : إنى قد قلتُ أبياتا فى جارية لى أحبها ، وقد قتلتنى وهجرتنى ، وأحب أن تصنع فيها لحنا ، وتُسَمِّعَنِيه ، فإن غَنَيْتَهُ وأظهِرْتَهُ بعد ألا يعلم أحدٌ أنه شعرى فليست أبالى ، أففعل ذلك ؟ فقلت : حبا وكرامة للقاضى ، فأنشدنى لنفسه :

سَلَبْتُ عِظَامى لَحْمَها فترَكْتُها أنايِبَ فى أجوافها الرِّيحُ تَصْفُرُ (٢)

(١) ويا بدر الدجى (أغانى) .

(٢) فى الأغانى جاء الشطر الثانى هكذا :

عوارى فى أجلادها تتكسر

وبعده :

وأخليت منها عنهما فكأنها أنايِبَ فى أجوافها الرِّيحُ تصفر

إِذَا سَمِعْتَ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَرَعَّدَتْ
خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوْبَ فَانْظُرِي
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَآؤُهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبٌ فَتَقَطُّرُ

قال عبد الله : فصنعت فيه لحنا ، ثم عرَّفْتُه خَبْرَهُ فِي رَقْعَةٍ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَمْدَنِي
الْمَصِيرَ إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ إِلَيَّ : نَظَرْتُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ فَوَجَدْتُ هَذَا لَا يَصْلُحُ وَلَا يَنْكُتُ
عَلَى حُضُورِكَ وَسَمَاعِي إِلَيْكَ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسُرَّكَ وَيُبْقِيَكَ ، فَغَنَيْتُ الصَّوْتُ ،
وَوَظَّهَرْتُ حَتَّى تَغْنَى بِهِ النَّاسُ ، فَلَقِيَنِي سَوَارٌ يَوْمًا فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي قَدْ شَاعَ أَمْرُكَ
فِي ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى سَمِعْنَاهُ مِنْ بُعْدٍ كَأَنَّنَا لَمْ نَعْرِفِ الْقِصَّةَ ، وَجَمَلْنَا نَضْحَكَ مِنْ ذَلِكَ .
قال علي بن عيسى بن جعفر الهاشمي : دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي يَوْمِ
نِصْفِ شَعْبَانَ ، وَهُوَ يَوْمُ سَبْتٍ ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ عَازِمًا عَلَى الصَّوْمِ فَأَخَذَ بِمُضَادَّتِي
بَابَ مَجْلِسِي وَقَالَ :

تَصْبِيحُ فِي السَّبْتِ غَيْرُ نَشْوَانٍ وَقَدْ مَضَى عَنْكَ نِصْفُ شَعْبَانَ
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الصَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : أَفْعَلِيكَ وَزُرُّ إِنْ أَفْطَرْتَ الْيَوْمَ
الْمَكَانِي ، وَسَرَرْتَنِي بِمُسَاعَدَتِكَ لِي ، وَصَحْتَ غَدًا ، وَتَصَدَّقْتَ مَكَانَ إِفْطَارِكَ ؟ قُلْتُ :
أَفْعَلُ ، وَدَعَوْتُ بِالطَّعَامِ : فَأَكَلْنَا وَجَلَسْنَا لِلشَّرْبِ فَشَرَبْنَا ، وَأَصْبَحَ مِنْ غَدٍ
فَاصْطَبَحَ وَسَاعَدْتُهُ .

فلما كان اليوم الثالث انتهت سحراً وقد قال هذا الشعر :

شَعْبَانَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا ثَلَاثٌ وَعَشْرُ
فَبَاكَرَ الرَّاحَ صُبْحًا^(١) لَا يَسْبِقُنَّكَ فَجْرُ
وَإِنْ يَفْتُكَ اصْطَبَاحُ فَلَا يَفُوتُكَ سُكْرُ

فأطربني واصطبحت معه في اليوم الثالث ، فلما كان في آخر النهار سكر
وانصرف وما شربنا ذلك اليوم إلا على قوله :

وإن يفتك اصطباحتُ فلا يفوتنك سُكْرُ

ومن شعر عبد الله بن العباس الربيعي في يُسرٍ خادم صالح بن عفيف وقد برى
من علة وزاره ، فأجلسه إلى جانبه ، وشرب سروراً لما فيته ، وقال :

مولاي ليس لِعَيْشٍ أنت حاضِرُهُ قدرٌ ولا قيمةٌ عندي ولا ثَمَنُ
ولا فقدتُ من الدنيا وأذنتها شيئاً إذا كان عندي وجهك الحسنُ

عبد الله بن الخياط^(١)

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس .

وقيل : يونس بن سالم ، مولى قريش ، وقيل : مولى هذيل .

شاعرٌ ظريفٌ ماجنٌ خليعٌ هجاءٌ خبيثٌ مُخَضَّرٌ من شعراء الدولتين الأموية

والعباسية .

وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام مداحا لهم .

وقدم على المهدي مع عبد الله بن مُصْعَب ، فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسنَ جائزته .

قال يونس بن عبد الله بن الخياط : دخل أبي على المهدي فمدحه ، فأمر له بخمسين

ألف درهم ، ففرقها كلها على الجواري . وقال يمدحه بهذين البيتين :

لستُ بِكَفَى كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغَنَى ولم أذرِ أن الجودَ من كَفِّهِ يُعْدَى

فلا أنا منه ما أفاد ذوول [الغنى] ^(٢) أفدت فأغداني فأثقتُ ما عندي

فبلغ ذلك المهديَّ ، فأضعفَ جائزته ، وأمر بحملها إلى منزله .

قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة .

وكان يونس هافاً لأبيه عبد الله ، يتهجمُ عليه بالمسكاره في كل وقت .

مر رجل بيونس هذا ، وهو يخنق أباه ، ويمصر حلقه ، فقال له : ويلك !

أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده . ثم أقبل على أبيه يعزيه ويُسَكِّنُهُ فقال له :

(١) الأغاني ١٨ : ٩٤ . التجريد ٢٠٥٤

(٢) ما بين القوسين بياض بالأصل وهو عن الأغاني .

يا ابن أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حَقًّا ، والله لقد خنقتُ أبى فى هذا الموضع بعينه ،
الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له دُحَيْمٌ فكان أعقَّ الناسِ به ، حَكى عن نفسه قال :
جئتُ يوما إلى أبى ، وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغِيظَه وقلت :
ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى . فأنشدتهم وهم مُنصِتون وأبى يسمع :
ياسائلى من أنا أو من يناسبنى أنا الذى ماله أصل ولا حَسَبُ
الكلب يختال نفراً حين يُبَصِرُنِى والكلبُ أكرمُ منى حين يَنْتَسِبُ
لو قال لى الناس طُراً أنت الأُمنا ما أوهم الناسُ فى ذاكم ولا كذبوا
فقام أبى إلى ليضر بنى ، فعدوتُ بين يديه ، فجعل يَشْتُمْنِى وأصحابه يضحكون .
ومما قاله دحيم فى أبيه يونس بن عبد الله بن الخياط :

جَلَا دُحَيْمٌ عِمَايَةَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ مِنِى وَالطَّمَنِ فى نَسَبِى
ما زال فى الظنِّ والتَّشَكُّكِ لِكِحَتِى عَقَّتْنِى مِثْلَمَا عَقَّتْ أَبِى

علي بن جبلة^(١)

هو علي بن جبلة بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنباري .

وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالعمكوك .

من أبناء الشيعة الخراسانية ، من أهل بغداد وبها نشأ .

وولد بالحرية من الجانب الغربي .

وكان ضريراً ، يقال : إنه ولد ضريراً أكمة ، وزعم أهله أنه عمي بعد أن نشأ .

وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح ، حسن التصرف .

واستنفد شعره في مدح أبي دلف ، القاسم بن عيسى العجلي ، وأبي غانم ، حميد

ابن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف حتى فضل ربيعة

على مضر ، وجاوز الحد في ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسك

لسانه من قفاه ، وقيل : بل هرب ولم يزل متوارياً مدة حتى مات في تواريه ، ولم

يقدر عليه ، وهو الصحيح .

وكان علي أصغر إخوته ، وكان أبوه يرق عليه ، فجدر فذهبت إحدى عينيه

بالجدرى ، ثم نشأ وأسلم إلى الكتّاب فحذق بمض ما يحذقه الصبيان ، فحمل

على دابة وثر عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ، فقال الشيخ

لولده : أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فإن أعنتموني على هذا الصبي وإلا صرفت

بعض أرزاقكم إليه ، فقال أولاده : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجلس الأدب ،

فكانوا يأتون به مجالس العلماء ، ويتشاغلون بما يتشاغل به الصبيان ، فما أتى عليه

الحولُ حتى برع ، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله : أوسعوا للبغوي . وكان ذكيا
مطبوعا ، فقال الشعر ، وبلغه أن الناس يأتون أبا دُلف لجوده ، وما كان يعطى
الشعراء ، فقصده وامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

زاد وِرْدَ النَّيِّ عن صَدْرِهِ	وارعوى واللهم من وَطَرِهِ
وَأَبَتْ إِلَّا الْبُكَاءَ لَهُ	ضَحِكَاتُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهِ
نَدَى أَنْ الشَّبَابَ مَضَى	لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ
وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ سَلَامًا	لَمْ أَجِدْ حَوْلًا عَلَى غَيْرِهِ
حُسِرَتْ عَنِّي بِشَاشَتُهُ	وَذَوَى الْحَمُودُ مِنْ ثَمَرِهِ
وَدَمٌ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشَائِ	لَمْ يُرِدْ عَقْلًا ^(١) عَلَى هَدَرِهِ
فَانتَ دُونَ الصَّبَا هَنَّةً	قَلْبَتُ ^(٢) فَوْقَ ^(٣) عَلَى وَتَرِهِ
دَعْ جَدًّا قَحْطَانًا أَوْ مُضَرِّ	فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضَرِّهِ
وَامْتَدَحْ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا	عَصَرَ الْآفَاقِ مِنْ عَصَرِهِ
الْمَنَايَا فِي مَقَانِيهِ ^(٣)	وَالْعَطَايَا فِي ذُرَى حَجَرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَّى أَنَامِلُهُ	كَابِتْسَامِ الرُّؤُوسِ عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ ^(٢) عَنْ مَوَاهِبِهِ	كَابِتْسَامِ الرُّؤُوسِ عَنْ زَهَرِهِ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ	أَمِنْتُ عَدْنَانُ ^(١) فِي ثَغَرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلفٍ	بَيْنَ بَادِيهِ وَمُخْتَضَرِّهِ
فَإِذَا وَلِي أَبُو دُلفٍ	وَلَّتْ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
لَسْتُ أَدْرِي مَا أَقُولُ لَهُ	غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ فِي خَفَرِهِ

(١) العقل : الدية .

(٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

(٣) المناب جمع مقنب وهي جماعة الخيل تجتمع للغارة .

يا دواء الأرض إن فسدت
كلُّ من في الأرض من عرب
مستعيرٌ منك مَكْرُمةٌ
ومُسدِّلُ اليُسْرِ من عُسرِهِ
بين معده ومُحْتَضَرِهِ^(١)
يلبَسُنها يوم مُفْتَخَرِهِ

منها :

ولقرقور أدت رَحَى^(٢)
قد تأتيت البقاء له
وطغى حتى رفعت [له]^(٣)
ولم تكن ترْتَدِّ في فِكْرِهِ
فأبى المحتومُ من قَدَرِهِ
خطة شمعاء من ذكرهِ

فلما وصل إلى أبي دُلف، وعنده مَنْ عِنْدَهُ من الشعراء ، وهم لا يعرفونه استرابوا به ، فقال له قائده : إنهم اتهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنة تزيلُ هذا . قال : صدقت . فامتحنوه فقالوا : صف لنا فرسَ الأمير ، وقد أجَلَّنَّاكَ ثلاثة أيام . قال : فاجعلوا معي رجلا تشقون به ، يكتب ما أقول ، فاجعلوا معه رجلا فقال هذه القصيدة في ليلته :

رِيعَتُ لَمْشُورَ عَلَى مفرقة
أهدابُ شَيْبٍ جدد في رأسه
أشرفنَ في أسودَ أَرْزَيْنَ^(٤) به
واعتفنَ أيام الغواني والعصبا
لم يَزُدْجر مُرْعَويا حين ارعوى
ذم لها عهد الصباحين اتسب
مكروهة الجِدَّة أنضاء العقبُ
كأن دجاء لهوى البيض سَبَبُ
عن ميت مطلبه حتى الأدب
لكن يدٌ لم تَقْصِلَ بِمُطْلَبُ

(١) باديه إلى حضره (أغاني) .

(٢) في الأصل : (ولقد بوراردت رجا) وما صوبناه عن الأغاني - وقرقور : اسم لص

فاتك .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٤) في الأصل : (إن رين به) .

لم أر كالشيب وقاراً يَحْتَوِي
فَنَازِلٌ لَمْ يَنْتَهَجْ بِقُرْبِهِ
كَانَ الشَّبَابُ لِيَّةً أَزْهَوُ بِهَا
إِذَا أَنَا أَجْرِي سَادِرًا فِي غِيَّةِ
أَبَدٍ شَأَوِ الدَّهْرِ فِي أَحْدَاثِهِ (١)
وَأَذَعُرُ الرَّبَّ بِعَنِ أَطْفَالِهِ
تَحْسِبُهُ مِنْ مَرَجِ الْعِزِّ بِهِ
مُضْطَرِبٌ يَرْتَجُّ مِنْ أَقْطَارِهِ
تَحْسِبُهُ لَاهُثًا فِي اسْتَقْبَالِهِ
وَهُوَ عَلَى إِرْهَاقِهِ وَطِيَّةِ
تَقُولُ فِيهِ خَبِيبٌ إِذَا انْتَنَى
يَخْطُو عَلَى عُوجِ بِنَاهِزْنِ الْإِثْرِ
تَحْسِبُهَا ثَابِتَةً إِذَا خَطَّتْ
شَتَا وَقَاطَ بِرَهْتِيهِ عِنْدَنَا
يَصَانُ عَصْرِي حَرَّةً وَقَرَّةً
حَتَّى إِذَا تَمَّتْ لَهُ أَعْضَاؤُهُ
رَمْنَا بِهِ الصَّيْدَ فَرَادَتْنَا بِهِ (٢)
مُجْزَمٌ الْجَرَى يِيَارِي ظِلَّهُ

وَيَمُرُّ الْأَحْقَبُ (٣) فِي شَوَاطِئِ الْخَبَبِ

(١) الشطر الأول في الأغاني (أبعد شأو اللهو في أجزائه) .

(٢) يقال : رادت الإبل إذا اختلفت في المرعى مقبلة مدبرة .

(٣) يقال : أجزم السير إذا أسرع فيه ، والفرس : اشتد عدوه ، والأحقب حمار الوحش .

إذا تظننا به صدقنا
لا يبلغ الجهد به راكبه
ثم انقضى ذاك كأن لم يقنه
وخلف الدهر على أحبابه
فحمل الدهر ابن عيسى قاسم
كروثق السيف انبلاجا بالندی
ما وسنت عين رأت طلعت
لولا ابن عيسى القرم كئناهملا
ولم يقم في يوم بأس وندى
تكاد تبدى الأرض ما تضره
ويستهل آمل وحفته
وهو وإن كان ابن فرعى وائل
وبعلاه وعلا آباءه
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى
لولاك ما كان سرى ولا ندى
خذها إليك من ملى بالثنا
فارق ربى الأرض أو استقدر بها
وإن تظنى فوته العير كذب
ويبلغ الريح به حيث طلب
وكل بقيما فإلى عطب
بالقرح فيهم وارثجاع ما وهب
ينفض به أبلج فراج الكرب
وكفراريه على أهل الريب
فاستيقظت بنو به من القوب
لم يؤثتل مجد ولم يرع حسب
ولا تلاق سبب إلى سبب
إذا تداعت خيله هلا وهب
جانبا إذا استهل أو قطب
فبمساعيه ترقى في اللجب
يحوى غداة السبق أخطار القصب
ويا مزيل الرعب في يوم الرهب
ولا قريش عرفت ولا العرب
لكنه غير ملى بالشب
أنت عليها الرأس والناس الذنب

فلما غدا عليه بالقصيدة استحسناها من حضر وقالوا : نشهد أن قائل هذه قائل تلك ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

قال المأمون يوما لجلسائه : أقسم على من حضر ممن يروى قصيدة على بن جبلة الأعمى في أبي دلف إلا أنشدنيها ، فقال له بعض جلسائه : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد

من إبرار قَسَمِهِ ، وما أَحْفَظُهَا وَلَكِنها عِنْدِي مَكْتُوبَةٌ ، قال : فقم فجئني بها ، فمضى
فأتاه بها فوقف عليها وأتى على آخرها فغضب ، وقال : لست لأبي إن لم أقطع لسانه
وَأَسْفِكَ دَمَهُ ، وإنما نَقِمَ من ذلك أنه جعل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
عصر أبي دلف في قوله :

وامتدح من وائل رجلا عصر الآفاق من عصره

وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة ، وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوك المعروف
بقرقور ، وكان من أشد الناس وأعظمهم ، وكان يقطع على القوافل هو وغلماؤه
الطريق وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه ، فبينما أبو دلف ذات يوم يتصيد ،
وقد أمعن في طلب الصيد وخذاه ، إذا بقرقور قد طلع عليه ، وهو راكب فرسا ،
تشق الأرض شقا ، فأيقن أبو دلف بالهلاك ، وخاف أن يؤلّى فيهلك ، فحمل عليه
وصاح : يافتيانُ يَمْنَةً يَمْنَةً ، يوهمه أن معه خيلا قد كمنها له ، فخاف قرقور وعطف
يساره هاربا ، ولحقه أبو دلف فوضع رُمحه بين كتفيه ، وأخرجه من صدره ، ونزل
فاحتز رأسه ، وحمله على رمحه ، حتى أدخله الكرخ فحدث من رأى رُمح قرقور أدخل
بين يديه يحمله أربعة نفر ، فلما أنشد علي بن جبلة القصيدة سر بها وأمر له بمائة ألف
درهم .

بينما أبو دلف يسير هو وابنه معقل ، وهما بالعراق إذ مرا بامراتين تماشيان ،
فقال إحداهما لصاحبتها : هذا أبو دلف فقالت لها الأخرى : من أبو دلف؟ قالت : ويحك
الذي يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين يديه ومُحْتَضَره
فإذا ولّى أبو دلفٍ ولّت الدنيا على أثره

فاستعبر أبو دلف حتى جرت دموعه . فقال له معقل : مالك ؟ فبكي قال :
لأنى لم أقض حقّ علي بن جبلة . قال : أولم تُعطه مائة ألف درهم بهذه القصيدة؟ قال :

والله ما في قلبي حسرة تقارب حسرة إلا أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار . ولو فعلت ذلك ما كنت قاضيا حقه .

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام الطائي يوما قصيدة علي بن جبلة البائية فلما بلغت إلى قوله :

ورد البيض والبيض إلى الأغناد والحجب
كأن الناس جسمٌ وهـ وفيهم موضع القلب
اهتز أبو تمام من قرنة إلى قرنة أخرى ، ثم قال : أحسن والله لوددت أن لي هذين البيتين بثلاث قصائد من شعري يتخيرها مكانها .
ولعل بن جبلة مدائح في حميد الطوسي منها قصيدة مدحه بها ووصف قصره الذي بناه على دجلة وهي :

جعل الله حميدا لبني الدنيا كفيلا
ملك لم يجعل الله له فيهم عديلا
فأقاموا في ذراه مطمئنين خلولا
لا يرى فيهم موقلا يسأل المثرى فضولا
جاد في الأموال حتى علم الجود البخيلا
وبنى الفخر على الفخر ر بناء مستطيلا
صار للخائف أمنا وعلى الجود دايلا
ولما مات حميد رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهي من نادر الشعر وبديعه ، وهي :

ألدهر تبكى أم على الدهر تجزع
وما صاحب الأيام إلا مفعج
ولو سهلت عنك الأسي كان في الأسي
عزاء معين لليب ومقنع
تزر بما عزيت غيرك إنها
سهام الناياء جئمت ووقع

أَصْبُنَا بِيَوْمٍ مِنْ حَمِيدٍ لَوْ أَنَّه
وَأَدَبْنَا مَا أَدَّبَ النَّاسَ قَبْلَنَا
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ
وَكَيْفَ التَّقَى مَثْوًى مِنَ الْأَرْضِ ضَيِّقُ
وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ انْقَضَتْ الْعَلَا
وَرَأَى عَدُوَّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَنْتَحِي
وَكَانَ حَمِيدٌ مَعْقِلًا رَكَمَتْ بِهِ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزِئَتْهَا
حَمَامٌ رَمَاهُ مِنْ مَوَاضِعِ أَمْنِهِ
وَلَيْسَ بِفَرَوٍ أَنْ تَصِيبَ مَنِيَّةً
لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِينَا الْمَنَايَا بِأَرْهَا
كَأَنَّ حَمِيدًا لَمْ يَقْدِرْ جَيْشَ عَسْكَرٍ
وَلَمْ يَبْعَثْ الْخَيْلَ الْمُغِيرَةَ بِالضُّحَى
رَوَاجِعَ يَحْمِلُنَ النَّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ
هُوَ جَبَلُ الدُّنْيَا الْمُنِيعُ وَغَيْثُهَا
وَسَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُمُوحُهُ
فَأَقْنَعَهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ
عَلَى أَى شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ حَالُ ضِيَاؤِهَا
وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاؤُهَا

أَصَابَ عُرُوشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُضَعُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
بِهِ ، وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ
عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُنْمَعُ
وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ النَّدَى وَهُوَ أَجْدَعُ
أَمَانِيَّ كَانَتْ فِي حَشَاءٍ تَقَطَّعُ
قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضِّمْرِ تَرَكَعُ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
حَمَامٌ كَذَاكَ الْخَطْبِ بِالْخَطْبِ يَقْرَعُ
حَمَى أَخْتِهَا أَوْ أَنْ يَذِلَّ الْمُنْعُ
وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهْنُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
[إِلَى عَسْكَرٍ] ^(١) أَشْيَاعُهُ لَا تَرُوعُ
مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهَى ظُلْعُ
كِتَابَتِهِ إِلَّا عَلَى النَّهْبِ تَرْجِعُ
مَرِيحُ وَحَامِيهَا الْكَمِيُّ الْمُنْعُ
وَمِفْتَاحُ بَابِ الْخَطْبِ وَالْخَطْبُ أَفْطَعُ
وَنَائِلُهُ قَمَرٌ مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَعُ
إِلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخِرُ الدَّمْعَ مَدْمَعُ
عَلَيْهِ فَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ
وَأَجْدَبُ مَرَعَاهَا الَّذِي كَانَ يَمْرَعُ

(١) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

وقد كانت الدنيا به مطمئنةً فقد جعلت أوتادها تتقلع
 بكى فقده روح الحياة كما بكى نداه الندى وابن السبيل المدفع .
 وفارقت البيض الخدور وأبرزت عواطين حشرى بعده لا تقنع
 وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبل تهجع
 ولكنه مقدار يوم ثوى به لكل امرئ منه نهال ومشروع
 وقد رآب الله الملا بمحمد وبالأصل ينمى فرعه المتفرع
 أغرّ على أسيافه ورماحه تقسم أنفال الخميس وتجمع
 حوى عن أبيه بذل راحته الندى وطقن الكلى والزاعية^(١) شرع

قيل لعل بن جبلة : ما بلغت في مديح أحد ما بلغت في مديح الطوسي . فقال :
 كيف لا أفعل ذلك وأدنى ما وصل إلى منه أنى أهديت إليه قصيدة يوم نوروز فسر
 بها وأمر أن يحمل إلى كل ما أهدى إليه في ذلك اليوم ، فحُمِلَ إلى ما قيمته مائتا
 ألف درهم .

وأهديت إليه [قصيدة] في يوم عيد ، فبعث إلى بمثل ذلك .
 دخل علي بن جبلة يوما على أبي داف ، فقال : هات يا علي ما معك . قال :
 إنه قليل . قال : هاته ، فكم من قليل هو أجود من كثير .
 فأنشدته :

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على يدك فشكراً يا أبا دلف .
 أعطى أبو دلف والريح عاصفةً حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف
 فأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما كان بعد مدة دخل عليه فقال له : هات ،
 فأنشده :

(١) الرماح الزاعية : التي إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها في بعض .
 (٢٢ / مختار الأغاني)

من مَلَكِ الموتِ إلى قاسمٍ رسالةٌ في طيِّ قرطاسٍ
يا فارسَ الفرسانِ يومَ الوغى مرّني بمن شئتَ من الناسِ
فأمر له بألفي درهم .

وكان قد نظر ما بدأ به في هذا الشعر ، فقال له : ليست هذه من عطايك
أيها الأمير ، فقال له : قد بلغ بها هذا القدر ارتياحنا من تحمُّلك رسالةَ مَلَكِ
الموتِ إلينا .

وكان عليُّ بن جبلة أعمى ، وبه وضوح ، فهَوَّى جاريةً أدبيةً شاعرة ، وكانت
تجبه على قبح وجهه وعماء ووضّحه ، فزارته يوماً وأمكفته من نفسها ، فافتضحها ،
وذلك حيث يقول في قصيدته الرائية :

ودمٍ أهرقتُ من رشٍّ لم يُرِدْ عقلاً على هدّره
من جملة القصيدة التي مدح بها أبا دلف .

قال علي بن جبلة : قصدتُ حميداً الطوسي بقصيدة فلما استؤذن لي عليه أبي أن
يأذن لي ، وقال : قولوا له : أيُّ شيء أتيت لي بعد قولك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين يديه ومُختَضِره
فإذا ولي أبو دلف ولّت الدنيا على أثره

فقال للحاجب : قل له الذي قلت فيك أحسن من هذا ، فإن أوصلتني سمعت
[فأمر لي بمائتي دينار فنثرتها في حجر عشيقتي ثم حيَّيته بقصيدتي التي أولها :

دجلةٌ تسقي وأبو غانم يطعم من تسقي من الناس
الناس جسمٌ وإمام الهدى رأسٌ وأنت العينُ في الراس]
فأوصلني فأشدته قولي فيه :

إنما الدنيا حميدٌ وعطايه الجسامُ
فإذا ولي حميدٌ فعلى الدنيا السلام

فأمر لي بمائتي دينار .

وكان أبو دلف قد غضب على علي بن جبلة وجناه ، فأتى إلى حميد الطوسي مستشفعا به إلى أبي دلف ، فركب معه شافعا في أمره ، فأجابه واتصل الحديث بينهما ، وعلي بن جبلة محجوب ، فأقبل على رجل من جانبه وقال له اكتب فكتب :

لا تتركني يباب الدار مطرحا فالحر ليس عن الأحرار يحتجب
هنا بلا شافع جئنا ولا سبب ألت أنت إلى معروفك السبب
فرضي عنه ووصله .

قال سعيد الخزومي : دخلت على حميد الطوسي فأنشدته قصيدة مدحته بها ، وبين يديه رجل ضريب ، فجلف لا يمر به بيت إلا قال : أحسن قائله ، والله أحسن قائله ، أحسن لله أبوه ، أحسن أيها الأمير ؛ فأمر لي حميد ببذرة ، فلما خرجت قام إلى البوابون ، فقلت لهم : عرفوني أولا من المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير ؟ فقالوا : هذا علي بن جبلة العكوك فارفضت عرقا ، ولو عرفت به ، قبل ذلك ما جسرت على الإنشاد بين يديه .

لما أدخل ابن جبلة على المأمون قال له : إني لست استحل دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها ، وإدخالك في ذلك قريشا ، وهم آل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعثرته ، ولكنني استحللته بقولك وكفرك في شرك ، حيث تقول القول الذي أشركت فيه وهو :

أنت الذي تنزل الأيام منزلهما وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مدت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

كذبت يا عاض بظرا أمه ، ما يقدر على هذا أحد إلا الله عز وجل ، الملك الواحد القهار ، سلوا لسانه من قناه . فعل به ذلك .

وقيل إن المأمون لما بلغه قولُ علي بن جبلة :

كلُّ من في الأرض من عربٍ بين يديه ومُحتَضِرِهِ
مستعيرٌ منك مَكْرُمةٌ . يَكْتَسِيها يومَ مُفْتَحَرِهِ

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فلم يقدر عليه ، وذلك أنه كان في الجبل ، فاتصل به الخبر فهرب إلى الجزيرة ، وتوسط الشام ، وقد كتبوا إلى الآفاق في طلبه ، فظفروا به فحملوه إلى المأمون فلما صار إليه قال له : يا ابن اللخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كل من في الأرض من عرب البيتين

جعلتنا ممن يستعيرُ المكارمَ منه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد ، لأن الله عز وجل فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه ، وإنما عذيري في قول القاسم وأقرانه . فقال : والله ما استثنيت أحدا من الكل ، سلوا لسانه . فسُلَّ من قفاه .

قال علي بن جبلة : جاءني أبو يعقوب الخزيمي فقال : إن لي إليك حاجة . فقلت : وما هي ؟ قال : تهجو لي الهيثم بن عدي . قلت : وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ قال : قد فعلت ، وما جاءني شيء مما أريد ، فقلت : أهجو رجلا لم تتقدم لي منه إساءة ولا جرمٌ يُخَفِّظُنِي ؟ فقال : بعرضي فإني مليء . فقلت : نعم ، فأُمِهُدِي اليوم . فمضى وغدوت عليه فأنشدته :

للهم بن عدي نسبة جمعت	آباءه فأراحتنا من العدد
اعدد عديا فلو مدَّ البقاء له	ما عمر الناس لم تنقص ولم تزد
نفسى فداء بني عبد الدان وقد	تلوه للوجه واستعلوه بالعد
حتى أزالوه كرها عن كريمهم	وعزروه بذل أين أصل عدي
يا ابن الخبيثة من أهجو فأفضحه	إذا هجوت وما تنمي إلى أحد

فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي أخو يحيى بن زياد ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذي يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عديا في بني ثعلبٍ فقدم الدال قبل العين في النسبِ

فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا الشعر لرجل من الكوفة في بني شيبان ، يقال له ذهل بن ثعلبة ، فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما فأخذوه فأدخلوه داراً ، وضربوه بالعصا ، إلى أن طلقها .

قال عمر بن شبة : تذاكرنا يوماً أفصح ما هُجِيَ به الناس في منزل الضيافة وإضاعة الضيف فأنشدنا علي بن جبلة :

أقاموا الدَّيْدَبَانَ على بِقاعٍ وقالوا لا تنم للديدبانِ

فإن آنستَ شخصاً من بعيدٍ فصنق بالبنانِ على البنانِ

تراهم خشيّة الأضيافِ خرساً يؤدون الصلاة بلا أذانِ

كلم حميد الطوسي المأمون في أن يسمع من علي بن جبلة مديحاً مدحه به ، قال : فأى شيء يقول في بعد قوله في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وبعد قوله فيك أنت :

يا واحد العرب الذي عزت بعزته العرب

لولا حميد لم يكن حسب يعد ولا نسب

أحسن أحواله أن يقول في كما قال في أبي دلف ، فيجعلني نظيراً له ، هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه ، فخيره بين أمرين : إن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته ، وإلا ضربت عنقه ، أوقطعت لسانه ، وبين أن أفيله وأعفيه من هذا وذا ، فخيره في ذلك . فاختار الإقالة .

عبد الله التيمي^(١)

هو عبدُ الله بن أيوب ، وكُنيتُه أبو محمد ، مولى بني تميم ، مولى بني سَلَم .
وكان لرجل يقال له أبو التيجان . وكلاهما شاعر ، وهما من أهل الكوفة ، من
شراء الدولة العباسية .

كان عبدُ الله أحدَ الخلفاء المُجَّانِ الوصَّافين للخمر .
وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق ، واتصل بالبرامكة ومدحهم ،
واتصل بيزيد بن مَزِيد ، وانقطع إليه حتى مات .
واستنفذ شعره في وصف الخمر ، وأكثر في ذلك ، وبلغ المبالغ ، وهو الذي
يقول :

شربتُ من الخمرِ يومَ الخميس	في الكاسِ والطاسِ والقنقلِ ^(٢)
فما زالتِ الكاسُ تُعَمِّي ^(٣) لنا	وتذهبُ بالأولِ الأولِ
إلى أن توافت صلاةُ العِشا	ونحنُ من الشُّكرِ لم نَعْقِلِ
فمن كان يعرفُ يومَ ^(٤) الخميس	وحقُّ المدامِ فلا يَجْهَلِ
وما إن جَرَّتْ بيننا مِرْحَةٌ	تهيجُ مرءً على السلسلِ

وكان له ابن يقال له حبان فمات ، وهو حديث السن ، فجزع عليه جزءا
شديداً ، وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها :

(١) الأغاني ١٨ : ١١٥ .
(٢) القنقل : المكيال الضخم .
(٣) في الأغاني (تغتالنا) .
(٤) حق الخميس (أغاني) .

يا دَيْرَ هَندٍ لَقَدْ أَصْبَحْتَ لِي أَنْسًا وما عَهْدَتِكَ لِي يَادِيرُ مَثْناسا
أَوْدَى بِحَبَّانٍ مَا لَمْ يَتْرِكِ النَّاسَا فامْنَحْ فَوَادَكَ مِنْ أَحْبَابِكَ الْيَاسَا
فَبِتُّ أَرْغَى نَجُومَ اللَّيْلِ مُكْتَتِبَا إِخَالُ سَنَتِهِ فِي اللَّيْلِ قَرطاسا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : فقلت :

* وَصِفَ الصَّدُّ لِمَنْ أَهْوَى فَصَدَّ (١) *

ثم أَمْتُ عِدَّة (٢) لِيَالٍ لَا يَسْتَوِي لِي تَمَامُهُ فَدَخَلَ عَلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ فَرَأَنِي
مَفْكِرًا [فَقَالَ لِي : مَا قَصَصْتَكَ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ :

* وَبَدَأَ يَمْزِحُ بِالْمَهْجَرِ فَجَدَّ (٣) *

ثم أَتَمَمْتُهَا فَقُلْتُ :

مَا لَهُ يَمْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَمْدِلُهُ عِنْدَ أَحَدٍ
وَخَرَجْتُ إِلَى مَدِيحِ الْفَضْلِ فَقُلْتُ :

قَدْ أَرَادُوا غُرَّةَ الْفَضْلِ وَهَلْ تُطَلِّبُ الْغُرَّةُ مِنْ خَيْسٍ (٤) الْأَسَدُ
مَلِكٌ يَدْفَعُ مَا نَخْشَى بِهِ مَلِكٌ يُصْلِحُ مِنَّا مَا فَسَدَ
يَفْعَلُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا. وَإِذَا مَا فَعَلَ الْفَضْلُ وَعَدَ

قال محمدُ الرَّاوِيَةُ المعروفُ بِالْبَيْدِقِ ، وَكَانَ يَقْرَأُ أَشْعَارَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى الرَّشِيدِ :
قال الرَّشِيدُ يَوْمًا : أَنَشِدْنِي مَرَثِيَّةَ حُرَّوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ
الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةً جَلالًا

(١) فِي الْأَصْلِ : (وَصِفَ الصَّدُّ أَنْ أَهْوَى) وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : عِنْدَهُ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي وَبِهِ يَتَسَّقُ السَّكْلَامُ .

(٤) الْخَيْسُ الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ - غَابَةُ الْأَسَدِ .

هو الجبل الذي كانت معد تهت من العدو به الجبالا
 اقننا باليامة بعد معنى
 وقلنا أين نذهب بعد معنى
 فأنشدته إياها ، ثم قال : أنشدني قصيدة أبي محمد التيمي في مرثية يزيد بن يزيد
 فهي أحب إلى من هذه فأنشدته :

أحقاً أنه أودى يزيد
 أتدرى من نعت وكيف فاهت
 أحلى المجد والإسلام أودى
 تأمل هل ترى الإسلام مالت
 وهل شيمت سيوف بني نزار
 وهل تُسقى البلاد عشار مزن
 أما هدت لمصرعه نزار
 وحلّ ضريحه إذ حل فيه
 أما والله لا تنفك عيني
 فإن تجمد دموع لثيم قوم
 أبعد يزيد تختزن البواكي
 لتبكك قبة الإسلام لما
 ويبكك شاعر لم يبق دهر
 فمن يدعو الإمام لكل خطب
 تنبى أيها الناعى المشيد
 به شفتاك كان بها الصعيد^(١)
 فما للأرض ويحك لا تميد
 دعائمه وهل شاب الوليد
 وهل وضعت على الخيل اللبود
 بدرتها وهل يخضر عود
 بلى وتقوض المجد المشيد
 طريف المجد والحسب التليد
 عليك بدمعها أبداً تجود
 فليس لدمع ذى حسب جمود
 دموعاً أو يُصان لها خدود
 هوت^(٢) أطنا بها ووهى العمود
 له نشبا وقد كسد القصيد
 ينوب وكل مفضلة تؤود

(١) الصعيد : التراب .

(٢) هوت (أغاني) .

ومن يحمى الخيل إذا تمايى بحيلة نفسه البطل النجيد
فإن يهلك يزيد فكل حتى فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له إن المنايا فتكن به وهن له جود
قصدن له وكن يحدن عنه إذا ما الحرب شب لها وقود
لقد عزى ربيعة أن يوما عليها مثل يومك لا يعود
فبكى الرشيد بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة^(١) من دمعه
ملأها .

خرج كوتر ، خادم الأمين بن أبي الحارث ، فأصابته رجمة^(٢) في وجهه ،
فجلس يبكي ، فوجه الأمين من جاء به ، وجعل يمسح الدموع عن وجهه ، وقال :
ضربوا قرّة عيني ومن أجلى ضربوه
أخذ الله قلبي من أناس رجموه
وأراد زيادة في الأبيات فلم تواته فقال للفضل : من هاهنا من الشعراء ؟ فقال :
الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي بالباب فقال : على به ، فلما دخل أنشده
البيتين وقال : أرجز ، فقال :

ما لمن أهوى شقيقه فبه الدنيا تتيه
وصله حلوه ولكن هجره مرّ كربه
مذ رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه
مثل ما [قد]^(٣) حسد القا ثم بالملك أخوه

(١) السكرجة : الصفحة التي يوضع فيها الأكل .

(٢) الرجة : ضربة الحجر .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه ينتظم الوزن .

فقال محمد : أحسنت ، والله هذا خير مما أردناه ، بحياتي عليك يا عباس ! إلا نظرت
فإن جاء على ظهر ملأت أحمال ظهري دراهم ، وإن جاء في زورق ملأته له ،
فأوقرت له ثلاثة أبنال دراهم .

ولما قيل محمد الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأذن له ،
فصار إلى الفضل بن سهل ، ولجأ إليه ، وامتدحه فأوصله إلى المأمون ، فلما مثل بين
يديه وسلم بالخلافة عليه ، قال له : إيه يا تيمي :

مثل ما قد حسد القاسم بالملك أخوه

فقال له التيمي : بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

نصر المأمون عبد الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كانوا قديمًا أكدوه

لم يعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها :

جزعت ابن تيم إذ علاك مشيب وبان شباب والشباب حبيب

فلما أنشده إياها وفرغ منها قال له : لقد وهبتك لله عز وجل ولأخي أبي العباس ،

يعني الفضل بن سهل ، وأمر له بمشرة آلاف درهم .

قال أبو محمد التيمي : دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة فقال : يا تيمي

وددت أنه قيل في مثل قول طريح [بن إسماعيل] في الوليد بن يزيد :

طوبى لفرعك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التي تشج

فإني والله أحق بذلك منه ، فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين . ثم دخلت إليه

من غد ، فأنشدته قصيدتي التي أولها :

لا بد من سكرة على طرب لعل روحا تزيل من كرب

خليفةُ الله خيرُ مُنتَخَبٍ خيرُ أمرٍ من هاشمٍ وأبٍ
 خلافةُ الله قد توارثها آباؤه في سوائفِ الكُتُبِ
 فهي لكم دونه مؤرثةٌ عن خاتمِ الأنبياءِ في الحَقَبِ
 يا ابن الندى من ذوائبِ الله رَفِ الأقدمِ أنتم دعاكمُ العربُ
 أكرمُ بقرعين^(١) يجربان به إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

فتبسم ثم قال : يا تيمى أحسنتَ ولكن كما قيل : مرعى ولا كالسعدان. ثم التفت
 إلى الفضل ابن^(٢) الربيع وقال : بحياتي أوقرُ زورقه مالا فقال : نعم يا سيدى ، فلما
 خرجت طابت الفضل بذلك ، فقال لى : أنت مجنون ؟ من أين لنا مال نملأ به
 زورقك ؟ ثم صالحنى على مائة ألف درهم .

أمر محمد الأمين لأبى محمد التيمى بجائزة عشرة آلاف دينار ، ثوابا عن بعض مدائمه ،
 فاشترى بها ضيعة بالبصرة حسنة ، وقال بعد أن ابتاعها يذكر ذلك :

إنى اشتريت بما وهبت لى أرضا أمون بها قرابتى
 فيحسن وجهك حين أسألُ قل : يا ابن الربيع احملْ إليه ميه

فقال : بحياتي يا عباسى احملْ إليه مائة ألف درهم ، فدعاه فأعطاه خمسين ألفا ،
 وقال : الخمسون الأخرى لك علينا ، إذا اتسمت أيدينا .

عشق التيمى جارية لبعض النخاسين فشكا وجده بها إلى أبى عيسى بن الرشيد ،
 فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن التيمى يجد^(٣) بجارية لبعض النخاسين ،
 وقد كتب إلى يتيين يسألنى ثمنها . قال : وما هما ؟ فقال :

(١) فى الأصل لمرقك وهذه عن الأغاني .

(٢) فى الأصل : إلى والتصويب عن الأغاني .

(٣) وجد بفلان بكسر الجيم : أحبه حبا شديدا .

يا أبا عيسى إليك المشتكى وأخو الصبر إذا عيلَ شكا
ليس لي صبرٌ على فقدها وأعافُ الشربَ المشتركا
فأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فاشتراها بها .
مدح أبو محمد التيميُّ الفضلَ بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات
التي مدحه بها :

لعمرك ما الأشرافُ في كل بلدة وإن عظموا للفضلِ إلا صنائعُ
ترى عظماء الناس للفضل خُسما إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعةً وكلُّ خليلٍ عنده متواضعُ
كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مسلم :

إني نظرت في سنِّي فإذا أنا ابن ثلاث [وخمسين] ^(١) سنة وأنا وأنت لدةُ عام
واحد ، وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقمنٌ أن يردّه والسلام :
فسمع التيمي هذا فقال :

إذا ذهب القرنُ الذي أنت منهم وخُلِفْتَ في قرنٍ فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خمسين حجةً إلى منهلٍ من ورده لقريبُ

قال عبد الله بن أحمد التيمي ابنُ أختِ أبي محمد التيمي : أنشدني أبو محمد :

لا تضرعن المخلوق على طمعٍ فإن ذلك نقصٌ منك بالدينِ
واطلب ^(٢) إلى الله مما في خزائنه فإنما هي بين الكاف والنون ^(٣)
أما ترى كلَّ من ترجو وتسأله ^(٤) من الخلائق مسكين بن مسكينِ

(١) بياض في الأصل : وما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) وأرغب (أغاني) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .

(٤) وتأمله (أغاني) .

عمرو بن أبي الكنات^(١)

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنات مولى بني جُمَح .

ممنَّ محسنٌ طيبُ الصوتِ من طبقةِ ابنِ جامع وأصحابه ، مكىُّ وفيه يقول
الشاعر :

أحسنُ الناسِ فاعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكناتِ

وكان يُكنى أبا عثمان وقيل أبا معاذ ، وكان له ابن ينفى أيضا يقال له درَّاج .

وقف ابن أبي الكنات على جسر بغداد ، أيام الرشيد ، فحدثه رجل أن
ابن عائشة وقف في أيام الموسم ، فمر به بعض أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال إني
لأعرفُ رجلا لو تكلم لحبس الناس ، فلم يذهب أحدٌ ولم يجيء أحد ، فقال له^(٢) :
ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا . ثم اندفع ينفى :

جَرَّتْ سَنَحاً^(٣) فقلت لها أجزى نوى مشمولة فمتى اللقاء

بنفسى من تَدَكَّرْهُ سَقَامٌ أعالجه ومطلبه عناء

فحبس الناس واضطربت المحامل ، ومدَّت الإبلُ أعناقها ، وكادت الفتنة
أن تقع ، فأتى به هشام ، وكان في الموسم ، فقال : يا عدوَّ الله أردت أن تفتن الناس ،
وكان تياها فقال له هشام : ارفق بتيهك فقال ابن عائشة : حق لمن كانت هذه قدرته
على القلوب أن يكون تياها فضحك هشام وأطلقه ، فقال ابن أبي الكنات ، وكان
معجبا بنفسه : أنا أفعلُ كما فعل ، وقد رقي على القلوب أكثرُ من قدرته عليها ،

(١) الأغاني ١٨ : ١٢٦ .

(٢) في الأصل : فقلت وفي ب والأغاني : فقال .

(٣) في الأصل : شجعا .

ثم اندفع فغنى هذين البيتين ، وهو على جسر بغداد ، وكانوا إذ ذاك ثلاثة جسور فانقطعت الطرق ، وامتلات الجسور بالناس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لِثَقُل من عليها من الناس ، فأخذ قَاتِي به الرشيدُ فقال : يا عدو الله أردت أن تقتل الناس ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني بلغني أن ابن عائشة فعلَ مثل هذا في أيام هشام ، فأحببت أن يكون في أيامك مثله ، فأعجبه ذلك ووصله بمال وأمره أن يغني ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله قط ، فحبسه عنده شهراً ، يستزيده في كل يوم ويجيزه ، وهو يذكر الانصراف فلا يأذن له حتى تَمَّ شهراً .

قال الخبيرُ لهذه الحكاية : وكان ابن أبي الكنات كثيرَ الفشيان ^(١) فلما أبطأ توهَّمته قد قُتِل فصار إلى بعد شهر بأموالٍ جمَّة ، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

قال عيسى بن موسى : كنا يوماً على شرابٍ ، ومعا عمرو بن أبي الكنات ، إذ قال لنا طلوع الشمس : من تحبون أن يبيئكم ؟ قلنا : منصور الحنظلي قال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر ^(٢) فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني :

عَفَّت الدارُ بالهضابِ اللواتي بين ثَوْرِ فُمْلَتَقَى عرفاتِ
أحسنُ الناسِ فاعلموه غناء رجل من بني أبي الكناتِ
فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعدٍ قد أقبل يركض دابَّته نحونا ، فلما جلس إلينا قلت له : من أين علمت ؟ قال : سمعت صوتَ عمرو وأنا في سوق البقر فخرجت أركضُ دابتي حتى صِرت إليكم ، وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

(١) كذا في الأغاني وفي الأصل : الفناء .

(٢) عن الأغاني وفي الأصل : هكذا (البعصه) .

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ^(١)

والطبيبُ اسمه يزيدُ بن عمرو بن وَعْلَةَ بن أنس بن عبد الله بن عبد تميم بن جُشم
ابن عبد شمس ، ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كلها تُدعى في الجاهلية
عَبْدَ تميم ، وتيم صنم كانوا يعبدونه .

عَبْدَةُ شاعرٌ مجيدٌ ليس بالكثير ، وهو مُخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ،
وكان في جيش النعمان بن مُقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمداثر .

قال الأصمعي : أرثي بيت قالته العرب قول عَبْدَةَ :

عليك سلامُ اللهِ قَيْسُ بن عاصم ورَحْمَتُهُ ما شاء أن يَتَرَحَّمَا
تَحِيَّةَ من أُولَيْتَهُ منك نعمة^(٢) إذا زارَ عن شَحَطِ بلادِكَ سلَّما
فما كان قيسٌ هُلكَ هُلكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تَهْدَمَا

قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة لا يحسنُ أن يهجو ، فقال : لا تَقُلْ ذلك
فوالله ما أَتَى مِن عِيٍّ^(٣) ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراه ضَيْعَةً كما يرى
تركه مروءةً وشرفاً وأنشد :

وأجراً من رأيتُ بظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو العيوب

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : أيُّ المناديلِ أشرفُ ؟ فقال قائل منهم :
مناديلُ مصر ، كأنها غِرْقِيُّ البَيْض ، وقال آخر : مناديلُ اليمن كأنها نَوْرُ الرِّيع ،

(١) الأغاني ١٨ : ١٦٣ - مهذب ٢/١٥٩ . تجريد ٢١٦٤

(٢) تحية من غادرته غرض الردى (الحماسة) .

(٣) في الأصل : ١ ، ب ما أتى مرعى والتصويب عن الأغاني .

فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد ، عبدة بن الطيب ، أحسن حيث يقول :
لما نزلنا ضربنا ظلَّ أخبية^(١) وفار للقوم باللحم المراجيلُ
ورددَّ وأشقرَّ ما يُنهيهِ طابِخُهُ ما غيَّرَ الغلَى منه فهو مأْكولُ
ثُمَّتَ قننا إلى جُردٍ مُسومةٍ أعرافهنَّ لأيدينا مناديل

(١) لا وردنا رفعا ظل أردية (مذهب الأغاني) .

عريب^(١)

شاعرةٌ صالحةٌ مَفْنِيَةٌ بحسنةٍ مليحةٍ أَلْخَطُّ والمَذْهَبُ في الكلام ، ونهايةٌ
في الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة ،
ومعرفة النغم ، والرواية للشعر والأدب .

لا يَمْلُقُ بِهَا أَحَدٌ من نظرائها ، ولا ترى في الدنيا بعد القيانِ الحجازياتِ
القدماء^(٢) مثل جميلة وعزّة الميلاء وسلامة الزرقاء ، ومن جرى مجراهن ، على قلة
عددهن ، نظيراً لها .

وكان فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن ، مما يكون في مثلهن من
جوارى الخلفاء ، ومن نشأ في قصور الخلافة ، وغُدِّيَ برقيق العيش ، الذي لا يدانيه
عيشُ الحجاز ، والنشء^(٣) بين العامة من العرب الجفاة ومن غَلُظَ طَبْعُهُ . وقد شهد
لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره^(٤) .

قال إسحاق بن إبراهيم : ما رأيت امرأةً أضربَ من عريب ، ولا أحسن صنعة ،
ولا أجمل وجهاً ، ولا أخف روحاً ، ولا أحسن خطاباً ، ولا أسرع جواباً ، ولا ألبَّ
بالشطر نج والترد ، ولا أجمع لخصلة حسنة أراها^(٥) في امرأة غيرها قط .
فذكر ذلك ليحيى بن أكرم ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قيل له :

(١) الأغاني ١٧٥/١٨ .

(٢) القديمات (أغاني) .

(٣) في الأصل : والنشء ... من العرب ، وما أُنبتناه عن الأغاني .

(٤) كانت في الأصل (من لا يحتاج إلى شهادته غيره) وما ذكرناه عن الأغاني .

(٥) لم أر مثلاً في امرأة (الأغاني) .

أفسمعتها؟ قال : نعم ، هناك ، يعنى فى دار المأمون ، قيل : أفكانت كما ذكر أبو محمد من الخندق؟ فقال يحيى : هذه مسألة الجواب فيها على أبى إسحاق ، فهو أعلمُ بها منى .

قال حماد : فأخبرتُ أبى بذلك فضحك ، ثم قال : أما استحييت من قاضى القضاة أن تسأله عن مثل هذا ؟

ويقال : إنه كان لها من الغناء ألفان ومائة وخمسة وعشرون صوتا .

وكان أبو عبد الله الهشامى يطمن على صنعتها ، وليست كما يزعم فيها ، ولكن كان ذلك لسبب ، وهو أنه حضر يوما مجلسا فقال له عبد الملك بن عبيد الله بن طاهر : عن يابن هشام ، فقال : تبت عن الغناء منذ قتل سيدى المتوكل ، فقالت له عريب : والله لقد أحسنت حين تبت فإن غناءك كان قليل المعنى ، لا متقن ولا صحيح ولا مطرب . فأضحكت أهل المجلس جميعا منه ، فحجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ، ويعيب صنعتها ، وليس هى كذلك .

وكان يقال إن عريب كانت لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد ، وهو ربّاه وأدبها وعلمها الغناء .

وكان يقال : إنها بنت جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما نهبوا سرقت وهى صغيرة ، وذلك أنه يقال : إن أمها كانت تسمى فاطمة ، وكانت قيمةً لأم عبد الله بنت يحيى بن خالد ، وكانت صبية نظيفة ، فرآها جعفر بن يحيى ، فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها ، ففعلت وتزوجها جعفر بن يحيى ، فأنكر عليه أبوه ، وقال له : تزوج بمن لا يعرف لها أم ولا أب ، اشتر مكانها ألف جارية ، فأخرجها فأسكنها فى دار ، ناحية باب الأنبار ، سرا من أبيه ، ووكل بها من يحفظها ، وكان يتردد إليها فولدت عريبا فى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكانت سنّها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة .

وماتت أمٌ عريب في حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانية ، وجعلها داية لها
فلما حدثت بالبرامكة تلك الحادثة باعها من سنبل^(١) النخاس فباعها من المراكبي .
وقال يوسف بن يعقوب : كنت إذا نظرتُ إلى قَدَمَيَّ عريب شَبَّهْتُهما بقدمي
جعفر بن يحيى ، وذكرت^(٢) بلاغتهما في كتبها ، فقلت : وما يمنعُها من ذلك وهي
بنت جعفر بن يحيى ؟

قالت عريب : بعث الرشيدُ إلى أهلنا ، تعني البرامكة ، رسولا يسألهم عن
أحوالهم ، وأمره ألا يُعْلِمَهُمْ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِهِ ، قالت : فصار إلى عمي ، تعني الفضل ،
فسأله فأنشأ يقول :

سألونا أن كيف نحن فقلنا^(٣) من هوى نَجْمِهِ فكيف يكون
نَتَمَّتْني من الأمين إياها كل يومٍ وابن منّا الأمين
نحن قومٌ أصابنا غيرُ^(٤) الله ، رِفظلنا لرَبِّهِه نستكينُ

ذكرت عريبُ أن هذا الشعرَ للفضل بن يحيى ، وليس كذلك ، وإنما هو
للحسين بن الضحاكٍ يرثي به الأمينَ محمداً بعد قتله .

وكان المراكبيُّ مولى عريب قد خرجَ بها إلى البصرة فأَذَبَها وخرَّجَها وعلَّمها الخطَّ
والنحوَ والشعرَ والغناء ، فبرعت في جميع ذلك ، وتزايدت حتى قالت الشعر .

وكان لمولاهما صديقٌ يقال له حاتمُ بن عدي من قوادِ خراسان وقيل : إنه كان
يكتبُ لعجيف على ديوان الفرض ، فكان مولاهما يدعوهُ كثيراً ويخاطبُهُ ، فركبه دينٌ

(١) كانت في الأصل سنين .

(٢) النص في الأغاني : وسمعت من يحكي بلاغتهما في كتبها وذكرت لبعض الكتاب فقال :
وما يمنعها ...

(٣) « سألونا عن حالنا كيف أتم » (أغاني) .

(٤) عنت - حادث (أغاني) .

فاستتر عنده ، فمد عينه إلى عريب . وكاتبها ، فأجابته ، ودامت المواصله بينهما ، وعشيقه عريب ، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عَقَبٍ^(١) ، وقيل من خيوط غلاظٍ وسترته حتى همت بالهرب إليه بعد انتقاله من منزل مولاها مدة وقد اتخذ لها موضعا فلفت ثيابها ، وجعلتها في فراشها بالليل ، ودثرت بها بدثارها ، ثم تسورت من الحائط فهربت ، فمضت إليه فكثت عنده ، ومولاها لا يطلبها بفرقة ولا يتهمه بشيء من أمرها ، فلما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً لتغنيه به ، فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده : فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي : يهجو أباه ويعيره بها ، وكان كثيراً ما يهجووه :

قاتل الله عريباً	فعلت فعلا عجيبا
زكيت والليل داجر	مركباً صعباً مهيّبا
ولقد أصبح عبداً الـ	له كسحجانا حريبا
قد لعمري لطم الخد	دوقد شق الجيوباً
فارتقت متصلاً بالنـ	نجم أو منه قريبا
صبرت حتى إذا ما	أقصد النجوم الرقبا
مثلت بين حشاياها	لكيلا تستريبا
خلفاً منها إذا نو	دي لم يلف مجيبا
ومضت يحملها الخو	ف قضيبا وكثيبا
مجة لو حررت خف	ت عليها أن تذوبا
فقدت لحب	فتلقاها حبيباً
جذلاً قد نال في الدنـ	يا من الدنيا نصيباً

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

أيها الظبي الذي تسدُّ حُرَّ عَيْنَاهِ القلوبا
والذي يأكل بعضاً بعضه حسنا وطيبا
كنت بهما لذئابٍ فلقد أطعمتَ ذيبا
وكذا الشاء إذا لم يك راعيها لبيبا

ثم إن عريبَ ملته بعد ذلك فهربت منه ، فكانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد ،
وهي مستترة متخفية .

فلما كان في بعض الأيام اجتاز ابنُ أخٍ للمراكبيّ بيستان كانت فيه مع قوم
تغني ، فسمع غناءها ، فعرفه فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، حتى جاء
عمه فكبسها^(١) وأخذها وضربها مائة مفرقة ، وهي تصيح : يا هذا لم تقتلني ، لست
أصبر عليك ، أنا امرأة حرة ، وإن كنت مملوكة فبعني ، فليست أصبر على الضيقة^(٢) .
فلما كان من الغد ندم على فعله ، وصار إليها ، وقبل رأسها ويدها ورجلها ،
ووهب لها عشرة آلاف درهم .

ثم بلغ محمداً الأمين خبرها فأخذها منه ، وكان خبرها قبل ذلك قد اتصل بالأمين
في حياة أبيه ، فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل . وقبل ذلك كان قد طلبَ خادما عنده
فمنعه ، فاضطغن ذلك عليه .

فلما وليَ الخلافة جاء المراكبي ، ومحمد ركب ، ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ،
ففعل ذلك الشاكري ، فضربه المراكبي وقال : أتمننى عن تقبيل يد مولاي ؟
فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه ، فدعا محمد المراكبي وأمر بضرب عنقه ،
فسئل في أمره فعفا عنه وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ؛ ثم اقتطعها من نفقات

(١) يقال كبس القوم داره : هجموا عليها فجأة .

(٢) الضيقة : سوء الحال ، الفقر .

السكرَاع^(١) ، وبعث فأخذ عريباً من منزله مع خدم كانوا له ؛ فلما قُتِلَ محمدٌ هربت عريبٌ إلى المراكبي فكانت عنده .

ومما قال حاتم بن عدي حين هَرَبَتْ عريب من عنده من أبيات :

ورُشُوا على وجهي من الماء واندُبوا قَتِيلَ عَرِيبٍ لَا قَتِيلَ حُرُوبِ
فليتك إِذْ عَجَّلْتَنِي فَقَتَلْتَنِي تكونين من بعد الماتِ نصيبي
وقيل إنها لما هَرَبَتْ من المراكبي هربت إلى محمد بن حامد الخاقاني ، أحد
قواد خراسان ، وكان أشقرَ أزرقَ أصهبَ . وفيه تقول عريب :

بأبي كلُّ أصهب أزرقِ العينِ أشقر
جُنَّ قلبي به وليس جنوني بمنكر

قال ابن المدبر : خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلبُ ما يطلبُ الأحداثُ
من الرزق ، فكنا نسير مع العسكرِ ، فلما خرجنا من الرقة رأيت جماعة من الخدم ،
في العماريات على الجمازات ، وكنارفةً ؛ كلُّنا أتراب . فقال لي بعضهم : على بعض هذه
الجمازات عريب . قلت : من يراهني في أنبي أمرٌ في جنبات هذه العماريات ، وأنشد
أبيات عيسى ؟ فأنشدتُ الأبيات ، وأنا رافع صوتي بها حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة
قد أَخْرَجَتْ رأسها . فقالت : يا فتى قد أنسيت أجود الشعر وأطيبه ، نسيت قوله :

وعريبٌ رطبةُ الشَّفةِ رَيْنٌ قد نيكت ضروبا

اذهب نخذ ما راهنت به . ثم أَلَقْتُ السَّجْفَ ، فعلمت أنها عريب ، وبادرت
إلى أصحابي ، خوفاً من مكروه يلحقني من الخدم .

(١) السكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو ما استدق من الساقـ والسكراع
أيضاً اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

كانت للمراكي جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةٌ الوجه بارعةٌ الحُسن ، وكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام ، وإلى من تزوره [من أهله ومعارفه] ^(١) فكانت ربما دخلت مع عريب إلى ابن حامد الذي كانت تحبه ، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيبَ على عريب
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت مع الرقيب
أنهين المريبَ عن المعاصي وكيف وأنت من شأن المريب
وكيف يُجانبُ الجاني ذنوباً لديك وأنت داعيةُ الذنوب
فإن يستر قبوك على عريب فما رقبوك من ريب القلوب

ويشبه هذا قول الناشي في رقيقة الغنية :

فديتُك لو أنهم أنصفوا لما منعوا العينَ عن ناظرٍيك
وقد بمثوك رقيباً لها فمن ذا يكون رقيباً عليك
ألم يقرءوا ويحهم ما يرون من وحى طرفك في مقلتيك
يصدون أعيننا عن سواك وهل تنظر العين إلا إليك

لما نُمي خبرُ عريب إلى الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها ، فأحضرا

فغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي :

لكل أناس جوهراً متنافساً وأنت طرازُ الأنساتِ الملائحِ

فطرب الأمين ، واستعادها الصوت مراراً ، وقال لإبراهيم : كيف سمعت يا عم ؟ قال : سميتُ حسناً ، وإن تطاولت بها الأيام ، وسكن روعها ازداد غناؤها حسناً . فقال الربيع : خذها إليك ، وساوم بها ، ففعل واشتط مولاها في السوم ، ثم أوجبها له بمائة ألف درهم ، وانتقض أمرُ الأمين وشغل عنها وشغلت عنه ، فلم يأمر

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

لمولاها بشمها حتى قتل ، بعد أن افتضحها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هربت منه إلى حاتم
ابن عدي ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فتظلم إليه المراكبي من حاتم فأمر
بإحضاره ، فأحضره فسأله عنها ، فأنكرها . فقال له المأمون : كذبت وقد وقع إلى
خبرك . وأمر صاحب الشرطة أن يُجرده في مجلس الشرط ، ويضع عليه السياط
حتى يردّها ، فأخذه وبلغها الخبر فركبت حمار مكار ، [وجاءت] وقد جرد ليضرب ،
وهي مكشوفة الوجه ، وهي تصيح : أنا عريب ، إن كنت مملوكة فليبعني ، وإن كنت حرة
فلا سبيل له عليّ . فرُفع خبرها إلى المأمون ، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي ،
فعدّلت عنده ، وتقدم إليه المراكبي مطالباً بها ، فسأله البيّنة على ملكه إياها ، فعاد
متظاهماً إلى المأمون ، فقال : قد طولبت بما لم يُطالب به أحد في رقيق ، لا يوجد مثله
في يد من اتباع عبداً أو أمة ، وتظلمت إليه زبيدة وقالت : من أغلظ ما جرى على
من بعد قتل ابني هجوم المراكبي على داري ، وأخذ عريب منها . فقال المراكبي :
إنما أخذت ملكي ، لأنه لم ينقذني الثمن . فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي ،
وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقي ، فأخذها من قتيبة بن زياد ، وأمره
ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ، فذهبت به كل مذهب ميلاً إليها
ومحبة لها .

ولقد حدث عليّ بن يحيى المنجم أن المأمون قبل في بعض الأيام رجلاً . ولما مات
المأمون بيعت في ميراثه ولم يُبع له عبد ولا أمة غيرها [فاشتراها الممتصم بمائة ألف
درهم وأعتقها فهي مولاته . وأخبرني جحظة عن ميمون بن هارون أن المأمون
اشتراها]^(١) بخمسة آلاف دينار . ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفع الثمن ، وقال :
لولا أني خلّفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتكَ ، ولكني سأوليك عملاً

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل وما أثبتناه عن الاغانى وبه يستقيم الكلام .

تكسب فيه أضعاف هذا الثمن مضاعفا ، ورمى إليه بخاتميين من ياقوتٍ أحمرٍ قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنياً . فقال : يا سيدي إنما ينتفع بهذا الأحياء وأما أنا فأني لا محالة مَيِّتٌ ، لأن هذه الجارية كانت حياتي ، وخرج عن حضرته فاختلف وتغير عقله ، ومات بعد أربعين يوماً .

قال إبراهيم بن رباح : كنت أتولى تفتات المأمون ، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريباً ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرني المأمون بحملها إليه ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهمٍ أخرى ، ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبت ذلك في الديوان ، فكتبت أن المائة ^١الألف درهم خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة ألف درهم الأخرى خرجت لصانها ، ودلالها ، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره على وسألني عنه ، فقلت : نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمون عن ذلك ، فقال : وهبت لدلال وصانع مائة ألف درهم وغلظ القضية فأنكرها المأمون ، ودعاني فدوت فأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريبٍ وصلة إسحاق ، وقلت : أيما أصوب ، يا أمير المؤمنين ، ما فعلت أو أن أثبت في الديوان أنها خرجت في ثمن مغنية وصلة مغنٍ ؟ فضحك المأمون ، وقال : الذي فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطي لا تعترض على كاتبني هذا في شيء .

ولما صارت عريبٌ في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد ، وكانت قد عَشِقَتْهُ وكتَبَتْهُ ، ثم احتالت في الخروج إليه ، فكانت تلتقي في الوقت بعد الوقت ، حتى حبَلَتْ منه ، وولدت بنتاً ، فبلغ المأمون فأمر بإلباسها جُبَّةً صوفٍ ، وختم زيقها ^(١) وحبسها في كنيفٍ شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب ، كل يوم ، ثم ذكرها فرقاً لها وأخرجها ، فلما فتح الباب عنها وأخرجت . فلم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى :

(١) الزيق من الثوب : ما أحاط بالعنق ، وما كف من جانب الجيب .

لو كان يقدرُ أن يدُنُّكَ ما به رأيتَ أحسنَ عائبٍ يعتبُ
حَجَّبُوهُ عن بَصَرِي فمثلَ شَخْصُهُ في القلبِ فهو مُحَجَّبٌ ما يُحِجِبُ
وبلغ المأمون فعجب منها ، ثم قال : لن تصلح هذه أبداً . فزَوَّجَهُ إياها .
اصطبح المأمون يوماً ، وعنده جلساؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين ،
وعريبٌ جالسةٌ معه على مُصْلَاهُ ، فأومأ إليها محمد بن حامد يطلبُ قبلةً فاندفعت تغني
ابتداءً :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كَاشِيَةِ الْبَرْدِ الْبَيَانِي الْمُسْتَهْمَ
فقال لها المأمون : أمسكي فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : أيكم أومأ إلى
عريب بقُبلة ؟ والله لئن لم يَصْدُقْنِي لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ ، فقام محمد ، وقال : أنا يا أمير
المؤمنين أومأت ، والعمو أقرب للتيقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدلتُ
أمير المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأت صوتاً وهي لا تغني ابتداءً إلا لمعني ، فعلت
أنها لم تبتدي هذا الصوت إلا لمعني أومئ به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع
الإيماء بقُبلة ، فعلت أنها أجابت بطعنة .

وكانت عريب قد عَشِقتُ صالح بن المنذر الخادم ، فزوجه سرّاً من المتوكل ،
فوجه به المتوكل إلى مكانٍ بعيدٍ في حاجة له ، فقالت فيه شعراً وغنت فيه وهو :

أما الحبيبُ فقد مضى بالرغمِ مِنِّي لا الرضا
أخطأت في تركي لن لم أَلِفِ عنه مَعْوِضاً

فطرب المتوكل واستعماده ، وجعل جوارِيَه يتغامزن ويضحكن ، ففطنت ،
فأصغت إليهن سرّاً من المتوكل . وقالت : يا سحاقات ، هذا خيرٌ من عملكن .

قال محمد بن يحيى الوائلي : قال لي محمد بن حامد ليلةً : أحبُّ أن تُفَرِّغَ لي مضربك ،
فإني أريد أن أجيتُكَ فأقيمَ عندك ، فعلت ، ووافاني . فلما جلس جاءت عريبُ ، فدخلتُ

فجعل يما تَبُّها ، فيقول : فعلت كذا وفعلت كذا ، فقالت لى : يا محمدُ هذا عندك رأى ؟ ثم أقبلت عليه فقالت : يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه ، وفيما جئنا له ، واجمل سراويلي مَخْنَقَتِي والصق خَلْخَالِي بِقُرْطِي وإذا كان غداً فاكتب بعتابك فى طومار ، حتى أكتب إليك بعذرى فى مثله ، ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر :

دعى هذى الذنوبَ إذا التقينا تعالى لا نعدُّ ولا تعدُّى
فأقسم لو هممت بحد شعرى إلى نار الجحيم لقلت مدى

دخلتُ بعضُ جوارى المتوكل يوما إلى عريب ، فقالت لها عريب : ويحك تعالى فقبلى سالفتي ، فإنك تجدين ريح الجنة . ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب فى ذلك ؟ فقالت : قبلى الساعةَ صالح بن المنذر فى هذا الموضع .

حدث بعض من دخل إلى عريب يوما ، قال : دخلنا مُسَلِّمين فقالت : أقيموا عندى اليوم ، حتى أطعمكم لَوَزَيْنَجَةً ، صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب ، وما حضر من الوظيفة ، وأغنيكم أنا وهى ، فقلت لها : على شريطة . قالت : وما هى ؟ قلت : شىء أريدُ أن أسألكِ عنه منذُ سنين ، وأنا أهابك . قالت : ذلك لك ، وأنا أقدمُ الجوابَ قبل أن تسألنى عن شرطى . أى شىء هو . فقلت : والله ذلك الذى أرذت . فقالت : أيرُ صُلبٌ ونكهةٌ طيبةٌ ، وما انضاف إلى ذلك من حُسنٍ يُوصفُ وجمالٍ يُحمدُ ، زاد قدره عندى ، وإلا فهذان مالا بدلى منهما .

وكانت سننها لما كانت عند المأمون أربعةَ عشرَ سنة . وكان الواثق منحرفا عنها ؛ لأنها كانت تكايدُه فيما يصوغُ من الألحان . وكان المعتصمُ منحرفا عنها ؛ لأنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ، ببلد الروم : اقتل أنت العليج ، وكان يشتهرُ

بالليل ، حتى أقتلَ أنا الأمورَ الليلى ههنا ؛ تمنى الواصل ، وكان المعتصم استخلفه ببغداد .

قال أبو العتّس بن حمدون : غَضِبْتُ عَرِيبٌ عَلَى بَعْضِ جَوَارِيهَا ، فَجِئْتُ إِلَيْهَا يَوْمًا وَسَأَلْتُهَا أَنْ تَعْفُو عَنْهَا ، فَقَالَتْ فِي بَعْضِ مَا تَقُولُ مِنْ تَعْدَادِ ذُنُوبِهَا : إِنْ كُنْتُ تَشْتَهِي أَنْ تَرَى زَنَايَ وَصَفَاقَةَ وَجْهِ وَجُرَّاتِي عَلَى كُلِّ عَظِيمَةٍ أَيَّامَ شَبَابِي فَانْظُرْ إِلَيْهَا .

وكانت عريب في أيام شبابها يقدم إليها اليرّذون فتطفر^(١) عليه بلا ركاب .
تَمَارَى الْمَأْمُونُ وَأَبُو عَلَى يَوْمًا فِي صَوْتٍ ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ : أَيْنَ عَرِيبٌ ؟ فَجَاءَتْ ، وَهِيَ مَحْمُومَةٌ ، فَسَأَلَهَا عَنِ الصَّوْتِ ، فَقَالَتْ فِيهِ بَعْلُهَا ، فَقَالَ لَهَا : غَنِّيه ، فَوَلَّتْ لَتَجِيءَ بِالْعُودِ ، فَقَالَ لَهَا : غَنِّيه بِلَا عُودٍ ، فَاعْتَمَدَتْ مِنَ الْحُمَى عَلَى الْحَائِطِ وَغَنَتْ ، فَأَقْبَلَتْ عَقْرَبُ فَضْرَبَتْهَا فِي يَدَيَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَهَا وَلَا سَكَتَتْ حَتَّى فَرَّغَ الصَّوْتُ ، ثُمَّ سَقَطَتْ وَقَدْ غَشِيَ عَلَيْهَا .

قَالَتْ تَحْفَةُ جَارِيَةٍ عَرِيبٍ : كَانَتْ عَرِيبٌ تَجِدُ فِي رَأْسِهَا بَرْدًا ، وَكَانَتْ تُغْلَفُ رَأْسُهَا مَكَانَ الْغَسْلَةِ بِسَتَيْنِ مَثْقَلَا مِنْ مَسْكٍ وَعَنْبَرٍ ، وَتَغْسِلُهُ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ . فَإِذَا غَسَلَتْهُ أَعَادَتْهُ ، وَيَقْتَسِمُ الْجَوَارِي غُسَالَةَ رَأْسِهَا بِالْقَوَارِيرِ ، وَمَاتَسَرَّحُهُ بِالْمِيزَانِ .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى عَرِيبٍ مُسَلِّمًا ، فَلَمَّا اطْمَأْنَنْتُ جَالِسًا ، هَطَلَتِ السَّمَاءُ بِمَطَرٍ عَظِيمٍ ، فَقَالَتْ : أَقِمْ عِنْدِي الْيَوْمَ حَتَّى أُغْنِيكَ أَنَا وَجَوَارِيَّ ، وَابْعَثْ إِلَيَّ مِنْ أَحَبِّتِ مِنْ إِخْوَانِكَ ، فَأَمَرْتُ بِدَوَابِي فَرُدَّتْ وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ خَبَرِنَا بِالْأَمْسِ فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، وَمَنْ كَانَ يَغْنِينَا ، وَأَيَّ شَيْءٍ اسْتَحْسَنَّا .

(١) يقال طفر يطفر طفورا : وثب في ارتفاع كما يطفر الإنسان على الحائط أى يثب إلى ما وراءه (وفي الأصل : يطفو عليه بالركاب) والتصويب عن الأغاني .

فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان بن الماخوري فقالت : ما هو ؟
فقلت :

تُجَافِي نَمَ تَنْطَبِقُ جَفُونُ حَشَوُهَا الْأَرْقُ
وَذِي كَلَفٍ بَكَ جَزَعًا وَسَفَرِ الْقَوْمِ مَنْطَلِقُ
بِهِ قَلَقٌ يُمَلِّمُهُ وَكَانَ وَمَا بِهِ قَلَقُ
جَوَانِحُهُ عَلَى خَطَرٍ بِنَارِ الشَّوْقِ تَحْتَرِقُ
فوجهتُ رسولاً إلى بنان فحضر ، وقد بلّاه المطر ، فأمرتُ بِخِلْعٍ فاخرة فدخلتُ
عليه وقُدِّمَ له طعام ، فأكل وجلس يشرب معنا ، فسألته عن الصوت فغناها ،
فأخذتُ دواة ورقعة وكتبتُ فيها :

أَجَابَ الْوَابِلُ الْغَدِيقُ وَصَاحَ النَّرْجِسُ الْفَرِيقُ
وَقَدْ غَنَى بَنَانٌ لَنَا جَفُونُ حَشَوُهَا الْأَرْقُ
فَهَاتِ الْكَاسَ مَرَعَةً كَأَنَّ حُبَابَهَا حَدَقُ

فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات .

قال الفضل بن العباس : زارتني عريبُ يوما ، ومعهما عِدَّةٌ من جوارِيها فوافقتنا
ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تقيم عندي . فأبت ، وقالت :
دعاني جماعة من إخواني ؛ أهل الفضل والأدب والظرف ، وهم مجتمعون في جزيرة
المربد ، وفيهم إبراهيمُ بن المدبر ، وسعيد بن مُحَيَّد ، ويحيى بن عيسى ، وقد
عَزَمْتُ على المصير إليهم ، فخلفتُ عليها فأقامت عندنا ، ودعت بقرطاسٍ ودواة
وكتبت إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم - وكتبت في سطر واحد بعد البسملة ثلاث كلمات متفرقة
ولم تزد عليها وهي : أردت ، ولولا ، ولعل .

ووجهت بها إليهم فلما وصلت الرقعة إليهم كتبوا تحت
أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت ولعلی : أرجو
ووجهوا بالرقعة ، فلما وصلت إليها صَفَقَتْ ونَعَرَتْ^(١) وشربت رطلا وقالت : أنا
أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم إذا تركني الله من يديه ، ولكن أُخَلِّفُ عندكم من جَوَارِيٍّ
من يكفیکم وأقوم إليهم ، وقامت وخلفت عندنا بعضَ جوارِیها ، وأخذت معها
بعضهم وانصرفت .

عقب المأمونُ على عریب فهجرها أياماً ، ثم اعتلت فمادها ، فقال : كيف وجدتِ
طعمَ الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مرارةُ الهجرِ ما عُرِفَتْ حلاوةُ الوصلِ ،
ومن ذمَّ بدءَ الغضبِ حمْدَ عاقبةِ الرضا ، فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقضية ،
ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام لم يكن كثيراً ؟

وجرى بين المأمون وبينها كلام ، فكلما المأمونُ بشيء غَضِبَتْ منه ، فهجرته
أياماً ، قال أحمد بن أبي دؤاد : فدخلت على المأمون يوماً ، فقال : يا أحمد افْضِ بيننا ،
فقات عریب : لا حاجة لي في قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :
وتخلِطُ الهجرَ بالوصالِ فلا تُدْخِلُ في الصلحِ بيننا أحداً

قال حمدون : كنت حاضراً عند المأمون ، ببلاد الروم ، عند العشاء الآخرة ،
في ليلة ظلماء ، ذات رعود وبروقٍ فقال لي المأمون : اركب الساعةَ فرساً من النوبة ،
وسر إلى عسكر أبي إسحاق ، - يعني المعتصم - فأدِّ إليه رسالتی ، وهی كیت وكیت ،
فرکبتُ ، فلم تلبثُ معي شمة ، وسمعتُ وقع حافر دابة ، فرهبت ذلك ، وجعلت أتوقَّأُ
حتى صَکَّ ركبائی ركابهُ ، وبرَّقتُ برقةً فأصابَتْ وجهَ الراكبِ ، فإذا عریبٌ ، قالت :
عریب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت لها : مِنْ أينَ أقبلت في هذا الوقت ،

(١) نعر الرجل ينعر : صاح وصوت بنحيشومه .

فقلت : من عند محمد بن حامد ، فقلت : وما صنعتِ عنده ؟ فقلت : يا نكيس ، عريبٌ تَجِيءُ في مثل هذا الوقتِ من عند محمد بن حامد ، خارجةً من مضارب الخليفةِ وراجعةً إليها ، تقول لها : إيش عملت ؟ صليت معه التراويحَ ، قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، دارستُه شيئاً من الفقه يا أحمق !! تعاتبنا وتجادتنا واصطلحنا ، ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا ، وانصرفنا ، فأخجلتني ، وغازقتني ، فسُقت وتركتها ومضيت ، فأديت الرسالة ، وعدتُ إلى المأمون ، وأخذنا في الحديث ، وتناشدنا الأشعار ، فهممت أن أحدثه حديثها ، ثم هبته فقلت : أقدمُ قبل ذلك تمريراً بشيء من الشعر فأنشدته :

ألا حي أطلالا لقاطمة الحبل أوفت تساوى صالح القوم بالندل^(١)

فلو أن ما أمسى بجانب تلمسة إلى جبلي طي لساقطة الحبل

جلوس إلى أن يقصر الظل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

فقال المأمون : اخفض صوتك ، لئلا تسمعك عريب ، فتغضب ، وتظن أننا

في حديثها ، فأمسكت عما أردتُ إلى آخره ، وخار الله لي في ذلك .

قال إبراهيم اليزبدي : كنت مع المأمون في بلد الروم ، فبينما أنا أسير في ليلة مظلمة باردة ذات غيم وريح ، وإلى جانبي قبةٌ إذ برقت برقةٌ فإذا في القبة عريب ، فقلت : إبراهيم ؟ فقلت : لبيك ؟ فقلت : قل أبيتاً ملاحاً في هذا البرق لأغني فيها ، فقلت :

ما بقلبي من أليم الخفق إذا رأيت لمان البرق

من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق

فإن فيه وهو أعز الخلق على والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي ولست أبني ما حيت عتي^(٢)

(١) بالرذل (أغاني) .

(٢) في ١ ، ب : عشق . وفي الأغاني عتي وهي تقابل رقي في البيت .

فَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا ظَنَنْتُهُ قَدْ قَطَعَ حَيَازِيمَهَا ، فَقُلْتُ : وَيْحَكَ عَلَى مِنْ هَذَا النَّفْسِ ؟
فَضَحِكْتَ ثُمَّ قَالَتْ : عَلَى الْوَطَنِ ، فَقُلْتُ : هِيَ هَاتِ لَيْسَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى الْوَطَنِ . فَقَالَتْ :
وَيْحَكَ ظَنَنْتَ أَنَّكَ تَسْبِقُهُنَّ ، وَاللَّهِ لَقَدْ نَظَرْتُ نَظْرَةً مَرِيئَةً فِي مَجْلِسٍ ، فَادْعَاهَا مِنْ
أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رَئِيسًا ، وَاللَّهِ مَا عَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ إِلَى هَذَا
الْوَقْتِ .

وَقَعَ بَيْنَ عَرِيبٍ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ شَرٌّ فَتَقَاطَعَا بِسَبِيهِ ، وَكَانَ يَجِدُهَا الْوَجْدَ
كُلَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهَا أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِهِ ، فَلَقِيْتُهُ يَوْمًا ، فَقَالَتْ : كَيْفَ قَلْبُكَ يَا مُحَمَّدُ ؟
قَالَ : أَشَقُّ مَا يَكُونُ وَأَقْرَحُهُ : فَقَالَتْ : اسْتَبْدِلْ تَسْلُ ، فَقَالَ لَهَا : لَوْ كَانَتْ الْبُلُوعَى
بِاخْتِيَارِي لَفَعَلْتُ ، فَقَالَتْ : لَقَدْ طَالَ إِذَا تَعَبُكَ . فَقَالَ : وَمَا يَكُونُ ؟ أَصَبْرُ مُكْرَهَا ،
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

تَعِبَ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ لَذَى الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ فِي الْيَاسِ
لَوْلَا كَرَامَتُكُمْ لَمَّا عَاتَبْتُكُمْ وَلَكِنْتُمْ عِنْدِي كَبِيعِ النَّاسِ
قَالَ : فَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ ، وَاصْطَلَحَا ، وَعَادَا إِلَى أَفْضَلِ مَا كَانَا
عَلَيْهِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَاتِ : كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ نَشْرَبُ ، وَعَرِيبٌ حَاضِرٌ
عِنْدَهُ ، إِذْ غَنَى بَعْضُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ هَذَا الصَّوْتُ :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ قَدْ كُسِيتَ مِثْلَهَا مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ الْمُسْتَنِيرِ الْوَاضِحِ
وَأَرَاكَ تَسْمُجُ بِالْحَقِّ وَحُسْنُهَا بَاقٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَيْسَ بِنَازِحِ

فَضَحِكْتَ عَرِيبٌ وَصَفَقْتَ ، وَقَالَتْ : مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْرِفُ خَبَرَ هَذَا
الصَّوْتِ غَيْرِي ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَّا عَلَى مَسْأَلَتِهَا غَيْرِي ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ
بِالْقِصَّةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ صَاحِبَ الْقِصَّةِ قَدْ مَاتَ لَمَّا أَخْبَرْتُكُمْ . إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ قَدِيمَ بَغْدَادٍ ،

فَنَزَلَ بِقَرَبِ دَارِ صَالِحِ الْمَسْكِينِ ، فِي خَانِ هُنَاكَ ، فَاطَّلَعَتْ يَوْمًا أُمُّ مُحَمَّدٍ بِنْتُ صَالِحٍ فَرَأَتْهُ
يَبُولُ ، فَأَعْجَبَهَا أَيْرُؤُهُ ، وَأَحْبَبَتْ مُوَاصَلَتَهُ ، فَجَعَلَتْ لَذَلِكَ عِلَّةً بِأَنْ وَجَّهَتْ [إِلَيْهِ]
تَقْتَرِضُ مِنْهُ مَالًا ، وَتُعَلِّمُهُ بِأَتَمِّهَا فِي ضَيْقَةٍ ، وَأَنَّهُ تَرُدُّهُ [إِلَيْهِ] بَعْدَ جُمُعَةٍ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا
عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَحَلَفَتْ أَنَّهُ لَوْ مَلَكَ أَكْثَرُ مِنْهَا لَبَعَثَ بِهِ ، فَاسْتَحْسَنْتَ ذَلِكَ
فَوَاصَلَتْهُ ، وَجَعَلَتْ الْقَرْضَ سَبِيلًا لِلْوُصْلَةِ ، وَكَانَتْ تُدْخِلُهُ إِلَيْهَا لَيْلًا ، وَكَانَتْ أَنَا أُغْنِي
لَهَا لَيْلَةً فَشَرَبْنَا فِي الْقَمَرِ ، وَجَعَلَ أَبُو عَمَلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ وَكَتَبَ :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ قَدْ كُسِيتَ مُشَابِهَا مِنْ وَجْهِ أُمِّ مُحَمَّدٍ ابْنَةِ صَالِحٍ

وَالْبَيْتُ الْآخِرُ . . .

وَقَالَ لِي : غَنَى فِيهِ ، فَغَنَيْتُ فَاسْتَحْسَنَاهُ ، وَشَرَبْنَا عَلَيْهِ فَقَالَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ فِي آخِرِ
الْمَجْلَسِ : يَا أُخْتِي إِنَّكَ قَدْ غَنَيْتِ فِي هَذَا الشَّعْرِ وَهُوَ سَيَبْقَى عَلَى فَضِيحَةٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ،
فَقَالَ أَبُو عَمَلٍ أَنَا أَغْيَرُهُ ، تُغَنِّي مَكَانَ : أُمِّ مُحَمَّدٍ ، ابْنَةِ صَالِحٍ [مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ الْمُسْتَنِيرِ
الْوَاضِحِ] .

فَغَنَيْتُهُ كَمَا غَيَّرَهُ ، وَأَخَذَهُ النَّاسُ عَنِّي ، وَلَوْ كَانَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ بَاقِيَةً لَمَا أَخْبَرْتُكُمْ الْخَبْرَ .
وَأَبُو عَمَلٍ هُوَ النَّسَابَةُ ، وَاسْمُهُ عَوْفُ بْنُ عَمَلٍ .

كَتَبْتُ عَرِيبُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ تَسْتَرْيَهُ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهَا :

إِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ تَحْذَرُ مَا تَحْذَرُ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَجْسِرُ

فَالِي أَقِيمْ عَلَى صَبَوَاتِي وَيَوْمَ لِقَائِكَ لَا يُقْدِرُ

فَصَارَ إِلَيْهَا مِنْ وَقْتِهِ .

عبد الله بن الحسن بن الحسن^(١)

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

كنيته أبو محمد ، وأم عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي ، وأمها أم
إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان من طي^٢ ،
وسُميت الجرباء لحسنها ، وكانت لا تقف إلى جانبها امرأة ، وإن كانت جميلة
إلا استُقبِحَ منظرُها لجمالها ، فكان النساء يتحamen أن يقفن إلى جانبها ، فسميت
الجرباء بالناقة الجرباء التي يتوقاها الإبلُ مخافة أن تمديها .

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش ، وأسوئهن خلقاً .

ويقال : إن نساء بني تميم كانت لهن حُظوةٌ عند أزواجهن على سوء أخلاقهن .
وروي أن أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت ، وهي لا تكلم زوجها ،
وكانت أم إسحاق عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا
بالحسين ، فقال له : يا أخى ، إني أَرْضَى هذه المرأة [لك] فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتِكُمْ
فإذا انقضت عدتها فتزوجها .

فلما توفي الحسن تزوجها الحسين ، وهي كانت ولدت من الحسن ابنه طلحة بن
الحسين . فهو أخو فاطمة وابن عمها .
وقد درَجَ طلحة ولا عَقِبَ له^(٢) .

(١) الأغاني ١٨ : ٢٠٣ م. ذب ١٣٣ / ٧ .

(٢) في الأصل : روج ولا حفت له والتصويب عن الأغاني .

ومن ظريف أخبار النساء التميميات في حظوتهن وسوء أخلاقهن أن أم سلمة بنت محمد بن طلحة كانت عند عبد الله بن الحسن ، فكانت تقسو عليه وتغلظ عليه ويفرق منها ولا يخالفها ، فرأى منها يوما طيبَ نفس فأراد أن يشكو إليها قسوتها . فقال لها : يا بنت محمد قد أحرقت والله قلبي . فحدّدت إليه النظر ، وجمعت وجهها فقطع كلامه . فقالت : أحرقت قلبك ماذا ؟ فخافها ، ولم يُقدِّم على أن يقول : سوء خُلقك ، فقال : حبُّ أبي بكر الصديق ، فأمسكت عنه .

وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين ، في حياة عمه ، وهو زوجة إياها ، لأنه خطبَ إلى عمه الحسين ، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر يا بُنَيَّ أحبَّهما إليك ، فاستحيا الحسن ولم يُجِر جوابا ، فقال له الحسين : إني قد اخترت لك فاطمة ، فهي أكثرها شبهاً بأبي فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ويقال إنه لما خيره اختار فاطمة ، فكانوا يقولون : إن امرأة سكيمة مردودتها^(١) لمنقطعة القرين في الجمال .

لما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع ، وجعل يقول : إني لأجد كُرْباً ليس منه كُرْبُ الموت ، فقال بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جدُّك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، قال : لعمري إن الأمر كذلك ، ولكني كُنتُ بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت قد جاء في مخرجتين أو مُصْرَتَيْن وقد رجَلُ جُمَّتِهِ ، ويقول : أنا من بني عبد مناف ، جئت لأشهد ابن عمي^(٢) ، وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فإذا جاء

(١) في الأصل : (أمر منى مردو لها) وما صوبناه عن الأغاني .

(٢) في الأصل : لا أشهد أن غمي والصواب عن الأغاني .

فلا يدخل عليّ ، فصاحت به فاطمة : أسمع ؟ قال : نعم . قالت : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ وكل مالٍ لي صدقةٌ إن تزوجتُ بعدك أحداً أبداً . قال : فسكن الحسنُ فما تنفسَ ولا تحرك ، حتى قضى ، فلما ارتفع الصياحُ أقبل عبدُ الله على الصّفة التي ذكرها الحسنُ ، فقال بعض القوم : يدخل ، وقال بعض القوم : لا يدخل ، فقال قوم : ما يضرُّ من دخوله ، فدخل وفاطمةُ تصكّ وجهها ، فأرسل إليها وصيفاً معه ، فجاء يتخطّى الناس حتى دنا منها ، فقال : يقول لك مولاي : أبقى على وجهك فإن لنا فيه أرباباً ، فأرسلت يدها في كمّها واحتمت فعرّف ذلك منها فما لطمت حتى دُفن ، فلما انقضت عدتها خطبها . قالت : كيف لي بنذري ويميني ؟ فقال : نخلف عليك بكل عبدٍ عبدين وبكل شيء شيئين ، ففعل وتزوجته .

وقيل إنه لما خطبها أبت فخلقت عليها أمها أن تزوجه ، وقامت في الشمس ، وآلت لا تبرح حتى تزوجه ، وكرهت فاطمة أن تخرج أمها فتزوجته .
وكان عبدُ الله بن الحسن بن الحسن شيخَ أهله ، وسيداً من ساداتهم ، مقدّماً فيهم ؛ علماً وفضلاً وكرماً .

وحبسه أبو جعفر المنصورُ في الهاشمية بالكوفة ، لما خرج عليه ابنه محمد وإبراهيم ، فمات في الحبس وقيل : سقط عليه وقيل غير ذلك .

وكان يقال : من أحسن الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن . ويقال : من أفضل الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن .

وكان يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولدني مرتين^(١) .

وهو أول من اجتمع له ولادةُ الحسن والحسين ، رضوان الله عليهما .

(١) وفي الأغاني : ولدني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان مكتسباً نوراً من قرّنه إلى قرّنه .

وقال مصعب الزيرى : انتهى الحسنُ إلى عبدِ الله بن الحسنِ .

لما بنى أبو العباس بناءً بالأنبار ، الذى يُدعى رصافةً أبى العباس ، قال لعبد الله بن الحسن : ادخل فانظر ، فدخل معه ، فلما رآه تمثل :

ألم تر حَوْشَبًا يبنى قصورا ليبقى نفعها لبني نَفْيَـه
يَوْمَئِذٍ أَنْ يُعْمَرَ عُمرَ نوح وأمرُ الله يحدثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

كان أبو العباس قد كتب إلى عبد الله بن الحسن فى تغييب ابنه ، فاحتمله أبو العباس ولم يبليه بهما :

أريد حياته ويريدُ قتلى عذيرك من خليلك من مراد
فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود ، مولى أبى حسين ، فأجاب عنها فقال :
وكيف يريد ذاك وأنت منه وزندك حين يُقدَحُ فى زناد
وكيف يريد ذاك وأنت منه بمنزلة النياطِ من الفؤاد
وكيف يريد ذاك وأنت منه وأنت لهاشم رأسٌ وهادٍ

قال عبد الله بن الحسن : بينا أنا فى سمر أبى العباس ، وكان إذا ثأب ، أو ألقى المروحة من يده قنأ ، فألقاها ليلة . فقمنا على الرسم ، فأمسكنى ولم يُبقَ غيرى ، فأدخل يده تحت فراشه ، فأخرج إضبارة كتب وقال : اقرأ يا أبا محمد . فإذا كتاب محمد ابنى إلى هشام بن عمرو التغلبي ، يدعوهُ إلى نفسه ، فلما قرأته قلت : يا أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرههُ ما كانا فى الدنيا .

قال عُقْبَةُ بن سَلَمَةَ : دعانى أبو جعفر فسألنى عن اسمى ونسبى . فقلت له : أنا عقبة بن سَلَمَةَ بن رافع . قال : إني لأرى الرهبة ، وإني أريدك لأمر أنا معننى به . قلت : أرجو أن أصدق ظنك يا أمير المؤمنين . قال : فأخف شخصك ، وأتني

في يوم كذا ، فأتيته ، فقال : إن بني عمنا قد أبوا إلا كيداً لملكنا ، ولهم شيعه بخراسان ، بقرية كذا وكذا ، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطف ، فأخرج بكتبي وألطفني حتى تأتيهم متكررا ، بكتاب أكتبه عن أهل القرية ، ثم تسير إلى ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك ، وإلا كنت على حذر منهم ، حتى تلقى عبد الله بن الحسن منتجعاً ، فإن جبهك ، وهو فاعل ، فاصبر وعادوه أبداً حتى يأمنك^(١) ، فإذا أظهر لك مافي قلبه فأعجل إلى . ففعل ذلك ، وتردد إليه ، وخييه عبد الله بن حسن ، فلم يزل به حتى أنس به ، فقال عتبة : الجواب ، فقال : أما الكتاب فإني لا أكتبه ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرتهم السلام ، وعرفهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا ، فقدم عتبة على أبي جعفر وأخبره الخبر ، فلما حج أبو جعفر جلس يتغدى بأوطاس^(٢) ، ومعه على المائدة عبد الله بن الحسن ، وجماعة من بني العباس ، فأقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم قد استوحشا من ناحيتي ، وإني لأحب أن يأنساني ويأتياي ، وأصلهما وأزوجهما وأخبطهما بنفسي ، قال ، وعبد الله مطرق طويلاً ، ويقول : والله يا أمير المؤمنين ؛ مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، وقد خرجا عن يدي ؛ فيقول : لا تفعل ، يا أبا محمد ، فاكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، وكان أبو جعفر قد قال لعتبة بن سكرة : إذا فرغنا من الطعام ولحظتكم فامثل بين يدي عبد الله فإنه سيصرف عنك بصره فدُر حتى تغمر ظهره بإبهام رجله ، حتى يملا عينه منك ، ثم حسبك . وإياك إياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل

(١) يأنس بك (أغاني) .

(٢) أوطاس واد بديار هوازن (مرصد) .

عقبه ذلك ، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، فقال :
يا أمير المؤمنين أرقلني أقالك الله ، قال : لا أقالني الله إن أفلتت ، ثم أمر بحبسها .
وقيل : إنه لما سأل عبد الله عن ابنه قال : لا علم لي بهما ، حتى تغالطا ، فأمضه^(١)
أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأي أمهاتني تمضني^(٢) ؟ بخديجة بنت خويلد ،
أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت الحسين ، أم بأم
إسحاق بنت طلحة ؟ فقال : ولا بواحدة منهن^(٣) ، ولكن بالجرباء بنت قدامة ،
فوثب السيب بن زهير فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام
زياد بن عبد الله ، فألقى عليه رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هبه لي ، فأنا أستخرج
ابني ، فنجوا منه .

وكان حج أبي جعفر في سنة أربعين ومائة .

وتوفي عبد الله في كعبته ، بالهاشمية في سنة خمس وأربعين ومائة ، وسن
عبد الله إذ ذاك خمس وسبعون سنة .

ومن شعر عبد الله بن الحسن قوله :

يا هند إنك لو علمت	بما ذاكين	تقابما
قالا فلم يسمع لما	قالا فقلت	بلى اسما
هند أحب إلي من	أهلي ومالي	أجمعا ^(٣)
فلقد عصيت عسوازلا	وأطمت قلبا	موجعا

وهند هذه التي عنها زوجته ، هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة^(٤)

ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

(١) أمضه الأمر : أوجعه وشق عليه .

(٢) في الأصل : (ولا وأبوك جده محمد بن) وما نقلناه عن الأغاني .

(٣) مالي وروحي فارجعا (أغاني) .

(٤) في الأصل ربيعة ، والتصويب عن الأغاني . وجهرة الأنساب ١١٠ .

وكان أبو عبيدة جواداً سيّداً مُمدّحاً .

وأم هند قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب .
وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان ،
فمات عنها . وكان عبد الملك زَوْجَ ولدِ عبد الله هذا هندا هذه ، وريطة بنت
عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادها فمات عبد الله عن هند
أو طلقها ، فتزوج هندا عبد الله بن الحسن بن الحسن وتزوج ربيعة محمد بن علي
فجاءت بأبي العباس السفاح . وكانت هند قد ورثت من عبد الله بن عبد الملك مالا ،
فقال عبد الله بن الحسن لأمه فاطمة : اخطبي عليّ هندا فقالت : إذا ترُدُّك ، أتعطع
في هند ، وقد ورثت من عبد الله ما ورثته ، وأنت ترب لا مال لك ^(١) فتركها
ومضى إلى أبي عبيدة أبي [هند] فخطبها إليه ، فقال : في الرحب والسعة أما مني
فقد زوجتكَ ، ومكانك لا تبرح ، ودخل على هند فقال لها : يا بُنَيَّة هذا عبد الله
ابن الحسن قد أتاكِ خاطبا ، فقالت : فما قلت له ؟ قال : زوجتُهُ . فقالت : أحسنت
قد أجزت ما صنعت ، وأرسلت إلى عبد الله : لا تبرح حتى تدخل إلى أهليكَ ،
ونشرت له قباها فبات مُعرّسا بها في ليلته ، ولا تشمر أمه ، فأقام سبعا ثم أصبح
يوم سابمه غاديا على أمه ، عليه ردع الطيب وهو في غير ثيابه التي تعرف . فقالت :
يا بُنَيَّ أمر بك ^(٢) قال : من عند التي زعمت أنها تردني ولا تريدني .

ومن شعره فيها :

إن عيني تعودت كُحْلَ هند جمعت كُفَّها مع الرفق لينا

(١) وفي الأصل (وأنت لا مال تراث إلى) .

(٢) يابني : من أين لك هذا ؟ (أغاني) .

علقة الفحل^(١)

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة^(٢) بن قيس بن عبد الله بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان زيد مناة بن تميم ، هو ، وبكر بن وائل لدة في عصر واحد ، فوفدا على بعض الملوك .

وكان زيد مناة شراً حسوداً . وكان بكر بن وائل خبيثاً داهية ؛ فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقل معها حظه ، فقال له : يا بكر لا تلق الملك بتياب سفرك ، ولكن تأهب للقاءه ، وادخل إليه في أحسن هيئة . ففعل بكر ذلك ، وسبقه زيد مناة إلى الملك . فسأله عن بكر ؟ فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدر^(٣) لهن ، وقد حدث نفسه بالتصدر^(٣) لبنت الملك ؟ فغاضه ذلك ؛ ونمي الخبر إلى بكر ابن وائل ؛ فدخل على الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ؛ فصده واعتذر إليه . فلما كان من غد اجتمعاً عند الملك [فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ؟ فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلت بي مثليه]^(٤) - وكان بكر أعور العين اليمنى ، أصابه ماء فذهبت . فكان لا يعلم من رآه أنه أعور وأقبل على بكر بن وائل فقال له : ما تحب أن يفعل بك يا بكر ؟ فقال : تفقأ عيني [اليمنى] فتضعف لزيد مناة ؛ فأمر بعينه اليمنى ففقت ، وأمر بعيني زيد مناة ففقتا ؟ فخرج بكر وهو أعور بحاله ، وخرج زيد مناة وهو أعمى .

(١) الأغاني ٢١ / ١١١ - تجريد ٢١٧٦ مذهب ١٧٤ / ٢ .

(٢) في الأصل : (ياسره) والتصويب عن الأغاني وجهرة الأنساب .

(٣) (والتعرض) أغاني .

(٤) ما بين القوسين عن الأغاني وبه يتسق الحديث .

وسُمِّيَ علقمةَ الفحل - لأنه خَلَفَ على امرأةٍ امرئ القيس لما حَكَمَتْ له
على امرئ القيس بأنه أشعرُ منه في صِفَةِ فرسه ؟ فطَلَّقَهَا ؛ فخلفه عليها . وما زالت
العرب تسميه بذلك .

قال حماد الراوية : كانت العرب تَعْرِضُ شعرها على قريش ؛ فما قَبِلُوا منه كان
مقبولا ، وما رَدُّوا منه كان مردودا ؛ فقدم عليهم علقمةُ الفحل فأنشدهم قصيدته :
هل ما علمت وما استودِعتَ مكتومُ أم حبُّلها أن فأتاك اليومَ مصرومُ
فقالوا : هذه سَمَطُ الدهر .

ثم عاد عليهم في العام المقبل فأنشدهم :
طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حانٍ مشيبُ
قالوا : هاتان سَمَطَا الدهر .

كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طَيِّئٍ يقال لها : أم جُنْدَب ، تزوجها حين
حاور فيها ؛ فقدم عليهم علقمةُ بن عبدة التميمي . فقال كل واحد منهما لصاحبه :
أنا أشعر منك ؛ فتحاكما إليها . فأنشد امرؤ القيس قوله :

خليلي مُرًّا بي على أم جندب
حتى انتهى إلى قوله :

فلسباق ألحوبٍ وللسوط درةٌ وللزجر منه وقعُ أهوجٍ مُثمبٍ
وأنشدها علقمة قوله :

ذهبت من الهجران في غير مذهب
حتى انتهى إلى قوله :

فأدرك^(١) منه ثانيا من عِنايه بمرِّ كمرِّ الراح المتحلبِ

(١) فأدركه ثانيا . . . يمر كغيث راح متحلب (أغاني) .

فقات له : علقمة أشعر منك . قال : وكيف ؟
 قالت : لأنك زجرت فرسك وحر كته بساقك وضربت به بسوطك ، وأنه جاء
 هذا الصيد ثم أدركه ثانيا من عنانه .

فغضب امرؤ [القيس] وقال : ليس كما قلت ، ولكنك هويته ، فطلقها ،
 فتزوجها علقمة الفحل .

تحاكم علقمة بن عبدة التيمي والزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعمر [بن]
 الأهم إلى ربيعة بن حذار^(١) الأسدي ، فقال :

— أما أنت يا زبرقان فإن شمر ككهم لا ينضج فيؤكل ، ولا يترك نيتا فينتفع به .
 — وأما أنت يا عمرو ، فإن شمر كبرد حبرة ، يتلأأ في البصر وكما أعدته
 نقص .

— وأما أنت يا مخبل فإنك قصرت عن الجاهلية ، ولم تدرك الإسلام .
 — وأما أنت يا علقمة ، فشمر كمرادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .
 مرّ رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار ، وكان يتهم بامرأته ؛ فلما حاذى
 بابه تنفّس يتمثل :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبّلها أن تأتلك اليوم مصروم
 فتملّق به الرجل ورفع به إلى عمر^(٢) ، فاستعداه عليه . فقال له المتمثل : وما على
 أن أنشدت بيت شعر ؟ فقال له عمر : ما لك لم تئشده قبل أن تبلغ إلى بابه ؟ ولكنك
 عرّضت به مع ما تعلم من القالة^(٣) فيك ؟ ثم أمر به فضرب عشرين سوطا .

(١) في الأصل : جدار والتصويب عن القاموس .

(٢) في الأصل : عمرو والمراد عمر بن الخطاب (ض)

(٣) في الأصل : ١ — ب (الساله) والتصحيح عن الأغاني .

عمر أبو حفص الشطرنجي^(١)

هو عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العباس .
وكان أبوه من موالى المنصور ، وكان اسمه اسما أعجميا ؛ فلما نشأ أبو حفص
وتأدب^(٢) غيَّره وسماه عبد العزيز .

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ، مع أولاد مواليه ، وكان كأحدهم فتأدب ،
وكان لاعبا بالشطرنج مشغوقا به ، فلُقِّبَ به لغلَبته عليه .

ولما مات المهدي انقطع إلى عُلَيَّة ، وخرج معها لما زُوِّجَتْ وعاد معها لما عادت إلى
القصر . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني إخوتها
من الخلفاء ، فتنتحلُّ بعض ذلك وتترك بعضه . ومما ينسب إليها من شعره :

تَحَبَّبْتُ فَإِنْ الْحُبُّ دَاعِيَةٌ الْحُبُّ	وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقُرْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ عَيْبٌ وَلَا رِضًا	فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ وَالْكِتَابِ
تَفَكَّرْتُ فَإِنْ حَدَّثْتَ أَنْ أَخَا الْهَوَى	نَجَا سَالِمًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحُبِّ
وَأَطِيبُ أَيَّامَ الْهَوَى يَوْمَكَ الَّذِي	تُرَوِّعُ بِالْتَحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ

قال محمد بن الجهم البرمكي : رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعر ، فرأيت فيه
إنساناً يُلْهِمُكَ حُضُورُهُ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ ، وَتُسْلِيكَ مُجَالَسَتُهُ هُمُومَ الْمَصَائِبِ ، قُرْبُهُ عُرْسٌ ،
وَحَدِيثُهُ أُنْسٌ ، جِدُّهُ لَمِبٌ ، وَلَعِبُهُ جِدٌّ [خَلِيعٌ مَاجِنٌ دَيْنٌ]^(٣) إِنْ لَبِسْتَهُ عَلَى
ظَاهِرِهِ لَبِسْتَ مِنْهُ مَوْصُوفًا لَا تَمْلُكُهُ ، وَإِنْ تَتَّبَعْتَهُ لَتَنْظُرَ خَبْرَهُ وَقَعْتَ^(٤) عَلَى مَرُوءَةٍ

(١) أغاني ١٩ : ٦٩ .

(٢) في الأصل : وقارب والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأغاني (دين ماجن دَيْنٌ) ظاهره لبست موموقا لا تملكه .

(٤) في الأغاني : لتستبطن خبرته وقفت .

ظاهرة ، لا تطير الفواحش بجوانبها . وكان ما عَلِمَتْهُ أَقْلُ ما فيه الشعر .

ومن شعره :

عَرَضَنْ لِلَّذِي تُحِبُّ بِحَبٍّ ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمان يُدْنِيكَ مِنْهُ إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ
صابر الحب لا يَغُرَّنْكَ فِيهِ من حبيب تحشمُ وعبوسُ
وأَقِلَّ اللِّجَاجَ وَأَصْبِرْ عَلَى الْجَهْمِ د فإن الهوى نعيمٌ وبوسُ

قال الأصمعي : ما رأيت قطُّ أثراً لنبيذ في وجه الرشيد إلا مرة واحدة ؛ فإني دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي ، فرأيت الشكرَ في وجهه ، فقال لنا : من أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم ؛ قال : فأشفقت ومنعته هيبته . فقال أبو حفص :
كلما دارت الزجاجة زادته اشتياقا وحرقةً ونكالا

فقال : أحسنت ، لك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالت الهيبة عني فقلت :

لم بتلك البرحاء أن تحضريني وتجاقت أمنييتي عن سواكِ
فقال : لله درُّك ، لك عشرون ألفا .

قال : وأطرق رأسه ملياً ثم رفع وقال لنا : والله استقي منكما ثم قال :

فتمنيتُ أن يُغَشِّيَنِي اللّٰهُ نَعَّاساً لعل عيني تراكِ

كان الرشيد يحب ماردة جاريتته ، وكان خلفها بالرقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها فكتب إليها :

سلام على النازح الغُتْرِبِ تحية صَبٍّ به مُكْتَتِبِ
غزالٌ مراتمه بالبليخ^(١) إلى دَيْرِزَكِي^(٢) فقصر الخشبُ

(١) البليخ : اسم نهر بالرقّة .

(٢) ديز بالرها - وقيل هو بالرقّة قريب من الثرات (مرصد) .

أَيَا مَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيْفِهِ طَائِعًا مِنْ أَحَبِّ
سَاسْتَرُ وَالسُّتْرُ مِنْ شِيْمَتِي هَوَى مِنْ أَحَبِّ بَعْنٍ لَا أَحَبُّ
فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ إِلَيْهَا أَمَرَتْ أَبَا حَفْصٍ فَأَجَابَ عَنْهَا الرَّشِيدُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :
أَتَانِي كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي وَفِيهِ الْعَجَائِبُ كُلُّ الْعَجَبِ
أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لِي عَاشِقٌ وَأَنَّكَ بِي مُسْتَهَامٌ وَصَبٌّ
فَلَوْ كَانَ هَذَا كَذًا لَمْ يَكُنْ لَتَرُكْنِي نُهْزَةً لِلْكَرْبِ
وَأَنْتَ بِيْعِدَادَ تَرَعَى بِهَا نَبَاتَ اللَّذَاقَةِ مَعُ مِنْ تَحِبِّ
فِيَا مَنْ جَفَانِي وَلَمْ أَجْفُهُ وَيَا مَنْ شَجَانِي بِمَا فِي الْكُتُبِ
كِتَابُكَ قَدْ زَادَنِي صَبُوءَةً وَأَسْعَرَ قَلْبِي بِحَرِّ اللَّهَبِ
فَهَبْنِي ، نَعَمْ ، قَدْ كَتَمْتُ الْهَوَى فَكَيْفَ بِكَيْتَانِ دَمْعٍ سَرَبِ
وَلَوْلَا اتِّقَاؤُكَ (١) يَا سَيِّدِي لَوَاقَتْكَ بِي النَّاجِيَاتُ النَّجِبُ

فَلَمَّا قَرَأَ الرَّشِيدُ كِتَابَهَا أَنْفَذَ خَادِمًا عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى حَدَّرَهَا إِلَى بَغْدَادَ فِي الْفَرَاتِ ،
وَأَمَرَ الْمَغْنِينَ فَعَنُّوا بِهَذَا الشَّعْرَ .

دَخَلَ أَبُو حَفْصٍ الشَّطْرَ نَجِيًّا عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وَعِنْدَهُ ابْنُ جَامِعٍ ، وَهُوَ يُلْقِي
عَلَى دَنَانِيرَ صَوْتًا ، أَمْرُهُ يَحْيَى بِإِلْقَائِهِ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لِأَبِي حَفْصٍ : قُلْ فِي دَنَانِيرَ بَيْتَيْنِ
يُعْنِي بَهُمَا ابْنُ جَامِعٍ ، وَلَكَ بِكُلِّ بَيْتٍ مِائَةُ دِينَارٍ - إِنْ جَاءَا كَمَا أُرِيدُ . فَقَالَ
أَبُو حَفْصٍ :

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهَتْهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكَمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

فَأَمَرَ لَهُ يَحْيَى بِمِائَتِي دِينَارٍ ، وَغْنَى فِيهِمَا ابْنُ جَامِعٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ بَقَاؤُكَ

غضب الرشيد على عُلَيَّة فأمرت أبا حفص شاعرَها أن يقول شعرا يعتذرُ عنها
ويسأله الرضا عنها . فقال :

لو كان يمنع حسنُ العقلِ صاحبه من أن يكون له ذنبٌ إلى أحدٍ
كانت عُلَيَّةُ أبرَّ الناسِ كلِّهمُ من أن تكافأ بسوءِ آخرِ الأبدِ
مالي إذا غبتُ لم أذكر بواحدة وإن سقيمت وطال السُّقم لم أُعِدِ
ما أصعبُ^(١) الشئ ترجوه فتُحرِّمه قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي
فغنت بهم ، وألقت الغناء على جماعةِ جوارى الرشيد ، فغذَّيته إياه في أول
مجلس ، فبعث إليها فحضرت وقبلت رأسه واعتذرت فقبل عُذْرَها ، وسألها إعادة
الصوت ، فأعادته ، فبكى ، وقال : لا ، حسبه - أي : لا غضبتُ عليك أبدا
ما عشت .

قال أبو حفص الشطرُنجي^٢ : قال لي الرشيد يوما : يا حبيبي لقد أحسنتَ ما شئتَ
في بيتين قلتهما . قلت : وما هما يا سيدي ؟ فن شرفهما استحسنانك لهما ؛ قال : هما
قولك :

لم ألقِ ذا شَجْوٍ يَبُوحُ بِشَجْوِهِ^(٢) إلا حَسِبْتُكَ ذلكَ المحبُوبا
حذراً عليك وإنني بك واثقٌ ألا ينالَ سواي منك نصيباً
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسألي ، بل هما للعباس بن الأحنف . فقال : صدقك ،
والله ، أعجبُ إليَّ وأحسنُ منهما حيث تقول :

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نفسي
وما مر يومٌ أرتجى فيه راحةً فأذكرُها إلا بكيتُ على أمسي

(١) ما أعجب .

(٢) لم ألقِ ذا شجن ييوح بحبه (أغاني ١٩ : ٧٢) .

قال عبدُ الله بن الفضل : دخلت على أبي حفصِ الشَّطرنجِيِّ أَعُوذُهُ في عِلَّتِهِ التي
مات فيها ؛ فجلست عنده ، فأنشدني لنفسه :

نمى لك ظلُّ الشبابِ المشيبُ	ونادتكَ باسمِ سواك الخطوبُ
فكن مستعداً لداءِ الفناءِ	فإن الذي هو آت قريبُ
أأست ^(١) ترى شهواتِ النفوسِ	تُفَنِّى وتبقى عليها الذنوبُ
وقبلَكَ داوى الطبيبُ المريضَ	فماش المريض ومات الطبيبُ
يخاف على نفسه من يتوبُ	فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ

(١) ألسنا (أغاني) .

عبيد بن الأبرص^(١)

هو عبيد بن الأبرص بن جُشم بن عامر^(٢) بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية - وجعله ابنُ سَلَّام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرنَ به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدى بن زيد .

قال أبو عبيدة : اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجَر بن عمرو ، أبا امرئ القيس ابن حجير ، على امرئ القيس ابنه على أن يُعطوه ألفَ بئرٍ ديةً أبيه ، أو يُقيدوه أيَّ رجل شاء من بني أسد ، أو يمهّلهم سنة ؛ قال : أما الديةُ فما ظننتُ أنكم تعرّضونها على مثلي ، وأما القود فلو قيدَ لي ألفُ رجل من بني أسد ما رضيتهم ، ولا رأيتهُم كفوًا لحجير ، وأما النظرةُ فلكم ، ثم إنكم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم ظبا السيوف ، وشبا الأسنة حتى أشفيَ نفسي وأنالَ ثأري - فقال عبيد في ذلك :

يا ذا الخوفنا بقة	ل أبيه إذلالا وحينما
أزمت أنك قد قتلت	ت سراتنا كذبا وميننا
هلا على حُجير بن أم ^(٣)	م قطام تبكى لا علينا
إننا إذا عض الثقا	ف برأس صعدتنا لوينا
نحمى حقيقةتنا وبه	ض الناس يسقط بين يتنا

(١) أغاني ١٩ : ٨٤ مهذب ٢/٢٠٣ .

(٢) ابن هر (جهرة الأنساب) .

(٣) في الأصل : قحطان ا - ب .

هَلَّا سَأَلْتَ جَمُوعَ كَنْدِ .
 أَيَّامَ تَضْرِبُ هَامَهُمْ
 وَجَمِيعُ غَسَانِ الْمَلُوكِ
 نُحْفًا^(١) أَيَاظِلُهُنَّ قَدْ
 نَحْنُ الْأَلَى فَاجْمَعْ جَمُوعَ
 وَاعْلَمْ بِأَنْ جِيَادَنَا
 وَلَقَدْ أَبْجَحْنَا مَا حَمِيدُ
 هَذَا وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَيْهِ
 حَتَّى تَنْوَشَكَ نَوْشَةً^(٢)
 نُفْلِي السُّبَاءَ بِكُلِّ عَا
 وَنُهَيْفٍ فِي لَدَانِنَا
 لَا يُدْرِكُ الْبَانِي أَنْ
 كَمْ مِنْ رُئِيسٍ قَدْ قَتَلَ
 وَلِرُبِّ سَيِّدٍ مَعْشَرٍ
 عَقْبَانُهُ بِظِلَالِ عِقْدِ
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا شِلْوَهُ
 إِنَّا لَعَمْرُكَ مَا يَضَا
 وَأَوَانِسُ مِثْلُ الدُّمَى

مَدَّةَ يَوْمٍ وَلَوْ أَنَّ إِنَّا
 يَبْوَازٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا
 لَكَ أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا
 لَأَقَيْنَ أَصْفَارًا وَأَيْنَا
 عَكَ ثَمَّ وَجْهَهُمْ إِلَيْنَا
 آلَيْنَ لَا يَقْضِينَ دَيْنَا
 تَ وَلَا مُبِيحَ مَا حَمِينَا
 لَكَ رِمَاحُ قَوْمٍ مَا انْتَهَمِينَا
 عَادَاتِهِنَّ إِذَا انْقَوَيْنَا
 تَقِيَّةَ شَمُولٍ مَا صَحَّوْنَا
 عُظْمَ التَّلَادِ إِذَا انْتَشَيْنَا
 يَرْفَعُ دَعَائِمَ مَا بَنِينَا^(٣)
 سَنَاهُ وَضَيْمٍ قَدْ أَبَيْنَا
 ضَخْمَ الدَّسِيمَةِ قَدْ رَمَيْنَا
 بَانٍ تَيْمَمُ مِنْ نَوَيْنَا
 جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَضَيْنَا
 مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا
 حَوْرُ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَبَيْنَا

(١) في المذهب (الحقا) أى قد لحقت الخواصر بالأصلاب . والأيْن : الإعياء .

(٢) في الأصل : ييوسك بؤسه . وهذه عن الأغاني .

(٣) رواية المذهب : لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم ما بيننا

كان المنذر بن ماء السماء قد نادى رجلاً من بني أسد ؛ أحدهما خالد بن المضلل ،
والآخر عمرو بن مسعود بن كلدّة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر
لكل واحد حفرة في ظهر الحيرة ، ثم يجعلان في تابوتين ويدفنان في الحفرتين ،
ففعل ذلك بهما ، حتى إذا هو أصبح سأل عنهما ، فأخبر بهلاكهما فنديم على ذلك
وهمّه ، وفيهما يقول شاعر بني أسد :

يا قبر بين قبور^(١) آل مُحَرِّقٍ جادت عليك رواعد وبروق
أما البكاء فقلّ عنك كثيره ولئن بكيت فبالبكاء خليق

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريتين^(٢) عليهما ، فبنيا وجعل
لنفسه يومين من السنة ، يجلس فيهما عند الغريتين سمي أحدهما يوم نعيم والآخر
يوم بؤس . فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل سوداء ، وأول
من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود^(٣) ، ثم يأمر به فيذبح ويغري
بدمه الغريتان . فليث بذلك برهة من دهره .

ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه يوم بؤسه . فقال : هلا كان
الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أمتك بمحائن رجلاه . فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر :
أو أجلّ بلغ مداه .

ثم قال المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يُعجبني . فقال : حال الجريض
دون القريض ، وبلغ الحزام الطبيين . فأرسلها مثلاً . وقال له بعض القوم :
هبلتك أمك ، أنشد الملك . فقال : وما قول قائل مقتول ؟ فأرسلها مثلاً .

(١) في الأصل : تقرأ يافير ويفور .

(٢) الغريان مثنى غرى وهو البناء الجيد وما بناءان مشهوران كانا قرب الحيرة .

(٣) في الأصل : ضربان وهذا بالصواب أشبه .

وقال له آخر : ما أشدَّ جَزَعَكَ من الموت ! فقال : لا يَرُحَلُ رَحْلَكَ من ليس معك .
فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : قد أُمْلِئَتْنِي فَأَرِحْنِي قَبْلَ أَنْ أَمْرَ بِكَ . فقال عبيد :
من عَزَّ بَزَّ . فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر : أنشدني قولك :
أقفر من أهله ملجوب

فقال :

أقفر من أهله عبيدُ واليوم لا يُبْدِي ولا يُعِيدُ
فقال له المنذر : ويحك يا عبيد !! أنشدني قبل أن أذبحَكَ . فقال عبيد : والله
إن مِتُّ ما ضَرَّتْني ، وإن عشت ما عشتُ في واحدٍ . فقال له المنذر : إنه لا بدَّ
من الموتِ ، ولو أن النعمانَ عرضَ لي في يومِ بؤسٍ لذَبَحْتُهُ ، فاختر إن شئتَ الأكلَ ،
وإن شئتَ الأَبْجَلُ ، وإن شئتَ الوريدَ . فقال عبيد : ثلاث خصالٍ كسحاباتٍ عادٍ ،
وارِدُها شرٌّ وارِدٌ ، وحاديها شرٌّ حادٌ ، ومعادُها شرٌّ معادٌ ، ولا خيرَ فيهنَّ لمرُتادٍ ،
وإن كنتَ لا محالةَ قاتلي فاسقني الخمرَ حتى إذا ماتت مفاصلي ، وذُهِلَتْ لها ذواهلي ،
فشأنك وما تريد . فأمر له المنذر بحاجته من النبيذ ، حتى إذا أخذت منه ، وطابت
نفسه ، دها به المنذر ليقْتله فلما مثل بين يديه أنشد يقول :

وخَيْرَني ذو البؤسِ في يومِ بؤسِهِ خصالاً أَرى في كلها الموتَ قد بَرَقَ
كما خَيْرَتُ عادٌ من الدهرِ مرَّةً سحائبَ ما فيها لذي خَيْرَةٍ أَبَقَ
سحائبُ رِيحٍ لم تُوكِّلْ بيلدةً فتَرَكُها إلا كما ليلَةُ الطَّلَقِ

فأمر به المنذر فقصِد فلما مات غُرِّي بدمه الغريَّان ، فلم يزل كذلك حتى مرَّ به
رجل من طيِّ ، يقال له حنظلةٌ من بني عفرَاء . فقال له : أبيتَ اللعن ، إني والله
أَتَيْتُكَ سائِراً ، ولأهلي من خَيْرِكَ ماثِراً ، فلا تكن مِيرَتَكَ قَتْلِي . فقال له :
لا بد من ذلك ، فاسألني حاجتك أقضها لك . فقال له : تُوجِّئُني سنةً أرجعُ فيها
إلى أهلي وأُحْكِمُ من أمرهم ما أريد . ثم أصرَّ إِلَيْكَ فتَنَفَّذَ في أمرِكَ . فقال :

وَمَنْ يَكْفُلُكَ حَتَّى تَعُودَ ، فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ جُلُوسًا لَهُ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو
أَبَا الْخَوْفَزَانِ بْنَ شَرِيكَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يا شريك يا ابنَ عمرو	ما مِنْ الموتِ مَحَالَه
يا شريك يا ابنَ عمرو	يا أَخَا مَنْ لَا أَخَا لَهُ
يا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الـ	يَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَتَى ^(١) لَهُ
يا أَخَا كُلِّ مُضَافٍ	وَحَيًّا مِنْ لَا حَيًّا لَهُ
إِن شَيْبَانَ قَبِيلٌ	أَكْرَمَ اللَّهُ رَجَالَهُ
وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو	وَشَرَّاحِيلُ الْجَمَالَه
وَقَبَالَ الْقَوْمَ فِي الْمَجْدِ	د وَفِي حَسَنِ الْمَقَالَه

فَوُثِبَ شَرِيكَ فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ ، وَدَى بَدْمِهِ ، إِنْ لَمْ يَعُدْ إِلَى أَجَلِهِ ،
فَأَطْلَقَهُ الْمَنْذَرُ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ ، يَنْتَظِرُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَأْتِيَهُ فَأَبْطَأَ ،
فَأَمَرَ بِشَرِيكَ فَقُرَّبَ لِيَقْتُلَهُ . فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ ، فَتَأَمَّلُوهُ ، فَإِذَا هُوَ
حَنْظَلَةُ قَدْ طَلَعَ مُتَكَفِّئًا مَتَحَنِّطًا ، مَعَهُ نَادِبَةٌ تَنْدُبُهُ وَقَدْ قَامَتْ نَادِبَةٌ شَرِيكَ تَنْدُبُهُ .
فَلَمَّا رَأَاهُ الْمَنْذَرُ عَجِبَ مِنْ وَفَائِهِمَا وَكَرَمِهِمَا فَأَطْلَقَهُمَا ، وَأَبْطَلَ تِلْكَ السُّنَّةَ :

وعبيد القائل يخاطب حجباً أبا امرئ القيس :

أبلغ أبا كَرَبٍ عَنِّي وَإِخْوَتَه	قولا سيذهب غوراً بعد إِنْجَادِ
لَأَعْرِفَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي	وَفِي حَيَاتِي مازودتني زادي
إِنْ أَمَامَكَ يَوْمًا أَنْتَ مَدْرِكُهُ	لَا حَاضِرٌ مَفْلَتٌ مِنْهُ وَلَا بَادِي
فَانْظُرْ إِلَى ظِلِّ مُلْكٍ أَنْتَ تَارِكُهُ	هَلْ تُرْسِينَ أَوَاخِيَه بِأَوْتَادِ
الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ	وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

(١) أَنَّى : حَانَ وَقْتُهُ .

قال سيف الكاتب : وليت ولاية ، فررت بصديق لي في بعض المنازل ، فنزلت به ، فقلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا اللبيد فبمنا ، فانتبهت من نومي ، وإذا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبش به ويسلم عليه ، ولا أنكر من ذلك منهما شيئاً - ثم جعل الكلب الداخل عليه يحرقه على طريقه وطول شعره - ثم قال له : هل عندك شيء تطعمنيه فقال : قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام ليس عليه شيء . فذهبا إليه فكنت أسمع ولوغهما فيه - ثم سأله نبيذا فقال : نعم ، لهم نبيذ في إناء ليس عليه غطاء ، فذهبا إليه ، ثم شربا منه . ثم قال له هل تطربني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنيه فيجيدده ، ثم غناه في شعر عبيد الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآل أسماء لم يلِم بِمِعَادِ
إني اهتديت لركب طال سيرهم في سبب بين ذكوال وأعقاد

فلم يزل يغنيه هذا الصوت ويشربان ملياً حتى فني ذلك النبيذ . ثم خرج الكلب الداخل ، فخفت على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل فأمسكت ، وما أذكر أنني سمعت أحسن من ذلك الغناء .

عُبَيْدَةُ الطَّنْبُورِيَّةُ^(١)

من المحسنات المتقدّمات في الصنعة والآداب . وكانت من أحسن الناس وجها وأطيبهم صوتا .

وكانت لا تخلو من عشق . ولم تُعرف قط امرأة أعطر^(٢) منها .

قال جحظة - وهب لي جعفر بن المأمون طنبور عبيدة ، فإذا عليه مكتوب بالأبنوس : « كل شيء - سوى الخيانة - في الحب مُحْتَمَلٌ » .

قال علي بن الهيثم اليزيدي :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يألّفني ويدعوني ، فربي يوماً وأنا مُشْرِفٌ من جناح لي ، فوقف عليّ وقال لي : هل تَنَشِّطُ اليوم للمصير إليّ . فقلت : ما على وجه الأرض أحدٌ أحبُّ إليّ من ذلك . ولكنني أخبرك بقصتي ، ولا أكتُمُ منها شيئاً . فقال : : هاتها . فقلت : عندي اليوم عمرو بن مَسْعَدَة وهارون بن أحمد بن هاشم ، وقد دعونا عبيدة الطنبورية ، وهي حاضرة ، والساعة يجيء الرجالان ، فامض في حفظ الله ، فإني أجلسُ حتى تنتظم أمورهم وأروحُ إليك . فقال لي : هلا عرضت عليّ المقام عندك ؟ فقلت : لو علمتُ أن ذلك مما تَنَشِّطُ له لرغبنا إليك فيه . فإن تفضلت بذلك كان أعظمَ لمنّك . قال : افعل ، فإني كنتُ أشتهي أن أسمع عبيدة ، ولكنّ لي عليك شريطة . فقلت : هاتها قال : إنها إن عرفتني وسألتوني أن أغني بحضرتها لم يخفَ عليها أمرى ، وانقطعت ، ولم تصنع شيئاً ، فدعوها علي جهلها . فقلت : أفعل ما أمرت به . فنزل وردّ دابته ، وعرفتُ صاحبي ماجرى ، فكتماها أمره ، فأكلنا ما حضر وقُدِّمَ النبيذُ فغنت لحنا لها :

(١) الأغاني : ١٩ : ١٣٤ .

(٢) في الأصل ١ - ب أعطس وفي الأغاني (أعطر) .

قريبٌ غيرُ مقتربٍ ومؤتلفٌ كجتنَبِ
له وُدِّي ولي منه دواعي الهمِّ والكربِ
أواصلُهُ على سبَبِ ويهجُرُنِي بلا سَبَبِ
ويظلمُنِي على ثقةٍ بأن إليه مُنْقَلَبِي

فطرب إسحاق وشرب نصفا ، ثم غنَّته وشرب ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصافٍ ، وشربناها معه ، وقام ليصلي ، فقال لها هارون بن أحمد : ويحك يا عبيدة ، ما تُباليين متى مت ؟ قالت : ولم ؟ قال : أتدريين من المستحسنُ غناءك والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال : إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فلا تُعرِّفيه أنك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني فلحقها هيبة له واختلاط ، فنقصت نقصا بينا . فقال لنا : أعرِّقتموها من أنا ؟ فقلت : نعم ، عرفها إياك هارون بن أحمد . فقال إسحاق : تقوم إذا فننصرف ، فإنه لا خير في عشرتك الليلة ، ولا فائدة لي ولا لكم ، وانصرف .

وكانت عبيدة بنتُ رجل يقال له صباح مولى بن السمراء الغساني^(١) وأبو السمراء أحد العشرة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد ، لكل رجل منهم مائة ألف درهم .

وكان الزبيدي الطنبوري أخو فطين العمياء يختلفُ إلى أبي السمراء ، فإذا لم يصادفه أقام عند صباح أبي عبيدة ، وبات وشرب وغنى وأنس . وكان لعبيدة صوتٌ مديد ، وطبعٌ جيد ، فسمعتُ غناء الزبيدي ، فوقع في قلبها واشتهته ، وسمع الزبيدي صوتها ، وعرف طبعها ، فطمعها ، وواظب عليها ، ومات أبوها ، ورقَّت حالها ، وقد حدَّقت على الغناء على الطنبور ، فخرجت تغني وتقنع باليسير .

(١) في الأصل ١ - ب المغاني - وفي الأغاني الغساني .

وكانت مليحةً مقبولةً خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها واشتهاها الناس ، ورغب فيها الأحداث الفتيان .

وكان أول من تمسّقها على بن الفرج البرّجُمي أخو عمرو ، كان حسن الوجه ، كثير المال . ثم ولدت منه بنتاً فحجبها إلى حد^(١) ذلك ، وكانت تحتال في الأوقات بعلة الحمّام وغيره فتلم بمن^(٢) كانت توده ويودها ، ثم ماتت بنتها ، وصادف ذلك نكبة البرجُمي وأهله واختلال أحوالهم فطلّقها ؛ فخرجت فكانت تخرج بدينارين في النهار ، ودينارين في الليل ، ونزلت بمضّ دور أبي السمراء ، وتزوجت أمها بوكيل له ، فتعشقت غلاماً من آل حمزة بن مالك يقال له شرايح ، وهو صاحب سباط شرايح يبعداد وكان يغني بالمعزفة غناءً مليحاً ، وكان حسن الوجه لا عيب فيه إلا أنه كان متغيّر النكبة ، وكانت شديدة العُلْمة ، وكانت لا تحرم أحداً ، ولا تكرهه ، من حد الكحول إلى الطفل ، حتى تعشقت شاباً يعرف بأبي كرب بن الخطاب^(٣) متبدلي الوجه أفسح قبيح الأدمة ، فقيل لها : أي شيء رأيت في أبي كرب؟ فقالت : قد تمتعت بكلّ حسن من الرجال إلا السودان ، فإن نفسي تتبعهم . وهذا بين الأسود والأبيض ، وبيته خالٍ لما أريد ، وهو وكيلي إذا أردت ، وصنعاني إذا أردت .

وكان لها غلام يضرب عليها يقال له علي ، ويلقب طيز عبيدة ، وكانت إذا اختلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه . وقالت : هو بمنزلة بغل الطحان يصلح للحمل والطحن والركوب .

وماتت عبيدة من نزف أصابها . وأفرط حتى أتلّفها .
وكان إسحاق يقول : الطنبور إذا جاوز عبيدة هذيان .

(١) لأجل ذلك (الأغاني) .

(٢) في الأصل فتلمه ثم . وما ذكر عن الأغاني .

(٣) في الأغاني : ابن أبي الخطاب .

عليُّ بن عبد الله بن جعفر^(١)

عليُّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

وأُمه ولَّادَة بنت الحَجَل بن عَمِينَة بن سَعِيد بن العاص بن أُمَيَّة ، شاعر ظريف حجازي .

وكان عمرُ بن الفرج بن البرجي يأتي من الحجاز إلى سُرٍّ من رأى مع جُملة من الطالبيين ، أيام حج المنصور ، فحبسه المتوكل معهم ، لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم . قال علي بن عبد الله : فمكث في الحبس ، فدخل علي رجل من الكتاب يوماً ، فقال : أريد هذا الجعفرى الذى تديت في شعره ، فقلت : أنا هو . فمدل إلى وقال لي : جعلتُ فداك ، أحب أن تنشدنى بيتيك اللذين تديت^(٢) فيهما فأنشدته :

ولما بدا لي أنها لا تريدني وأن هواها ليس عني بمُنْجَلِي
تمنيتُ أن تهوى سواي لعلها تذوقُ حراراتِ الهوى فترقُّ لي
فكُتبتُهما ؛ ثم قال لي : اسمع ، جعلتُ فداك بيتين قلتهما في الغيرة . فقلت : هاتهما فقال :

ربما سرتني صدودك عني في طلائيك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاحَ غيري فإذا ما خلوتُ كنتَ التَمَعِي

(١) الأغاني ١٩ : ١٤١ .

(٢) في الأصل تديب وتديت وهذا التصويب عن الأغاني .

ومن شعر علي بن عبد الله بن جعفر قوله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي	متأخرٌ عنه ولا مُتقدِّمٌ
أجدُ الملامةَ في هواك لذينةً	حبًّا لذكرك فليُلمني اللومُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم	إذ كان حظي منك حظيَ منهمو
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغرا	ما من يهونُ عليك ممن يُكرِّمُ

عيننة بن مرداس^(١)

هو أحد بني كعب بن عمرو بن تميم .

شاعرٌ مُقلٌّ غير معدود في الفحول ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . هجاء خبيث اللسان ، معروفُ المعرفة في جاهليته وإسلامه .

وابنُ فسوة لقب لزمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقَّب فسوة وإنما لقب هو به . والسبب في ذلك أن عيينة كان فاحشا كثير الشرِّ فأقبل ابنُ عم له من الحج ، وكان من أهل بيتٍ منهم ، يقال لهم بنو فسوة . فقال له عيينة : كيف أنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضبا ، فركب راحلته ، وقال : بئس والله ، ما حيئت به ابن عمك ، قدم عليك من سفرٍ ، ونزل دارك . فقام إليه عيينة مستحييا ، فقال : لا تغضب ، يا ابن عم ، فإنما مازحتك . فأبى أن ينزل - فقال له : انزل ، وأنا اشترى منك هذا الاسم ، فأتسمي به . وظنَّ أن ذلك لا يضره . فقال : لا أفعل أو تشتريه بحضري من المشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاه بُرداً وحللاً وكبشا وقال لهم عيينة : اشهدوا أني قبلتُ هذا اللقب وأنقذتُ الثمن ، وأنا ابن فسوة ، فزالت عن ابن عمه يومئذ ، وغلبت عليه ، وعمرَ عمراً طويلاً .

وكان أوصف الناس للإبل :

أتى عيينة بن مرداس عبد الله بن عباس ، وهو عاملٌ لعلی بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، على البصرة ، وتحتَه شَميلة بنت جنادة^(٢) بن أبي أزهى الزهرانية وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي ، فاستأذن عليه فأذن له . وكان لا يزال يأتي

(١) الأغاني : ١٩ : ١٤٣ . مذهب الأغاني ٢ : ١٥٥ .

(٢) في الأصل جنادرة والتصويب عن الأغاني .

أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء إليك يا ابن فسوة ؟ قال : وهل عنك معدي ؟ جئتك لتعيني على مروتى ، وتصل قرابتي . فقال له ابن عباس : وما مروة من يعصى الرحمن ؟ ويقول الطغيان^(١) ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله إن أعطيتك لأعنتك على الكفر والطغيان والمصيان . انطلق فإنا أقسم بالله إن بلغنى أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه من حضر . وحبسه يومه ذاك ، ثم أخرجه من البصرة فوفد إلى المدينة بعد قتل علي كرم الله وجهه . فلقى الحسن ابن علي ، وعبد الله بن جعفر ، رضى الله عنهما ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس ، فأخبرها فاشترى عرضه منه بما أرضاه . فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس من قصيدة :

أنت ابن عباس فلم يقض حاجتى	ولم يرج معروفى ولم يخش منكرى
حبست فلم أنطق بعذر الحاجة	وشد خصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه	كصوت الحمام فى القليب المغور
وما أنا إذ زاحمت مصراع بابيه	بذى صولة ضار ولا بحزور
ولو كنت فى زهران لم تنس حاجتى	ولكننى مولى جميل بن معمر
وباتت لعبد الله من دون حاجتى	شميلة تلهو بالحديث المقتر
فليت قلوصى عريت أو رحلتها	إلى حسن فى وكره وابن ^(٢) جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى	وبالدين يدعو والكتاب المطهر

وقدم على عبد الله بن عامر بن كرز ، وكان جوادا ، فلما استؤذن له عليه أرسل

(١) البهتان (أغاني - مذهب) .

(٢) فى الأغاني : داره - وابن جعفر ، وكانت فى الأصل : وأبى جعفر .

إليه : إنك والله لا تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة ولا أرى لرجل من قريش شيئاً أو يأمر به [أن يعطيك]^(١) فقال ابن فسوة :

وكائن تَخَطَّتْ ناقتي وزميلها^(٢) إلى ابن كرز من نحوس وأسمد
وأغبر مسحول التراب ترى له خباً طردته الريح من كل مطرد
لعمرك إني عند باب ابن عامر لكالظبي عند الرمية المردد
فلم أريوما مثله إن تكشفت ضبابته عني ولم أقيد

فبلغ قوله ابن عامر نخاف لسانه ، وما يأتي [به] بعد هذا فلان ورجع ،
وأحسن القوم رفته ، وقالوا : هذا شاعر وفارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير
يرضيه فقال : ردوه فردوه فقال : يا عيينة ! اردد على ما قلت . فقال : ما قلت إلا خيراً
فقال : هاته قال : فقلت :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم فرماك الشوق قبل التجلّد
فيا لك من شوق ويا لك عبّرة سوابقها مثل الجمان المبدّد
وكائن تَخَطَّتْ ناقتي وزميلها^(٢) إلى ابن كرز من نحوس وأسمد
فتي يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن المرء غير مُخَلَّد
إذا ما مُلِمَّتْ الأمور اعتريفه^(٣) تجلّي الدجى عن كوكب متوقّد
فتبسم ابن عامر ، ثم قال : لعمرى ما كذا قلت ، ولكنه قول لسنا^(٤) نتقيّه ،
وأعطاء حتى رضى ، وانصرف .

(١) في مذهب الأغاني : « وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً فأمر به فلا كز وأهين قال »

(٢) في الأصل : (وكائن نخطب يا فتى ودمثلها) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٣) اعتلينه .

(٤) مستأنف (أغاني) .

وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيْز قد تزوج أخت بشر بن كَهْف أحد بني خزاعة ابن مازن ، وكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعِيَهُ ، فأبى ومنعه ، وطرده إبله ، فقال في ذلك :

ومن يك أرعاه الحمى أخواته	فألى من أخت عوانٍ ولا بكرٍ
وما ضرها أن لم تكن رعت الحمى	ولم تطلب الخير الممنوع من بشرٍ ^(١)
فإن تمنعوها ^(٢) من حاكم فإنه	مباح لها ما بين أنبط ^(٣) فالكدر
إذا ما امرؤ أثنى بفضل ابن عمه	فلعنة رب العالمين على بشرٍ

كان ابنُ فسوة قد نزل ببني سعد بن مالك ، من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، وبعث جارية له يقال لها حوراء ، فسرقت عيبة له فيها ثيابُه وثيابُ جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم بما فعله به بنو سعد بن مالك ، فركب معه فرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد ، فأخذوا منها صرمةً فاستاقوها ، ودفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد :

جزى الله قومي من شفيح وشاهدٍ	جزاء سليمان النبي المكرم
هم القوم لا قوم ابن دارة سالمٍ	ولا ضابئٍ إن أسلما شرَّ مسلمٍ
وما عيبة الحوزاء إذ غدرت بها	سراة بني قيس بسير مكتمٍ
إذا ما لقيت الحمى سعد بن مالك	على زُمٍّ فانزل خائفاً أو تقدم

(١) بعده :

متى ما نحا يوماً من المال وارثي	يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر
يجد مُهرة مثل القناة طمرة	وعضبا إذا ما هز لم يرض بالهبر

(أغاني)

(٢) فإن تمنعوا منها (أغاني)

(٣) أنبط بوزن أتمد وأحمد موضع في ديار كلب بن وبرة .

أناس أجارونا فكان جوارهم
لقد دُئِست أعراضُ سعدِ بن مالكٍ
لهم نِسوةٌ طلسُ الثيابِ مواجِنُ
إذا أيمت قيسيةٌ بعدَ بعلها
تمشى قريشُ بينهم مقابلا^(١)
إذا راح من أبياتهن كأنما
شعاعا كلحم الجازر المتقسمِ
كما دُئِست رجلُ البغي من الدَّمِ
ينادين من يتباعُ فردا بدرهم
وكان لها جارٌ فليست بأيِّمِ
بأير كأير الأحجري^(٢) المحرمِ
طلبت بتقومِ قفاه وخمخِمِ

(١) يمشى ابن بشر بينهم مقابلا (أغاني) .
(٢) الأرجعي الخزم (أغاني) .

عبد الله بن العجلان النهدي^(١)

هو عبد الله بن العجلان بن الأَحَبِّ بنِ عامر بن كعب بن صباح بن نهدي بن زيد
ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة .
شاعر جاهلي ، أحد المقيمين [من الشعراء] ومن قتله العشق منهم .
وكانت زوجته يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك فزوّجَتْ غيره فمات
أسفاً عليها .

وكان سيداً في قومه وابنَ سيّدٍ من ساداتهم .
وكان أبوه أكثرَ بني نهدي مالا .

وكانت امرأته هندُ من قومه ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنده ،
فبقيت معه سنين سبعة ، أو ثمانيا ، لم تلد . فقال له أبوه : إنه لا ولد لي غيرك ،
ولا ولد لك . وهذه المرأة عاقر فطلقها ، وتزوَّجْ غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فألَى
لا يكلمه حتى يطلقها . فأقام على أمره ثم عمَدَ إليه يوماً ، وقد شرب الخمرَ حتى سكر ،
وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صِرْ إِلَيَّ . فقالت له هند : لا تَمُضْ إليه ،
فوالله ما يريدك لخير ، وإنما يريدك لأنه بَلَّغَهُ أنك سكرانٌ فطَمِعَ فيك أن يُقَسِّمَ
عليك فتَطَلَّقَنِي ، فنَمَّ مكانك ولا تمض . فأبى وعصاها وتعلَّقت بثوبه فضرَبها
بمسواك ، فأرسلته . وكان في يدها زعفرانٌ فأثَر في ثوبه مكانٌ يدها ، ومضى إلى أبيه ،
فعاوده في أمرها ، وجمع عليه مَشِيخَةً أَلْحَى وفتيانهم فقالوه بالسنتهم ، وعيروه
بشَغَفِها وضَعْفِ حَزْمِها ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح أَخْبِرَ بذلك ،
وعلمت به هندُ فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها . فأسِفَ عليها أسفاً شديداً .

(١) الأغاني ١٩ : ١٠٢ .

فلما عادت إلى أبيها خطبها رجل من بني كَعْبٍ فزوجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم .
وأخرجها إلى بلده ، فلم يزل عبد الله دَنَفًا سقيما ، يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات ،
أسفا ، وعرضوا عليه فتياتٍ الحى جميعا فلم يقبل واحدة منهن .

وقال في طلاقها :

فَارَقْتُ هِنْدًا طَائِمًا	فَنَدِمْتُ عِنْدَ فِرَاقِهَا
قَالَمِينَ تَذْرُفُ دُمْعَهَا	كَالِدِرِ فِي آمَاقِهَا
مُتَحَلِّيًا فَوْقَ الرِّدَاءِ	يَجُولُ مِنْ رَقَرَّاقِهَا
خُودَ رَدَاحٍ طِفْلَةٌ	مَا الْفَحْشُ مِنْ أَخْلَاقِهَا
وَلَقَدْ أَلَدْتُ حَدِيثَهَا	وَأَسَرْتُ عِنْدَ عِنَاقِهَا

[وفي هذه القصيدة يقول (١) :

أَنْ كُنْتُ سَاقِيَةً بِيَدِ	لِ الْأَدَمِ أَوْ بِحَقَاقِهَا
فَاسْتَقَى بَنِي نَهْدٍ إِذَا	شَرَبُوا خِيَارَ زِقَاقِهَا
فَالْخَيْلُ تَعْلَمُ كَيْفَ أَلَدْتُ	حَقَّقَهَا غَدَاةَ لِحَاقِهَا
بِأَسِنَّةٍ زُرْقٍ صَبِيحَةٍ	لَنَا الْقَوْمَ حَدَّ رِقَاقِهَا
حَتَّى تَرَى قَصْدَ الْقَنَاسِ	وَالْبَيْضَ فِي أَعْنَاقِهَا

قالوا : ولما طلق عبد الله هنداً تزوجها رجل من بني عامر ، وكان بينهم وبين
نَهْدٍ مُنَاوِرَاتٍ فجمع بنو عامر مَرَّةً لبني نهد ، فقالت هندُ امرأة عبد الله بن العجلان ،
التي كانت ناكحاً فيهم ، لفلان فقير من بني عامر : هل لك في خمس عشرة ناقةً
على أن تأتي قومي فتُنْذِرَهم قبل أن تأتيهم بنو عامر . فقال : أفعل ، فحملته على ناقَةٍ
لزوجها ناجيةً وزودته تمرًا ووطبًا من لبن . فركب وجدَّ في السير ، وفنى اللبن
وأناهم ، والحى خُلوْفٌ ، في غَزْوِ مَرَّةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فأمر خَرَّاشُ

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

ابن عبد الله بلبن وسمن فسُخِّن ، وسقاء إياه ، فاقبل لسانه ، وتسكلم ، فقال لهم :
أنا رسول هند إليكم تُنذِرُكم ، فاجتمع بنونهد ، واستعدوا ، ووافتهم بنو عامر
فلقوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر ، وقال عبد الله
ابن المجلان في ذلك شعرا .

ولما اشتد ما به من السقم خرج سرا من أبيه ، مخاطرا بنفسه ، حتى أتى أرض
بنى عامر ، لا يهرب ما بينهم من الشر ، حتى نزل بينى نمر ، وقصد خباء هند ،
فلما قاربه رآها وهي جالسة على الحوض وزوجها يذود الإبل عن مائه ، فلما نظر إليها
ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتد إليها مُسرِعاً ، فأقبلت تشتد إليه ،
واعتنقا وجملا يبكيان وينتحبان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما . وأقبل
زوج هند لينظر ما حالها ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن أباه خوَّفه من التفرير بنفسه ، ووعد أن يجتمع معهم في الشهر الحرام
بمكاذ أو بمكة ، وجاء الوقت ، وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند ، وهو يطوف
بالبيت ، وأثر كفها في ثوبه بخلق^(١) ، فرجع إلى أبيه فأخبره بما رأى ، ثم سقط
على وجهه فمات .

قال ابن سيرين : وما سمعت أحداً مات من العشق غير هذا .

ومن جيد شعره فيها :

خليلى زورا قبل شحط النوى هندا	ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا
ولا تمجلا لم يذر صاحب حاجة	أغنياً يلاقى فى التعجل أم زُشدا
ومرّاً عليها بارك الله فيكما	وإن لم تكن هند لوجهكما قصدا
وقولا لها ليس الطريق أجازنا	ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكن الباكون منا ومنكم	وترداد داري من دياركم بُعدا

(١) الخلق : ضرب من الطيب .

العَدِيلُ بن الفرخ^(١)

هو العَدِيلُ بن الفرخ بن معن بن الأسود بن عروة بن عوف بن ربيعة بن جابر ابن ثعلبة بن شني بن الحارث ، وهو العباب بن ربيعة بن عَجَل بن لجيم بن صعب ابن علي بن بكر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار .

وكان العباب اسمَ كلبٍ للحارث بن ربيعة بن عجل ، فلقَّبَ باسمِ كَلْبِهِ وغَلَبَ عليه .

وكان عَجَلٌ من مُحَمَّقِي العرب ، قيل له : إن لكل فرسٍ جوادٍ اسماً ، وإن فرسك هذا جوادٌ سابق فسمه . ففقأ إحدى عينيه وقال : سميتُهُ الأهورَ .

وفيه يقول الشاعر :

رمتني بنو عجلٍ بداءٍ أبيهمُ وهل أحدٌ في الناس أحقُّ من عَجَلٍ
أليس أبوهم عار عينَ جواده وسارت به الأمثال في الناس بالجهلِ
والعَدِيلُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وكان له ثمانية إخوة ، وأُمهم جميعاً من بنى شيبان .

فمن كان منهم شاعراً فارساً : أسودٌ وسَوادةٌ وشَملةٌ - وقيل : سَلَمَة - والحارثُ، وكان يقال لأُمهم درمنا .

وكان للعَدِيل وإخوته ابنٌ عمٌ يسمى عَمْرًا ، فتزوج بنتَ عمٍ لهم بغير أمرهم^(٢)

(١) الأغاني ٢٠ : ١١ - مهذب ٣ : ٢٢٦ .

(٢) في الأصل عمرا من تيم (وما أثبتناه عن الأغاني والمهذب) .

فغضبوا فرصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغا فوثب العديل وإخوته فأخذوا سيوفهم فقالت أمهم : إني أعوذ بالله من شركم . فقال لها ابنها الأسود : وأى شيء تخافين علينا ؟ والله لو حملنا أسيافنا على أهل الحنو ، حنوا قراقر ، لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى أتوا عمراً ، فلما رأهم ذعروا منهم ، وناشدتهم فأبوا ، فلما أبوا حمل عليه سواده فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سواده :

ألا من يشتري رجلاً برجلٍ تأتني للقيام فما تقوم
وقال عمرو لدابغ: اضرب وأنت حر . فحمل دابغ فقتل رجلاً منهم [وحمل عمرو
فقتل آخر] وتداولاهم^(١) وصاولاهم فقتلوا منهم أربعة نفر ، وضربا العديل على رأسه ،
ثم تفرقوا وهرب دابغ حتى أتى الشام ، فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل
ضربته ، ومكث مدة ، ثم طرح عليه العديل الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديل
راحلته وهو متلثم ، فانطلق معه حتى لقيه خلف الرّكاب يحدو بشعر العديل :
يادار سلمى أقفرت من ذى قار وهل بإقفار الديار من عار
وقد كسين عرقاً مثل القار يخرج من تحت ظلال الأوتار^(٢)
فلقيه العديل فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، وسار رويدا ودابغ يمشي
رويدا ، وتقدمت إبله وذهبت ، وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين - ثم قال
العديل : والله لقد استرخى حقب^(٣) رجلي ، انزل فأغتر الرحل وتعينني . فنزل وغتر
الرحل وجعل يعينه حتى إذا شد الرحل أخرج العديل السيف وضرب به دابغا حتى
برد . ثم ركب راحلته وأنشأ يقول :

(١) فى الأصل : (واحتز وصار لاهم) وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) يخرج من تحت خلال الأوبار (أغاني) .

(٣) الحقب : الحزام الذى يلى حقو البعير .

ألم ترني جللت بالسيف دابغا وإن كان ثارا لم يُصَبه غليلي
بوادى حنين ليلة البدر رُعته بأبيض من ماء الحديد صقيلا
وقلت لهم هذا الطريق أمامكم ولم أك أن ساروا لهم بدليل

وكان العديل هجا جرثومة [العزى الجلانى فقال فيه :

أهاجى بنى جلان إذا لم يكن لها حديث ولا فى الأولين قديم
فأجابه جرثومة فقال:]^(١)

إن امرأاً يهجو الكرام ولم ينل من النار إلا دابغا للثيم
ثم إن مولى دابغ استمدى على العديل الحجاج بن يوسف ، وطالبه بالقود ،
فهرب العديل من الحجاج إلى ملك الروم ، ولجأ إلى قيصر ، فأمنه فقال فى الحجاج :
ودون يد الحجاج من أن ينالنى بساط لأيدى الناعجات عريض
منهاه أشباه كأن سراها ملأ بأيدى الغانيات^(٢) رحيض
فبلغ شعره الحجاج فكتب إلى قيصر : لتبعثن به أو لأغزىنك جيشا يكون
أوله عندك وآخره عندي . فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما دخل
عليه : أنت القائل :

ودون يد الحجاج من أن ينالنى
فكيف رأيت أمكن الله منك ؟ قال : بل أنا القائل أيها الأمير :
إذا ذكر الحجاج أضمرت خيفة لها بين أثناء الضلوع نفيض
فتبسم الحجاج وقال : أولى لك - وعفاهه [وفرض له] .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) الراحضات (أغاني) . والرحيض الغسول من رحض الثوب إذا غسله .

خرج العدیلُ يريد الحِجَاجَ ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثب عليه العدیل ، وقال له : لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريشٍ أكرمُ مني ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ فأحفظه ، وانصرف العدیلُ إلى باب يزيد بن المهلب ، فلما دخل عليه ، أنشأ يقول :

لئن أرتجَ الحِجَاجُ بالبُخلِ بابَه	فبابُ الفتي الأزدیُّ بالعرفِ يُفتحُ
فتی لا يبالی الدهرَ ما قل ما له	إذا جعلت أیدی الكارم تسبَحُ
يداه يدُ بالعرفِ تُنهبُ ما حوتُ	وأخرى على الأعداء تسطو وتجرَحُ
إذا ما أتاه المُرملون تيقنوا	بأن الغنى فيهم وشيكا سيَسرحُ
أقام على العافين حُرَّاس بابَه	ينادونهم والحرُّ بالحرِّ يفرَحُ
هلموا إلى سيب الأميرِ وعُرفِة	فإن عطاياہ على الناس تقسحُ
وليس كعلاج من ثمود بكفه	من الجود والمعروفِ جذمُ مطوح ^(١)

فقال له يزيد : عرضت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا يصل إليك وأنت في حَيْرِي ، فأمر له بخمسين ألفَ درهم ، وحمله على فرس ، وقال له : الحق بعلياء نجد واحذر أن تعلقك حبائلُ الحِجَاجِ أو تحتجك محاجنه وأبعث إلى في كل عام ، ولك مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحِجَاجَ خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب العدیلُ ففاته وقال لما نجا بيتيه الضاديين :

ودون يد الحِجَاج

وبالغ الحِجَاجُ في طلبه فلفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان هرباً منه ، فأتى بكر ابن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمره ، وفيهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو بكر ، وقال لهم : أنا مقتولٌ أقتلوني هكذا ، وأنتم أمرُ العرب ؟ فقالوا له :

(١) الجذم : الأصل والمنبت - وفي الأغاني : حزم مطرح .

لا والله ، ولكن الحجاج لا يراغم ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفيت ، وإن حادنا في أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا ، فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل ، فقالوا له : أيها الأمير ، إنا قد جنينا جميعا عليك جناية ، [لا يغتفر مثلها] ^(١) وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فأما إن وهبت فأهل لذلك أنت ، وإن عاقبت فأنت المسلط الملك العادل . فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه في شيء ، فإن رأيت ألا تُكدر منك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول ما تهب . فقال : قد فعلت فها توه قبحة الله ، فأتوه به فلما مثل بين يديه أنشد :

فلو كنت في سلمى أجاوشما بها	لكان لحجاج على سبيل
خليل أمير المؤمنين وسيفه	لكل إمام صاحب وخليل
بنى قبة الإسلام حتى كأنها	هدى الناس من بعد الضلال رسول
إذا جار حكم الناس الجأ حكمه	إلى الله قاض بالكتاب فمبول
به نصر الله الخليفة منهمو	وثبت ملكا كاد عنه يزول
فأنت كسيف الله في الأرض خالدة	يصول بمون الله كيف يصول
وجازيت أصحاب البلا ببلاتهم	فما منهمو عما تحب نكول
وصلت بمراق العراق فأصبحت	مناكبها للوطء وهي ذلول
أذقت الحمام ابني عباد فأصبحا	بمنزل موهون الجناح نكول
ومن قطري نلت ذاك وحوله	كتائب من رجالة وخيول
إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي	أنت خير منزل به ونزول

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

وما خفتُ شيئاً غير ربِّي وحده إذا ما انتحيتُ النفس كيف أقول
تري الثقلين الجنَّ والإنسَ أصبحا على طاعة الحجاج حين يقول
فقال له: أوَّلَى لك ، لقد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه .

فقال يمدح سائر قبائل وائل ، ويذكر دفعها عنه ، ويفتخر بها - قصيدته التي
أولها :

صرم الغواني واستراح عواذلي وصحوتُ بعد صباقةٍ وتمائلـ
وذكرتُ يومَ لوى عقيقٍ نسوةً يخطرُنَ بين أَكَلَّةٍ ومراحلـ
لعب النعام^(١) بهن في أطالاه حتى لبسنَ زمانَ عَيْشٍ غافلـ
ياخذُنَ زينتهن أحسنَ ما ترى فإذا عَطَلْنَ فهن خيرُ عواطلـ
وإذا خَبَأْنَ خدودهن أريننا حَدَقَ المِها وأَرَيْنَ سَهْمَ القاتلـ
ورَمَيْنِي لَا يَسْتَمِرُّ بِجُنَّةٍ إِلَّا الصُّبَا وَعِلْمُنَ أَيْنَ مقاتلي
وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتُنَا بفروع أُرعنَ فوقها مُتَطاولـ
وإذا سألتَ ابْنِي نَزَارٍ يُنبِئُنا عَنِّي^(٢) ومنزلي من ابْنِي وائلـ
حدَّبتُ بنو بكرٍ عَلَيَّ وفيهمـو كلُّ المكارمِ بالمديدِ الكاملـ
خطرُوا ورَكْنِي بِالْفَنَاءِ وَتَجَمُّعُوا^(٣) منهم قبائلُ أُرِدِفُوا بقبائلـ

ونخر فيها بقبائله . قال أبو النجم للعديل : أرايت قولك :

فإنَّك من شيبانِ أُمِّي فإني لأبيضَ عَجَلِيٍّ عريضُ المفاقرِ

(١) النعيم (أغاني) .

(٢) بينا . . مجدى (أغاني) .

(٣) رواية الأغاني :

أَكُنْتَ شَاكًّا فِي شِعْرِكَ حِينَ قُلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ الْعَدِيلُ : أَشَكَّكَ أَنْتَ
فِي نَفْسِكَ ، وَفِي شِعْرِكَ حِينَ تَقُولُ :
أَنَا أَبُو النَجْمِ وَهَذَا شِعْرِي اللَّهُ دَرِّي مَا يَجْنُ صَدْرِي
فَأَمْسَكَ أَبُو النَجْمِ وَاسْتَحْيَا .

كَانَ حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ الشَّيْبَانِي وَعَكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الْبَكْرِي يَتَنَازَعَانِ
الشَّرَفَ وَيَتَبَارِيَانِ فِي إِطْعَامِ الطَّيَامِ ، وَنَحَرَ الْجُزُرَ فِي عَسْكَرِ مُضْعَبَ فَكَانَ حَوْشَبُ
يَغْلِبُ عَكْرَمَةَ لِسَمَةِ يَدِهِ ، وَقَدِمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَشَارٍ ^(١) بِسَقَاءٍ ^(٢) مِنْ دَقِيقٍ ، فَأَتَاهُ
عَكْرَمَةُ فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ ، كَادَ حَوْشَبُ أَنْ يَغْلِبَنِي وَيَسْتَعْلِبَنِي ^(٣) بِمَالِهِ ، فَبَعْنِي
هَذَا الدَّقِيقَ بِنَاجِزٍ وَلَكَ فِيهِ مِثْلُ ثَمَنِهِ رُبْحًا فَقَالَ : خُذْهُ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى قَوْمِهِ
وَفَرَّقَهُ فِيهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِمَجْنِهِ فَمَجْنَوْهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِالْعَجِينِ كُلَّهُ فَجَمَعَهُ فِي هُوَّةٍ عَظِيمَةٍ ،
وَأَمَرَ بِهِ فَعُطِّيَ بِالْحَشِيشِ ، وَجَاءُوا بِرَمَكَةٍ ^(٤) فَقَرَّبُوهَا إِلَى فَرَسِ حَوْشَبَ ، حَتَّى
أَلْقَوْهَا فِي ذَلِكَ الْعَجِينِ ، وَمَعَهَا الْفَرَسُ ، حَتَّى تَوَرَّطَا فِي ذَلِكَ الْعَجِينِ ، وَبَقِيََا فِيهِ جَمِيعًا ،
وَخَرَجَ قَوْمُ عَكْرَمَةَ يَصِيحُونَ فِي الْمَشْكَرِ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَدْرَكُوا فَرَسَ حَوْشَبَ
قَدْ غَرِقَ فِي خَيْرَةِ عَكْرَمَةَ ! فَخَرَجَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَيْرَةُ يَفْرَقُ
فِيهَا فَرَسٌ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْعَسْكَرِ أَحَدٌ إِلَّا رَكَبَ لِيَنْظُرَ ، فَجَاءُوا إِلَى الْفَرَسِ وَهُوَ غَرِيقٌ
فِي الْعَجِينِ ، مَا يَبِينُ مِنْهُ إِلَّا رَأْسُهُ وَعَنْقُهُ ، فَمَا خَرَجَ إِلَّا بِالْعَمْدِ وَالْحَبَالِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ
عَكْرَمَةُ وَافْتَضَحَ حَوْشَبُ فَقَالَ الْعَدِيلُ يَمْدَحُهُمَا وَيَفْخَرُ بِهِمَا :

(١) الْأَغَانِي (يَسَار) ١٨ .

(٢) بِسَفَائِنَ (أَغَانِي) وَأَمَّا السَّقَاءُ فَهُوَ وَعَاءٌ مِنْ جِلْدِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوَهُمَا .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « يَسْتَعْلِبَنِي » .

(٤) الرَّمَكَةُ : الْفَرَسُ أَوْ الْبَرْذَوْنَةُ تَتَّخِذُ لِلنَّسْلِ .

وعكرمة الفياضُ فينا وحوشبُ
ها فتيا الناسِ اللذا لم يعمُرَا
رئيسٌ ولا الأقيالُ من آل حميرا
وفي حوشب هذا يقول الشاعر :

وأجودُ بالمال من حاتم وأنحرُ للجُزُر من حوشبِ
قدم العديلُ البصرةَ ، ومدح مالك بن مسمع الجحدريّ فوصله ، فأقام بالبصرة
واستطابها ، وكان مقبلاً بها عند مالك ، فلم يزل بها حتى مات . وكان ينادم الفرزدق
فقال يرثيه :

ما وكدتُ مثلَ العديل حليمةً قديماً ولا مُستَحْدَثاتُ الحلائلِ
وما زال مذ شدتُ يداه إزاره به تفتحُ الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

عمرو ذو الكلب

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبه ، أحد بني كاهل بن حيان ابن هذيل .

وسُمِّيَ ذوالكَلْبِ لأنه كان خرج غازيا ، ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ، فثبتت عليه .

وقيل : من الناس من يقول عمرو الكلبُ - ولا يقول ذو الكلب . وكان من رجال هذيل .

وكان يغزو بني فُهم غزوا متصلا ، فنام ليلة في بعض غزواتهم فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادّعت فُهم قتله .

وكان علق امرأة من فُهم يقال لها أم خلنجة فأحبها وأحبته . وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، فطلبوا دمه - إلى أن جاءها عاما من ذلك ، فنذروا به ، وخرجوا في أثره ، وخرج هاربا ، فتبعوه يومهم ذلك ، وهم على أثره حتى أمسى ، وهاجت ريحٌ شديدة في ليلة ظمَاء ، فبينما هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى نارا عن يمينه ، فقال : أخطأت الطريق ، فحاروشك وقصد النار حتى أتاها ، وقد كاد يُصْبِح فإذا رجلٌ قد أوقد نارا ، ليس معه أحد . فقال له عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من عدوان . قال : فما اسم هذا المكان ؟ قال : السّد . فمرف أنه قد هلك ، وأخطأ . . والسد شيء لا يُجَاوَز . فقال : ويلك لم أوقدت ؟ فوالله ما تشقوى ولا تصطلي ، وما أوقدت إلا لِنِيَةِ عمرو الشقي ، هل عندك شيء تطعمنيهِ ؟ فأخرج له تمرات قد بقاها في يده فقال لما رآها في يده : تمراتٌ تتبعها عبّرات من نسوة خفّرات ،

ثم قال : اسقني . قال : ما ذا ؟ ألبناً ؟ قال : لا ولكن ماء فإني مقتولٌ صباحاً ،
ثم انطلق فاستدّ في السدّ ، ورأى القوم الذين جاءوا في طلبه حيث أخطأ ، فاتبعوه
حيث وجدوه ، وقد دخل غارا في السدّ ، فلما ظهروا على السد علموا أنه في الغار
فنادوه ، وقالوا : يا عمرو ! فقال عمرو : ما تشاءون ؟ قالوا : اخرج . قال : فلم
دخلتُ إذا ؟ قالوا : بلى ، فاخرج . قال : لا أخرج . قالوا : فأنشدنا قولك :

ومَقَمَدٍ كُرْبَةٍ قد كنت منها مكان الأصْبَعَيْنِ من القِبَالِ^(١)

قال : هاهي ذة أنا فيها . قال : وعنّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله .
فقالوا : قتلته يا عدو الله . قال : أجل ، ولقد بقيتُ معي أربعة أسهم كأنها أنياب
أم خننجة ، لا تصلون إليّ أو أقتل بكل منهم^(٢) واحداً منكم . فقالوا لعبيدهم : يا أبا نجاد ،
ادخل إليه وأنت حر . فنهياً أبو نجاد ليَدْخُلَ عليه ، فقال له عمرو : ويحك يا أبا نجاد ،
ما ينفُكُك أن تكون حراً إذا قُتِلْتَ ، فنكص عنه .

فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سلبه ، فرجعوا
به إلى أم خننجة ، فإذا هي تتشوّف ، فلما راوها ، قالوا لها : يا أم خننجة ما رأيك
في عمرو ؟ قالت : أرى أنكم طلبتموه سريماً ، ووجدتموه منيعاً ، ووصفتموه مريماً
قالوا : قد والله قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتم ، وإن كنتم فعلتم لرُبُّ نَدْيٍ
منكم قد افترشه وضبّ منكم قد احترشه ، فطرحوا إليها ثيابه ، وقالوا لها :
دونك ثيابه ، فأخذتها فشمتها وقالت : ريح عطر وثوب عمرو ، والله ما وجدتموه
ذا حُجْزَةٍ جافية ولا عانةٍ وافية ، ولا ضالة كافية .

(١) القبال من النعل زمامها .

(٢) بكل سهم منها واحداً (الأغاني) .

وقالت أخته ربيعة ترثيه :

كل امرئ بمحال العيش مكروب	وكل من غاب الأيام مغلوب
وكلٌ حيٍّ وإن عزُّوا وإن سلّموا	يوماً طريقهمو في الشر رُعبوب
أبلغ هذيلاً وأبلغ من يُبَلِّغها	عنى رسولا وبعض القول تكذيب
بأن ذا السكب عمراً خيّرهم نسبا	بيطن شريان يعوى حوله الذيب
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعمها	مُشعَّج ^(١) من نجيع الجوف أسكوب
والتارك القرن مُصَفِّراً أنامله	كأنه من نجيع الجوف مخضوب
تمشى النسور إليه وهي لاهية	مشى المذارى عليهن الجلايب
والمخرج العاتق المذراء مُذْعَنَة	في السَّبي ينفخ من أردانها الطيب

(١) المشعَّج : السائل من ماء أو دماً وغيره .

عنان الناطفية^(١)

مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، واشتراها الناطفي ، وربّاها .
وكانت صفراء مليحة الوجه ، والأدب والشعر ، سريعة البديهة .
وكان فحول الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتنتصف منهم .
دخل أبو نواس يوما على عنان فتحدثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت أبياتا .
قالت : هات . فقال :

إن لي أيرا خبيثا	عارم الرأس فلوّتا
لورأى في الجوصدعا	لنزا حتى يموتا
أو رآه حول سقف	صار فيه عنكبوتا
أو رآه جوف بحر	خلته في البحر حوتا

قال : فما لبثت أن قالت :

زوّجوا هذا بالفي	وأظن ألف قوتا
إنني أخشى عليه	إن تمادى أن يموتا
مادرّوا ما حلّ باله	يكن خوفًا أن يفوتا
قبل أن ينتكس الداء	فلا يأتي ويؤتى

فأخجلته ، ثم قال لها مولاها : اعتذري إليه . فقال : لا تعذري لا أعذر الله
من عذرك ، ثم تفارقا بعد ذلك . وكان كل واحد منهما لا يصبر عن صاحبه :
ودخل عليها يوما فقال لها :

ماذا ترين لصب
يريد منك قطيرة

فأجابته :

إياي تمنى بهذا عليك فاجلد عَمِيرَةَ

فقال لها :

أريد هذا وأخشي على يدى منك غَيْرَةَ

فَحِجَلَتْ وقالت : تمست وتيس من يغارُ عليك .

قال مروان بن أبي حفصة : لقينى الناطفانى فدعانى إلى عِنان ، فانطلقت معه ،
فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتُك بأشعرِ الناسِ مروان بن أبي حفصة . فوجدتها
عليلة . فقالت له : إني عن مروان في شغل ، فأهوى إليها بسوطٍ فضربَ بها به ،
وقال لي : ادخل ، فدخلت ، وهى تبكى ، فرأيت الدموعَ تتحدر من عينيها فقلت :

بكت عِنانُ فجَرى دمعها كالدرِّ إذ يَسْتَنّ من خيطه

فقلت وهى تبكى :

فليت من يضربها ظالماً تَيْبَسُ يُمنِىء على سوطه

فقلت له : عتق مروان ما يملكه إن كان فى الجنِّ والإِنسِ أشعرُ منها .

ودخل بعضُ الشعراء على عِنانٍ فقال لها مولاها : ساجِليه فقالت :

سَقِيَا لِبِفَسْدَادٍ لا أرى بلاداً يسكنه الساكنون يُشَبِّهُهَا

فقال :

كأنها فِضَّةٌ مُمَوَّهَةٌ أخلصَ تمويهها مُمَوَّهٌ

فقلت :

أمنٌ وخفضٌ ولا كبهَجَتِها أرغدُ أرضٍ عَيْشاً وأرفهها

فانقطع .

قال بعضهم : تصفحتُ كُتُباً فوجدتُ فيها بيتاً جَهِدْتُ جَهْدِي أن أجدَ من يُجِيزُهُ

فقال لى صديق لى : عليك بعنان الناطفانية فحمتها فأنشدتها :

وما زال يشكو الحب حتى رأته تنفّسَ من أحشائه وتكلم

فلم تلبث أن قالت :

وَيَبْكِي فَأَبْكِي رَحْمَةً لِبَكَائِهِ إِذَا مَا بَكَى دَمْعاً بَكَيتُ لَهُ دَمْعاً
قال الأصمى : بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لَهَجَ بهذه الجارية عنان
فإن صرَفته عنها فلك حُكْمُكَ .

قال : فكنت أتوقع لأن أجدَ للقول فيها موضعاً ، فلا أجده ، ولا أقدم عليه
هيبَةً له . فدخلت يوماً فرأيت في وجهه أثرَ الغضبِ ، فأنخزلت . فقال لي : مالك
يا أصمى ؟ فقلت : رأيت في وجه أمير المؤمنين أثرَ الغضبِ ، فلمن الله من أغضبه .
فقال : هذا الناطقي ، والله لولا أني لم أُجِرْ في حكم قطُّ متعمداً لجعلت على كل جبلٍ
منه قِطْعَةً ، وما لي في جاريته من أربٍ غير الشعر . فذكرت رسالة أم جعفر ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، واحدةٌ ما فيها غيرُ الشعر ، أفَتُسَرُّ يا أمير المؤمنين
أن تذكرك الفرزدق ؟ فضحك واستلقى ، وانصل قولي بأم جعفر ، فأجزلت الجائزة .
وكان الرشيدُ استقام من الناطقي جاريته ، فأبى أن يديها بأقلَّ من مائة ألف
دينار ، على أن يأخذ بالدينار تسعة دراهم ، فامتنع عليه ، فأمر بأن تُحْمَلَ فدخلتُ
بجَلْسِهِ في هيأتها تنظره ، فدخل عليها ، فقال لها : ويلك !! إن هذا قد اشتطَّ عليَّ
في أمرِك ، فقالت : وما يمنعك أن تُرضيه وتؤمِّنه ؟ فقال : ليس يَقْنَعَ بما أُعطيه ،
وأمرها بالانصراف .

فيقال إن الناطقي تصدَّق بثلاثين ألفَ درهم ، حين رجعت إليه . فلم يزل
في قلب الرشيد منها شيء ، حتى مات مولاها .

فلما مات بعث مسرور الكبير فأخرجها إلى باب الكرخ ، وأقامها على سرير ،
وعليها رداء رشيدى قد جللها ، فنوِّدى عليها فيمن يزيد ، بعد أن شاور الفقهاء فيها ،

وقال : هذه لبدة رطبة ، وعلى الرجل دين . فأشاروا ببيعها ، فكانت تقول وهي في المصطبة : أهان الله من أهانني وأرذل من أذلني . فلكرها مسرور بيده ، وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم ، فجاء رجل فقال : على زيادة خمسة وعشرون ألفا فلكره مسرور وقال : أتريد على أمير المؤمنين ؟ ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفا ، وأخذها له ، ولم يكن فيها شيء تعاب به ، وطالبوا لها عييا اثلا تصيبها العين فوضعوا بخنصرها في ظفر رجلها شنا . وأولدها اثنين . وأظنهما مائتا صغيرين ، ثم خرج إلى خراسان ، ومات هناك ، ومات عنان بعده .

وقال أبو نواس من قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد وشبب فيها بعنان :
 عنان يا من تشبه العينا أنت على الحب تلومينا^(١)
 حسنك حسن لا أرى مثله قد ترك الناس مجانينا
 لما ساوم الرشيد بعنان بلغ أم جعفر ذلك ، فشق عليها فدست إلى أبي نواس
 أن يحتمل في أمرها ، فقال يهجوها :
 إن عنان النطاف جارية أصبح حرها للنك ميدانا
 ما يشتريها إلا ابن زانية أو قُلُطبان يكون من كانا
 فبلغ شعره الرشيد ، فقال : لعن الله أبا نواس وقبحه ، فلقد أفسد على لذتي
 في عنان بما قال ، ومنعني من شرائها .

(١) أتم على الحب تلومونا (ديوان ٣٩٨) .

على بن أمية بن أبي أمية^(١)

كان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال ، وديوان بيت الرسائل والخاتم .
وكان هو منقطعا إلى إبراهيم بن المهدي ، وإلى الفضل بن الربيع .

ولما قال على بن أمية هذه القصيدة :

يا ريحُ ما تصنعين بالدمنِ	كم لك من محوٍ منظرٍ حسنِ
محويت آثارنا وأحدثتِ آ	ثارا بربع الحبيب لم تكنِ
إن تكِ ياربُّع قد بليت من الر	يح فإني بالٍ من الحزنِ
قد كان ياربُّع فيك لي سكنٌ	فصيرتِ مذبانَ بعده سكني
شبهتُ ما أبليتِ الرياحُ من آ	ثارِ حبيبي النَّأيِ بلي بدني
حاشاك ياربُّع أن تكون على ال	حاشق عونا لحادث الزمنِ
ياربُّ خذني وخذ عليا [وخذ]	يا ريح ما تصنعين بالدمنِ
عجلُ إلى النارِ بالثلاثة وال	رابعِ عمرو الغزالِ في قرنِ

ندم وقال : هؤلاء أهل بيت ، وهم إخوتي ، ولا أحب أن تنشب بيني وبينهم
عداوةً وشرًّا ، فأثى أمية فقال : إني أذنبتُ فيما بيني وبينكم ذنبا ، وقد جئت
مستجيئاً بك من فتيانك ، فدعا بلي بن أمية ، فقال : هذا عمُّك ، أبو موسى ،
قد أتاك مستعيناً^(٢) من الشعر الذي قاله . قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضجرتنا
[نحن] والله منه كما ضجرت [أنت] وأكثر وأنت آمن أن يكون منا جواب .
وأتى محمد بن أبي أمية فقال له مثل ذلك .

(١) الأغاني ٢٠ : ٦٣ .

(٢) معتذرا (أغاني) .

ومضى أبو أمية ، فأخذ علي بن أمية رقعة وكتب فيها :

كم شاعرٍ عند نفسه فِطْنٌ ليس لدينا بالشاعرِ الفِطْنُ -
قد أُخْرِجَتْ نفسه بُغْصَتُهَا يارِيحُ ما تصنعين بالدمن -

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : اذفعها إلى غلام أبي موسى ، وقل له : يقول لك مولاك : اذكرني بهذه الرُقعةِ إذا انصرفتَ إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة ، فقال له : هذه الرقعة التي بعثت بها إلي قال : والله ما بعثتُ إليك رقعةً وأظن الفاسق قد فعلها .

ثم دعا ابنه فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال لى : يا غلام لا تنزع عن البغلة ، فرجع إلى علي بن أمية فقال : نشدتك الله أن تزيد على ما كان . فقال له : أنت آمن .

كان عبیدُ الله بنُ جعفر بن المنصور محبا لعمر والنزال . وكان عمرو يستحق ذلك بكل وجه ، إلا من طريق^(١) صنعة الغناء ، فإنه كان ظريفا أديبا حسن الوجه واللباس ، معه من كل شيء من آلة الفتوة ، وكان عبیدُ الله قليل الفهم بصناعة الغناء فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز . وكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو والنزال وصنمته . فكان من يحضر مجلسه ممن يفهم هذه الصناعة يشقى بنم ، ويتنكد من لسانه .

وكان الرشيد قد استحضره وسمع غناؤه :

يارِيحُ ما تصنعين بالدمن

وكان صوتا مليحا خفيفا ، فأطربه ووصله بألف دينار ، وأخذه إليه باتفاق غريب . وذلك أن عيسى أخا عبیدُ الله بن جعفر كان يطمئن في عقل أخيه ، عبیدُ الله ،

(١) إلا ما يدعيه من طريق (أغاني) .

عند الرشيد ، ويقع فيه لديه ، فسمعه يوما عيسى ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيماً ، ليزيد بذلك عبیدَ الله رغبة فيه ، ويجعله سبباً قويا عند الرشيد إذا سمعه بضَعْفِ عقله .

فلما سمعه الرشيد كان أول ما سمع منه :

ياريح ما تصنعين بالدمن

فاستخفّه وصار في عداد مغنيه ، فاتفق أن عبیدَ الله بن جعفر انصرف يوما من الشماسية^(١) فلقية الخضر بن جبريل . وكان فتى الناس في المسكر ، فعاتبه عبیدَ الله على تركه ، وانقطاعه عنه . فقال : والله ما أفعلُ هذا جهلاً بحقك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكننا في طريقين متباينين ، ولا يمكن معهما اجتماعٌ فقال : وما هما ؟ قال : إنك على نهاية السرف في أمر عمرو الغزال وجهه ، وأنا على نهاية السرف في بُغضه ، وأنت تتوهم أنك لا يطيبُ عيشك إلا به ، وأنا أتوهم أنني إن عاشرته ساعةً ميتٌ وتقطعت نفسي غيظاً وكداً ، فما يستقيمُ بيننا مع هذا عشرةً أبداً .

فقال له عبیدَ الله : إذا كان هذا على هذه الصورة فأنأ أعفيك منه إذا زرتني ، فصر معي الآن آمناً ، ففعل ، ولم يجلس عبیدَ الله حتى قال لحاجبه : لا تدخل عليّ اليوم أحداً ، ولا تستأذن عليّ خلقاً البتة ؛ ودخل .

فلما وُضِعَت المائدة لم يَسْتَقِرَّ حتى دخل الحاجبُ ، فوقف بين يديه وأقبل عمرو الغزال خلفه يراه من أقصى الصحن . فقال له عبیدَ الله : تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ ، ألم أقل لك لا تدخل عليّ أحداً من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالق إن [كان] عنده إن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو كان الملائكة لم يدخلوا عليك إلا بإذنٍ سوى عمرو ومن قبل أمرتني ألا أستأذن له خاصةً ، وأن يدخل متى شاء على كل حال .

(١) الشماسية : صحراء كانت بأعلى بغداد يدسب إليها باب من أبوابها .

ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة ، وتغير وجه الخضر وبانت الكراهية فيه فما أكل أكلا فيه خير . وتبين عبيد الله ذلك فرفعت المائدة ، وقدم النبيذ ، فجعل الخضر يشرب شربا كثيرا شديدا لم يُعهد بشرب مثله ، فظن به أنه يريد بذلك أن يستريح من عمرو الغزال ، وعمرو يُغنى لا يفتروكلما تغنى قال له عبيد الله : لمن هذا الصوت يا حبيبي ؟ فيقول : لى ، وفى المجلس جوار مطربات محسنات ، وعمرو يقطع غناءهن بغناؤه ، وتبين فى وجه الخضر العريضة إلى أن قال عمرو ، عقيب صوت غناه : هذا لى ، فوثب الخضر فكشف اسنقه وخرى فى وسط المجلس على بساط خز لم ير مثله لأحد ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك فهذا الخراء لى . فغضب عبيد الله وقال : يا خضر أكنت تستطيع تفعل أكثر من هذا ؟ قال : أى والله ، أيها الأمير ، ثم وضع رجله على سلاجه ومشى على البساط مقبلا ومديرا ، وهو يقول : وهذا لى ، وهذا لى ، وتفرق الجماعة على أسوأ حال ، وشاع الخبر ووصل إلى الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ودعا بالخضر فجعله فى ندمائه منذ يومئذ . وقال : هذا أطيب خلق الله ، وانكشف عنه عوار عمرو الغزال وحجب ، فسقط منذ يومئذ وسقط غناؤه فلم يُذكر منه حرف إلا غناؤه :

يا ريح ما تصنعين بالدمن

قال أبو هفان : كنا فى مجلس ، وعندنا مغنية تغنينا ، وصاحب المجلس يهواها ، فجعلت تكايدته وتومى إلى غيره بالزح والتجميش ، وتغيظه بجهدىها ، وهو يكاد يموت قلقا وهما ، وتنغص عليه يومه والحت فى أمرها ، ثم سقط المضرب من يدها ، فأكبت على الأرض ، فضرطت ضرطة سمعها جميع من حضر ، وخجلت فلم تدر ما تقول ، فأقبلت على عشيقها فقالت له : أى شىء تشتهى أن أغنى لك ؟ قال : غنى :

يا ريح ما تصنعين بالدمن

نَحِجَلَتْ ، وَضَحَكَ الْقَوْمُ حَتَّى أَفْرَطُوا فَبَكَتْ ، وَقَامَتْ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَقَالَتْ :
أَنْتُمْ قَوْمٌ سَفَلٌ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَعَاشِرُكُمْ ، وَغَضِبَتْ ، وَخَرَجَتْ ، وَانْقَطَعَ مَا بَيْنَهُمَا .

قال الحسين بن الضحّاك :

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ قَدْ دُعِينَا إِلَيْهِ ، وَمَعَنَا عَلِيُّ بْنُ أُمِيَّةَ ، فَعَلِقَتْ نَفْسُهُ بِقَيِّمَةِ دُعِيَّتِ
يَوْمَئِذٍ إِلَى مَجْلِسِنَا فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : أَتُغْنِي :

خَبَّرْنِي مَنْ الرِّسُولُ إِلَيْكَ وَاجْعَلِيهِ مِنْ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ

وَأَشِيرِي إِلَى مَنْ هُوَ بِاللَّحْظِ لِيَخْفَى عَلَى الَّذِينَ لَدَيْكَ

فَقَالَتْ : نَعَمْ وَغَنَّتْهُ لَوْقَتَهَا وَزَادَتْ فِيهِ [هَذَا الْبَيْت] :

وَأَقْلَ الْمَزَاحِ فِي الْمَجْلِسِ إِلَيَّ وَمَ فَإِنَّ الْمَزَاحَ بَيْنَ يَدَيْكَ

فَفِطِنَ لَمَّا أَرَادَتْ ، وَسُرَّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى خَادِمٍ وَاقِفٍ ، فَقَالَتْ لَهُ :

يَا مَسْرُورُ اسْقِنِي مَاءً فَسَقَاهَا ، فَفَطِنَ ابْنُ أَبِي أُمِيَّةَ أَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تُعَلِّمَهُ أَنَّ مَسْرُورًا

هُوَ الرِّسُولُ ، فَخَاطَبَهُ فَوَجَدَهُ كَمَا يَرِيدُ ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ الْخَادِمُ يَتَرَدَّدُ فِي الرِّسَائِلِ بَيْنَهُمَا .

عبدُ الله بن يحيى الكندى^(١)

أحدُ بنى عمرو بن معاوية ، من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فكان يقول قبل أن يخرج : لَقِيْنِي رَجُلٌ فَأُطَالُ النَّظَرَ إِلَى . وقال : ممن أنت ؟ قلت : من كِنْدَةَ قال : من أيهم ؟ قلت : من بنى سَيِّبَانَ^(٢) قال : والله لَتَمْلِكَنَّ وَلَتَبْلُغَنَّ خَيْلُكَ وادى القرى . وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك ، فقد ذهبت وأنا أتخوفُ ما قال ، وأستخيرُ الله عز وجل .

ورأى باليمنِ جَوْرًا ظاهراً ، وعسفاً شديداً ، وسيرةً في الناس قبيحة . فقال لأصحابه : ما يحلُّ لنا المقامُ على ما نرى ، ولا يَسَعُنَا الصبرُ عليه ، وسنكتب إلى أبي عبيدة ومسلمة بن أبي كريمة الذي يقال له كودين مولى بنى تميم ، وكان ينزل في الأزْد ، وإلى غيره من الأباضية في البصرة ، ليشاورهم في الخروج . فكتبوا إليه : إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً قافلاً ، فإن المبادرةَ بالعمل الصالحِ أفضلُ ، ولست تدري متى يأتي عليك أجلُّك ، والله خَيْرَةٌ من عباده يبعثهم متى شاء لنصر دينه ويختصُّ بالشهادة منهم من يشاء ، وشخص إليه أبو حمزة المختارُ بن عوف الأزدي أحدُ بنى سَلَمَةَ وبلج بن عُقْبَةَ في رجالٍ من الأباضية ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثَّوه على الخروج ، وأتَوْه بكتب أصحابه ، وفيها : إذا خرجتم فلا تَعْلَوْا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت سنة ثمان وعشرين ومائة ، فدخلها ، وأقام بها أشهراً ، فكثرت جمعه ، وسموه طالب الحق ، وكان على حضرموت

(١) الأغاني ٢٠ : ٩٧ .

(٢) في الأصل (سهبات) والتصويب عن الجمهرة والقاموس .

إبراهيمُ بنُ جبلة بن مخزومة الكِنْدِيُّ فَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُ فَأَتَى صَنْعَاءَ ،
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِصَنْعَاءَ : إِنْ قَادِمَ عَلَيْكُمْ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى حَضْرَمَوْتَ
عَبْدَ اللَّهِ بنِ سَعْدِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى صَنْعَاءَ سَنَةً تِسْعَ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ، فِي الْفَيْنِ .
وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْقَاسِمَ بنَ عَمْرِو ، أَخَا يَوْسُفَ بنَ عَمْرِو ، وَهُوَ عَامِلُ مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ عَلَى
صَنْعَاءَ ، فَالْتَقِيَا لَيْلًا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ مِنْ صَنْعَاءَ ، فَقَالَ النَّاسُ لِلْقَاسِمِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
لَا تُقَاتِلْ الْخَوَارِجَ لَيْلًا ، قَالَ : فَقَاتَلَهُمْ ، فَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرًا ، وَانْهَزَمَ لَيْلًا ،
فَرَّ بِعَسْكَرِهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَمَضَى إِلَى صَنْعَاءَ ، فَأَقَامَ يَوْمًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَعَسْكَرَ قَرِيبًا
مِنْ صَنْعَاءَ ، فَخَنْدَقَ ، وَخَلَّفَ بِصَنْعَاءَ الضُّحَّاكَ بنَ زَيْدٍ . فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى
فَنَزَلَ عَلَى مِئَلَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَاسِمِ فَوَجَّهَ الْقَاسِمُ يَزِيدَ بنَ الْفَيْضِ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ
مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ مَنَاوِشَةٌ ثُمَّ تَحَاجَزُوا ، فَرَجَعَ يَزِيدُ إِلَى الْقَاسِمِ ،
فَاسْتَأْذَنَهُ فِي بَيَاتِهِمْ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : لَنْ لَمْ تُبَيِّتْهُمْ لِيُغَمِّزَنَّكَ . فَأَبَى ،
فَأَقَامُوا يَوْمَيْنِ لَا يَلْتَقُونَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى ، فَوَافَاهُ مَعَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَقَاتَلَهُمُ النَّاسُ عَلَى الْخَنْدَقِ ، فَغَلِبَتْهُمْ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِ ، وَدَخَلُوا عَسْكَرَهُمْ ،
وَالْقَاسِمُ يَصِلُ ، فَرَكِبَ وَقَاتَلَهُمُ الصَّلْتُ بنُ يَوْسُفَ ، فَقُتِلَ فِي الْمَرْكَةِ . وَقَامَ بِأَمْرِ النَّاسِ
يَزِيدُ بنُ الْفَيْضِ ، وَقَاتَلُوا حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ صَنْعَاءَ فَأَرَادَ أَبْرَهَةَ بنُ الصَّبَّاحِ
اتِّبَاعَهُمْ فَمَنْعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى ، وَاتَّبَعَ يَزِيدُ بنُ الْفَيْضِ الْقَاسِمَ بنَ عَمْرِو ، وَأَخْبَرَهُ
الْخَبْرَ ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى صَنْعَاءَ ، وَأَخَذَ الضُّحَّاكَ بنَ زَيْدٍ وَإِبْرَاهِيمَ بنَ جَبَلَةَ
ابْنَ مَخْرُومَةَ فَحَبَسَهُمَا ، وَجَمَعَ الْخَزَائِنَ وَالْأَمْوَالَ فَأَخْرَزَهَا ، ثُمَّ أَطْلَقَ الضُّحَّاكَ
وَإِبْرَاهِيمَ . وَقَالَ : إِنَّمَا حَبَسْتُكُمَا خَوْفًا عَلَيْكُمَا مِنَ الْعَامَّةِ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمَا مَكْرُوهٌ ، فَأَقْبَا
إِنْ شِئْتُمَا أَوْ اشْخَصَا ، فَخَرَجَا .

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ يَحْيَى لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْيَمَنِ خَطَبَ النَّاسَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَذَّرَ وَوَعَّظَ وَذَكَرَ ، ثُمَّ قَالَ :

إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، عز وجل ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما . الإسلام ديننا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيُّنا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضيُّنا بالحلال حلالاً لا نبتغي به بدلاً ، ولا نشترى به ثمناً ، وحرَّمنا الحرام ، ونبتذناه وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المَعْوَل . من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شكَّ في أنه كافر فكافر . ندعوكم إلى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار تقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حكم ، وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقين بالوعد والوعد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعدواة لأعدائه .

أيها الناس ، إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضلَّ إلى الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله ، يُقبلون على الجدة في سالف الدهور ، فلم ينسهم ربُّهم « وما كان ربُّك نسيًّا » .

أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم به ؛ فابلوا في الله بلاء حسناً بالقيام في أمره وزجره .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وأقام عبد الله [بن يحيى] بصنعاء شهراً ، يحسن السيرة فيهم ، ويُلين بالقيام جانيبه لهم ، ويكف عن الناس فكراً جمعه ، وأتته الشراة من كل جانب .

فلما كان وقت الحج ، وجه أبا حمزة ، المختار بن عوف ، وبلج بن عُقبة وأبرهة ابن الصباح إلى مكة في ألف^(١) رجل ، وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، ويوجه بلجاً إلى الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية ، وعليها عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكروه قتالهم .

(١) في تسعمائة وقيل بل في ألف ومائة (أغاني) .

وكان أول أمر المختار بن عوف الأزدي السلمي من أهل البصرة أن كان يوافي كل سنة يدعو إلى خلافة مروان ، فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله ابن يحيى في سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يارجل . إني أسمعُ كلاما ، وأراك تدعو إلى الحق ، فانطلق معي ، فإني رجلٌ مطاع في قومي^(١) فبايعه على الخلافة .

وخرج في سنة تسع وعشرين ومائة حتى أتوا مكة يوم التروية ، فلم يشعر الناسُ وهم بعرفة حتى طلعتْ أعلامُ سود في رؤوس الرماح ، ففزع الناس حين رأوهم ، وقالوا لهم : مالكم وما حالكم ؟ فأخبروهم بخلعهم مروان ، وآل مروان والتبري منهم ، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان يومئذ ، وهو على المدينة ومكة ، والموقف ، ودعاهم إلى الهدنة ، فقالوا : نحن لحجتنا أضون ، وعليه أشح . فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، بعضهم من بعض ، حتى ينفر الناس النفر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ فوقفوا بعرفة ، ودفع عبد الواحد بالناس ، فلما كانوا بمنى ، قالوا لعبد الواحد : قد أخطأت فيهم ، ولو حمل عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس ، فنزل أبو حمزة بقرن^(٢) الثعالب من منى ونزل عبد الواحد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ورجال من أمثالهم فلما دنوا من قرن الثعالب لقيهم مشايخُ أبي حمزة فأخذوهم ، فدخلوا بهم على أبي حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطري ، فلما دنوا منه تقدم إليه عبد الله بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبهما ، فلما انتسبا عبس في وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم تقدم بهما البكريُّ والعُمريُّ فنسبهما ، فلما انتسبا هش لهما وتبسّم في وجوههما ، وقال لهما : ما خرجنا إلا لنسيرَ بسيرة أبويكما . فقال له

(١) فخرج حتى ورد حضرموت (أغاني) .

(٢) قرن الثعالب هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة (مراسد)

وكانت قرن في الأصل قرى .

عبدُ الله بن حسن : ما جئناك لتفاضل^(١) بين أبويننا ، ولكن بعثنا الأمير إليك برسالة ، وذكروا له نقضَ العهد . قال بلج وأبرهة : الساعة الساعة ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن تنقضَ العهد ، وأن نبخسَ به ، والله لا أفعلُ ولو قُطعت رقبتي هذه ، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد ، فلما كان النفرُ الأولَ نفرَ عبد الواحد ، وختل مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال ، فقال بعض الشعراء يهجو عبدَ الواحد بن سليمان :

وأرى الحجاجَ عصابةً قد خالفوا دينَ الإله ففرَّ عبدُ الواحدِ
ترك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ومضى يخبِط كالبعيرِ الشاردِ
لو كان والدُه تَخَيَّرَ أمه لصِقتْ خلائلُه بِعِرْقِ الوالدِ

ثم مضى عبدُ الواحد فدخل المدينة ، وضرب على الناسِ البعث وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً ، واستعمل على الناس عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وخرجوا ، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، ففضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسَمرَة ، فانكسر الرمح ، وتشاءم الناس بالخروج ، ثم ساروا حتى نزلوا قديداً ، ليلاً ، فنزل قوم يمتثرون ، ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا والقوم قد خرجوا عليهم .

وقيل : إن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم ، فأدخلوهم عليهم فقتلوهم ، وكانت المقتلة على قريش ، وكانوا أكثرَ الناس فيهم ، ولهم كانت الشوكة . فأصيب منهم عدد كثير .

ثم ورد الخبرُ إلى المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيم على حميمها النوايح ، والنسوة عندها ، فيأتى النسوة أيضاً خبرَ حميمهن فينصرفن حتى لا يبقى إلا صاحبةُ المأتم .

(٢) في الأصل : (إلا لتفاضل) وظاهر الكلام يقتضى حذف إلا .

وكانت الواقعة يوم الخميس لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة .
 وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا ، منهم من قريش أربعة وخمسون
 رجلا ، ومن الأنصار ثمانون رجلا ، ومن الموالي والقبائل ألف وتسعمائة رجل .
 ودخل بلج المدينة بغير حرب ، فدخلوا في طاعته ، وكف عنهم ، ورجع
 أبو حمزة إلى مكة ، وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُرَاقَة ،
 من بني عَدِيٍّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن الله السُّراقِيَّ ولعن بلجًا العراقِيَّ .

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليه أَفْنَتْ قَدِيدُ رِجَالِيهِ
 فَلَأَبْكِيْنَ^(١) سِرِيرَةً وَلَأَبْكِيْنَ^(١) عَلَانِيَةً
 وَلَأَبْكِيْنَ^(١) إِذَا خَلَوْتُ مَعَ الْكَلَابِ الْمَاوِيَةِ
 وَلَأُثْنِيْنَ^(٢) عَلَى قَدِيدٍ بِسُوءِ مَا أَبْلَانِيهِ

وقال عمرو بن الحَصِينِ الْأَبَاضِيُّ الْكُوفِيُّ ، مولى بني تميم ، يذكر واقعة قديد
 وأمر مكة ، وأنشدها الْأَخْفَشُ عَنْ الشُّكْرِيِّ^(٣) وَالْأَحُولِ وَثَعْلَبِ وَكَانَ يَسْتَجِيدُهَا
 وَيُفَضِّلُهَا :

مَا بَالُ هَمِّكَ عَنْكَ لَيْسَ بِعَازِبٍ تَمْرِي سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمَتْسَاكِبِ
 وَتَبِيتِ تَكْتَلِيْ النُّجُومَ بِمُقْلَةٍ عَبْرِي تَسْرُ بِكُلِّ نَجْمٍ آيِبِ
 حَذَرَ الْمَنِيَةِ أَنْ تَجِيَّ بِدَاهِيَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْ بَيْعِ الشُّرَاقِ مَسَارِبِيْ

(١) في الأصل فلا تكن في ا - ب ، وما ذكرناه عن الأغاني .

(٢) في الأصل : (ولا يدي) .. والشرط الثاني بياض في الأصل ثم (ابلانيه) والتصويب عن الأغاني

(٣) في الأصل : اليشكري وفي الأغاني ما ذكرناه .

فَأَقْدُ فِيهِمُ لَعْدَا شَنِجَ النَّسَا^(١)
 فِي فَتِيَّةٍ صُبِرَ الْفَهُمُ بِهِ
 فَتَدُورُ عَنْ وَهْمٍ وَفِيهِمْ بَيْنَنَا
 فَيُظَلُّ يَسْقِيهِمْ وَيَشْرَبُ مِنْ قَنَا
 بَيْنَا كَذَلِكَ نَحْنُ حَارَتُ طَمَعَةٍ
 جَوْفَاءَ مَنْهَرَةٍ تَرَى تَامُورَهَا^(٢)
 وَمُبَرِّزِينَ مِنَ الْمَقَانِبِ^(٣) أَحْرَزُوا
 هَزُوا صَوَارِمَ لِلْجَلَادِ وَبَاشَرُوا
 نَاطُوا أُمُورَهُمْ بِأَمْرٍ أُخْرٍ لَهُمْ
 مُتَسَرِّبِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
 قِيدَتْ [مِنْ] أَعْلَى حُضْرَمُوتَ فَلَمْ تَزَلْ
 تَحْمِي أَعْنَتَهَا وَتَحْوِي نَهْبَهَا
 حَتَّى وَرَدْنَ حِيَاضَ مَكَّةَ قَطْنَا
 مَا إِنْ أَتَيْنِ عَلَى أَخِي جَبْرِيةِ
 فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ لَهَا مِنْ هَامِمْهُمْ
 سَائِلِ بِيَوْمٍ قَدِيدَةٍ عَنْ وَقَعَاتِهِمْ
 وَدَخَلَ أَبُو حَمْزَةَ الْمَدِينَةَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ .

وَمَضَى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ إِلَى الشَّامِ ، فَرَقَى أَبُو حَمْزَةَ الْمُنْبَرَةَ فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

(١) الشَنِجُ حَرَكَةٌ: تَقْبُضُ فِي الْجِلْدِ وَقَرَسَ وَشَنِجَ النَّسَاءَ مَدَحَ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِجَ لَمْ تَسْتَخِرْ رَجُلَاهُ ، قَامُوسُ

(٢) التَامُورُ : النَّفْسُ وَحَيَاتُهَا وَالْقَلْبُ وَحُبَّتُهُ وَحَيَاتُهُ وَالْدَّمُ .

(٣) فِي الْأَغَانِي (وَمُبَرِّزِينَ مِنَ الْمَقَانِبِ) .

ثم بكت أهل مكة وأهل المدينة بما فعلوه حرفا حرفا ، وما فعله بهم بنو مروان ،
وذمهم وذم سيرتهم ، ومدح أصحابه وأثنى عليهم .
ف فعل ذلك في غير مرة في كلها ، ذلك دأبه .
ثم رقى المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا
ولا لهوا ، ولا لدولة مُلكٍ نريد أن نحوض فيه ولا لنثار قديم نبيل منا ، ولكننا
لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعُتِفَ القائلُ بالحق ، وقُتِلَ القائم بالقسط ،
ضاعت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن ، وحُكِمَ القرآن ،
فأجبنا داعي الله « وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ » فأقبلنا
من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد ، عليه رداؤهم وأنفسهم يتعاورون لحافا
قليلون مستضعفون في الأرض فأوانا الله عز وجل وأيدنا بنصره فأصبحنا — والله حميد —
بنعمته إخوانا ، ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحُكِمَ
القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان ، وحكم مروان وآل مروان ، فشتان ، لعمر الله ،
ما بين الغي والرشد .

ثم أقبلوا يُهرعون ويزقون ، فضرب الشيطان عليهم بجراته وغلت بدمائهم
مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبلت أنصارُ الله عصائب وكتائب ، بكل مهند ذى
روثق ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبطون .

وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يُصِيبَكُمُ اللهُ بعذاب من
عنده ، أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين .

يا أهل المدينة ، أولكم خيرا أول ، وآخركم شرا آخر .

يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم إلا مشركا أو عابدا وثن ، أو كافرا
من أهل الكتاب ، أو إماما جائرا .

يا أهل المدينة ، من زعم أن الله كلف نفسه فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يؤت بها فهو لله عدوٌّ ، ولنا حرب .

يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهمٍ فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء التاسع ، وليس له منها ولا سهمٌ واحد ، فأخذ جميعها لنفسه ، مكابراً جائراً ، محارباً لربه ، فما تقولون فيه وفيمن عاونته على فعله ؟
يا أهل المدينة ، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ، قلتم : هم شبابٌ أحداثٌ وأعراب جفاة .

ويحكم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا شباباً أحداثاً !!

شبابٌ والله مُلهمون^(١) في شبابهم ، غضيضةٌ عن الشر أعينهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسهم غداً بأنفس لا تموت أبداً .

قد خلطوا كلالهم بكلالهم ، وقيامَ ليلهم بصيامِ نهارهم ، منعنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآيةٍ خَوْفٍ شهقوا خوفاً من النار ، وإذا مروا بآيةٍ شَوْقٍ شهقوا شوقاً إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف انتضيت ، وإلى الرماح أشرعت ، وإلى السهام فوّقت ، وأرعدت الكتائبُ بصواعقِ الموت ، استخفوا وعيدَ الكتبية عند وعيد الله عز وجل ، ولم يستخفوا وعيدَ الله ، عز وجل ، عند وعيدِ الكتبية . فطوبى لهم وحسنُ مآب .

فكم من عَيْنٍ في منقارِ طائر^(٢) طالما بكى صاحبها من خشية الله .

(١) مكتملون (أغاني) .

(٢) في الأصل طار والتصويب عن الأغاني .

وكم من يد أُيِّنت عن سَاعِدها ، طالما اعتمد عليها صاحبُها رَاكعًا وساجدًا .
أقول قولي هذا وأستغفرُ الله في تَقْصِيرِنَا .

وما توفيقُنَا إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنِيب .

ورَقِيَ المنبر مرةً أُخرى ، وهو مُتَنَكِّب قوساً عربيةً ، فحَمِدَ الله ، ثم أثنى عليه
ثم قال :

قد بلغني مقالَتكم في أصحابي ، ولولا معرفتي بضعْف رأيكم وقِلَّة عقولكم
لأحسنتُ آدابَكم ، بحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنزَلَ عليه الكِتَابُ ،
وُبَيَّنَ له فيه السَّيْرَ ، وشُرِّعَ فيه الشَّرَائِعُ ، وَبَيَّنَ له فيه ما يَأْتِي وما يَنْذَرُ ، فلم يكن
يَتَقَدَّمُ^(١) ولا يُخَجِّجُ حتى قبضه الله ، عز وجل إليه ، صلى الله عليه وسلم . وقد أدَّى
الذي عليه ، ولم يدَعُكم من أمركم في شُبْهة ، ثم قام من بعده أبوبكر ، فأخذ بسُنَّتِهِ ،
وقاتَلَ أهلَ الرَّدَّةِ ، وشَمَّرَ في أمر الله ، حتى قَبِضَهُ الله إليه . والأُمة عنه راضون ،
رحمة الله عليه ومنفِرَتُهُ .

ثم ولي بعده عمر ، فأخذ بسُنَّةِ صاحِبِهِ ، وجند الأجنَادَ ، ومصر الأمصار ، وجي
الْفِيءِ ، وقسَمَهُ بين أهله ، وشَمَّرَ عن ساق اجتهاده ، وحَسَرَ عن ذِراعِهِ ، وضربَ
في الخمر ثمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغَزَا المدوِّ في بلادهم ، وفتح المدائنَ
والحصون ، حتى قبضه الله تعالى إليه ، والأُمة عنه راضون ، رحمة الله ورضوانه عليه .
ثم وَلِيَ بعده عثمانُ بن عفان ، فعمل في ست سنين بسُنَّةِ صاحِبِهِ ، ثم أحدثَ
أحداثًا ، أبطل الآخرُ منها الأولَ ، فاضطرب حبلُ الدين مَعَهُ^(٢) وطلبها كلُّ امرئٍ
لنفسه ، وأسرَّ كلُّ رجلٍ سريرةً ، وأظهرها الله وأبداها ، حتى مضوا على ذلك .

(١) إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله (أغانى) .

(٢) بعدها (أغانى) .

ثم وَلِيَّ عَلِيٌّ بن أبي طالب^(١) - فضَعَفَهُ وذكره رضى الله عنه بما نتبرأ عن حكايته .
ثم ولي معاوية بن أبي سفيان كَعَيْنُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنُ
كَعِينِهِ ، وجُلُفٌ من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسَفَكَ الدَّمَ
الحرامَ ، واتخذ عبادَ الله خَوَلا ، ومالَ الله دَوَلا ، وبني دينه عِوَجًا ، ودَخَلَ^(٢) ،
وأحلَّ الفرجَ الحرامَ ، وعمل بما يشتهيه ، حتى مَضَى لسبيله فعلَ الله به وفعل .
ثم ولي بعده يزيدُ الخُمُور ، يزيد الصقور ، يزيد الفهود ، يزيد الصيود ، يزيد
القُرود ، نخاف القرآن ، واتبع الكُفَّان ونادم القرد^(٣) وعمل بما يشتهيه ، حتى مضى
لسبيله ، فعل الله به وفعل .

ثم ولي مروان بن الحكم ، فضيِض^(٤) لعنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وابنُ كَعِينِهِ ، فاسقٌ بطنه وفَرَجُه ، فالعنوه والعنوا أياه .
ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهلُ بيت اللعنة وطرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقومٌ من الطُّلُقَاء ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار ، ولا التابعين
ياحسان ، فأكلوا مالَ الله أَكْلا ، ولعبوا بدين الله كَعِبًا ، واتخذوا عبادَ الله عبيدا ،
يورثُ الأكبرُ منهم الأصغر ، فيألفها من أُمَّةٍ ما أضعفها وأضعفها ، والحمد لله
رب العالمين .

ثم مَضَوْا على ذلك من أعمالهم ، واستخفاهم بكتاب الله ، عز وجل ، ينبذونه
وراء ظهورهم ، فالعنوهم كما يستحقون .

وقد وَلِيَّ منهم عمرُ بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يَكْدُ ، وعجز عن الذي أظهر ،
حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر .

(١) فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى . . . (أغانى) .

(٢) دغلا (أغانى) .

(٣) فى الأصل : ونادى القود ، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٤) طريد (أغانى) .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غير مأمون على شئ من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤنس رشدُه ، وقد قال الله عز وجل : « فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ » فأمرُ أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيما .

مأبون في بطنه وفرجه ، يشرب الحرام ويأكل الحرام [ويلبس الحرام] .
يلبس بُردَيْن قد حيكاه ، فقوَّما على أهلهما بألف دينار ، وأكثر وأقل ، وأخذت من غير حِلِّها ، وصرفت في غير وجهها ، بعد أن ضربت فيها الأبرار ، وحلقت فيها الأسمار ، واستحل ما لم يحل لعبد صالح ولا لنبي مرسل ، ثم يجلس - حباة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، يغنيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بيمينها ، حتى إذا أخذت مأخذها وخالطت دمه وروحه ، وغلبت سورتها على عقله مزق حلته ، ثم التفت إليهما وقال : أتأذنان لي أن أطير ؟ نعم فطر إلى النار ، إلى لعنة الله ، حيث لا يرُدُّك الله .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرتهم فقال :

أصابوا إمارة ضائعة ، وقوما طغاما جُهَّالا ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرَوْنَ أن بنى أمية أرباب لهم ، فملكوا الأمر ، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبارة ، على الهدى^(١) ، يقتلون على الغضب ، يأخذون بالظن ، ويمطئون الحدود بالشفاعات ، ويأتمنون الخونة ، ويقصون ذوى الأمانات ، يأخذون الصدقة من غير فرضها ، ويضعونها في غير موضعها .

فتلك الفرقة الحاكمة بفسير ما أنزل الله عز وجل ، فالعنوهم لعنتهم الله .
وأما إخواننا من هذه الشيعة وليسوا بإخواننا في الدين الذين سمعت الله عز وجل قال في كتابه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ » .

(١) يحكمون بالهوى (أغاني) .

شيعةً ظاهرين بكتاب الله فأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظرٍ نافذٍ في القرآن ، ولا عقلٍ بالغٍ في الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عَصَبِيَّةً لِحِزْبٍ لَزَمُوهُ . وأطاعوه ، في جميع ما يقوله لهم ، غَيًّا كان أو رُشْدًا أو ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدول في رَجْعَةِ الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدَّعون علمَ الغيبِ لمخلوقين ، لا يعلمُ أحدُهم ما في داخل بيته ، بل لا يعلمُ ما ينطوى عليه توبُّه ، أو يحويه جسمُه ، يَنْقِمُونَ المعاصيَ على أهلها ، ويعملون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المَخْرَجَ منها .

جفأةً في الدين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلّدوا أهلَ بيت من العربِ ذمتهم وزعموا أن مواليتهم لهم تُغْنِيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنْجِيهم من عقاب الأعمال السيئة . قاتلهم الله أنى يُؤْفَكُونَ .

فأى هؤلاء الفرقِ يا أهل المدينة تَتَّبِعُونَ ؟

أو بأى مذاهِبِهِم تَقْتَدُونَ ؟ !

ثم إن مروانَ بَعَثَ من عسكره بأربعة آلاف ، لينحِهم واستعمل عليهم ابنَ عَطِيَّةَ ، وأمره بالجدُّ في السير ، وأعطى كلَّ رجلٍ من أصحابه مائةَ دينار ، وفرسا عربية وبغلا لثقله ، وأمره أن يَمْضِيَ فيقاتلهم .

وقيل : بعث معهم ألفَ رجلٍ من أهل الجزيرة ، فشرَطوا على مروان أنهم إن قَتَلُوا عبدَ الله وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز . فأجابهم إلى ذلك . فخرج حتى نزل بالعلاء^(١) فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى لأبي الغيث^(٢) يقول :

(١) بالمعل (أغاني) .

(٢) في الأصل لبني العيث ، وما أثبتناه عن الأغاني ، ويؤيده ما جاء بعد ذلك بقليل ، وإن كانت العيث كررت ، وهى الغيث .

لقيني ، وأنا غلام ، رجلٌ من أصحاب ابنِ عطية ، فسألني : ما اسمُك يا غلام ؟ قلت : العلاء . قال : ابنُ مَنْ ؟ قلت : ابنُ أفلح . قال : عربي أم مولى ؟ قلت : مولى . قال : مولى مَنْ ؟ قلت : مولى أبي الغيث . قال : فأين نحن ؟ قلت : بالعلاء قال : وأين نحن غدا ؟ قلت : بغالب ، فما كلمني حتى أردفني خلفه ، ثم مضى بي حتى أدخلني على ابنِ عطية . فقال : سل هذا [الغلام] عن اسمه فرددت عليه القول كالذي قلتُ فسُرَّ بذلك ، ووهب لي دراهم .

فبعث أبو حمزة بلجاً في ستمائة رجل ، ليقاتل ابنَ عطية ، فلقيه بوادي القرى لأيام خلت [من جمادى الأولى] ^(١) سنة ثلاثين ومائة . فتوافقوا ، ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة ، وذكروا بني أمية وظلمهم ، فشتَمهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله بهذا أحقُّ ممن ذكركم . فحمل عليهم بلجٌ وأصحابه ، فانكسرت ^(٢) طائفةٌ من أهل الشام ، وثبت ابنُ عطية في عُصبة ، صبروا معه ، فنادى أهلُ الشام : يا أهلَ الحفاظِ ناضلوا عن دينكم وأميركم ا فكَرُّوا وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتلَ بلجٌ وأكثرُ أصحابه ، وانحازت قطعةٌ من أصحابه ، نحو المائة ، إلى جبل فاعتصموا به . فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثة أيام ، فقتل منهم سبعين رجلاً ، ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبي حمزة ، ونصب ابنُ عطية رأسَ بلج على رُمح ، وجزع الذين انهزموا إلى أبي حمزة ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فئة ، وإلى انحرزتم .

وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلاً يقال له المفضل فقام عليه أهلُ المدينة ، فقتلَ جماعةٌ من أهل بيته ، وهرب الباقون ، فلم يبق منهم بالمدينة أحد .

(١) ما بين القوسين ، يياض بالاصل ، وهو عن الأغاني .

(٢) فانكشفت (أغاني) .

ولما قدم ابن عطية المدينة أقام بها شهراً ، وأبو حمزة مقيم بمكة ثم توجه إليه فقدمها فصير أصحابه فرقتين ، ولقي الخوارج من وجهين فانهزم أهل الشام إلى عقبة مئى ، فوقفوا عليها . ثم كرّوا^(١) وقاتلواهم . فقتل أبو حمزة وأبرهة بن الصباح وتفرق الخوارج وتبعهم أهل الشام يقتلونهم^(٢) حتى دخلوا المسجد . وأسر أهل الشام منهم أربعمائة غلام . فدهاهم ابن عطية فقال : ويلكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن الكنة - يريدون : الجنة [وهى لغتهم]^(٣) فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة وصلب معهما غيرهما على فم شعب^(٤) .

وبعث برأس أبي حمزة إلى مروان مع عروة بن عطية ولم يزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمر إلى بنى العباس .

وحج مهمل الهجيمى فانزل أبا حمزة ليلاً فدفنه ، ودفن خشبه .

ولما بلغ قتل أبي حمزة عبد الله بن يحيى بصنعاء أقبل ومعه أصحابه ، يريد قتال ابن عطية ، وشخص إليه ابن عطية ، فالتقوا وأكثر أهل الشام القتل فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنهب ، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، وقتل منهم نحو مائة رجل ، وقتل قائداً من قوادهم ، يقال له يزيد بن حمل القشيري ، وأمسوا ، فكف بعضهم عن بعض .

ثم التقوا من الغد فى موضع كثير الشجر والكرم والحيطان ، وطال القتال بينهم وكثر^(٥) القتل فى الشراة فترجل عبد الله بن يحيى فى ألف رجل فقاتلوا حتى

(١) فى الأصل ذكروا .

(٢) فى الأصل يقتلونهم .

(٣) ما بن القوسين عن الأغاني .

(٤) الشعب ، شعب الحيف (أغاني) .

(٥) استعجر (أغاني) .

قُتِلُوا جَمِيعًا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، فَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ وَنَجَا (١) مِنْ نَجَا مِنْهُمْ بِصَنْعَاءَ .

فَقَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي :

قَتَلْنَا دَعِيسًا وَالَّذِي يَكْتَسِبُنِي الْكُنَى أبا حمزة الغاوي المضلَّ اليمانيَا
وَأَبْرَهَةَ الْكِنْدِيَّ خَاضَتْ رِمَاحُنَا وَبَلَجَا صَبَحْنَا الْحَتُوفَ الْقَوَاضِيَا
وَمَا تَرَكْتُ أَسِيافُنَا مِنْذُ جُرِّدَتْ لِمُرْوَانَ خَتَّارًا (٢) مِنَ الْأَرْضِ عَادِيَا
ثُمَّ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَطِيَّةٍ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى مَعَ ابْنِهِ يَزِيدَ بْنِ عَطِيَّةٍ إِلَى مُرْوَانَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَصِينِ ، وَيُقَالُ الْحَسَنُ الْعَزْرِيُّ ، مَوْلَى لَهُمْ ، يَرِثِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى وَأَبَا حَمْزَةَ ، مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبَلُّجِ الْفَجْرِ هَنَدٌ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
إِذَا بَصُرْتَ عَيْنِي وَوَافِكُهَا (٣) يَنْهَلُ مِنْ حُدْرَا عَلَى النَّحْرِ (٣)
أَنْتَى اعْتَرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا سَرِبَ الدَّمُوعُ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ
أَقْدَى بَيْنِيكَ لَا يَفَارِقُهَا أُمُّ عَائِزٍ أُمُّ مَالِهَا تَذَرِي
أَمْ ذِكْرُ إِخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ سَلَكَوا سَبِيلَهُمْ عَلَى خُبْرٍ؟
فَأَجَبَتْهَا بَلْ ذِكْرُ مَضَرَعِهِمْ لَا غَيْرُهُ عِبْرَاتُهَا تَجْرِي
يَا رَبُّ اسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ ذَا الْعَرْشِ وَاشْدُدْ بِالتَّقَى أَزْرِي
فِي فَتْيَةٍ صَبَرُوا تَقُوسَهُمْ لِلْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا السُّمْرِ
تَاللَّهِ أَلْقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ حَتَّى أَكُونَ رَهِينَةَ الْقَبْرِ

(١) وَلِحَقِّ (أَغَانِي) .

(٢) الْخَتَّارُ : الْغَادِرُ - وَفِي الْأَغَانِي جَارٍ .

(٣) دَامِعُهَا . . . يَنْهَلُ وَافِكُهَا . . .

أَوْقِي بِذِمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا
مُتَاهِلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فُجِعَتْ بِهِ
وَمُبَرِّإٍ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ
مُتَاوٍ يَتَلَوُ قَوَارِعَ مِنْ
تَكْلِيلِكَ الْمُخْتَارِ أَوَّلَ بِهِ
خَوَاضَ غَمْرَةٍ كُلِّ مُتَلَفَةٍ
وَابْنُ الْحَصَيْنِ وَهَلْ لَهُ شَبَهٌ
وَمُخَالِطِي بَلَجٍ وَخَالِصَتِي
وَإِخِيكَ أِبْرَهَةَ الْهَجَانِ أَخِي أَلِ
وَوَلِي حِلْمِهِمْ^(٢) فُجِعَتْ بِهِ
وَمُسْتَبِي فَادْكُرْ وَصِيَّتَهُ
فِي مُحْسِنِينَ^(٤) وَلَمْ أَسْمَهُمْ
وَأَعَفَ^(١) عِنْدَ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
نَاهِينَ مِنْ لَأَقَوْا عَنِ النُّكْرِ
قَوَّامٍ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
هَفَّ الْهَوَى ذِي مِرَّةٍ شَزْرٍ
آيَ الْكِتَابِ مُفَزَّعِ الصَّدْرِ
مِنْ مَغْتَدٍ فِي اللَّهِ أَوْ مَسْرٍ
فِي اللَّهِ تَحْتَ الْمَشِيرِ الْكَدْرِ
فِي الْعُرْفِ أَنِّي كَانَ وَالنُّكْرِ
سُمِّ الْعِدَاةِ وَجَابِرُ الْكَسْرِ
حَرْبِ الْعَوَانِ مُلَفَّحِ الْجَمْرِ
عَمْرُو فَوَانْدِي^(٣) عَلَى عَمْرُو
لَا تَنْسَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا ذِكْرٍ
كَانُوا يَدِي وَهُمْ أُولُو النُّصْرِ

وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالسير إلى صنعاء ، ليقاتل من بها من
الخوارج ، فاستخلف ابنه ، محمد بن عبد الملك ، على مكة وتوجه إلى صنعاء ،
ورجع أهل الجزيرة جميعا إلى بلدهم ، كما كان مروان شرط لهم .
فلما قرَّبوا من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى منها ، وأخذ أهل صنعاء
أثقاله وحملي من مال ، كانا معه ، وسلموا ذلك إلى ابن عطية ، وتبع أصحاب

(١) في الأصل وألف .

(٢) حكمهم (أغاني) .

(٣) فواكبدى (أغاني) .

(٤) محبتين (أغاني) .

عبد الله بن يحيى فى كل موضع يقتلهم ، وأقام بصنماء أشهراً - وخرج عليه عدة
تقرى من الخوارج وظفر بهم .

ثم ورد عليه كتاب مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة ، ليحج بالناس ، فصالح
أهل حضرموت على أن يرُدَّ عليهم ما عرفوا من أموالهم ، ويؤانئ عليهم من
يختارون ، ويسالموه ، فرضى بذلك وصالحهم .

وشخص إلى مكة متمجلاً - ولما نفذ مروان الكتاب ندم بعد ذلك بأيام ، وقال :
إنَّا لله ، قتلْتُ ، والله ، ابن عطية ، فإنه الآن يخرج مخفياً متمجلاً ليلحق الحج
فتقتله الخوارج ، فكان كما قال . تمجَّلَ فى بضعة عشر رجلاً ، فلما كان بأرض مُراد
تلفَّت عليه جماعةٌ فمن كان فى تلك الجماعة أباضياً عرفه فقالوا : ما ننظرُ بهذا
أن ندرك ثأراً أصحابنا فيه ، ومن لم يكن أباضياً ظنَّه منهم ، فلما علم أنهم يريدونه
قال لهم : ويلكم ، إني عاملُ أمير المؤمنين على الحج ، فلم يلتفتوا إليه وقتلوه ،
ونصبت الأباضيةُ رأسه ، فلما قتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته ، فأخذوا
من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده .

عبد الله بن أبي معقل^(١)

هو عبدُ اللهِ بنُ أبي مَعْقِل بنِ نُهَيْك بنِ أَسَاف بنِ عَدِي بنِ زَيْد بنِ جُشَم بنِ حارِثة
ابنِ الحارث بنِ الخزرج بنِ عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن النوث
ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
حجازيٌّ شاعرٌ مقل من شعراء الدولة الأموية .

وكان يقال لأبيه مُنْهَب الـوَرِق .

وقيل : بل جَدُّه المسمى بذلك لأنه كَسَبَ مالا فَعَجِبَ أهل المدينة من كَثْرَتِهِ ،
فأباحهم إياه ، فمهبوه .

وكان عَبَّادُ بنُ نُهَيْك بنِ أَسَاف عَمُّ أبيه أدركَ النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
وصحبه وصلى معه إلى القبلتين ، وصلى معه الظهرَ ، وصلى ركعتين منها إلى البيت
القدس ، وركعتين إلى الكعبة .

وأدركَ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير لا فضل عنده ، فوضع
عنه الغزو .

وكان نُهَيْك بنِ أَسَاف يهاجِي أبا الخضر الأشْهَلِيَّ في الجاهلية ، وأشعارها
موجودة في أشعار الأنصار .

وكان ابنُ أبي مَعْقِل مَحْسُوداً في قومه ، يجَاهرونه بالعداوة ، ليسارِهِ وسعة ماله ،
ويحسدونه .

وكان بَنَى قَصْرًا في بني حارثة وسماه مرتعًا . فقال له قائل : ما لك ولِقَوْمِكَ ؟

فقال : ما لي لهم ذنبٌ إلا أني أثريتُ ، وكنت معدما ، فبنيتُ مُرُغما ، وانكحت
مريم ومريما - يعنى : ابنته وابنة ابنه .

فأما ابنته مريم فتزوجها حبيبُ بن الحكم بن أبي العاص بن أمية . وبنتُ ابنه
تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام .

وكان حبيبُ بن الحكم ومحمدُ بن خالد قد خطبا إلى عبد الله بن أبي مَعْقِل
ابنته مريمَ فأرغبه حبيبُ في الصداق فزوجه إياها .

ثم شبت مريمُ بنت مسكين بن عبد الله بن أبي مَعْقِل ، فرغب في جمالها فلقيَ
محمدَ بن خالد ، فقال له : يا ابن خالد إن تكن مريمُ قد فانتك فقد يَفَعَت مريمُ
بنتُ أخيها ، وما هي بدونها في الجمال ، وقد آثرتك بها - قال : فتزوجها على عشرين
ألفا .

وكان ابن أبي مَعْقِل كثيرَ الأسفار في طلب الرزق ، فلامته امرأته أم نهيك ،
وهي بنتُ عمه على ذلك ، وقد قدم من مصر ، فلم يلبث أن قال : جهّزيني إلى الكوفة ،
إلى المغيرة بن شعبة ، فقد وليها ، وهو صديق ، فجّهّزته ثم قالت له : لم تزل
في أسفارك هذه تترددُ حتى تموتَ فقال لها : أو أثري ، ثم أنشأ يقول :

أُمُّ نُهَيْكِ ادْفِي الظَّمْنَ ^(١) صَاعِدَا	وَلَا تَيَأْسِي أَنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بَائِسُ
سَيَغْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي	وَبَعْلُ الَّذِي لَمْ يَخْطُ فِي الدَّارِ جَالِسُ
فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَقِي	وَجَدُّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
فَمَنْ تَحْرِيكُ الْكَمِيتِ عِنَانَهُ	إِذَا ابْتَدَرَ النَّهْبَ الْبَعِيدَ الْفَوَارِسُ
وَمَنْ سَبَقُ الْمَازِلَاتِ بِشَرِيقِهِ	كَأَنَّ أَخَاهَا وَهُوَ يَقْظَانُ نَاعِسُ
وَمَنْ تَحْرِيكُ الْأَوَانِسِ كَالدَّشَى	إِذَا ابْتَزَّ عَنْ أَكْفَالِهِنَّ الْمَلَابِسُ

(١) ارفعى الطرف (أغاني) .

سَأَكْسَبُ مَالاً أَوْ تَبَيَّنَ لَيْسَ بِصَدْرِكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى وَسَاوِسٍ^(١)
 وَمَنْ يَطْلُبُ الْمَالَ الْمُنْعَ بِالْقَنَا يَعِشُ مُثْرِيّاً أَوْ يُودِ فِيهَا يُهَارِسُ
 ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يَزَلْ مَقِيماً بِهَا حَتَّى وَلَّى مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ الْعِرَاقَ فَوَفَدَ إِلَيْهِ ،
 وَلَقِيَهُ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى غَزْوَةِ زَرْجِجٍ^(٢) وَيَقُولُ : مَنْ لَهَا ؟ فَوَثَبَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مَعْقِلٍ ، وَقَالَ : أَنَا لَهَا . فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ : اجْلِسْ ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ ،
 فَاتَدَبَ لَهَا مَرَّةً ثَانِيَةً . فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ : اجْلِسْ . ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ ثَالِثَةً فَقَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ : أَنَا لَهَا ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَقَالَ : لَهُ أَذِنَنِي حَتَّى أَكَلِّمَكَ ، فَأَدْنَاهُ ، فَقَالَ
 لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُكَ مِنِّي إِلَّا أَنَّكَ تَعْرِفُنِي ، وَلَوْ انْتَدَبَ لَهَا رَجُلٌ مِمَّنْ لَا تَعْرِفُهُ
 لَبَعَثْتَهُ ، فَلَمَّا كُنْتُ تَجِدُنِي^(٣) أَنْ أُصِيبَ خِيَرًا أَوْ أُسْتَشْهَدَ فَاسْتَرِيحَ مِنَ الدُّنْيَا وَالطَّلَبِ لَهَا ،
 فَأَعْجَبَهُ قَوْلُهُ وَجَزَالَتُهُ فَوَلَّاهُ ، فَأَصَابَ فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ مَالاً كَثِيراً ، وَانصَرَفَ إِلَى
 الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ : أَلَمْ أَخْبِرْكَ فِي شَعْرِي أَنَّهُ :

سَيُفْنِيكَ سَيْرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وَبَعْلُ الَّذِي لَمْ يَخْطُ فِي الدَّارِ جَالِسُ
 فَقَالَتْ : بَلَى ۖ وَاللَّهِ قَدْ أَخْبَرْتَنِي ، فَصَدَّقَ خَبْرُكَ .

وَفِي الْغَزَاةِ يَقُولُ ابْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ :

إِنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي
 مَلِكٌ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَسْتَقِي لِبْنُ الْبُخْتِ فِي عَسَاسِ الْخَلَنَجِ
 جَلَبَ الْخَيْلَ مِنْ تَهَامَةٍ حَتَّى بَلَغَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرْجِجٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : مَلَابِسُ .

(٢) زَرْجِجٌ : مَدِينَةٌ هِيَ قَصْبَةُ سَجِسْتَانَ .

(٣) تَحْسَدُنِي (أَغَانِي) .

عمير القطامي (١)

هو عَمِيرُ بن شَيْمٍ وكان نصرانياً - وهو إسلامي .

شاعرٌ فحل مُقِلٌّ مجيد .

قال عبد الملك بن مروان للأخطل : يا أبا مالك أتحب أن يكون لك بِشْعْرُكَ شِعْرُ شاعرٍ من العرب ؟ قال : اللهم لا ، إلا شاعرٌ منا مغدق القناع خاملُ الذكْرِ ، حديثُ السنِّ ، إن يكن في أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولوددت أني سَبَقْتُ إلى قوله :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي

فَهِنْ يَفْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي

كان القطاميُّ أول من لَقَّبَ صريع الغواني بقوله :

صَرِيعُ غَوَانٍ رَاقِمٍ وَرَقْنَهُ لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَابِ

نزل القطاميُّ ببعض أسفاره بامرأةٍ من محاربٍ قَيْسٍ ، فنسبها . فقالت : أنا من قومٍ يَشْوُونَ الْقِدَّ مِنَ الْجُوعِ ، قال : وَمَنْ هَؤُلَاءِ وَيْحَكَ ؟ قالت : محارب ، ولم تُقْرِه ، فبات عندها بأسوأ ليلة . فقال فيها قصيدته التي أولها :

نَأْتِكَ بِلَيْلٍ رَيْيَّةٌ لَمْ تُقَارِبِ وَمَا حُبُّ لَيْلٍ مِنْ فَوَادِي بَذَاهِبِ

وَلَا بَدَّ أَنْ الضَّيْفَ يَخْبِرَ مَا جَرَى مُخَبِّرٌ أَهْلَهُ أَوْ مُخَبَّرٌ صَاحِبِ

سَأَخْبِرُكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمِّ مَتْرَلٍ تَضَيِّفُهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ فِرَاسِبِ

تَلَفَعْتُ (٢) فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تَلَفُّنِي وَفِي طَرْمَسَاءٍ (٣) غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ

(١) أغاني ٢٠ : ١١٨ .

(٢) تلفعت (ابن قتيبة) .

(٣) الطرمساء : الظلمة الشديدة .

إلى حِزْبُونٍ تَوْقِدُ النارَ بعد ما تَلَفَّتِ الظَّالِمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَصَلَّى بِهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وَلَمْ تَكُنْ تَحَالُ وَمِیْضَ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبٍ
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامٌ مَطِیَّةٌ تُرِیْحُ بِمَحْسُورٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبِ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَبْتُ كُورِي وَنَاقِي إِلَيْكَ فَلَا تَذْعَرُ عَلَيَّ رَكَّابِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا مَنْ الْحَيُّ؟ قَالَتْ: مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ
مِنَ الْمُشْتَوِينَ الْقِدَّةِ مِمَّا تَرَاهُمْ جِيَاعًا وَرِيفُ النَّاسِ لَيْسَ بِعَازِبِ
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَنَاحِ الشَّوْءِ ضَرْبَةً لَا زِبِ
كَانَ أَوَّلَ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَايِ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
دَمَشْقَ لِمِدَحِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بِخَيْلٍ لَا يَعْطَى الشُّعْرَاءُ .

وَقِيلَ : بَلْ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الشُّعْرَاءُ لَا يَنْفَقُ عِنْدَ
هَذَا ، وَلَا يَعْطَى عَلَيْهِ شَيْئًا . وَهَذَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَامْتَدَحَهُ فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيْهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
يَعِشِينَ زَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَّكِلُ
فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً .
قَالَ : قَدَامَرْتُ لَكَ بِخَمْسِينَ نَاقَةً ، وَأَنْ تُوقِرَ لَكَ بُرًّا وَتَعْرَأَ وَثِيَابًا . ثُمَّ دَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ .
قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : لَوْ قَالَ الْقَطَايُ بَيْتَهُ :

يَعِشِينَ زَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَّكِلُ
فِي صِفَةِ النِّسَاءِ لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ .
وَلَوْ قَالَ كَثِيرٌ بَيْتَهُ :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
فِي مَرْتَبَةٍ أَوْ صِفَةِ حَرْبٍ لَكَانَ أَشْعَرَ النَّاسِ .

حدث رجل كان يُدِيم الأسفارَ قال : سافرت مرة إلى الشام فتمثّلت بهذا البيت :
قد يدركُ المتأنيُّ بعضَ حاجتِهِ وقد يكون مع المستعجل الزال
ومع أعرابي قد استأجرتُ منه مَرَكَبِي . فقال لي : ما زاد قائل هذا الشعر
على أن تُبْطِئَ الناسَ عن الحزم ، فهلاً قال بعدَ بيتِهِ هذا :
وربما ضرَّ بعضَ الناسِ رَيْثُهُمْ وكان خيراً لهم لو أنهم عَجِلُوا

عبد الله بن صخر الهذلي^(١)

هو عبدُ الله بن سَلَم السَّهْمِي أحد بني مُرْمِض .
شاعرٌ إسلامي من شعراء الدولة الأموية .
وكان مواليا لهم مُتَمَصِّباً لهم .

وله في عبد الملك بن مروان عدة مدائح ، وفي أخيه عبد العزيز^(٢) في الحبس إلى أن قُتِلَ .

لما ظهر عبدُ الله بنُ الزبير بالحجاز ، وغلبَ عليها بعد موتِ يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب [بينهم] في مرج أراهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهذلي في هُدَيْل ، وقد جاءوه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواه في بني أمية ، فمنعه عطاءه . فقال : علامَ تمنعني حقِّي ، وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولا أخرجت من طاعة يدا ؟ قال : عليك ببني أمية ، فاطلبْ عندهم عطاءك . قال : إذا أجدهم سبأطا أكَفَّهُمْ سَمْحَةً أَنْفُسَهُمْ ، بذلاء لأموالهم ، وهايين لِمُجْتَدِيهِمْ ، كريمة أعرافهم ، شريفة أصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم نسبهم ، وسببهم ، ليسوا إذا نُسِبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا هم في قريش كفقمة القاع ، لهم السؤدد في الجاهلية ، والملك في الإسلام ، لا كمن لا يُعَدُّ في عيرها ولا نفيها ، ولا حَكَم أولوه^(٣) في نقيها ولا قَطْميرها

(١) الأغاني ٢١: ٩٤ - المذهب ٦ : ٩٢ (هو أبو صخر الهذلي) .

(٢) رواية الأغاني والمذهب (وفي أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن خالد بن أسيد ، وحبيسه ابن الزبير إلى أن قتل) .

(٣) آباؤه (أغاني)

ليس من أحلافها المطيِّين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهايين
ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا من عبد شمسها المسوِّدين .
وكيف تقاس الرؤوسُ بالأذنان ، وأين النُّصلُ من الجفنِ والسنانُ من الزُّجِّ
والذُّنابي من القدَّامى .

وكيف يُفضَّلُ الشَّحيحُ على الجواد ، والسوقةُ على المَلِك ، والمجيع^(١) مُبْخَلًا
على المطعمِ فضلًا .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصُه وعرقَ جبينُه واهتزَّ من قرْنِه إلى قدَمِه
وامتقعَ لونه وقال :

يا ابن البوالة على عَقَبَيْيها ، يا جلفُ ، يا جاهلُ ، أما والله لولا الحُرْمَاتُ الثلاثُ :
حرْمَةُ الإسلام ، وحرْمَةُ الحرم ، وحرْمَةُ الشهرِ الحرامِ لأخذتُ الذى فيه عيناك .
ثم أمر به إلى سِجْنِ عارم فسُجِّنَ به مدة ، ثم استوهبته قريشٌ وهذيلٌ ومن له
من قريش خُثولةٌ في هُذَيْلٍ ، فأطلقه بعمدسنة ، وأقسم ألا يعطيه عطاءً مع المسلمين أبدًا .
فلما كان عامُ الجماعة ، وولى عبدُ الملك ، وحج ، لقيه أبو صخر ، فلما رآه
عبدُ الملك قرَّبه وأدناه ، وقال له : لم يَخْفَ على خبرك مع المُلْحِد ، ولا ضاع لك عندى
هواك ومُوالاةُك ، فقال له : أما إذ شَفَى الله نفسى منه ورأيتَه قَتِيلَ سَيْفِكَ ،
صريعَ أوليائك ، مصلوبًا مَهْتوكَ السَّترِ مفرق الجماعة^(٢) ، فما أبالى ما فاتنى
من الدنيا .

ثم استأذنه فى الإنشاد ، فأذن له ، فثل قائما وأنشد :

عفت ذات عرق عضلها فرثامها فصحيأوها وحش قد أجلي سوامها

(١) والجامع (أغاني - مهذب) .

(٢) الجمع (أغاني - مهذب) .

فلما فرغ منها أمرَ له عبدُ الملك بما فاتهُ من عطائه ، ووصَّله بمثله من ماله ،
وكساه ، وحمله .

وكان أبو صخر منقطعا إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد
مداحا له ، فقال له يوما : أرثني وأنا حي ، أسمع كيف تقول وأين مراثيتك لي بعدى
من مدحك إياي في حياتي . فقال : أعينك بالله أيها الأمير ، بل يُبقيك الله ،
ويُقدِّمُني قبلك . فقال : ما من ذلك بد .

فرثاه بقصيدته التي يقول فيها :

أبا خالدٍ نَفْسِي وقت نَفْسِكَ الرَّدى	وكان بها من قبل عَثَرَتِكَ العُثرُ
لَتَبْسُكَ يا عبدَ العزيزِ قلائصُ	أضربُ بها نصُّ الهواجرِ والزَّجرُ
سَمُونُ بنا يحثُّن كل تنوفا	تَضِلُّ بها عن بيضهن القطا الكُدُرُ
فما قَدِمَت حتى تواتر سَيْرُها	وحتى أُنِيختُ وهى طالمة دُبرُ
ففرَّجَ عن رُكبانِها ألهم والطوى	كريمُ المحيا ماجدٌ واحدٌ صَقْرُ
أخوشتوات ^(١) تَقْتُلُ الجوعَ دارُهُ	لمن جاء لا ضيقُ الفناء ولا وَعرُ
فلا يهينُ الفتيانَ بعدك لذة	ولا بَلَّ هام الشامتين بك القطرُ
وإن تُمسِرَ رسا ^(٢) بالرصافة ثاويا	فامات يا ابن العيص ^(٣) فائلك الغمرُ
وذى ورق ^(٤) من فضل مالك ماله	وذى حاجة قد رشت ليس له وفرُ
فأضحى ^(٥) مريحا بعد ما قد يؤوبه	وكلُّ به المولى وضاق به الأمرُ

فأضعف له عبدُ العزيز جائزته ووصَّله .

(١) فى الأصل : سنوات .

(٢) فى الأصل : رمسى .

(٣) فى الأصل : الفيض .

(٤) فى الأصل : (رزق) .

(٥) فى الأصل : فامسى .

وكان لأبي صخر ولد يقال له داود ، ولم يكن له غيره فمات فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خولط عقله وقال يرثيه :

لقد هاجني طيفٌ لداود بعد ما دنت فاستقلتُ تاليات^(١) الكواكب
ولولا يقيني أنما الموتُ عزيمةٌ من الله حتى يبعثوا للمتحاسب^(٢)
لقلت له لما أَلَمْ برمسه^(٣) هل أنت غسداً غادٍ معي فُصاحبي
وكان أبو صخر يهوى امرأة من قضاة مجاورة فيهم ، يقال لها ليلي بنت سعد ، وتكنى أم حكيم ، وكانا يتواصلان برهة من دهرهما ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه فقال فيها أبو صخر :

ألم خيالٌ طارقٌ متأوبٌ لأم حكيم بعد ما نمت مُوصِبُ
وقد دنت الجوزاء وهي كأنها ومِرْزَمُها^(٤) بالغورِ ثورٌ ورَبْرَبُ
فبات سرار في المنام مع المنى عريض لمن يسمى من الحزن أشيب^(٥)
قضاية أدنى ديارٍ تحلُّها قناةٌ وأننى من قناةٍ المُحَصَّبُ
دميثةٌ ما تحت الثياب عيمةٌ هضم الحشا بكر المجسة ثيبُ
تعلقها خوداً لذيذاً حديثها ليالى لا تخمى^(٦) ولا هي تُحْجَبُ
فكان لها ودى ومحض^(٧) علاقتي وليداً إلى أن راسى اليوم أشيبُ
فلم أر مثلى أياست بعد عليها بودى ولا مثلى على اليأس يطلب

-
- (١) في الأصل : باكيات .
(٢) للمحاسب (أغاني - مذهب)
(٣) فيما أَلَمْ برمسه (أغاني - مذهب) .
(٤) المرزمان : نجمان مع الشعريين .
(٥) رواية الأغاني والمذهب : فبات شرابي ... غريض اللمى يشقى جوى الحزن أشنب ،
(٦) لا تعدى (مذهب) .
(٧) وريفة ميعتى (مذهب) .

ولو تَلْتَقَى أصدَاؤُنَا بعد موتنا
لظل صدی رَسْمی^(١) ولو كنت رَمَّةً
ومن مختار شعر أبي صخر قوله :
لليلة بذات العرق^(٢) دارٌ عَرَفْتُهَا
وقفت برَسْمِهَا فلَمَّا تنكرا
وفي الدمع إن كُذِّبْتُ بالحبِّ شاهدٌ
صبرتُ فلما غال نفسي وشفَّها
إذا لم يكن بين الخليلين^(٣) ردة
إذا قلتُ هذا حين أسلو يهيجني
وإني ليمروني لذكراكِ هِزَّةً
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
صدقت أنا الصَّب المصاب الذي به
أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد تركتني أحسدُ الوحش أن أرى
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى
ويا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلةٍ
عجبتُ لسمي الدهر بيني وبينها
ولستُ عشيةً الحِمى برَواجعٍ

ومن دون رَمْسَيْنَا من الأرض سَنَسَبُ
لصوت صدی ليلى يَهَشُّ وَيَطْرَبُ
وأخرى بذات الخيس آياتها سطر
صدقتُ وعَيَّنِي دمعها سَرِبٌ هَمُرٌ
يُبَيِّنُ ما أخفى كما يَبَيِّنُ البدر
عجاري^(٣) تأتي دونها غلب الصبر
سوى ذِكْرِ شئٍ قد مضى دَرَسَ الذِّكر
نسيم الصَّبَا من حيث يطلعُ الفجرُ
كما انتفض العصفورُ بِلَلَّةِ القطرِ
وزرتك حتى قيل ليس له صبرُ
تباريحُ حبٍّ خامرَ القلبَ أو سِجَرُ
أَمَاتَ وأخيا والذي أمرُ الأمرُ
ألفَيْنِ منها لا يَرُوعُهُما الذُّعْرُ
وزدتَ على مالم يكن بَلَغَ الهَجْرُ
ويا سلوةَ الأيام موعِدُك الحِشْرُ
فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ
لنا أبدا ما أوزقَ السَّلمَ النَّضْرُ

(١) صوتي .

(٢) الجيش (أغاني) - البين (مذهب) .

(٣) عجاري^(٣) : حوادث .

(٤) الحبيين (أغاني) .

وإني لآتيها لكيا تبيني
فما هو إلا أن أراها فجاءة
تكاد يدي تندى إذا ما لمستها
ومن شعر الهذلي :

بيد الذي شغف الفؤاد بكم
هم من أجلك ليس يكشفه
ولما بقيت لبقين جوى
قد كان صرم في المات لنا
ويقر عيني وهي نازحة
أطلال نعم إذ كلفت بها
ولو انى أسقى على سقمي
ولقد عجبت لنيل مقتدر
يرى فيجرحني برميته
فاستيقنى أن قد كلفت بكم
تفريج^(٢) ما ألقى من الهم
إلا مليك جائر الحكم
بين الجوانح مسقيم الجسم
فمجلت قبل الموت بالصرم
دارى وليس كذا أخو الحكم^(٣)
بادين هذا القلب من نعم
بلمى عوارضها شفت سقمي
بسط الفؤاد بها ولا يدرى
فلو انى أرمى كما يرمى
ثم افعلى ما شئت عن علم

(١) رواية الأغاني والمهذب :

(..) لآتيها وفي النفس هجرها بتاتا لأخرى الدهر ما وضع الفجر

(٢) فرج الذى .

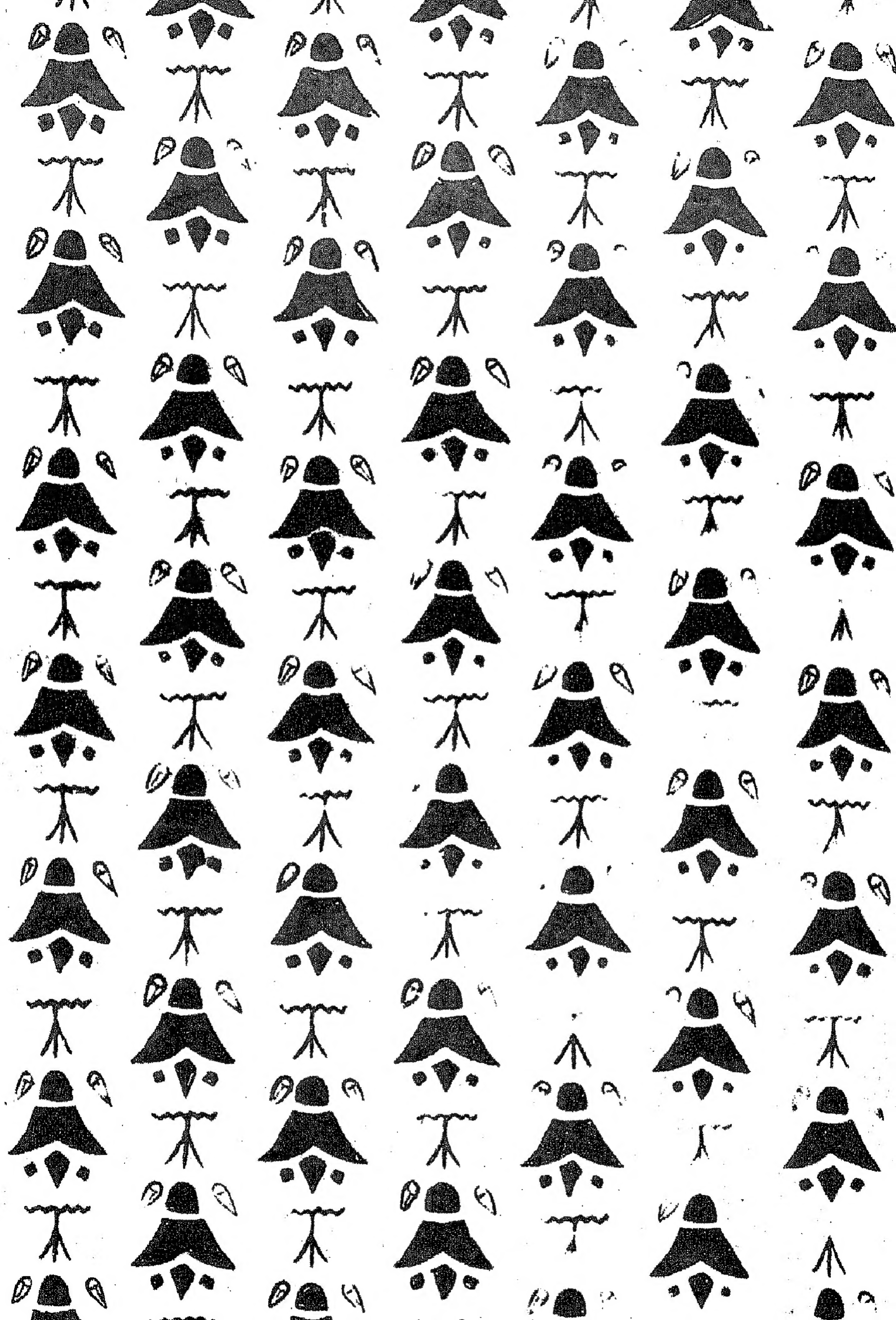
(٣) ما لا يقر بعين ذى الحلم (أغاني - مهذب) .

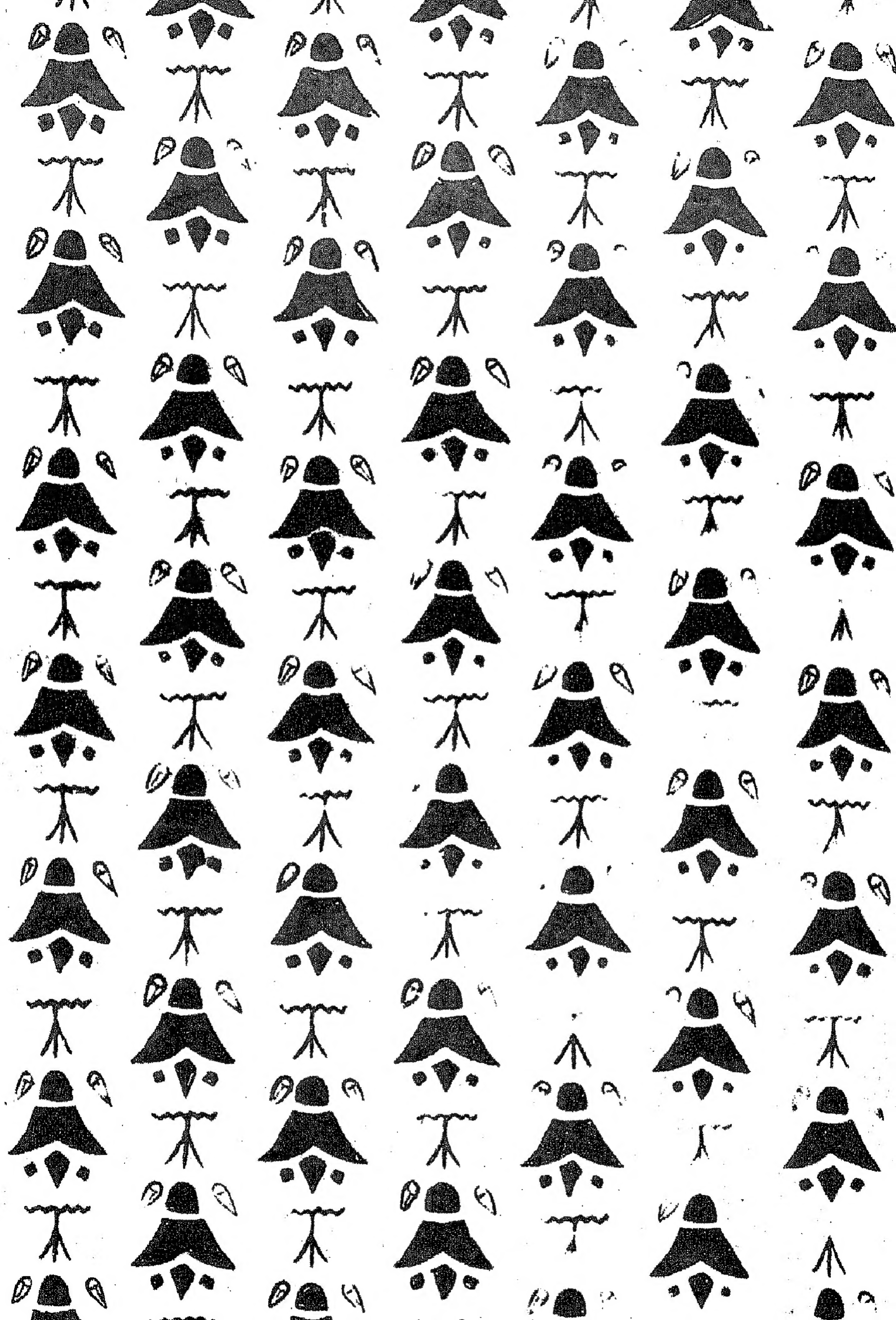
فهرست تراجم الكتاب

- | | | |
|----------|------------------------------|-------------------------------------|
| ۱۶۳-۱۵۵ | ۲۰- ديك الجن | ۱- ذکر عبید الله بن قیس |
| ۱۷۰-۱۶۴ | ۲۱- علی بن الخلیل | الرقیات ۳- ۱۳ |
| | ۲۲- أبو الشَّیْبِل عصمة بن | ۲- ذکر عبد الرحمن دَحْمان ۱۴- ۱۷ |
| ۱۷۴-۱۷۱ | وهب البرجُنی | ۳- ذکر عبد الرحمن أغشی |
| | ۲۳- عبید الله بن الزَّیر | همدان ۱۸- ۲۳ |
| ۱۸۸-۱۷۵ | الأسدی | ۴- ذکر عمر بن عبد العزيز ۲۴- ۳۵ |
| | ۲۴- عبد الرحمن بن حسان | ۵- ذکر عدی بن الرُّقاع ۳۶- ۴۰ |
| ۱۹۶-۱۸۹ | ابن ثابت | ۶- ذکر عُلَیة بنت المهدي ۴۱- ۵۰ |
| ۲۰۱-۱۹۷ | ۲۵- عامر أبو الطُّفیل | ۷- ذکر علی بن الجهم ۵۱- ۶۸ |
| | ۲۶- عمرو بن معدیکرب | ۸- ذکر عبد الله بن المعتز ۶۹- ۷۲ |
| ۲۲۰-۲۰۲ | الزبیدی | ۹- ذکر عملاق الملك وعفيرة ۷۳- ۷۷ |
| ۲۲۲، ۲۲۱ | ۲۷- عمرو بن بانه | ۱۰- ذکر عائشة بنت طلحة ۷۸- ۸۳ |
| ۲۲۹-۲۲۳ | ۲۸- عمرو بن عبید الحزین | ۱۱- ذکر علویة ۸۴- ۹۴ |
| ۲۳۴-۲۳۰ | ۲۹- عنتره بن شداد | ۱۲- عبد الله بن الحشرج ۹۵- ۹۸ |
| ۲۳۶، ۲۳۵ | ۳۰- عیسی بن موسی | ۱۳- عبد الله بن جعفر الطیار ۹۹- ۱۰۲ |
| | ۳۱- عامر بن الطُّفیل وعلقمة | ۱۴- عبد الله بن معاوية بن |
| ۲۴۸-۲۳۷ | ابن عُلانة | عبد الله بن جعفر الطیار ۱۰۳- ۱۱۰ |
| ۲۵۵-۲۴۹ | ۳۲- عبد یغوث | ۱۵- عقیل بن علفه ۱۱۱- ۱۲۰ |
| ۲۶۱-۲۵۶ | ۳۳- عبد الله بن الدُّمَیْنَة | ۱۶- العُجَیر السُّلوی ۱۲۱- ۱۲۵ |
| ۲۶۸-۲۶۲ | ۳۴- عَزَّة المیلاء | ۱۷- عبد الله بن الحجاج ۱۲۶- ۱۳۴ |
| ۲۷۰، ۲۶۹ | ۳۵- عُروة بن الزَّیر | ۱۸- عبد الصمد بن المذلل ۱۳۵- ۱۴۷ |
| | | ۱۹- عبد الرحمن بن الحکم ۱۴۸- ۱۵۴ |

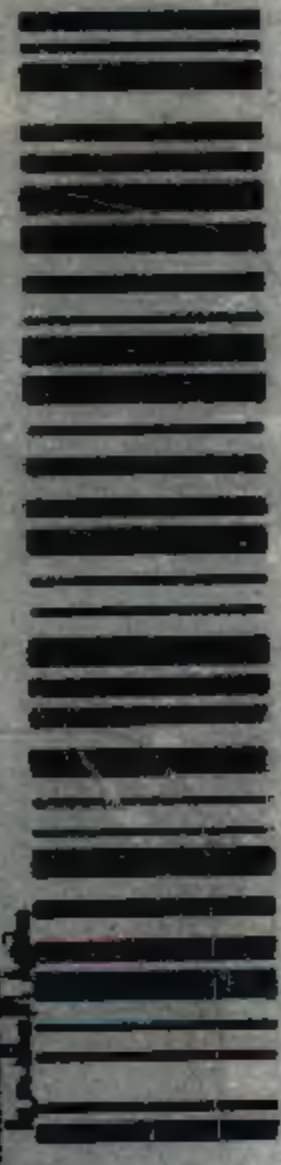
- ابن الحسن بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه ٣٧٠-٣٧٦
٥٣- علقمة الفحل ٣٧٧-٣٧٩
٥٤- عمرا أبو حفص الشَّطْرُنجِيّ ٣٨٠-٣٨٤
٥٥- عبيد بن الأبرص ٣٨٥-٣٩٠
٥٦- عُبَيْدَةُ الطَّنْبُورِيَّة ٣٩١-٣٩٣
٥٧- علي بن عبد الله بن جعفر ٣٩٤، ٣٩٥
٥٨- عُمَيْيْنَةُ بن مرداس ٣٩٦-٤٠٠
٥٩- عبد الله بن العجلان
النهديّ ٤٠١-٤٠٣
٦٠- العُدَيْل بن الفرخ ٤٠٤-٤١١
٦١- عمرو ذو الكلب ٤١٢-٤١٤
٦٢- عنان الناطقية ٤١٥-٤١٨
٦٣- علي بن أمية بن أبي أمية ٤١٩-٤٢٣
٦٤- عبد الله بن يحيى السِكْنَدِيّ ٤٢٤-٤٤١
٦٥- عبد الله بن أبي معقل ٤٤٢-٤٤٤
٦٦- عمير القطاميّ ٤٤٥-٤٤٧
٦٧- عبد الله بن صخر الهذليّ ٤٤٨-٤٥٣

- ٣٦- عبد الرحمن بن أبي بكر
الصدّيق رضي الله عنه ٢٧١-٢٧٥
٣٧- عمران بن حِطَّان ٢٧٦-٢٨٢
٣٨- عمارة بن الوليد ٢٨٣-٢٨٨
٣٩- عبد الله الأعشى ٢٨٩-٢٩١
٤٠- عمرو بن قَمِيْثَة ٢٩٢-٢٩٤
٤١- عُروَة بن أَذْيَنَة ٢٩٥-٢٩٨
٤٢- أبو محجن الثَّقَفِيّ ٢٩٩-٣٠٦
٤٣- عُوفٍ القوافي ٣٠٧-٣١٣
٤٤- عبد الله بن جَعَش ٣١٤-٣١٦
٤٥- عبد الله بن العباس الرِّبَيعِيّ ٣١٧-٣٢٦
٤٦- عبد الله بن الخياط ٣٢٧، ٣٢٨
٤٧- عليّ بن جَبَلَة ٣٢٩-٣٤١
٤٨- عبد الله التَّمِيمِيّ ٣٤٢-٣٤٨
٤٩- عمرو بن أبي الكَنَنَات ٣٤٩، ٣٥٠
٥٠- عَبْدَة بن الطَّيِّب ٣٥١، ٣٥٢
٥١- عَرِيب ٣٥٣-٣٦٩
٥٢- عبد الله بن الحسن





Bibliotheca Alexandrina



0615048